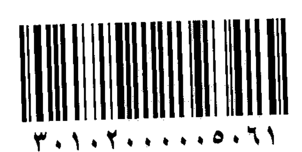
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
الدراسات العليا





الشيخ أبو بكر بن محمد عارف خوقير وجهوده في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها

(١٢٨٤-١٣٤٩هـ)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب
بدر الدين بن محمد بن أحمد ناضرين
الرقم الجامعي : ٤٢٠٨٥٥٦٥

إشــــــراف

فضيلة الدكتور/ عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي

(١٤٢٤هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : بدر بن محمد بن أحمد باجبير كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : العقيدة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير في تخصص : العقيدة

عنوان الأطروحة : ((الشيخ أبو بكر بن محمد عارف خوقير وجهوده في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها.))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه _ والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٢٢/٨/١٤٢٥هـ _ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف
الاسم : عبد الله عمر الدميجي
التوقيع : ٢٤/١

المناقش الداخلي
الاسم : أحمد بن ناصر الحمد
التوقيع : ٢٩/١/١٤٢٦هـ

المناقش الداخلي
الاسم : [illegible]
التوقيع : ....

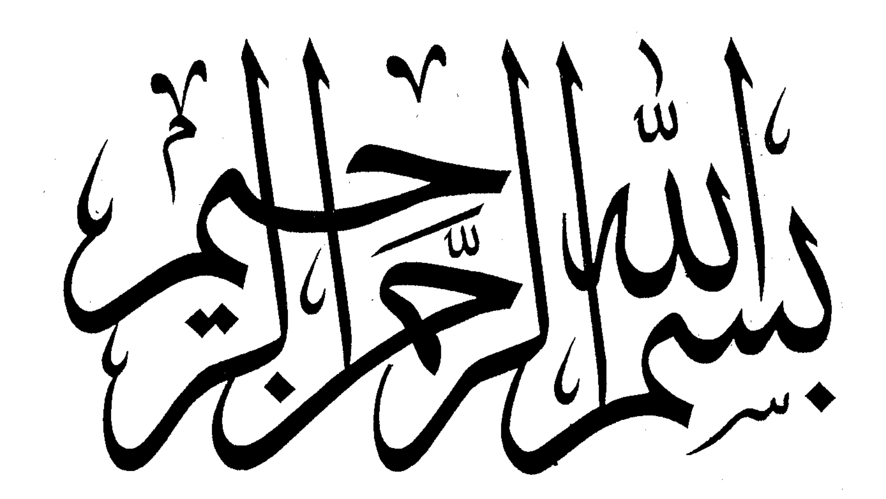
يعتمد

رئيس قسم العقيدة

الاسم : سعود عبد العزيز العريفي

التوقيع : ٢٤/١/١٤٢٦هـ

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن بيان جهود العلماء في جانب العقيدة وتصحيحها والدفاع عنها من خير ما يقوم به طلبة العلم؛ نظراً للحاجة الماسة إلى إبراز جهودهم والتعريف بها، ومن ذلك بيان جهود الشيخ أبي بكر خوقير رحمه الله وهو أحد علماء البلد الحرام في القرن الماضي، خصوصاً وأنه أصبح مغموراً عند أوساط طلبة العلم فضلاً عن غيرهم.

وتتناول الرسالة دراسة وافية عن حياة الشيخ الشخصية والعلمية ومؤلفاته، وبيان جهوده في تقرير مجمل قضايا الاعتقاد، وبيان جهوده في باب التوسل وما تبعه من مسائل، وموقفه من المخالفين لأهل السنة والجماعة في تلك المسائل ورده على شبهاتهم، وجهوده في نقد بعض مسائل التصوف.

ومن أهم نتائج الرسالة ما يلي:

١- أن الشيخ أبا بكر خوقير أحد علماء البلد الحرام الذين قاموا بالدعوة إلى العقيدة الصحيحة، تقريراً ودفاعاً.

٢- عدم مشروعية الاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته، وبطلان شبهات المجوزين لذلك.

٣- عدم مشروعية الأعمال التعبدية إلا إذا وافقت ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وما خرج عن ذلك فهو بدعة وضلالة.

ومن أهم توصيات الرسالة حث طلبة العلم على الاهتمام بدراسة جهود العلماء السلفيين في نشر العقيدة والدفاع عنها، خاصة الذين لهم قدم صدق في دعوتهم وجهادهم.

Research Summary

All praise be to Allah, Prayers and peace be on the prophet Mohammad the noblest of the messengers, and on all his family and companion to the Day of Judgment.

Explanation of efforts of the scholars in the matters of belief and its correction as well as defending it are of the best deed done by the students.

Sheikh Abu-Bakr Khogeer (may Allah have mercy on his soul) is one of the scholars of the Holly country at the last century. There is a strong need for explanation his efforts, Since he became infamous by the students and others.

The study includes a biography of the Sheikh Abu-Bakr Khogeer and his publications as well as his scientific knowledge and conclusion report on problems of belief and petition as well as his opinions about the violatives of the group of Sunnah, his defense on their mischief and suspicions and finally his efforts in criticism of some of Sufi problems.

The most important results of the research are:

1- Sheikh Abu-Bakr Khogeer was one of the scholars of the holly country who propagated and defended the proper belief

2- Illegality of the petition by prophet (peace be upon him) and suspicions upon those who permit that

3- Legality is only on all what the prophet had done and said but all others are heresy and going astray

The most important recommendation of the research is to urge the students to give good attention for the efforts of ancestor scholars for propagating and defending the proper belief specially the sincere ones.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد أرسل الله رسوله محمداً ﷺ ليدعو إلى عبادته وحده سبحانه، وليخلص له العباد أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، ويدخلوا في السلم كافة، فقام عليه الصلاة والسلام بتبليغ رسالة ربه، ناصحاً لأمته، مجاهداً في الله حق جهاده، فلم يترك خيراً يقربهم إلى الله إلا دلهم عليه، ولا شراً إلا وحذرهم منه.

ولم يمت عليه الصلاة والسلام إلا وقد أقر الله عينه بنصرة دينه، وإعلاء كلمته، ورأى الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، وجاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

والتحق عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى بعدما ترك الناس على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وقد أتم الله على عباده نعمته، وأكمل لهم دينه، قال تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[1].

ثم قام الصحابة رضوان الله عليهم بحمل لواء الدين، وإبلاغ رسالة ربهم إلى العالمين، في مشارق الأرض ومغاربها، فأناروا الأرض بعبادة الله وحده، وإبطال عبادة ما سواه، مستنين في ذلك بخير هدي وأقوم شرعة.

ثم تبعهم على نهجهم القويم، من تبعهم من التابعين وتابعيهم بإحسان، يدعون إلى الله على بصيرة، ويهدون الناس إلى الصراط المستقيم.

---

(١) سورة المائدة"، آية رقم (٣).

فعلى هذا المنهاج سار خير القرون من الصحابة - رضي الله عنهم- ثم التابعون، ثم من جاء من بعدهم من أئمة الهدى والدين، ومن اقتفى أثرهم وترسّم خطاهم.

فأهل العلم هم ورثة الأنبياء، ولهم أثر عظيم في حمل هذا الدين وإيصاله إلى الناس خالصاً نقياً، فعلى مر العصور واختلاف الأيام، يقيض الله لهذا الدين العلماء الأعلام الذين فقهوا كتاب ربهم وسنة نبيهم، يذودون عنه تحريف الغالين، وتلبيس الجاهلين، وانتحال المبطلين، ويردون كل بدعة بالحجج الواضحة البراهين.

وقد كان من هؤلاء العلماء الأماجد: الشيخ أبو بكر بن محمد عارف خوقير (١٢٨٤-١٣٤٩هـ) رحمه الله، حيث كان من علماء البلد الحرام في القرن الماضي، وقد كان من العلماء المصلحين، الداعين إلى التمسك بهدي السلف ونهجهم القويم.

وقد ظهر على دعوته السلفية أثر ما سبقها من الدعوات الإصلاحية، لا سيما دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، تلك الدعوة المباركة الطيبة التي بارك الله فيها حتى كانت كشجرة طيبة، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فجزى الله شيخ الإسلام عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

وقد عاش الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله في عصر يعج بالبدع والانحرافات العقدية، فقام داعياً إلى تصحيح العقيدة وإنكار البدع والاعتقادات المنحرفة، فأوذي في ذلك وسُجن، ولبث في السجن بضع سنين، إلى حين دخول الملك عبد العزيز والإخوان إلى مكة عام (١٣٤٣هـ).

وقد ترك الشيخ حصيلة علمية قيمة، تتمثل في عدد من المؤلفات النافعة، خاصة في باب الاعتقاد والردود على المخالفين في مسائله.

أسباب اختيار الموضوع:

وقع اختياري لموضوع (الشيخ أبو بكر بن محمد عارف خوقير وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف) ليكون مادة بحثي لدرجة التخصص الأولى (الماجستير) لأسباب أهمها:

١-الحاجة إلى إبراز جهود الشيخ في دعوته السلفية، خاصة وأنه أصبح من المغمورين عند أوساط طلبة العلم، فضلاً عن غيرهم.

٢-أن الشيخ قد تناول في كتبه عدة انحرافات عقدية عاصرها، ومازالت الأمة تعاني من تلك الانحرافات.

٣-كثرة شبه المبتدعة في هذا الخصوص، وانتشارها بين الناس، والحاجة إلى ردها.

٤-قلة الاعتناء بكتب الشيخ ونشرها، فمنها المخطوط الذي لم يطبع، ومنها ما طبع طبعة قديمة نفدت من أيدي الناس.

٥-أن يستمر انتفاع الناس بدعوة الشيخ وعلمه، وأن يكون أجره موصولاً، إن شاء الله تعالى، بعد موته على ما قدم من علم وعمل.

٦-أن الشيخ أحد علماء البلد الحرام في القرن الماضي، فلدراسة جهوده أهمية خاصة، تظهر من خلال:

أ- بيان أن أهل السنة لا يخلو منهم عصر من العصور.

ب- الإسهام في معالجة ما يوجد من انحرافات عقدية معاصرة لدى فئام كثيرة من الناس.

الدراسات السابقة:

لا أعرف دراسة سابقة اختصت ببيان جهود الشيخ أبي بكر خوقير رحمه الله، لكن كُتبت رسالة بعنوان: "جهود بعض علماء البلد الحرام في تقرير العقيدة السلفية،

في القرن الرابع عشر" مقدمة من الأخ الباحث عبد المحسن بن ردة الله الحربي، بإشراف فضيلة الشيخ عبد الله بن عمر الدميجي، لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى، عام (١٤١٩هـ).

وقد تناولت تلك الرسالة جانباً من جهود الشيخ ضمن مجموعة من تسعة عشر عالماً من علماء البلد الحرام في تقرير العقيدة، كما اشتملت على ملحق بتراجم العلماء المعنيين بالبحث.

وتلك الرسالة تعد الأساس والبداية لموضوع بحثي، إلا أنها اعتنت بجهود تلك المجموعة من علماء البلد الحرام، بخلاف بحثي الذي يختص بجهود الشيخ أبي بكر خوقير، كما أن تلك الرسالة اهتمت بالجانب التقريري للعقيدة، بخلاف بحثي الذي ركز على جانب الرد على المخالفين لأهل السنة والجماعة من خلال مؤلفات الشيخ.

حدود الدراسة:

اقتصرت دراستي على ما وقفت عليه من مؤلفات ورسائل عقدية للشيخ سواء المطبوع منها والمخطوط، وهي على النحو التالي:

١- كتاب: "ما لا بد منه في أمور الدين"، ويوجد مخطوطاً بجامعة الملك سعود بخط المؤلف في (٤٣) ورقة، كما أنه طبع في حياة المؤلف عام (١٣٣٢هـ) في (٨٨) صفحة، ثم طبع بعد ذلك عدة طبعات، والكتاب يبين مجمل اعتقاد أهل السنة في أبواب العقيدة.

٢- كتاب: " فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال"، وهو مطبوع طبعة قديمة عام (١٣٢٤هـ) في (٧٢) صفحة، ثم أعيدت طباعته حديثاً، والكتاب يرد على شبهات المخالفين لأهل السنة والجماعة في مسألة التوسل وما تبعها من مسائل الدعاء والشفاعة، ويبين اعتقاد السلف في تلك المسائل.

٣- كتاب: " تحرير الكلام في الجواب عن سؤال الهندي في صفة الكلام"، وهو

مخطوط وتوجد له ثلاث نسخ، والكتاب عبارة عن جواب لسؤال ورد على الشيخ بخصوص صفة الكلام.

٤- كتاب " التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" ، وهو مخطوط بجامعة الملك سعود وعدد أوراقه (٣١) ورقة، وقد عرض فيه الشيخ إلى نقد التصوف من خلال عدة مباحث.

منهجي في البحث:

١-استقراء كتب الشيخ، واستخراج المادة الغلمية المتعلقة بالعقيدة.

٢-ترتيب المادة العلمية وتقسيمها على أبواب، وفقاً للموضوعات الرئيسة التي تناولتها كتب الشيخ، ثم تقسيم الأبواب إلى فصول، والفصول إلى مباحث، والمباحث إلى مطالب، حسب حاجة البحث.

٣-وقد أفردت مسألة التوسل بباب مستقل، مع أنه داخل في توحيد الإلهية وما يناقضه، وكذلك الشفاعة، نظراً لتوسع الشيخ رحمه الله في هذه المسألة وإفرادها بتصنيف مستقل عالج فيه جزئياتها.

٤-أُقدم للمسائل بمدخل عام مشيراً إلى اختلاف الطوائف في المسألة، أتبعه ببيان موقف الشيخ ملخصاً بأسلوبي، ثم أنقل من كلامه ما يؤيد ما ذكرت، ثم أنقل أقوالاً لبعض السلف يتبين من خلالها موافقته لهم، أو أكتفي بما نقله من كلامهم. ثم أعلق على ما يحتاج إلى تعليق من كلامه، إما بإيضاح أو استدلال أو توجيه أو تعقيب.

٥- إذا كانت المسألة تتعلق بالرد على قول فرقة ما خالفت قول السلف، فإني أصور هذا القول ناسباً إياه إلى مظانه في كتب الفرق، ثم أتبع بذكر قول الشيخ في تفنيد هذا القول، وقد أعقب على رده إن احتاج ذلك إلى تعقيب أو إضافة.

٦-القيام بدراسة وافية لحياة الشيخ الشخصية والعلمية والعملية، واستقراء منهجه في الدفاع عن العقيدة من خلال كتبه.

٧-أحاول الوقوف على ما لم يكتب من ترجمة الشيخ من تلامذته ومعاصريه الذين لازالوا على قيد الحياة.

٨- أقوم بدراسة وصفية لكتب الشيخ، وتشمل: عنوان الكتاب، سبب تأليفه، تأريخه، حجمه، نُسخه أو طبعاته ومكانها، توثيق نسبته إلى مؤلفه، موضوعه، ومنهج المؤلف، وأسلوبه، ومصادره في الكتاب.

٧- توثيق النقول والاقتباسات بعزوها إلى مصادرها الأصلية التي أخذ منها الشيخ.

٨- تخريج الأحاديث والآثار، فإذا كان الخبر في الصحيحين أو أحدهما، اكتفيت بعزوه إليهما، وإذا كان في غيرهما، عزوته إلى مواضعه، مع بيان حكم الأئمة عليه.

٩- التعريف بالأعلام الوارد ذكرهم في الرسالة، وأقتصر على الترجمة لغير المشهورين.

١٠- عمل فهارس شاملة للبحث: فهرس للآيات القرآنية، وفهرس الأحاديث والآثار، وفهرس الأعلام المترجم لهم، وقائمة بمصادر البحث، وفهرس تفصيلي للموضوعات.

خطة البحث:

قمت بتقسيم البحث إلى أربعة أبواب على النحو التالي:

- الباب الأول: حياة الشيخ أبي بكر خوقير الشخصية والعلمية.
- الباب الثاني: جهود الشيخ في تقرير مجمل قضايا الاعتقاد.
- الباب الثالث: جهود الشيخ في مسألة التوسل وما تبعها.
- الباب الرابع: جهود الشيخ في نقد التصوف.

وفيما يلي التعريف التفصيلي بمحتويات الرسالة:

المقدمة: وتشتمل على أسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، وحدود

الدراسة، ومنهجي في البحث، وخطة البحث.

الباب الأول: حياة الشيخ أبي بكر خوقير الشخصية والعلمية.

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: عصر الشيخ أبي بكر خوقير.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحالة السياسية.

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية.

المبحث الثالث: الحالة العلمية والعقدية.

الفصل الثاني: حياة الشيخ الشخصية.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه.

المبحث الثاني: مولده وموطنه.

المبحث الثالث: صفاته الخُلُقية.

المبحث الرابع: وفاته.

الفصل الثالث: حياة الشيخ العلمية.

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: طلبه العلم ورحلاته.

المبحث الثاني: شيوخه وأسانيده.

المبحث الثالث: تلاميذه.

المبحث الرابع: مكانته العلمية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أقوال العلماء ومعاصريه فيه وثناؤهم عليه.

المطلب الثاني: خطاباته.

المطلب الثالث: تقريظ بعض العلماء والفضلاء لبعض كتبه.

المبحث الخامس: مذهبه الفقهي.

المبحث السادس: وظائفه.

المبحث السابع: دعوته الإصلاحية، والمؤلفات في الرد عليه.

المبحث الثامن: محنته.

الفصل الرابع: دراسة وصفية لمؤلفات الشيخ.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مؤلفاته في العقيدة .

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مالا بد منه في أمور الدين.

المطلب الثاني: فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال.

المطلب الثالث: التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق (مخطوط).

المطلب الرابع: تحرير الكلام في الجواب عن سؤال الهندي في صفة الكلام.

المبحث الثاني: مؤلفاته في الفنون الأخرى.

المبحث الثالث: ما ذكر من كتب الشيخ و لم يتيسر الوقوف عليه.

الباب الثاني: جهود الشيخ في تقرير مجمل قضايا العقيدة.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الإسلام والإيمان والإحسان.

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد: حديث جبريل في بيان مراتب الدين وأركانها.

المبحث الأول: الإسلام.

المبحث الثاني: الإيمان.

وفيه أربعة مطالب:.

المطلب الأول: حد الإيمان، والعلاقة بينه وبين الإسلام، وزيادته ونقصانه.

المطلب الثاني: شعب الإيمان.

المطلب الثالث: الاستثناء في الإيمان.

المطلب الرابع: كبائر الذنوب، وحكم عصاة الموحدين.

المبحث الثالث: الإحسان.

الفصل الثاني: الإيمان بالله (التوحيد وأنواعه).

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد أقسام التوحيد.

المبحث الأول: توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: توحيد الألوهية.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريفه، وأهميته.

المطلب الثاني: معنى "لا إله إلا الله".

المطلب الثالث: العبادة.

المطلب الرابع: ما ينافي توحيد الألوهية.

المطلب الخامس: الشرك.

المبحث الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مذهب الشيخ في الأسماء والصفات.

المطلب الثاني: المفاضلة بين صالحي البشر والملائكة.

المبحث الثاني: **الإيمان بالكتب.**

المبحث الثالث: **الإيمان بالرسل.**

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: معنى الإيمان بالرسل، والحكمة من إرسالهم.

المطلب الثاني: الإيمان بالرسل إجمالاً وتفصيلاً، وأولو العزم من الرسل.

المطلب الثالث: الفرق بين النبي والرسول.

المطلب الرابع: عصمة الأنبياء.

المطلب الخامس: ما يستدل به على صدق الرسول، والفرق بين المعجزة والكرامة.

المطلب السادس: درجة الأنبياء ودرجة الأولياء.

المبحث الرابع: **الإيمان بنبوة محمد ﷺ .**

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معرفة النبي ﷺ.

المطلب الثاني: خصائصه ﷺ.

المطلب الثالث: معجزاته ﷺ.

المطلب الرابع: حقوقه ﷺ، وحقوق آل بيته وأصحابه.

المبحث الخامس: **الإيمان باليوم الآخر.**

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بأحوال البرزخ.

المطلب الثاني: أشراط الساعة.

المطلب الثالث: الإيمان باليوم الآخر تفصيلاً.

المطلب الرابع: الإيمان بالجنة والنار.

المطلب الخامس: رؤية المؤمنين ربهم في الجنة.

المبحث السادس: الإيمان بالقدر.

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: معنى الإيمان بالقدر، وما يجب على المؤمن تجاهه.

المطلب الثاني: حكم نسبة الشر إلى الله.

المطلب الثالث: العلاقة بين القدر واتخاذ الأسباب والدعاء.

المطلب الرابع: مسألة الجبر.

المطلب الخامس: الاحتجاج بالقدر على المعاصي.

المطلب السادس: مسألة نفوذ الوعد والوعيد.

المطلب السابع: مسألة استحقاق الثواب والعقاب.

المطلب الثامن: مسألة وجوب فعل الصلاح والأصلح على الله.

الباب الثالث: جهود الشيخ في الرد على المخالفين لأهل السنة والجماعة في مسألة التوسل وما تبعها.

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: حياة الأنبياء في البرزخ.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: بيان الخلاف في المسألة.

المبحث الثاني: شبهات المخالفين لأهل السنة والجماعة في المسألة وجواب الشيخ عنها.

المطلب الأول: حديث (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون).

المطلب الثاني: حديث عرض الأعمال على النبي ﷺ.

الفصل الثاني: التوســــــــــل.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التوسل الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنة.

المبحث الثاني: التوسل بالذوات.

المبحث الثالث: شبهات المخالفين، وجواب الشيخ عنها.

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: أثر استسقاء عمر بالعباس.

المطلب الثاني: خبر توسل آدم بالنبي ﷺ.

المطلب الثالث: حكاية الإمام مالك مع أبي جعفر المنصور.

المطلب الرابع: حديث (أسألك بحق السائلين ...).

المطلب الخامس: حديث توسل الأعمى بالنبي ﷺ.

المطلب السادس: خبر فتح الكوة فوق القبر النبوي.

المطلب السابع: قصة مجيء الأعرابي إلى قبر النبي ﷺ.

المطلب الثامن: الاستدلال بآية ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم...**﴾.

المطلب التاسع: أن المراد من التوسل بالأنبياء هو التوسل باجتباء الله لهم...

الفصل الثالث: صرف الدعـــاء لغير الله.

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد: التدرج من التوسل بالأنبياء إلى دعائهم من دون الله.

المبحث الأول: الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم في المنع من دعاء غير الله.

المبحث الثاني: التفصيل في حكم نداء النبي ﷺ بعد وفاته.

المبحث الثالث: شبهات المخالفين، وجواب الشيخ عنها، وفيه مطالب:

المطلب الأول: ما روي مرفوعاً (إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة، فليناد ياعباد الله احبسوا).

المطلب الثاني: ما روي أن عثمان بن حنيف ﷺ علّم الدعاء (يا محمد، إني توجهت بك إلى ربي) لمن كانت له حاجة عند عثمان ﷺ زمن إمارته.

المطلب الثالث: خبر مالك الدار في مجيء رجل إلى قبر النبي ﷺ وقوله يا رسول الله استسق لأمتك.

المطلب الرابع: ما حصل من الإجابة لبعض من استغاث بالنبي ﷺ.

المطلب الخامس: أن إجابة المدعوين من قبل ما خصهم الله به من الكرامات.

المطلب السادس: كثرة النقول التي تضمنت الاستغاثة بالنبي ﷺ.

الفصل الرابع: الشفاعة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تقرير الشيخ للشفاعة عند أهل السنة والجماعة.

المبحث الثاني: شبهة القبوريين في الشفاعة، وجواب الشيخ عنها.

المبحث الثالث: الشفاعة عند الفلاسفة ومن تأثر بهم.

الباب الرابع: جهود الشيخ أبي بكر خوقير في نقد التصوف.

وفيه تمهيد وثلاثة فصول:

تمهيد: نشأة التصوف.

الفصل الأول: تعريف الشيخ بعض المصطلحات وتقعيده بعض القواعد الكلية.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الصوفية والمتصوفة والتصوف.

المبحث الثاني: علم الظاهر وعلم الباطن.

المبحث الثالث: الشريعة والحقيقة.

المبحث الرابع: الطريق والطريقة، وذكر بعض طرق المتصوفة، وأن الواجب هو الرجوع إلى ميزان الشرع.

الفصل الثاني: جهود الشيخ في نقد إسناد الخرقة والتلقين.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: لبس الخرقة.

المبحث الثاني: التلقين.

الفصل الثالث: جهود الشيخ في نقد أنواع من الذكر عند المتصوفة.

وفيه تمهيد ومبحثان:

تمهيد.

المبحث الأول: الذكر الجماعي.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: ظهور الذكر الجماعي وحكمه.

المطلب الثاني: النقول عن المذاهب الأربعة وغيرها في حكم هذا الذكر.

أولاً: مذهب الإمام أبي حنيفة.

ثانياً: مذهب الإمام مالك.

ثالثاً: مذهب الإمام الشافعي.

رابعاً: مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

المطلب الثالث: نقد استدلال المتصوفة على اجتماعهم ببعض الأحاديث النبوية.

الحديث الأول: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا).

الحديث الثاني: ما جاء في قصة ابنة حمزة لما تنازع في تربيتها علي وزيد وجعفر ﷺ، وفيه: (فحَجِلَ علي ...).

الحديث الثالث: الخبر الذي فيه إنشاد الأعرابي: قد لسعت حية الهوى كبدي ...

الحديث الرابع: خبر غناء الجاريتين عند عائشة رضي الله عنها.

الحديث الخامس: خبر لعب الحبشة في مسجد النبي ﷺ.

الحديث السادس: ما يروى: (اذكروا الله حتى يقولوا: إنكم مجانين).

الحديث السابع: ما يروى عن علي ﷺ في وصف أصحاب النبي ﷺ: (كانوا إذا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجر ...).

المطلب الرابع: حكم ما ينفق لجمع الناس على هذا الذكر.

المطلب الخامس: تعداد البدع الحاصلة من هذا الاجتماع.

المبحث الثاني: الذكر بالاسم المفرد، والذكر الصدري، والذكر القلبي.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الذكر بالاسم المفرد.

المطلب الثاني: الذكر الصدري.

المطلب الثالث: الذكر القلبي.

الخاتمة ونتيجة البحث.

الفهارس.

١- فهرس الآيات.

٢- فهرس الأحاديث والآثار.

٣- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤- فهرس المصادر.

٥- فهرس الموضوعات.

هذا، وامتثالاً لقوله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ وقول المصطفى ﷺ : (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) فإني أحمد الله تعالى وأشكره على ما تفضل به علي من نعم عظيمة، ومنها ما أكرمني به من إتمام هذا البحث، والذي أسأله سبحانه أن يجعل عملي فيه خالصاً متقبلاً.

وإني أخص بالشكر والدي الكريمين، فقد كان لهما علي فضل جليل في كافة شئوني، وخصوصاً في سلوك طريق العلم وطلبه، فأسأل الله أن يجزيهما خير الجزاء، وأسأله سبحانه أن يغفر لمن مات منهما، وأن يحسن خاتمة من بقي.

وإني أتقدم بجزيل شكري وبالغ تقديري لفضيلة شيخي المشرف على الرسالة الدكتور/ عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الذي غمرني بلطفه وكرمه، حيث لم يدخر جهداً في النصح لي وتوجيهي خلال فترة بحثي، فأفدت كثيراً من علمه الغزير وخلقه الرفيع حفظه الله، فأسأل الله أن يكتب ذلك في موازين حسناته، وأن يجزيه عني خير الجزاء، وأن يبارك في عمره وعمله وينفع به.

كما أشكر الشيخين الفاضلين الذين تكرما بقبول مناقشة الرسالة وإبداء النصح لي وتوجيهي لما هو أحسن، فجزاهما الله خير الجزاء.

وأتوجه بشكري الجزيل إلى رئيس قسم العقيدة، وإلى عمادة كلية الدعوة وأصول الدين، وإلى عمادة الدراسات العليا، على ما قدموه لي من تسهيلات في سبيل إنجاز بحثي، فجزاهم الله خير الجزاء.

كما أشكر الأخ الشيخ يوسف الصبحي الموظف بمكتبة مكة المكرمة والذي

أفادني بمصادر مهمة تتعلق بترجمة الشيخ أبي بكر خوقير وتلاميذه، فجزاه الله خيراً.

وختاماً أسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل ما قدمناه خالصاً لوجهه الكريم موجباً لرضوانه والفوز بجنانه، وأسأله سبحانه أن يغفر لمن كُتبت هذه الرسالة في بيان جهوده، وأن يرفع درجته في المهديين، وأن يجمعنا به في جنات النعيم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الباب الأول

حياة الشيخ أبي بكر خوقير الشخصية والعلمية

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: عصر الشيخ أبي بكر خوقير.

الفصل الثاني: حياته الشخصية.

الفصل الثالث: حياته العلمية.

الفصل الرابع: مؤلفاته.

الفصل الأول

عصر الشيخ أبي بكر خوقير

المبحث الأول: الحالة السياسية.

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية.

المبحث الثالث: الحالة العلمية والعقدية.

عصر الشيخ أبي بكر خوقير

نظراً لتأثر الإنسان بما في عصره من المجريات، فإنه من المهم دراسة النواحي الرئيسة في هذا العصر وبيان أثرها على شخصيته، وبالتالي معرفة تفاعل تلك الشخصية مع معطيات عصرها واحتياجاته.

وهذه المعرفة تساعد في توضيح الكثير من جوانب الشخصية المدروسة، وتفيد في تثمين جهودها وعطائها العلمي.

ودراسة عصر ما تبين مدى التمسك بمنهج الكتاب والسنة ومدى القرب منه أو البعد عنه، ولا شك أنه كلما ظهر الباطل وقويت شوكته، ثقلت الأمانة في أعناق المصلحين وكانت مهمتهم أشق وجهادهم أكبر.

وقد عاش الشيخ أبو بكر خوقير جزءاً من حياته في الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري، وبقية حياته في النصف الأول من القرن الرابع عشر.

وستتناول هذه الدراسة الجوانب ذات التأثير المباشر على حياة الناس في المجتمع المكي، وهي الجوانب السياسية والاجتماعية والعلمية والعقدية.

المبحث الأول: الحالة السياسية.

في بداية حياة الشيخ أبي بكر كانت مكة تحت نفوذ الدولة العثمانية، وكان حكام مكة هم الأشراف الذين أقرهم الدولة العثمانية في حكم مكة، ثم قام شريف مكة بالثورة العربية واستقل عن الدولة العثمانية، وبعد عدة سنوات دخل الحجاز تحت حكم الملك عبد العزيز آل سعود.

حكم الأشراف لمكة:

ابتدأ حكم الأشراف لمكة منذ عام (٣٥٨هـ) ، وظلوا يتعاقبون في الحكم على طبقات، وكانوا على صلة بالدول الحاكمة إما في مصر أو العراق (١).

علاقة الأشراف بالدولة العثمانية:

تولت الدولة العثمانية زمام الأمور بمصر عام (٩٢٣هـ) واتصلوا بشريف مكة وأقروه على إمارته، ووافق على الدعاء للخليفة على المنبر، وقام سلطان مصر بإرسال صدقات وهدايا إلى مكة، واستمر على ذلك أمر الأشراف (٢).

وقد قنع العثمانيون في هذا البلد بشرف الانتساب وتبعيته لهم في الظاهر، وتركوا أشرافه يدبرون شؤونه بالشكل الذي يريدون دون تدخل عميق في شئون

---

(١) انظر: "البداية والنهاية" (١١/٢٢٥،٢٢٧)، "منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم". علي بن تاج الدين السنجاري. مركز إحياء التراث بجامعة أم القرى. ط١. (١٤١٩هـ). (٢/٢٠٣،٢١٢)، "خلاصة الكلام في بيان أمراء بيت الله الحرام". أحمد بن زيني دحلان. ط١. (١٣٠٥هـ). المطبعة الخيرية بمصر. (ص١٦)، "تأريخ مكة". أحمد السباعي.ط٨. (١٤٢٠هـ) (ص١٩٤، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٤٠، ٤١٠، ٤٣١).

(٢) انظر: "العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز". الدكتور فائق بكر الصواف. ط(بدون). (١٣٩٨هـ). (ص٣٩)، "تأريخ مكة" (ص٣٤٥)، "مرآة الحرمين". إبراهيم رفعت باشا. ط١. (١٣٤٤هـ). (٢/٣١١،٣١٩).

الحجاز، مع منحه امتيازات مادية ومعنوية [١].

وقد استمر وضع الحجاز على هذا الحال، وفي بداية حياة الشيخ أبي بكر خوقير كان الوالي على الحجاز هو الشريف عبد الله بن محمد بن عبد المعين، الذي تولى بعد وفاة والده سنة (١٣٧٤هـ)، وقد كان الشريف عبد الله مقيماً في الآستانة[٢] عضواً في مجلس الدولة، وقد وصل إلى جدة عام (١٢٧٥هـ)[٣].

وفي منتصف عام (١٢٩٤هـ) توفي الشريف عبد الله في الطائف، وأقام الوالي التركي بالحجاز أخاه الشريف عون الرفيق وكيلاً في الأمارة إلى أن يصدر مرسوم الخلافة بتعيين من يراه الخليفة[٤].

وقد تأثر الحجاز بالأحداث الكبيرة التي جرت في مقر الخلافة بتركيا في تلك الفترة، فقد نجحت حركة "تركيا الفتاة "[٥] التي انضم إليها كثير من رجال الدولة المتحمسين إلى الحرية في إصدار فتوى بوجوب عزل السلطان عبد العزيز وإعلان الحكم

---

(١) انظر: "تأريخ مكة" (ص٤٥٧)، "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص٥٤-٤٧).

(٢) "الآستانة" هي مدينة "استانبول"، وكانت عاصمة الخلافة العثمانية، وعاصمة تركيا الآن "أنقرة"، ولكن ما زالت "استانبول" إلى الآن تعد أكبر وأهم مدينة في تركيا، وهي المسماة بالقسطنطينية في الدولة البيزنطية وكانت عاصمتها. انظر: "أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام" عبد الفتاح بن حسين راوه. نشر النادي الأدبي بالطائف. (١٤٠٧هـ). (ص٣٨٦) حاشية.

(٣) انظر: "خلاصة الكلام" (ص٣٢٠)، "تاريخ الدول الإسلامية" (ص١٦٣)، "تأريخ مكة" (ص٥٣٦).

(٤) انظر: "تاريخ الدول الإسلامية" (ص١٦٤)، "تأريخ مكة" (ص٥٣٩)، "أمراء البلد الحرام" (ص٣٨٦).

(٥) هي حركة قومية تركية علمانية، تعمل من أجل تحقيق أربعة مبادئ معلنة في الظاهر: الحرية الفردية، والنظام الدستوري، وهدم الإقطاع، والتحرر الوطني من السيطرة الأجنبية، وقد بدأ القائمون عليها عام (١٢٨٢هـ) وصدرت جريدة (الحرية) لتعبر عن آرائها في لندن عام (١٢٨٥هـ) ثم تدرجوا وأنشأوا جمعيات سرية، ونشأت عنها جمعية الاتحاد والترقي. انظر:"الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة".ط٤.(١٤٢٠هـ).(ص١٠٣٨،١٠٣٩)،"العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص٧٠،٧١) حاشية.

الدستوري(١) تحت ملكية خليفة جديد يقبل مبادئ الدستور، فاستمالوا كبار الضباط الذين أيدوا هذه الفتوى، واستطاعوا أواخر عام (١٢٩٣هـ) أن يحاصروا السلطان وأبلغوه بأن الأمة قد عزلته، ولما لمس منهم الجد في ما يقولون، أسلم نفسه إليهم، وبذلك نقلوه إلى قصر آخر ووضعوا عليه الحرس، وبعد أيام وجد ميتاً ولعلهم اغتالوه، وبخلع عبد العزيز بايع رجال الحزب السلطان مراد، فلم يدم أمر اتفاقه معهم أكثر من ثلاثة أشهر، ثم أشيع بأن عقله اختل، فاتفقوا على إقصائه وتنصيب أخاه السلطان عبد الحميد مكانه، وكان ذلك عام (١٢٩٤هـ) وكان في بداية أمره طوع أمر الدستوريين مما أدى إلى سيطرهم على مقاليد الأمور(٢).

واختار الدستوريون لإمارة مكة الشريف الحسين بن محمد بن عبد المعين، فتوجه إلى مكة ووصلها في عام (١٢٩٤هـ)، واستمر في حكم الحجاز إلى عام (١٢٩٧هـ) حيث اغتيل، واختلف في سبب اغتياله(٣).

وفي مقر الخلافة تمكن السلطان عبد الحميد من زمام الأمور في فترة وجيزة، وأثارها حرباً ضد أنصار الدستور، كما كان يطارد تلك الجماعات السرية التي تنادي بالقومية، وقام بالتضييق على النشاط السري لحزب "الاتحاد والترقي" (٤)، وأنشأ إدارة

---

(١) الحكم الدستوري: الحكم النيابي "الديموقراطي" الذي يزعم فيه بأن الأمة تحكم نفسها بنفسها، مع حفظ حقوق الخليفة، وتطبيق أوامر الدستور حرفياً. انظر: "السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية". محمد قربان نيازملا. مكتبة المنارة. مكة. ط١. (١٤٠٨هـ). (ص٤٨).

(٢) انظر: "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص٦٩-٧٢)، "أجنحة المكر الثلاثة". عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. دار القلم. ط٧. (١٤١٤هـ). (ص٣١٤،٣١٥)، "تأريخ مكة" (ص٥٤٠)، "السلطان عبد الحميد" (ص٥٠،٧٧).

(٣) انظر: "تاريخ الدول الإسلامية" (ص١٦٤)، "تأريخ مكة" (ص٥٤٢)، "أمراء البلد الحرام" (ص٣٨٨،٣٨٩).

(٤) وهو في بدايته كان تحت اسم "تركيا الفتاة"، وهو حزب نظمه اليهود المتظاهرون بالإسلام المعروفون بيهود الدونمة، وينادي الحزب بالقومية الطورانية، وهي قومية الأتراك في الجاهلية، ورفع شعار الذئب الأغبر ،

خاصة بالجاسوسية تترقب أنصار دعوة الحرية وترفع إليه تقاريرها السرية[١].

ووصل خبر اغتيال شريف مكة إلى دار السلطة فوجه السلطان عبد الحميد إمارة مكة إلى الشريف عبد المطلب بن غالب الذي توجه إلى مكة[٢].

وقد قام عبد المطلب بن غالب بأمور تعسفية في مكة قد تكون متممة لأعمال السلطان عبد الحميد في تنكيله بأصحاب الدستور ومن يشك بأنه من مؤيديه، وقد تكون أعمال عبد المطلب خاصة به، كما انتقد في بعض الأمور الأخرى في إمارته مما أدى إلى تذمر الناس منه، وحصول خلاف بينه وبين الوالي التركي بالحجاز، وتصاعد الخلاف إلى صدور أمر بعزل الشريف عبد المطلب وتعيين الشريف عون الرفيق عام (١٢٩٩هـ) فتوجه إلى الحجاز من تركيا[٣].

وقد كان الشريف عون غريب الأطوار، يلتمس منه محبته للخير العام وتودده

وهو معبود الأتراك في جاهليتهم، كما نادى بضرورة "تتريك" الدولة بجعل مناصبها وقفاً على الأتراك وحدهم. وكانت الغالبية العظمى من أعضاء الحزب من الأتراك العسكريين يليهم من حيث العدد اليهود وانضم إليهم بعض الرعايا العثمانيين من الأجناس الأخرى، وكان العسكريون هم أصحاب الكلمة العليا في الحزب.

انظر: "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة" (ص٥٠٧-٥٠٩، ١٠٣٨، ١٠٣٩)، "مذاهب فكرية معاصرة" للأستاذ محمد قطب (ص٥٨١)، "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص١٥١) حاشية، "السلطان عبد الحميد" (ص٥٩-٦٨).

(١) انظر: "مذاهب فكرية معاصرة" (ص٥٨٢)، "تأريخ مكة" (ص٥٤١)، "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص٦٩، ٧٠، ٧٤، ٧٥).

(٢) انظر: "تاريخ الدول الإسلامية" (ص١٦٤)، "خلاصة الكلام" (ص٣٢٧)، "تأريخ مكة" (ص٥٤٣، ٥٤٤)، "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص٧٩، ٨٠).

(٣) انظر: "خلاصة الكلام" (ص٣٢٧-٣٢٩)، "تأريخ مكة" (ص٥٤٧-٥٤٩)، "الهاشميون والثورة العربية الكبرى". أنيس صايغ. ط١. (١٩٦٦م). (ص٣٤، ٣٥)، "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص٨٤، ٨٥).

للمسلمين، وينعى أمور استنكرت عليه[1]، وتعرضه لبعض علماء الحرم بالعزل[2]، وقد كُتب في ذلك بعض المؤلفات[3].

وكانت وفاة عون عام (١٣٢٣هـ) بالطائف، واتصل الخبر بالوالي التركي في جدة فكتب بتنصيب الشريف علي بن عبد الله وكيلاً لحين صدور أوامر دار السلطنة، وبوصول الخبر إلى الآستانة وافقت على تعيين علي بن عبد الله، ولم يصل المرسوم الخاص بذلك إلا في أوائل عام (١٣٢٦هـ)[4].

ولما تولى الشريف علي بن عبد الله أمر مكة قام بإصلاحات عقب ما فعله الشريف عون، وقد ظل الشريف علي أميراً لمكة نحو سنتين ونصف[5].

---

(١) انظر: "التاريخ القويم". محمد طاهر الكردي. ط١. (١٤١٢هـ). دار الكتب المصرية. (٦/٢١٦)، "تأريخ مكة" (ص٥٥٢-٥٥٧)، "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص٨٨-٩٤)، "مجلة المنار" (٣١/٢٤٠).

(٢) ومنهم الشيخ أبو بكر خوقير، كما سيأتي.

(٣) ١- "ضجيج الكون من فظائع عون" لمحمد الباقر بن عبد الرحيم العلوي. عام (١٣١٦هـ).

٢- "خبيئة الكون فيما لحق ابن مهنا من عون" لمحمد بن مهنا العبدلي.

٣- قصيدة لأحمد شوقي بعنوان "صدى الحجيج" يستصرخ فيها السلطان عبد الحميد، وهي في تسعة وثلاثين بيتاً، نشرت بجريدة "اللواء" عام (١٣٢٢هـ) وجاء في مطلعها:

ضج الحجاز وضج البيت والحرم ... واستصرخت ربها في مكة الأمم
قد مسها في حماك الضر فاقض لها ... خليفة الله أنت السيد الحكم
تلك الربوع التي ريع الحجيج بها ... أ للشريف عليها أم لك العلم
أهين فيها ضيوف الله واضطهدوا ... إن أنت لم تنتقم فالله منتقم

انظر: "مرآة الحرمين" (ص٢٧٥-٢٩٥)، "مكة في القرن الرابع عشر". محمد عمر رفيع. نشر نادي مكة الثقافي (١٤٠١هـ). (ص٢٣٨)، "أمراء البلد الحرام" (ص٣٩٩،٤٠٠).

(٤) انظر: "تأريخ مكة"(ص٥٥٧)، "مكة في القرن الرابع عشر"(ص٢٤٥)، "أمراء البلد الحرام" (ص٤٠٢،٤٠٣).

(٥) انظر: "مكة في القرن الرابع عشر الهجري" (ص٢٤٥-٢٤٦)، "تأريخ مكة" (ص٥٥٧).

وفي تلك الأثناء في دار السلطنة تمكن أعضاء جمعية الاتحاد والترقي من القيام بانقلاب عسكري عام (١٣٢٦هـ) وأجبروا السلطان عبد الحميد بإعادة العمل بالدستور وإعلانه في سائر الولايات التابعة للدولة، مع بقاء السلطان في الخلافة[١]، وقد كان الشريف علي بن عبد الله من خصوم رجال الاتحاد والترقي بحكم صلاته الوثيقة بالسلطان عبد الحميد، فخشي أن يعمد رجال الاتحاد والترقي إلى الانتقام منه، فغادر الحجاز على عجل وذهب إلى مصر لاجئاً سياسياً[٢].

وصدر أمر الاتحاديين في الآستانة بعزل الشريف علي بن عبد الله وتولية إمارة مكة للشريف عبد الإله بن محمد بن عبد المعين، وكان رجلاً طاعناً في السن، وقد توفي قبل سفره من الآستانة إلى مكة[٣].

ولما أصبح المنصب شاغراً، احتدم التنافس عليه بين اثنين من الأشراف في الآستانة، وانتهى الأمر إلى أن ظفر به الشريف حسين بن علي، فتوجه قاصداً مكة مع عائلته، وبلغها في ذي القعدة عام (١٣٢٦هـ)[٤].

وانتقل الحسين إلى مكة وقد كان يميل إلى التدين واحترام أوامر الشرع، وكان مستقيماً عن غيره ممن سبقه، لكنه كان كبعض المؤسسين وأصحاب الثورات يأخذ بالظنة ويعاقب على الشبهة، كان يقسو على خصومه ويذيقهم من هوانه في

---

(١) انظر: "الهاشميون والثورة العربية الكبرى" (ص١٨)، "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص٩٩)، "تأريخ مكة" (ص٥٥٨)، "السلطان عبد الحميد" (ص٨٦).

(٢) انظر: "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص٩٩)، "الهاشميون والثورة العربية الكبرى" (ص٣٦).

(٣) انظر: "مكة في القرن الرابع عشر" (ص٢٤٨)، "أمراء البلد الحرام" (ص٤١١).

(٤) انظر: "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص١٠٢)، وبه نص قرار تعيين الشريف حسين أميراً لمكة (ص٣٠٣،٣٠٤)، "تأريخ مكة" (ص٥٦٠،٥٦١).

السجون[١] بصورة لا تتفق مع ميله للتدين والعدل.

وقد كانت له عدة أعمال نفعت الأهالي بمكة وكان قريباً منهم، وكان حريصاً على التقاليد شديد العداوة للتجديد، وفي جانب السياسة كان شديد الاعتداد برأيه ولا يلتفت إلى غيره، وكان كثير التوغل في أمور البلاد صغيرها وكبيرها بشكل مبالغ فيه، ومن أعماله إنشاء بعض المدارس للتعليم الأولي والزراعي والحربي[٢].

وفي تركيا قام الاتحاديون بعزل السلطان عبد الحميد في عام (١٣٢٧هـ) وولوا سلطاناً طاعناً في السن هو محمد رشاد، كان أداة لينة في أيديهم، وسيطروا سيطرة مطلقة على الحكم، ثم تنادوا بدعوى القومية التركية، وهدفوا إلى نبذ كل ما هو عربي، وتنفير الأتراك من الإسلام[٣].

وأراد الاتحاديون تجريد ولاية الحجاز من الامتيازات المقررة لهذا الإقليم على مر العصور، وكان من أهمها الإعفاء من التجنيد والإعفاء من تقديم الجزية السنوية، كما اتجهت سياستهم إلى إلغاء نظام الشرافة بهدف التخلص من قوة لها نفوذ ديني وروحي كبير في جميع أنحاء العالم[٤].

وقد رفض الحسين الوضع الجديد الذي أراده الاتحاديون في الحجاز، وعارض التجنيد الإجباري وبدأت العلاقات تسوء بينه وبين الاتحاديين وفكروا في عزله لكنه

---

(١) كان هناك "الحبس العام" و"حبس القبو"، وحبس القبو كان أسفل دار الحكم بالغزّة، وقد خصصه الحسين لمن يشتد غضبه عليهم. وهو الذي حبس به الشيخ أبا بكر خوقير وابنه، كما سيأتي. انظر: "مكة في القرن الرابع عشر" (ص٢٨٤)، "أمراء البلد الحرام" (ص٤٤٣) حاشية (ح).

(٢) انظر: "تأريخ مكة" (ص٦١٧-٦١٩)، "مكة في القرن الرابع عشر" (ص٢٥٩،٢٥٦).

(٣) انظر: "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص١٥٢،١٥٣)، "أجنحة المكر الثلاثة" (ص٣١٥)، "مكة في القرن الرابع عشر" (ص٢٤٩)، "الثورة العربية الكبرى" (١/٥٥-٥٦) نقلاً عن "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص١٥٥).

(٤) انظر: "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص١٥٨).

كان أمنع وأحصن من أن يخاطروا بعزله عزلاً سريعاً، وكانت بوادر الحرب العالمية الأولى تتجلى سريعاً في السياسة الدولية، فاضطر الاتحاديون إلى عدم إثارة الحسين ليستفيدوا منه بإعلان الجهاد الديني عندما يحين وقت دخول تركيا في الحرب، وأما الحسين فقد صار أكثر حذراً تجاههم واعتبرهم خصوماً ألداء [(١)].

وقام الاتحاديون بأعمال عنيفة ضد العرب في سوريا، مما أدى إلى اتصال بعض الجمعيات العربية بالحسين ليخبروه بمعاناة العرب ويستطلعوا رأيه في القيام بثورة عربية يتزعمها، فقام بإرسال ابنه فيصل إلى سوريا، والتقى هناك ببعض ممثلي الجمعيات التحريرية ونقل بعودته إلى مكة موافقتهم على تفويض الحسين ليكون الناطق باسم العرب، ولكي يقوم باستطلاع موقف بريطانيا واستعدادها لدعم ثورة عربية تحقق استقلال العرب[(٢)].

وقد كانت بريطانيا تراقب الحالة بين الدولة العثمانية وولاياتها العربية، وتراقب أعمال رجال الاتحاد والترقي وأثرها على العرب، ووجد الإنجليز في ظل هذه الأوضاع منفذاً لتحقيق مصالحهم في المنطقة، لذلك عملوا على تغذية النقمة الشعبية ضد الأتراك، خصوصاً مع ميلهم إلى جانب ألمانيا، فرأت بريطانيا مصلحتها في تأييد ثورة عربية يتزعمها الحسين [(٣)].

ولما قامت الحرب العالمية الأولى في عام (١٣٣٢هـ) ودخلت تركيا الحرب بجانب الألمان وحليفاتها ضد بريطانيا وفرنسا وروسيا، كان مركز الشريف حسين مهماً جداً في حالة تدخله لمصلحة أي من الفريقين، وقد أعلنت تركيا الجهاد الإسلامي ضد بريطانيا، وحرصت على إعلان شريف مكة الجهاد، لكنه لم يكن مطمئناً للاتحاديين،

---

(١) انظر: "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص١٥٩)، "تأريخ مكة" (ص٦٠٠).

(٢)"الهاشميون والثورة العربية الكبرى" (ص٦٦،٦٧)، "العلاقات بين الدولة العثمانية و الحجاز" (ص٢٠٧،٢٠٨).

(٣) انظر: "الهاشميون والثورة العربية" (ص٦٠-٦٢)، "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص١٦٢-١٦٧).

بالإضافة إلى تلقيه الوعود القاطعة من بريطانيا بحمايته من كل اعتداء خارجي(١).

وتمت مراسلات بين بريطانيا والشريف حسين تضمنت وعدهم الكاذب برعاية قيام دولة عربية مستقلة على ما يعرف الآن بسوريا والأردن وفلسطين والعراق والجزيرة العربية باستثناء عدن التي كانت تحت هيمنة البريطانيين، وأن تعترف حكومة الشريف العربية بأن تكون بريطانيا أكثر الدول رعاية في كل مشروع اقتصادي في هذه البلاد(٢).

وفي التاسع من شعبان لعام (١٣٣٤هـ) قامت الثورة، ولم يمض نصف شهر حتى استخلصت الثورة مكة وجدة من الأتراك، وقد شاركت بوارج للبريطانيين في ضرب تحصينات حامية جدة، ومنذ بداية الثورة سارعت بريطانيا بإرسال الإمدادات إلى جدة من أسلحة وجنود وأموال(٣).

وقد بويع للحسين بمكة في (١٣٣٥/١/٦هـ) ملكاً على بلاد العرب، وأصدر مرسوماً بتأليف الوزارة، ومرسوماً آخراً بإنشاء "مجلس الشيوخ الأعلى"(٤)، لكنها كانت حكومة اسمية، إذ حصر الحسين كل شيء بشخصه، وجعل نفسه صاحب القرار في كل أمر(٥).

وقد أحدث هذا النبأ ضجة عالمية، خاصة في الدوائر الرسمية في بريطانيا وفرنسا، نظراً لاتساع شمولية لقب "ملك العرب" وتعارضه مع مصالحهما في سيطرتهما على جزء

---

(١) انظر: "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص١٦٩،١٧٣، ١٨٢،١٨٣).

(٢) انظر: "الهاشميون والثورة العربية الكبرى" (ص٦٧،٦٨)، "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص٢٢٣-٢٢٧)، "تأريخ مكة" (ص٦٠٢،٦٠٣).

(٣) انظر: "تأريخ مكة" (ص٦٠٦،٦٠٧)، "الهاشميون والثورة" (ص٩٣)، "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص٢٦٩).

(٤) كان من أعضاءه الشيخ أبو بكر خوقير. انظر: "الثورة العربية الكبرى" (١٣٣/٣)، "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص٣٤٧).

(٥) انظر: "الثورة العربية الكبرى" (١٣١/٣-١٣٣)، "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص٢٨٣-٢٨٩)، "تأريخ مكة" (ص٦١٤).

لا يستهان به من البلاد العربية، وحاولوا إفهام الحسين بوجود حكومات أخرى في البلاد العربية يجب أن يتفاهم معها، لكنه لم يقنع بضرورة التفاهم، وظل يطالبهم بتنفيذ وعودهم له باستقلال البلاد العربية وأن يعترفوا بسيادته عليها، والواقع أن الحلفاء كانوا قد اقتسموها فيما بينهم وشرعوا في التمهيد لاستيلاء اليهود على فلسطين. وبذلك تقلصت الأحلام وانهارت الآمال، وقبع الحسين في مكة لا يسري نفوذه المستقل إلا على منطقة الحجاز، ولا يملك إلا كلمات الاحتجاج على الحلفاء، وقد أدى موقفه مع الحلفاء إلى اتساع الخرق بينهم، ثم رأى البريطانيون أنهم قد حققوا منه ما أرادوا فتخلوا عنه[1].

دخول مكة تحت حكم الملك عبد العزيز آل سعود:

لقد كان الخلاف بين الأشراف وحكام نجد قديم العهد، يرجع إلى بداية ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقيام جد العائلة السعودية بمناصرتها، وكان العثمانيون يستفيدون من هذا الخلاف لتدعيم سلطتهم في بلاد العرب، وقد كانوا يرون أن الحركة الدينية التي قامت في نجد سيصاحبها اتساع في النفوذ، لذا كانوا يساندون أشراف مكة ويكلفونهم بمناصرة النفوذ العثماني شرقي الجزيرة العربية[2].

وكانت بداية الاتصال بين دعوة نجد والأشراف حينما أراد أصحاب الدعوة أن يحجوا في بعض جموعهم، فأرسلوا إلى الشريف مسعود بن سعيد (ت: ١١٦٥هـ) فلم يوافق على دخولهم، وندبوا بعض علمائهم ليناظروا علماء مكة فلم يوفقوا لشيء، ثم أرسلوا بعده إلى الشريف مساعد بن سعيد (ت: ١١٨٤هـ) فأبى دخولهم، ثم أرسلوا بعده إلى أحمد بن سعيد (ت: ١١٩٥هـ) فلم يوافق، وأرسلوا بعده إلى الشريف سرور بن مساعد (ت: ١٢٠٢هـ) فوافق بشرط أن يتناول منهم ضريبة، فأبوا ذلك عليه، ثم تولى

---

(١) انظر: "تأريخ مكة" (ص٦١٥)، "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص٢٨٩).

(٢) انظر: "تأريخ مكة" (ص٦٢٤،٤٨٧،٤٨٨).

الشريف غالب فأرسلوا إليه فتهددهم وجهز جيشاً لقتالهم سنة (١٢٠٥هـ)[١].

ودارت بين غالب والسعوديين عدة وقعات[٢] بلغت نحواً من ثلاثين وقعة[٣]، تخللها صلح وإذن لهم بالحج، وكانت الوقائع سجالاً، وتمكن النجديون من الظفر ودخول مكة عام (١٢١٨هـ)، ثم في عام (١٢٢١هـ) صالحوا غالباً على أن يبقى أميراً بمكة تحت حكمهم[٤].

واستمر الوضع على ذلك إلى عام (١٢٢٨هـ) حيث تدخلت الدولة العثمانية آمرة محمد علي باشا في مصر أن يجهز لقتال السعوديين في الحجاز ونجد، الأمر الذي أدى إلى إنهاء الدولة السعودية الأولى عام (١٢٣٣هـ)[٥].

وعندما تولى الحسين بن علي إمارة مكة كان الاتحاديون قد ازداد استياؤهم من نجد، فأوعزوا إلى الحسين أن يعمل على إرهابهم، وكان استياء الحسين لا يقل عن استيائهم، لأنه شعر أن دعوة نجد شرعت تستميل بعض القبائل التي تواليه، وأن انتشار الدعوة يعني اتساع نفوذ سلطان نجد على حساب إمارته[٦].

وفي عام (١٣٢٨هـ) خرج الحسين بن علي من مكة قاصداً نجد، ومعه جنود كثيفة العدد من عتيبة وبوادي الحجاز ونزل القويعية، فأرسل الإمام عبد العزيز أخاه

---

(١) انظر: "خلاصة الكلام" (ص٢٢٨،٢٢٩)، "تأريخ مكة" (ص٤٨٧،٤٨٨).

(٢) انظر: "البحر الزاخر". محمود فهيمي باشا. (١/١٧٣،١٧٤) نقلاً عن "الوهابيون والحجاز". محمد رشيد رضا. ط١. (١٣٤٤هـ). مطبعة المنار. (ص٣٢).

(٣) عد دحلان ست وخمسين غزية بين غالب والنجديين، انظر: "خلاصة الكلام" (ص٢٦٢-٢٩١).

(٤) انظر: "عنوان المجد في تاريخ نجد". عثمان بن عبد الله بن بشر. المطبعة السلفية بمكة. (١٣٤٩هـ). (١/٨٧،١٢٢)، "تأريخ مكة" (ص٤٨٩-٥٠١).

(٥) انظر: "عنوان المجد" (١/١٦٠-٢١٦)، "تأريخ مكة" (ص٤٨٩-٥١٤)، "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص٦٠-٦٧).

(٦) انظر: "تأريخ مكة" (ص٦٢٤،٦٢٥)، "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص١٠٢).

سعد بن عبد الرحمن يستنفر أهل نجد، فلما قرب من الشعراء خرجت عليه فصيلة من فرسان عتيبة التابعين للحسين بن علي، و لم يتبين نواياهم حتى اقتربوا منه وتمكنوا من أسره، وأخذوه إلى الحسين بن علي الذي شرع في مفاوضات الصلح بينه وبين السلطان ابن سعود، وانتهت المفاوضات بوساطة الشريف خالد بن لؤي - أمير الخرمة - بإطلاق سراح سعد بن عبد الرحمن [١].

وقد قام السلطان عبد العزيز بإرسال عدة رسائل ود ومجاملة وهدايا إلى الشريف حسين عام (١٣٢٨هـ)[٢].

وقد كان إعلان الحسين نفسه ملكاً على العرب (عام ١٣٣٥هـ) سبباً في إثارة الشكوك نحوه تجاه نجد، ثم إنه شرع يطعن في دين الوهابية وعقائدهم ويرميهم بالكفر وتكفير المسلمين، تمهيداً لقتالهم وأخذ بلادهم، وصرح بذلك مراراً في تصريحاته الرسمية، ومن ذلك أنه صرح بعزمه على محو البدعة الوهابية، خدمة للدين وتتريهاً له مما فيها من الضلال، وصرح بأنه معهم في حال دفاع، ((ومتى تحقق لدينا عدم نجاح خطة الدفاع أمام مبادئهم فلا بد للسلطان من قتالهم بكل موجوديته)) [٣] .

وقام الحسين بإرسال عدة حملات تأديبية إلى القبائل المتاخمة له لنشاط دعوة نجد بينهم، فلم تنجح محاولاته بقدر ما بث من اضطراب بين تلك القبائل[٤].

---

(١) انظر: "الثورة العربية الكبرى" (٣/١٣٦)، "تاريخ ملوك آل سعود". سعود بن هذلول آل سعود. مطابع الرياض. ط١. (١٣٨٠هـ). (ص٩٢-٩٤)، "تاريخ نجد الحديث" (١٩١-١٩٣)، "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص١٤٨،١٤٩)، "الهاشميون والثورة العربية الكبرى" (ص٢٣٣).

(٢) انظر: "تاريخ الدولة السعودية". أمين سعيد. دار الكتاب العربي. (ص٧٦)، "جزيرة العرب في القرن العشرين". حافظ وهبة. ط٥. (١٣٨٧هـ). (ص٣٢٢)، "تأريخ مكة" (ص٦٢٥) حاشية (١).

(٣) تصريحه الأول بتاريخ (١/٣/١٣٣٧هـ)، والثاني بتاريخ (٨/٥/١٣٣٧هـ) انظر: "الوهابيون والحجاز" (ص٣٠،٣١).

(٤) انظر: "تأريخ مكة" (ص٦٢٥).

وقد قام الشيخ محمد رشيد رضا بمفاتحة الحسين بضرورة جمع كلمة أمراء العرب ووضع اتحاد حلفي بينهم لإزالة العدوان والتعدي، وقال محمد رشيد رضا: إني أضمن لكم قبول صاحب نجد، وإذا احتيج إلى ذهابي إليه بنفسي فإنني أفعل، فأبى الحسين ذلك واستكبر، ثم قال أمام بعض بطانته وحاشيته: ((من هؤلاء الكلاب حتى أتفق معهم؟! اليوم يوجد في الدنيا رجل يقال له ابن سعود، وغداً لا يوجد ابن سعود!))[١].

كما قام الحسين بحملة إعلامية قوية في جريدة القبلة ضد الوهابية والوهابيين[٢].

وبعد نهاية حرب الحسين ضد الدولة العثمانية، بدأ تفكيره بغزو نجد للانتقام من السلطان ابن سعود، ولترسيخ حكمه في شبه الجزيرة وقد أصبح زعيماً للحجاز وسوريا والعراق، فأرسل جيشه في عام (١٣٣٧هـ) إلى قبيلة عتيبة، وتزود الجيش بأسلحة تركها الإنجليز في حرب الحجاز، غير أن جيش نجد بقيادة الشريف خالد بن لؤي هزم الجيش الهاشمي ثلاث مرات متتاليات، واستمرت العلاقة بين الفريقين على أسوأ ما تكون.

وفي ذلك الوقت عقد في لندن اجتماع لدراسة أوضاع شبه الجزيرة العربية وتحديد سياسة بريطانيا تجاهها، وكانت نتيجة الاجتماع إعلان أن حكومة بريطانيا لن تتدخل إذا حاول ملك الحجاز استرجاع الخرمة، فتشجع الحسين لهذا الموقف، واستعد ابنه عبد الله للهجوم، وقد راسل السلطان عبد العزيز عبد الله بن الحسين يحذره من العدوان والتعدي على أراضي نجد، ولكنه لم يستجب لرسالته، وقال: ((سنصوم رمضان في الخرمة، إن شاء الله، وسنعيد عيد الأضحى في الحسا)) [٣].

---

(١) انظر: "الوهابيون والحجاز" (ص٢٩)، "الهاشميون والثورة العربية الكبرى" (ص٢٣٣).

(٢) انظر: "الهاشميون والثورة العربية الكبرى" (ص٢٣٣،٢٣٤).

(٣) انظر: "تاريخ نجد الحديث" (ص٢٥٣)، "تاريخ الدولة السعودية" (ص٨١)، "الهاشميون والثورة العربية الكبرى" (ص٢٣٤).

وأراد الحسين أن يضرب بقوة تترك صداها في ديار نجد فأوعز إلى ابنه عبد الله أن يميل بجيش فاق كل الحملات السابقة إلى تربة والخرمة، فانتهى إليها عام (١٣٣٧هـ).

وكان عبد الله بن الحسين عظيم الاغترار بجيشه ومعداته، ولم ينزل في تربة منزل الحذر الفطن، فباغت جيش خالد بن لؤي جيش عبد الله بن الحسين في ليلة حالكة الظلمة، وانتصر جيش الإخوان انتصاراً ساحقاً، فصدوا الهجوم وأفنوا غالبية الجيش، ولم يتمكن إلا نفر قليل من الفرار منهم قائد الجيش، وفر الشريف عبد الله منهزماً (١).

وأهل عام (١٣٣٨هـ) والعلاقة بين الحسين ونجد على أشد ما تكون سوءاً (٢)، وحلت أشهر الحج فأعلن منع النجديين من الحج، واستمر على ذلك من العام الذي يليه، ثم توسطت لديه الحكومة البريطانية فأذن لهم بعدد محدود لعام (١٣٤٠هـ) ثم عاد لمنعهم في العام الذي يليه، وتوسطت الحكومة البريطانية لعقد مؤتمر في الكويت لكنه انفض على غير وفاق (٣).

وظل الخلاف على شأنه عام (١٣٤٢هـ) بين الحسين ونجد، كما ظل طريق الحج مقفلاً، فاقترح المتصلون بإمام نجد أن يحاول الهجوم على الطائف لعله ينجح في الاستيلاء عليه فيستطيع أن يساوم الحسين، وبدأت القبائل تجهز جيوشها بقيادة الشريف

---

(١) انظر: "تاريخ نجد الحديث" (ص٢٥١)، "الوهابيون والحجاز" (ص٣٠)، "الهاشميون والثورة العربية الكبرى" (ص٢٣٥)، "تأريخ مكة" (ص٦٢٥،٦٢٦)، "مكة في القرن الرابع عشر" (ص٢٧٣).

(٢) في هذا العام قام الحسين بن علي بسجن الشيخ أبي بكر خوقير وابنه عبد القادر بعد اتصاله بسلطان نجد، كما سيأتي.

(٣) انظر: "الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت". د.موضي بنت منصور آل سعود. معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى. (١٤١٩هـ)، "الثورة العربية الكبرى" (٣/١٤٢-١٥٠)، "جزيرة العرب في القرن العشرين" (ص٢٤٧)، "الوهابيون والحجاز" (ص٣٥)، "تأريخ مكة" (ص٦٢٦).

خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد وتقدموا إلى قرب الطائف في عدة آلاف من المقاتلين، وكان ذلك في أوائل صفر عام (١٣٤٣هـ).

وكان بالطائف نحو خمسمائة جندي نظامي وبعض الحرس الخاص، فحاولوا الدفاع عن الطائف لكنهم شعروا بضعفهم وقلة ذخيرتهم، فسارع الحسين بإرسال ابنه علي إلى الطائف، فأقام بها ليلة ثم غادرها في اليوم التالي إلى الهدا على أمل أن يجمع قواته ثم يكر بها من جديد(١).

وبخروجه هجم بعض الأهالي على أبواب السور وفتحوها للمهاجمين معلنين أنهم لا يريدون الحرب، فاقتحمت طلائع الإخوان البلدة وبعض البدو القريبين من الطائف، ووقعت أعمال عنيفة دامية، فكان يوماً استاء له السلطان عبد العزيز، وكان لهذا الحادث ألم في نفسه(٢).

ووصلت الأخبار إلى مكة سيئة مفزعة، وأخذ أكثر أهلها يرحلون إلى جدة، ثم تقرر الانسحاب إلى جدة، فبدؤوا بإرسال العوائل ومنها عائلة الحسين بن علي، وتلا ذلك انسحاب الجيش بمعداته، وظل الحسين بمكة(٣).

ورأى عقلاء الحجاز المجتمعون في جدة أن الطريقة المثلى لحل الخلاف بينهم وبين السلطان ابن سعود هي حمل الحسين على التنازل عن الحكم، فدعوا علي بن الحسين إلى جدة وأبلغوه أن الأمة قررت خلع والده ومبايعته حقناً للدماء، فأبى قبول

---

(١) انظر: "الثورة العربية الكبرى" (ص١٨٢،١٨٣)، "تاريخ الدولة السعودية" (٢/١٤٦-١٥١)، "تأريخ مكة" (ص٦٢٨)، "الهاشميون والثورة العربية الكبرى" (ص٢٤٣).

(٢) انظر: "الثورة العربية الكبرى" (٣/١٨٤)، "تاريخ نجد الحديث" (ص٣٣٣)، "الوهابيون والحجاز" (ص٣٣ حاشية (١)، "مكة في القرن الرابع عشر" (ص٢٨٠)، "تأريخ مكة" (ص٦٢٩).

(٣) انظر: "الثورة العربية الكبرى" (٣/١٨٦)، "مكة في القرن الرابع عشر" (ص٢٨١)، "تأريخ مكة" (ص٦٣٠).

البيعة مراعاة لكرامة والده، فأبرقوا إلى والده بمكة مشيرين إلى ما حصل من أحـداث وعجز الحكومة عن المحافظة على الأرواح والأموال، وأن الأمة قـررت نهائيـاً تنـازل الشريف حسين وتنصيب ابنه علي ملكاً على الحجاز فقط، شريطة أن ينزل علـى رأي المسلمين، فأجاب الحسين بموافقته على التنازل، ولكن رفض أن يعينوا ابنه [(١)].

وعلى إثر ذلك اجتمع الناس في جدة بتاريخ (١٣٤٣/٣/٥هـ) ولكنهم قـاموا بمبايعة علي بن الحسين خوفاً من حدوث اضطرابات داخلية، وبـايعوه بالملـك علـى الحجاز، ثم أبرقوا للحسين بمكة بما تم من المبايعة لعلي وأنهم ينتظرون من الحسين مبارحة البلاد، وأجابهم الحسين بعزيمته على مبارحة البلاد، ولكنه تحفظ على تعيينـهم علـي، وندبهم إلى اختيار غيره [(٢)].

وغادر الحسين بن علي مكة إلى جدة، ثم غادرها تصحبه عائلته وخدمه في يـوم (١٣٤٣/٣/١٤هـ) على باخرة متجهاً إلى العقبة، وبذلك انتهت صلته بمكة [(٣)].

ومكث علي بن الحسين بمكة، ثم غادرهـا إلى جـدة في (١٣٤٣/٣/١٦هـ)، ووصلت فرقة عسكرية من عمان، فشرعوا يقيمون خطوط الدفاع حول جدة[(٤)].

وما كادت مكة تخلو حتى كانت جموع الإخوان تأخذ طريقها إليها، فنـادوا بالأمان على أهلها، وانطلقوا يطوفون بالبيت، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكـر، ونادى المنادي بضرورة هدم القباب التي على القبور، ونودي بمنع كل بدعة تنافي الدين، كما نودي بتحريم شرب الدخان، وقام الإخوان بإخراج من كان في سجن الحسين بن

---

(١) انظر: "الثورة العربية الكبرى" (١٨٧/٣، ١٨٨).

(٢) انظر: السابق (١٨٩/٣، ١٩٠)، "مكة في القرن الرابع عشر" (ص٢٨٢).

(٣) انظر: "الثورة العربية الكبرى" (١٩٥/٣)، "تأريخ مكة" (ص٦٣٨، ٦٣٩)، "أمراء البلد الحرام" (ص٤٤٢).

(٤) انظر: "الثورة العربية الكبرى" (١٩٥/٣، ١٩٦).

علي، ومنهم الشيخ أبو بكر خوقير [١].

ومكث جيش الإخوان بمكة إلى وصول الملك عبد العزيز في (١٣٤٣/٥/٨هـ)، ثم في (١٣٤٣/٦/٥هـ) زحف الجيش السعودي لمحاصرة جدة، واستمر حصارها إلى (١٣٤٤/٥/٢٩هـ) حيث أبدى الشريف علي بن الحسين رغبته في تسليم البلاد، وأرسل اتفاقاً يتم على وفقه تسليم جدة، وقد قبله السلطان عبد العزيز مع تعديلات بسيطة، وبارح الملك علي جدة في (١٣٤٤/٦/٦هـ) [٢].

وفي (١٣٤٤/٦/٢٥هـ) تمت مبايعة السلطان عبد العزيز بالحرم المكي ملكاً على الحجاز ونجد وملحقاتها، وعلى ذلك استمر حال مكة في رخاء وأمن، وقد ولى الملك عبد العزيز نجله فيصلاً أميراً لمكة ونائباً له عليها، واستمر على ذلك إلى وفاة الملك عبد العزيز عام (١٣٧٣هـ)[٣].

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية.

في هذا العصر كانت مكة إحدى الولايات التابعة لدولة العثمانيين، وقد اتسمت علاقة العثمانيين بمكة منذ بدايتها عام (٩٢٣هـ) بمد المعونات الكبيرة، فقد قام السلطان سليم بتعيين مبالغ عظيمة وافرة توزع على أهل الحرمين، كما قام بجراية القمح[٤]، وعلى ذلك استمر العثمانيون، وكانت مساعداتهم تشمل الفقراء وطلبة العلم، وأصحاب الوظائف الدينية كالمؤذنين[٥].

وقد ازداد عدد السكان بمكة نتيجة لمجاورة موظفي الأتراك وعائلاتهم، ولتعرض

(١) انظر: "تأريخ مكة" (ص٦٤٠)، "مكة في القرن الرابع عشر" (ص٢٨٤)، "أمراء البلد الحرام" (ص٤٤٢).
(٢) انظر: "تاريخ نجد الحديث" (ص٤٢٤)، "تأريخ مكة" (٦٥١-٦٥٨).
(٣) انظر: "أمراء البلد الحرام" (ص ٤٦٣– ٤٧٥).
(٤) انظر: "مرآة الحرمين" (٣١١/٢-٣١٩)، "تأريخ مكة" (ص٤٦١،٤٦٢).
(٥) انظر: "مرآة الحرمين" (٣٦٠/٢، ٣٦١)، "تأريخ مكة" (ص٥٦٤)، "مكة في القرن الرابع عشر" (ص٢٠٤-٢٠٨).

كثير من بلاد المسلمين إلى الفتن والحروب، ففر كثير من المسلمين إلى مكة والمدينة وجدة، ويظهر ذلك في كثير من العائلات التي تسكن الحجاز وتنحدر من أصل مصري أو تركي أو مغربي أو شامي أو صيني، ولما اشتد الحال على بلاد الهند والأفغان وجاوى كثر تدفقهم إلى الحجاز، وشوهد انقسام مكة في هذا العهد إلى مناطق معروفة تسكنها الجاليات المختلفة: من أتراك وهنود وبنغالة ومن أهالي غرب أفريقيا ومن أهالي اليمن وحضرموت وغيرها من بلاد المسلمين، ونقلت هذه الجاليات إلى مكة عاداتها وتقاليدها وصناعاتها، وبقدر ما استفادت مكة من نشاط هذه الجاليات، بقدر ما تأثرت بها في عاداتها ولغتها [(١)].

وقد عاشت مكة في العهد العثماني الثاني - الذي بدأ عام (١٢٥٦هـ) - حياة مستقرة أكثر مما كانت عليه في عهودها السابقة، لأن المتنافسين على حكمها من الأشراف خضعوا لتنظيم العثمانيين وأحكامهم في توجيه الإمارة، فتمتع الأهالي بطمأنينة اجتماعية، وأخذوا ينعمون من خيرات العثمانيين ودخل الحجاج وصدقاتهم، وقد كثر توافد الحجاج بعد أن علموا باستقرار البلاد، وزاد تدفقهم على إثر شيوع البواخر ومساهمتها في نقل الحجاج في عام (١٢٩١هـ)[(٢)].

وقد كان الحج من مصادر الدخل المهمة في المجتمع المكي، قال تعالى ﴿**ليشهدوا منافع لهم**﴾[(٣)]، وقال: ﴿**ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم**﴾[(٤)] فكان مجيء الحجاج إلى مكة عاملاً رئيساً في الاقتصاد المكي، كما أن وجود الحرم بحد ذاته أعطى مكة مكانة لا مثيل لها في نفوس المسلمين.

---

(١) انظر: "تأريخ مكة" (ص٥٦٧،٥٦٨)، "مكة في القرن الرابع عشر" (ص٢٠٩-٢١١).

(٢) انظر: "تأريخ مكة" (ص٥٧٣).

(٣) سورة "الحج"، آية: (٢٨).

(٤) سورة "البقرة"، آية: (١٩٨).

وقد ظهرت قبل عهد العثمانيين مهمة "الطوافة"، وتطورت في عهد العثمانيين، فأصبح الحجاج يرتبطون بأشخاص معينين يقومون بتهيئة أمورهم لأداء الحج من استئجار الدور بمكة وإعداد أماكن إقامتهم بالمشاعر، وكان الحاج لما يصل إلى جدة يُسأل عن مطوفه ويلحق به، وفي عام (١٣١٨هـ) قام عون الرفيق بتقسيم طوافة بلاد مصر وجاوه والهند والمغرب وبلاد الأناضول وغيرها أقساماً تسابق المطوفون إلى شرائها، وبذلك ألغى سؤال الحاج عن مطوفه، وألزمه بتبعية المطوف الذي اشترى حقوق الطوافة للبلاد التي يتبعها ذلك الحاج[١].

ولم تكن طرق الحجيج آمنة تماماً في عهد الأشراف، وقد تكرر هجوم العربان على القوافل وقيامهم بنهبها أو منعها من السير حتى يتقاضون منهم أموالاً، وغالباً ما كان رجال القبائل يتعرضون للقوافل بسبب انقطاع رواتب الدولة العثمانية المقررة لهم أو بسبب إفلاسهم [٢].

وبعد قيام الحسين بالثورة وانفصاله عن الدولة العثمانية، عجز عن تأمين الطريق بين الحرمين، وكان ذلك بسبب وعده القبائل بإعطائهم ضعف ما كان يصلهم من الدولة العثمانية، ثم انقطاعه عن إعطائهم بعد انتهاء الحرب، فأدى ذلك إلى تعرضهم لقوافل الحجيج ليحصلوا على ما كانوا يحصلون عليه سابقاً[٣].

ولما تولى الملك عبد العزيز الأمور اعتبر أن ما يرافق الحياة البدوية من سلب ونهب يجب أن ينتهي مرة واحدة وإلى الأبد، وقال: ((إن الأمن والاستقرار وتأمينهما من أول بدهيات واجبات الدولة، وإن القبائل البدوية التي هي مصدر عدم توفر

---

(١) انظر: "تأريخ مكة" (ص٤٦٥،٥٥٧)

(٢) انظر: "مرآة الحرمين" (٢/٧٠-٨٥)، "تأريخ مكة" (ص٥٥٦،٥٦٥).

(٣) انظر: "الوهابيون والحجاز" (ص٥٢)، "أمراء البلد الحرام" (ص٤٣٠).

الطمأنينة والسلامة والأمن يجب أن تصبح العامل المساعد على نشر السلام والطمأنينة والأمن...)) [١].

ومن الممكن إجمال طرق قوام المعيشة بمكة في تلك الفترة فيما يلي[٢]:

١- الصنائع اليدوية والحرف، مثل: صناعة الفخار، السبح، القطن، وصرف العملات ...

٢- التجارة والباعة، مثل: الأقمشة، الكتب، الأطعمة ...

٣- مهنة الطوافة.

٤- مهنة سقاية ماء زمزم، ويعرف أصحابها بالزمازمة.

ولما استقل الحسين بن علي بالحجاز، أخذ يشكل إدارات مستقلة، فأنشأ إدارة للشرطة، ووزارة للخارجية، والداخلية، والمالية، وللقضاء، وفي كل إدارة أو وزارة وكيل، كما أنشأ مديرية للمعارف، وخصص لكل موظف مرتب، ولكل إدارة أو وزارة مكتب يحوي عدداً من الموظفين إلا أنه على نطاق ضيق.

وفي العهد السعودي، سارت التشكيلات على ما كانت عليه في عهد الحسين، إلا أنها أخذت تتوسع وتتفرع، وتضاعف عدد الموظفين بها[٣].

ومما يتعلق بالحالة الاجتماعية انتشار بعض الأمراض والأوبئة، ومن ذلك ما حصل عام (١٢٨٨هـ) حيث انتشر بالمدينة النبوية وباء، وكان بها بعض أهل مكة، لما اعتادوه من زيارة المدينة في شهر رجب، فلما عادوا إلى مكة حجزتهم الحكومة في محجر صحي بالزاهر[٤].

---

(١) انظر: "بطل ودولة" (ص١٠٦، ١٠٧) نقلاً عن "أمراء البلد الحرام" (ص٤٧٧).

(٢) انظر: "مكة في القرن الرابع عشر" (ص١٤٦) وما بعدها.

(٣) انظر: "مكة في القرن الرابع عشر" (ص١٤٦).

(٤) انظر: "إفادة الأنام" لعبد الله بن محمد بن غازي، مخطوط، نقلاً عن "تأريخ مكة" (ص٥٣٨).

ومن ذلك، انتشار وباء بمكة عام (١٣١٠هـ) وقد خلف آلاف الموتى، وكذلك في عام (١٣١٩هـ) وقع بها وباء شديد [١].

(١) انظر: "مكة في القرن الرابع عشر" (ص٢٣٠).

المبحث الثالث: الحالة العلمية والعقدية.

تعد مكة من أهم المراكز العلمية على مر عصور الإسلام، فهي قبلة المسلمين ومحط أنظارهم ومحل اجتماعهم لأداء مناسك الحج والعمرة، وقد دعا ذلك الكثير من العلماء للمجاورة بها.

وفي هذا العهد، بقي التعليم في مكة على وتيرته التي ورثها من القرون السابقة، ويتلخص في طلب العلم في حلقات الدروس التي يعقدها العلماء في المسجد الحرام أو في بيوتهم، أو في المدارس التي ينشئها المحسنون لإيواء الطلبة، وقد أحصيت حلقات التدريس في المسجد الحرام فبلغت نحو مائة وعشرين حلقة، تتناوب التدريس في مختلف الأوقات(١).

ومن أبرز المدارس التي أسست في هذا العهد(٢): المدرسة الصولتية(٣)، والمدرسة الفخرية(٤)، ومدارس الفلاح(٥).

كما قامت الحكومة العثمانية في أواخر القرن الثالث عشر بإنشاء المدرسة

---

(١) انظر: "تأريخ مكة" (ص٥٨٠،٥٨٣)، "مكة في القرن الرابع عشر" (ص٣١٢).

(٢) انظر: "مكة في القرن الرابع عشر" (ص٣٠٧-٣٠٩).

(٣) المدرسة الصولتية، نسبة إلى ثرية هندية تدعى (صولة النساء) قامت بتمويل إنشاء مدرسة بمكة لتعليم العلوم الدينية، بإشراف الشيخ رحمة الله الهندي، وذلك عام (١٢٩١هـ)، ثم افتتحت المدرسة بعد عام، واستمرت في التعليم وتخريج الطلاب، وتخرج منها عدد من العلماء الذين تولوا التدريس بالحرم المكي، كما تخرج منها بعض القضاة. انظر: "المدرسة الصولتية بمكة المكرمة، دراسة تاريخية وصفية" رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، مقدمة من الباحث: عبد العزيز سليمان عوض الفقيه. (١٤١٤هـ).

(٤) أنشأها أحد الأساتذة بالمدرسة الصولتية في عام (١٢٩٦هـ). انظر: "تأريخ مكة" (ص٥٨١).

(٥) أنشأت في مكة وجدة على نفقة أحد المحسنين عام (١٣٤٠هـ) وهي باقية إلى اليوم. انظر: "تأريخ مكة" (ص٥٨٢).

الرشيدية، وقد كانت على الطريقة الحديثة لتعليم اللغة التركية والرياضيات والتـاريخ، و لم يقبل عليها إلا أبناء الموظفين الأتراك(١).

ولما قام الاتحاديون بانقلابهم عام (١٣٢٦هـ) شرعوا يؤسسون مدارس في الحجاز، فأنشئوا في مكة مدرسة سموها "مدرسة برهان الاتحاد"(٢).

وقد تعددت الكتاتيب في هذا العهد لتعليم القراءة والهجاء، كما ظهرت كتاتيب لتعليم الخط والحساب، وكان للفتيات كتاتيب خاصة بهن انتشرت في بعض أحياء مكة(٣).

ولما استقرت الحكومة السعودية بمكة شرعت في إعادة فتح المدارس التي كانت في آخر عهد الحسين بن علي، وأسست لذلك هيئة سميت بمديرية المعارف، وأخذت في التدرج والاتساع، وانتشرت المدارس في سائر أنحاء مكة بكل درجاتها، من المدرسة التحضيرية ورياض الأطفال إلى الجامعة والمعاهد العليا(٤).

الحالة العقدية:

لقد كان من مظاهر الاتجاه الديني للدولة العثمانية منذ نشأتها تشجيع التصوف بين العثمانيين، وقد انعكس هذا الطابع الديني على الولايات التابعة للدولة ومنها الحجاز(٥).

ولما ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وانتشرت في الأقطار، رأى كثير من علماء تلك الأقطار مخالفة الدعوة لما ألفوه من أمور نسبوها للدين.

---

(١) انظر: "تأريخ مكة" (ص٥٨٠).

(٢) انظر: السابق (ص٥٨١).

(٣) انظر: السابق (ص٥٨١،٥٨٢)، "مكة في القرن الرابع عشر" (ص٣٠٩-٣١١).

(٤) انظر: "مكة في القرن الرابع عشر" (ص٣٠٧).

(٥) انظر: "العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص٢٠،٢١).

ورأى رجال السياسة في الدولة العثمانية أن يشايعوا المناوئين للدعوة الوهابية ليأتلفوا جمهرة العلماء، ويكسبوا لصفوفهم ملايين الأتباع الذين ورثوا هذه التقاليد، وفي الوقت ذاته يحولوا دون تجمع القبائل العربية حول دعوة موحدة تجمع صفوفهم(١).

وقد تقدم ذكر ما وقع من احتكاك الأشراف حكام مكة – التابعين للدولة العثمانية- بأصحاب الدعوة في نجد، ومنعهم من الحج، وما تلا ذلك من القتال والأحداث السياسية التي سبقت الإشارة إليها.

وفي هذا العهد برز في مكة أحد أبرز المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، هو أحمد زيني دحلان(٢)، وكان مفتي الشافعية بمكة، وقد نشط في عداوة الدعوة والكذب والافتراء عليها وتكفير أهلها(٣).

---

(١) انظر: "تأريخ مكة" (ص٤٨٧،٤٨٨).

(٢) ولد بمكة سنة (١٢٣٢هـ)، وتوفي عام (١٣٠٤هـ) بالمدينة، وستأتي ترجمته بالتفصيل(ص٥٧).

(٣) قال أحمد دحلان عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ((فإن فتنتهم من أعظم الفتن التي ظهرت في الإسلام، طاشت من بلاياها العقول وحار فيها أرباب المعقول، وكان ابتداء ظهور محمد بن عبد الوهاب سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين واشتهر بعد الخمسين، فأظهر العقيدة الزائغة بنجد وقرأها، فقام بنصرته وإظهار عقيدته محمد بن سعود أمير الدرعية، بلاد مسيلمة الكذاب، فحمل أهلها على متابعة محمد بن عبد الوهاب فيما يقول ... وكانوا في مبدأ أمورهم قبل اتساع ملكهم وتطاير شرورهم راموا حج البيت الحرام، وكان ذلك في دولة الشريف مسعود بن سعيد فأرسلوا يستأذنونه في الحج، وأرسلوا قبل ذلك ثلاثين من علمائهم ظناً منهم أنهم يفسدون عقائد أهل الحرمين ويدخلون عليهم الكذب والمين، وطلبوا الإذن في الحج ولو بمقرر يدفعونه كل عام، وكان أهل الحرمين يسمعون بظهورهم في المشرق وفساد عقائدهم و لم يعرفوا حقيقة ذلك، فأمر مولانا الشريف مسعود أن يناظر علماء الحرمين العلماء الذين أرسلوهم، فناظروهم فوجدوهم ضحكة ومسخرة، كحمر مستنفرة فرت من قسورة، ونظروا إلى عقائدهم فإذا هي مشتملة على كثير من المكفرات، فبعد أن أقاموا عليهم البرهان والدليل، أمر الشريف مسعود قاضي الشرع أن يكتب حجة بكفرهم الظاهر، ليعلم به الأول والآخر، وأمر بسجن أولئك الملاحدة الأنذال ...) "خلاصة الكلام" (ص٢٢٨).

وقد قام أحمد دحلان بكتابة الرسائل في الافتراء على الوهابية، وكان له أثر كبير في مكة وامتد أثره إلى كثير من بلاد المسلمين عن طريق الحجاج الذين يتوافدون في المواسم [١].

وقد كان لوجوده في مكة أثر قوي في رواج مفترياته وشبهاته، لذا يقول محمد منظور النعماني[٢] مبيناً مدى انتشار تلك المطاعن بعد سقوط الدرعية عام (١٢٣٤هـ): ((صارت أرض الحجاز مركز دعاية ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجماعته بعدما أقصت الوهابيين قوات محمد علي باشا حاكم مصر آنذاك على إيعاز من الحكومة العثمانية ... وأضحت تنتشر في الحجاز – فيما يتصل بالشيخ – أمور مستهجنة، إن سمعها مسلم فإنه لا يكره شخصه فحسب، بل يعتبره أكفر الكافرين في العالم كله!

وبما أن الحرمين الشريفين هما مركز المسلمين الروحي والديني ومهد الدعوة الإسلامية ومجمع الحجيج من المسلمين في العالم كله، يختلف إليهما المسلمون ولا سيما في مناسبة الموسم، فساعد كل ذلك على انتشار كل ما يحاك فيهما ضد الوهابيين، أو يدور حولهم في المحافل والنوادي، أو يقال ويكتب في المؤلفات، ساعده على انتشاره في طول العالم وعرضه)) [٣].

وجاء بعد دحلان بعض تلامذته الذين نهجوا منهجه في معاداة دعاة التوحيد ووصفهم بالخوارج، ونجدهم قد تبوؤوا مناصب رفيعة من التدريس والفتيا، ومنهم

---

(١) انظر: "دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب". عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف. دار الوطن. ط١. (١٤١٢هـ). (ص٥١،٥٢).

(٢) ولد عام (١٣٢٣هـ) في إحدى قرى الهند، وحارب البدع والخرافات، وله عدة مؤلفات نافعة. انظر: "دعاوى المناوئين" (ص٥١).

(٣) انظر: "دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب". مكتبة الفرقان. الهند. (١٤٠٠هـ). (ص٢٦،٢٧)، نقلاً عن "دعاوى المناوئين" (ص٥١،٥٢).

محمد سعيد بن محمد بابصيل[١]، وقد تولى إفتاء الشافعية بعد دحلان، وله مؤلفات في الرد على بعض الدعاة السلفيين[٢]، ومما يبين مكانته أنه كان أحد أعضاء الوفد الذي أمر الخليفة العثماني بتشكيله من علماء المسجد الحرام في سنة (١٣٢٥هـ) لنصح إمام اليمن الذي كانت ثوراته لا تهدأ[٣].

وفي هذا دلالة على مبلغ الانحراف العقدي الذي عانت منه مكة في تلك الفترة، وبيان لأهمية دور المصلحين السلفيين في ذلك العصر، ومدى الحاجة إلى إبراز جهودهم في الدفاع عن عقيدة السلف.

---

(١) محمد سعيد بن محمد بن سالم بابصيل الحضرمي المكي الشافعي، ولد عام (١٢٤٥هـ)، ولازم أحمد دحلان وتخرج على يديه، وكان أمين الفتوى له، ثم بعد وفاة دحلان، صار مفتي الشافعية. درس بالمسجد الحرام، وأخذ عنه جماعة. كانت وفاته عام (١٣٣٠هـ) بمكة. انظر: "فيض الملك المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي". عبد الستار الدهلوي. (ق٣/٨٠)، "نثر الغرر في تذييل نظم الدرر". عبد الله بن غازي (ق٥٦)، "أعلام المكيين". عبد الرحمن بن يحيى المعلمي. ط١. (١٤٢١هـ). (ص٢٥٠).

(٢) ومن ذلك رسالته في الرد على الشيخ أبي بكر خوقير، وسيأتي الكلام عنها.

(٣) انظر: "إفادة الأنام"، نقلاً عن "تأريخ مكة" (ص٥٥٧).

الفصل الثاني

حياة الشيخ أبي بكر خوقير الشخصية

المبحث الأول: اسمه ونسبه.

المبحث الثاني: مولده، وموطنه.

المبحث الثالث: صفاته الخُلقية.

المبحث الرابع: وفاته.

المبحث الأول: اسمه ونسبه.

هو أبو بكر بن محمد عارف بن عبد القادر بن محمد علي خوقير.

وقد اتفقت المصادر التي ترجمت للشيخ أو ذكرته على أن اسمه: أبو بكر[(١)]،

---

(١) انظر: - **فيض الملك المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي**. عبد الستار الدهلوي. (ق ٣/٢٧١).

- **نشر الغرر في تذييل نظم الدرر في تراجم علماء مكة**. عبد الله بن محمد بن غازي. (ق١٧).
- **قرة العين في أسانيد شيوخي من أعلام الحرمين**. محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني المكي. (ق١/١٩).
- **سير وتراجم**. عمر عبد الجبار. ط٣. دار تهامة. جدة. (١٤٠٣هـ) (ص٢٢).
- **مجلة المنار**. (٣١/٣٢٠،٢٤٠).
- **نموذج من الأعمال الخيرية**. محمد منير الدمشقي. نشر مكتبة المعارف. (ص ٩٨-١٠١).
- **مشاهير علماء نجد وغيرهم**. عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ. دار اليمامة. الرياض. ط٣. ١٣٩٢. (ص٣٠٠-٣٠٣).
- **مكة في القرن الرابع عشر**: محمد عمر رفيع. نشر نادي مكة الثقافي. (١٤٠١هـ). (ص٢٨٤).
- **علماء الحنابلة** . بكر أبو زيد. دار ابن الجوزي. ط١. (١٤٢٢هـ). ترجمة رقم (٣٥٨٨).
- **تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة**. صالح بن عبد العزيز بن علي آل عثيمين. تحقيق بكر أبو زيد. مؤسسة الرسالة. ط١. (١٤٢١هـ). (١٧٩٧/٣).
- **الاضافات على النعت الأكمل**. محمد مطيع حافظ. ونزار أباظة. دار الفكر. ط١. (١٤٠٢هـ). (ص٤١٦).
- **أعلام المكيين**. عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي. مؤسسة الفرقان.ط١. (١٤٢١هـ) .(٤١٥/١).
- **معجم المؤلفين**. رضا كحالة. دار العلم للملايين. بيروت. ط٤. (١٩٧٩م). (٧٠/٣).
- **الأعلام**. خير الدين الزركلي. ط٣. (٧٠/٢).
- **موسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر**. إبراهيم بن عبد الله الحازمي. دار الشريف. ط١. (١٤١٩هـ). (١٠٩٢/٣-١٠٩٤).
- **العلماء والأدباء والوراقون في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري**. أ.د عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان. نشر نادي الطائف الأدبي. ط١. (١٤٢٣هـ). (ص٩٦-١٠٠).
- **جريدة أم القرى**. العدد (٦٢) بتاريخ (٢٠/٨/١٣٤٣هـ).
- **جريدة الندوة**. العدد (١٠٥٥٧) بتاريخ (١٤/٣/١٤١٤هـ).

وكذا كتب على مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة بخطه أو بخط بعض تلاميذه[١]، إلا أنه قد انفرد زكريا بيلا [٢]، فترجم للشيخ تحت اسم: بكر خوقير[٣].

والشيخ أبو بكر خوقير من بيت علم بمكة، فوالده هو الفاضل الإمام بالمقام الحنفي المكي الشيخ محمد عارف خوقير[٤].

وجده العلامة الفرضي الكبير الشيخ عبد القادر بن الشيخ محمد علي خوقير. ترجم له أحمد بن محمد الحضراوي المكي الهاشمي (ت ١٣٢٧هـ) بقوله: ((العالم الفاضل، مدرس الحرم المكي، نادرة العصر، وأعجوبة الدهر بلا حصر، ولد بمكة المشرفة سنة (١٢٤٦هـ)، ثم بعد حفظه لكتاب الله تعالى اشتغل بطلب العلم الشريف ... وسطع نوره فأتقن، ثم درّس بالمسجد الحرام المكي، فنفع الخلائق، وعُرف بفضله الكامل اللائق، ومع ذلك مشتغل بالأسباب، كما هو شأن السلف الأنجاب، مع الجد والاجتهاد، فهو في مصالح المسلمين دائماً ...)) [٥].

وترجم زكريا بيلا للشيخ عبد القادر خوقير، فقال: ((الشيخ عبد القادر بن

---

(١) سيأتي التعريف بمؤلفات الشيخ في الفصل الرابع من هذا الباب.

(٢) زكريا بن عبد الله بن حسن بيلا، من المشتغلين بالعلم في مكة المكرمة، ترك عدة مؤلفات منها كتاب في التراجم بعنوان "الجواهر الحسان في تراجم الأعيان" في ثلاثة مجلدات بخطه، كانت وفاته سنة (١٤١٣هـ). انظر: "نثر الغرر" (ق٣١،٣٢)، "نشر الرياحين في تأريخ البلد الأمين" عاتق بن غيث البلادي. دار مكة. ط١. (١٤١٥هـ). (١/١٨٧-١٩٠)، " أعلام المكيين" (ص ١١٣٧).

(٣) "الجواهر الحسان في تراجم الأعيان" (ص٤٢٠). (نسخة يقوم أد. عبد الوهاب أبو سليمان بتحقيقها).

(٤) انظر: السابق، و"فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧١)، و"نثر الغرر"(ق١٧)، ومجلة المنار (٣١/٢٤٠)، ولم أقف على ترجمة مستقلة لمحمد عارف خوقير.

(٥) "نزهة الفكر فما مضى من الحوادث والعبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر". أحمد بن محمد الحضرواي المكي الهاشمي. تحقيق محمد المصري. منشورات دار الثقافة في الجمهورية السورية، دمشق. (١٩٩٦م). ترجمة رقم (٢٤٨) باختصار.

محمد علي خوقير، جد [أبي] بكر خوقير، ولد بمكة وطلب العلوم على يـد علمائهـا الكرام، ودرّس في المسجد الحرام، وكان حنفي المذهب، إلا أنه رغـب في أن يكـون أبناؤه وأبناء أبنائه يعتنقون المذاهب الأربعة، كما هو موضح في ترجمة الشيخ [أبي] بكر خوقير الحنبلي، ابن ابنه محمد عارف خوقير. وتوفي باسطنبول سنة (١٣٠٤هـ).

وسبب مبارحته لمكة هو أنه كان يجاهر بالنصيحة ولا يبالي بـذوي المناصـب الرفيعة ...)) [(١)].

كما أنه قد ورد ذكر الشيخ عبد القادر خوقير، ضمن خطباء ومفتيـي المقـام الحنفي بالحرم المكي لعام (١٣٠٣هـ)[(٢)].

وأسرة خوقير من البيوت المعروفة والمشهورة بمكة، وقـد عرفـت بالوجاهـة والثراء[(٣)]، وأصلهم من الهند. قال في الرحلة الحجازية : ((وإنا نذكر لك بعض البيوت القديمة التي توطنت مكة منذ زمن بعيد، وفيها كثير ممن اشتهر بالوجاهة والثروة، فمـن الهنود: بيت خوقير ...)) [(٤)]. على أن الشيخ –رحمه الله– لم يكن من أهـل الثـروة والمال، بل كان بسيط الحال، خاصة بعد ما تعرض له من العزل من الوظائف، والتضييق في المعيشة، كما سيأتي بيانه.

---

(١) "الجواهر الحسان" (ص٤٣٦).

(٢) "سالنامة الحجاز" لعام (١٣٠٣هـ) . (ص٧٢،٨٠).

"سالنامة الحجاز": نشرة سنوية تصدرها مطبعة الحكومة العثمانية بتركيا بخصوص موظفي ولاية الحجـاز وبعض الأخبار الرسمية. انظر: "تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام" (ص٤١٤).

(٣) "إفادة الأنام بأخبار البيت الحرام" عبد الله بن محمد بن غازي. (ق٧/٦٦٦).

(٤) "الرحلة الحجازية عام ١٣٢٧هـ". محمد لبيب البتنوني (ت١٣٥٧هـ). ط١. مطبعة مدرسـة والـدة عباس الأول. (ص٥٣). وانظر: "تحفة الأحباب باتصال الأنساب". عبد الستار الـدهلوي. (ق٢٥٥)، "تأريخ مكة". (ص٥٧٠).

وقد ذكر زكريا بيلا في ترجمته لأبي بكر خوقير أنه سأل عبد الله بن عبد القادر خوقير- عم الشيخ أبي بكر- عن مرجع نسبهم، فأجاب بأنه يرجع إلى أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، وأن جدهم نزح من مكة إلى الهند زمن الحجاج[١].

معنى كلمة "خوقير" وضبطها:

قال زكريا بيلا: ((وكلمة "خوقير" كلمة فارسية، ومعناها: مالك لطبيعته))[٢].

وسألت الشيخ د. وصي الله عباس – حفظه الله – عن كلمة "خوقير". فقال: الذي يظهر لي أن هذه الكلمة "خُوْقِير"[٣] حرفت عن أصلها، وهو "خُوقَرْ "[٤]، وهو اسم لقبيلة بالهند، من جهة كوجرات والبنجاب[٥].

أما لو كانت الكلمة باقية على أصلها "خُوْقِير" فإن معناها بالفارسية:

خُوْ: عادة[٦].

قِير: ماسك.

فيكون معناها: ماسك العادة.[٧]

---

(١) "الجواهر الحسان" (ص٤٢١)، وأفادني بهذه النسبة أيضاً د. سراج خوقير – ويلتقي مع الشيخ أبي بكر في الجد محمد علي خوقير – مشافهة بتاريخ (١٧/١/١٤٢٣هـ).

(٢) الجواهر الحسان (ص٤٢١).

(٣) خُوْقِير: بضم الخاء، وسكون الواو، وكسر القاف، وتنطق القاف كالجيم المعطشة.

(٤) خُوقَرْ : بضم الخاء ضمة ممالة إلى الفتحة، مثل النطق الفارسي لحرف الواو في "سيبويه"، وبفتح القاف.

(٥) في دائرة المعارف الإسلامية: كوجر: اسم لقوم يسكنون في شمال القارة الهندية. "دائر المعارف الإسلامية" (بلغة الأوردو). ط١. (١٣٩٨هـ). (٥٦٢/١٧).

(٦) في قاموس الفارسية، "خو": طبيعة. قاموس الفارسية. عبد المنعم محمد حسين. دار العلم للملايين. بيروت. (ص٢٤٣)، ولم أجد كلمة "قر".

(٧) كان سؤالي للشيخ وصي الله بتاريخ (٢٧/١١/١٤٢٢هـ).

أسرة الشيخ أبي بكر خوقير:

الشيخ أبو بكر خوقير ليس له ذرية باقية، ذلك أنه كان له ابنان: عبد القادر وحسن، وقد توفيا في حياته.

فابنه عبد القادر مات في السجن، كما أفاد بذلك الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله في ترجمته للشيخ أبي بكر خوقير، حيث قال: ((وحبس ولده الشيخ عبد القادر في سجن القبو – الذي هو شر من سجن الحجاج بن يوسف، وقد سبق وصفه في المنار– فمات فيه صبراً...)) [1].

وذكر زكريا بيلا أن عبد القادر بن الشيخ أبي بكر قد مات في السجن خنقاً[2].

وابنه الثاني حسن مرض ومات في الوقت الذي كان فيه الشيخ أبو بكر مسجوناً [3].

وللشيخ أبي بكر خوقير ثلاثة أعمام: عبد الرحمن، عبد الله، وصدّيق، ولوالده أعمام، ولهم ذرية موجودة [4].

---

(١) "مجلة المنار" (٣١/٢٤٠).

(٢) "الجواهر الحسان" (ص٤٢١).

(٣) "مكة في القرن الرابع عشر" (ص ٢٨٤).

(٤) انظر: "الجواهر الحسان" (ص ٤٢٢).

المبحث الثاني: مولده، وموطنه.

وُلد الشيخ أبو بكر خوقير بمكة المكرمة، ونشأ بها، وقد سبقت الإشارة إلى أن جده، عبد القادر، قد ولد بمكة، عام (١٢٤٦هـ)، فلا خلاف بين المصادر التي ترجمت للشيخ في كون ولادته بمكة، لكن ثم خلاف في تحديد تاريخ ولادته، هل هو (١٢٨٢) أو (١٢٨٤هـ) ؟

ولعل سبب الخلاف في تحديد تاريخ ولادته، يرجع إلى ما ذكره الشيخ عبد الستار الدهلوي(١) رحمه الله حيث قال في ترجمته للشيخ أبي بكر: ((وذاكرته مراراً عن ترجمته وعن سنة ولادته، فسكت، ثم أجابني وقال لي: اقبل على شأنك، وإني رويت بسندي إلى الإمام الشافعي، قال: سألت مالك بن أنس عن سِنّه، فقال: اقبل على شأنك، وقال: ليس من المروءة إخبار الرجل عن سنّه، إن كان صغيراً استحقروه، وإن كان كبيراً استهرموه)) (٢).

فلعل عدم إخبار الشيخ عن تاريخ ولادته هو سبب الاختلاف في تعيينه. ولعل الراجح في ذلك، ما ذكره الشيخ عبد الستار الدهلوي رحمه الله حيث قال عقب النقل السابق: ((وإني الآن سألت عمه الفاضل الشيخ صديق خوقير، فأفادني أنه ولد في (٢٦) ذي الحجة عام أربع وثمانين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية، بمكة، وتربى بها بين أهله وذويه وأقرانه ...)) (٢).

وممن وافق الدهلوي على هذا التاريخ: الشيخ عبد الله بن محمد بن غازي(٣)، في

---

(١) عبد الستار بن عبد الوهاب الدهلوي، من علماء المسجد الحرام، درس وأفاد، وله مكتبة كبيرة موجودة بمكتبة الحرم المكي. كانت وفاته سنة (١٣٥٥هـ). انظر: "نثر الغرر" (ق٤٠)، "قرة العينين" (ق٣١٣)، "سير وتراجم" (ص١٩٦).

(٢) "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧١).

(٣) عبد الله بن محمد بن غازي الهندي المكي، من علماء مكة المكرمة، وكان شديد التمسك بالسنة ومعادياً للبدع، كانت وفاته سنة (١٣٦٥هـ). انظر: "سير وتراجم" (ص٢٠٢)، "أعلام المكيين" (ص٧٠٤).

كتابه: "نثر الغرر في تذييل نظم الدرر في تراجم علماء مكة"[١]، والشيخ عثمان القاضي في كتابه: تاريخ حوادث نجد وملحقاتها[٢]، وقد اعتمدَت هذا التاريخ أكثر المصادر التي ترجمت للشيخ أبي بكر[٣].

أما الذين أرخوا لولادة الشيخ بعام (١٢٨٢هـ) فمنهم: الشيخ محمد الدمشقي[٤]، إذ قال في ترجمته للشيخ أبي بكر: ((المولود سنة ١٢٨٢هـ تقريباً))، وكذلك أثبتها في معجم المؤلفين[٥].

وذكر الشيخ بكر أبو زيد –حفظه الله- كلا التأريخين، ولم يرجح. فقال: ولد في (١٢٨٢) أو (١٢٨٤)[٦].

والذي يظهر رجحان القول بتحديد ولادته بعام (١٢٨٤) لقرب مصدر الإفادة من الشيخ، إذ هو عمه، ولأنه جاء تحديد التاريخ على وجه التفصيل بذكر اليوم والشهر.

وأيّاً ما كان، فالفرق يسير، ولا يترتب عليه كبير فائدة، فالثابت أن الشيخ ولد بمكة، في حدود عام (١٢٨٤هـ)، ونشأ بها بين أهله وذويه.

---

(١) "نثر الغرر" (ق١٧).

(٢) "تاريخ حوادث نجد" (ص٢٧).

(٣) انظر: "سير وتراجم" (ص٢٢)، "مشاهير علماء نجد" (ص٣٠٠)، "الجواهر الحسان" (ص٤٢٠)، "أعلام المكيين" (ص٤١٥).

(٤) محمد منير بن عبده آغا النقلي الدمشقي، درس بالأزهر وأصبح من علمائه، أنشأ المطبعة المنيرية واهتم بنشر كتب السلف، كانت وفاته سنة (١٣٦٧هـ). انظر: "تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر" محمد مطيع حافظ ونزار أباظة. دار الفكر. ط١. (١٤٠٦هـ).(٢٠٣/٣)، "معجم المؤلفين" (٧٣٦/٤).

(٥) "معجم المؤلفين" (٧٣/٣).

(٦) "علماء الحنابلة" ترجمة رقم (٣٨٥٥).

المبحث الثالث: صفاته الخُلقية.

كان الشيخ أبو بكر خوقير – رحمه الله– على صفة العلماء في هديـه ودلّـه وخلقه، مذكـراً بالله في قوله وعمله وسمته، نشأ نشأة علمية، واشتغل بالعلم وطلبه منذ صغره، فظهر نور العلم في سيرته، ودل صلاح حاله على صفاء سريرته، وقد قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[1].

قال زكريا بيلا في ترجمته للشيخ: ((وإني رأيته يرتدي جُبّة، وعمامة، كعلمـاء زمانه، يدّرس عند باب المحكمة، وجلست عنده أستمع إليه ...))[2].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا: ((وقد جلست إليه في مكتبته في باب السـلام، غير مرة، وكان مهذباً رقيق الطبع، حسن المعاشرة، على شدته في دينه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، حتى إن مجلسه لا يخلو من دعابة ما في المفاكهة، ونكت أدبية وتاريخية ...))[3].

---

(١) سورة "فاطر"، آية رقم: (٢٨).

(٢) "الجواهر الحسان" (ص٤٢١).

(٣) "مجلة المنار" (٣١/٢٤٠).

المبحث الرابع: وفاته.

اتفقت المصادر التي ترجمت للشيخ على أن وفاته كانت سنة (١٣٤٩هـ)(١)، وكانت بعض المصادر أكثر تحديداً، فذكرت أن وفاته في يوم الجمعة، غرة ربيع الأول(٢).

واتفقت المصادر على أن وفاته كانت بالطائف(٣)، وخالف في ذلك عبد الله بن غازي، حيث قال: ((وكانت وفاته بمكة، ودفن بالمعلاة)) (٤)، والصواب أن وفاته كانت بالطائف.

وكانت وفاته رحمه الله عن عمر يناهز الخامسة والستين، إثر إصابته بمرض الزُّحار(٥)، وهو داء يصيب البطن(٦). وقد عد النبي ﷺ المبطون من الشهداء، كما جاء في الحديث: (الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله)(٧)، فنرجو له أجر الشهادة.

رحم الله الشيخ رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

---

(١) انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق ٢٧٦/٣)، "تاريخ حوادث نجد وملحقاتها" (ص٢٧)، "علماء الحنابلة" رقم (٣٨٥٥).

(٢) انظر: "مجلة المنار" (٣٢٠/٣١)، "نموذج من الأعمال الخيرية" (ص١٠١).

(٣) انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق٢٧٦/٣)، "الجواهر الحسان" (ص٤٢١)، "سير وتراجم" (ص٢٤)، "مجلة المنار" (٣٢٠/٣١).

(٤) "نثر الغرر" (ق١٧)، وقام الشيخ محمد نصيف – رحمه الله- بتصحيح هذه الجملة على هامش المخطوط، فكتب: "بالطائف، ودفن بمقبرتها".

(٥) انظر: "سير وتراجم" (ص٢٤)، "مجلة المنار" (٣٢٠/٣١).

(٦) مرض الزحار: استطلاق البطن بشدة، يُمشِّي دماً ويسبب ألماً، وتقابله الآن لفظة "ديسنتاريا". (القاموس المحيط، والمنجد. مادة: زحر).

(٧) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ : أخرجه البخاري: كتاب الجماعة والإمام، باب فضل التهجير إلى الظهر (٢٣٣/١/ح٦٢٤)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء (١٥٢١/٣/ح١٩١٤). والمبطون: الذي يموت بداء البطن، وهو الإسهال وغيره. انظر: "النهاية" (١٣٦/١)، "شرح مسلم" (٦٢/١٣).

الفصل الثالث

حياة الشيخ أبي بكر خوقير العلمية

المبحث الأول: طلبه العلم، ورحلاته.

المبحث الثاني: شيوخه، وأسانيده.

المبحث الثالث: تلاميذه.

المبحث الرابع: مكانته العلمية.

المبحث الخامس: مذهبه الفقهي.

المبحث السادس: وظائفه.

المبحث السابع: دعوته الإصلاحية، والمؤلفات في الرد عليه.

المبحث الثامن: محنته.

المبحث الأول: طلبه العلم، ورحلاته.

اهتم الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله بطلب العلم منذ صغره، وأعانه على ذلك الجو العلمي الذي نشأ فيه، فوالده من أئمة المقام الحنفي، وجده من علماء المذهب، كما أنه في بلد الله الحرام، حيث يكثر العلماء ويتوافدون من مختلف الأقطار، فسهلت له هذه الظروف الإقبال على طلب العلم بعد توفيق الله، كما أنه لم يكتف بمن لاقى من العلماء بمكة المحروسة، بل رحل في طلب العلم، وأخذ عن كثير من العلماء الأجلاء خارجها، هذا مع عكوفه على كتب السلف، وشغفه بالاستفادة منها، وإدامة النظر فيها، فجمع وحصل واستفاد، ونفع الله بعلمه الكثير من العباد.

قال عنه الشيخ عبد الستار الدهلوي رحمه الله: ((... وقرأ القرآن وجوّده، واشتغل بطلب العلوم من صغره، وكان مشغوفاً بعلم الحديث، حتى أدرك كبار أهل عصره من أهل بلده، وارتحل إلى البلدان الشاسعة، وأخذ عن أفاضلها ...))[(١)].

وقال الشيخ عبد الستار رحمه الله : ((كنت أجتمع به كثيراً في أيام المرحوم شيخنا القاضي أحمد بن إبراهيم بن عيسى[(٢)]، حين كان مقيماً بداره، وبباب السلام، وبمنزل صديقنا العلامة الهمام الشيخ محمد صالح الميمني، بالشامية، وكان المرحوم مقرئاً لنا، حين اجتماعنا وقراءتنا لمسند الإمام المبجل أحمد بن محمد بن حنبل ...)) [(٣)].

وقد كان الشيخ أبو بكر خوقير مهتماً بتفسير كتاب الله، عالماً بمعانيه، منكراً على من يخوض في تفسيره بغير علم[(٤)].

---

(١) "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٢).

(٢) تأتي ترجمته ضمن شيوخ الشيخ أبي بكر خوقير.

(٣) "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧١).

(٤) وقد اعترض على محرر جريدة القبلة لخوضه في تفسير القرآن بغير علم."مجلة المنار" (٣١/٢٤٠).

ومن أخذ عنهم هذا العلم الجليل: الشيخ عبد الرحمن سراج[١]، مفتي مكة. قال الشيخ أبو بكر: ((حظيت بمذاكرته ليالي كثيرة، وحضرت دروسه في التفسير[٢]، وله فيه طريقة عجيبة: يتكلم على الآية إملاء عن ظهر قلب، بتقرير خمسة وجوه:

الأول: في سبب نزولها، والثاني: في ارتباطها مع ما قبلها بأنواع المناسبات، والثالث: في إعرابها، والرابع: في معناها وما اشتمل عليه من أنواع البلاغة، والخامس: فيما يؤخذ منها من الأحكام والاعتبار)) [٣].

وقد قرأ الشيخ أبو بكر رحمه الله على مشايخه في فنون عدة، فمن ذلك، قراءته على الشيخ القاضي أحمد بن عيسى رحمه الله تعالى، قال الشيخ أبو بكر: ((قرأت عليه في علم التوحيد، والفقه الحنبلي، وسمعت منه شرحه على النونية لابن القيم، في مجلدين، وكتابه تنبيه النبيه والغبي، المطبوع في مصر...)) [٤].

وقال الشيخ أبو بكر: ((وأما شيخنا المولوي محمد الأنصاري السهارنفوري ثم المكي[٥] ... فقد قرأت عليه أكثر صحيح البخاري، بمترله)) [٦].

وقد قرأ الشيخ أبو بكر خوقير على جده الشيخ عبد القادر بن محمد علي خوقير رحمه الله، قال: ((قرأت عليه أكثر الشفا، للقاضي عياض، بشرح الملا علي القاري، وشرح النخبة لابن حجر)) [٧].

---

(١) تأتي ترجمته ضمن شيوخ الشيخ أبي بكر خوقير.

(٢) قال الشيخ الدهلوي في الهامش: (خلف المقام الحنفي). "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٤).

(٣) "ثبت الأثبات الشهيرة" (ق٩أ)، و"فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٤).

(٤) "ثبت الأثبات الشهيرة" (ق٥ب).

(٥) تأتي ترجمته ضمن شيوخ الشيخ أبي بكر خوقير.

(٦) "ثبت الأثبات الشهيرة" (ق٨أ).

(٧) نفسه (ق٩أ).

وقال الشيخ أبو بكر خوقير : ((وقد قرأت على كثير من المكيين، من علماء الحرم الشريف، وأجازني بعضهم ...)) [١].

رحلاته:

من خلال ما ذكره الشيخ في ثبته، تتبين بعض رحلاته، فمن ذلك:

١- رحلاته إلى الهند، وأخذه عن بعض العلماء: بدهلي، عام (١٣٠٧هـ)[٢]، وهوبال، عام (١٣١٢هـ)[٣]، وبوفال، عام (١٣١٧هـ)[٤].

كما أن الشيخ كان موجوداً بالهند عام (١٣١١هـ)، حيث قام بتصحيح الطبعة الحجرية لكتاب "أوجز السير لخير البشر" لابن فارس، إذ كُتب في حاشية المقدمة: ((قام بتصحيحه على الوجه الأتم في بمبيء في شهر رجب الأصم سنة (١٣١١هـ) بقلم العبد الحقير أبي بكر بن محمد خوقير المكي الكتبي الحنبلي السلفي عامله الله بلطفه الخفي))[٥].

وكان الشيخ يجلب بعض كتب السلف المطبوعة بالهند، وينشرها في مكة المكرمة، كما أنه ينتهز الفرصة فيتلقى عن علماء الهند[٦].

٢- رحلاته إلى مصر، حيث التقى ببعض علمائها، وأخذ عن بعض أجلائها،

---

(١)"ثبت الأثبات الشهيرة" (ق٩أ،ب).

(٢) انظر: "ثبت الأثبات الشهيرة" (ق٦ب).

(٣) انظر: "ثبت الأثبات الشهيرة" (ق٣ب).

(٤) انظر: "ثبت الأثبات الشهيرة" (ق٨ب).

(٥) "أوجز السير لخير البشر المنقول من الخط القديم المنور برواية أهل الأثر والنقل المعتبر عن الإمام أبي الحسين أحمد بن فارس". ط.بمبيء (١٣١١). (ص١).

(٦) انظر: "مشاهير علماء نجد" (ص٤٣٧).

كما قام بطباعة كتابه "مالا بد منه" .

قال الشيخ — في خاتمة الطبع - :((فقد تم طبع القسم الأول من كتاب "مالا بد منه في أمور الدين"، في غاية التصحيح والتحسين، بالمقابلة على الأصل الذي بخطي، وإعادة نظري إليه، حين وصولي إلى مصر المحروسة، لتمضية شهري الصيف (الأسد والسنبلة) مدة التعطيل للدروس عندنا في الحرم المكي... وحرر هذا عند انتهاء الطبع، في (٢٠) من شهر شوال، من عامنا هذا ألف وثلاثمائة واثنين وثلاثين من هجرة سيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين)) [١].

ويلي خاتمة الطبع، صور لتقاريظ بعض علماء الأزهر الشريف على الكتاب، جاء في بعضها: ((فلما وفد على مصر المحروسة [عام] (١٣٣٢هـ) الفاضل العلامة والحبر البحر الفهامة الأستاذ الشيخ أبو بكر خوقير المدرس بالحرم الشريف المكي ...)) [٢].

وقد كانت للشيخ رحلة إلى مصر، قبل عام (١٣٢١هـ) أخذ فيها عن بعض علماء الأزهر، منهم الشيخ يوسف البرقاوي[٣].

مطالعته:

كان الشيخ أبو بكر خوقير حريصاً على الجانبين في طلب العلم: التلقي عن العلماء، والاستفادة من التراث العلمي المسطور، وأعانه في هذا الجانب، اشتغاله بتجارة الكتب، وقيامه بنسخ بعضها، وقد كانت لديه مكتبة يبيع بها الكتب بمكة، بباب السلام[٤].

---

(١) "مالا بد منه" مطبعة التمدن. مصر. (١٣٣٢هـ). (ص٨٠).

(٢) السابق (ص٨١-٨٦).

(٣) تأتي ترجمته، في مبحث شيوخ الشيخ أبي بكر خوقير.

(٤) انظر: "مجلة المنار" (٣١/٢٤٠)، و"نثر الغرر" (ق١٧)، و"قرة العين" (ق١٩/١).

قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: ((وكان -رحمه الله- قد اعتاد الاتجار بالكتب، منذ عزله الشريف عون الرفيق من وظائف الحرم الشريف[١] ... وكان يدعو للشريف عون بالرحمة، لإلجائه إلى تجارة الكتب التي تعينه على العلم، فكان يسافر إلى الهند، يحمل إليها من مطبوعات مصر ومكة، ويعود منها ببعض مطبوعاتها))[٢].

وقد أولى الشيخ أبو بكرخوقير كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله اهتماماً خاصاً، واعتنى بالاستفادة منها، فاستقى من معينها، وارتوى من مشربها، وعكس ضياءها وسناها في تآليفه، وظهر أثرها في شخصيته ودعوته.

وقد أثنى على مؤلفات الشيخين، وعدها عمدة المستفيدين، وذخر الطالبين، حيث قال - في سياق ثنائه على دعاة التوحيد من أهل نجد- :((ومن نظر في كتبهم، عرف ما يفتريه الناس في حقهم، وأن مرجعهم في الأحكام والاعتقاد: إلى كتب السنة، والتفسير، ومذهب الإمام أحمد، وطريقة الشيخين: ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم. فلهما الفضل على جميع الناس في هذا الباب، كما يعترف بذلك أولوا الألباب، وهذه كتبهما قد نشرها الطبع، فنطقت بالحق وقبلها الطبع. فمن أراد الاحتياط ورام التحري والوقوف على الحقيقة، فلينظر فيها، وفي كلام من انتقد عليهما من المعاصرين لهما، وليحاكم بينهم بما وصل إليه من الدليل المحسوس والبرهان، وما صدّقه الضمير والوجدان، فإن الزمان قد ارتقى بالإنسان كما يقتضيه الرقي الطبيعي، فمزق عنه حجب الاستبداد، وفك عنه قيود الاستعباد، ورجع به إلى الحكم بما في الصدر الأول والطبع العربي، ولقد تنازل في المحاكمة من يحاكم إلى غير الأقران، والمعاصرين في الزمان))[٣].

---

(١) كان ذلك عام (١٣١٤هـ). انظر: "تأريخ مكة" (ص٥٥٢).

(٢) "مجلة المنار" (٣١/٢٤٠).

(٣) "فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال" (ص٦٩، ٧٠).

ومما دعا الشيخ للاهتمام بكتب شيخ الإسلام وتلميذه، توجهه للتفقه في المذهب الحنبلي(١)، ولا تخفى مترلة الشيخين فيما هنالك، عقيدةً وفقهاً وفتوى.

وكان الشيخ أبو بكر خوقير يوصي بقراءة كتب الحديث، سيما الكتب الستة، ويقول: ((فإنها مخدومة بالشروح والحواشي ... وأنفعها صحيح البخاري، ولقد جربت بركة قراءته رواية، وعرفت شرح الحديث بعضه ببعض من تراجمه وتكريره في أبوابه، كما استفدت من قراءة مسند الإمام أحمد بن حنبل، رواية(٢)، مع مراجعة الغريب، وضبط اللفظ، في مثل النهاية، لابن الأثير، ومجمع النحاس، والقاموس. فقراءة تلك الكتب تورث الخشية التي هي العلم النافع المورث عنه صلى الله عليه وسلم، مما كان عليه هو وأصحابه، فقد اشتملت على هديه، ومغازيه، وأخباره، وبعوثه، وتفسير القرآن، بذكر أسباب نزوله وغيرها، وذكر الرقائق، والجنة والنار، وأحوال القيامة ...)).

ويقول: ((ويكفي طالب العلم والفقه المبتدئ، قراءة بلوغ المرام، وعمدة الحديث. والطالب المنتهي: المشكوة، والمنتقى، والتلخيص، لابن حجر، فإنها جمعت ما في الكتب الصحاح، مع بيان الصحيح من السقيم)) (٣).

---

(١) "مجلة المنار" (٣١/٢٤٠)، و"نموذج من الأعمال الخيرية" (ص ٩٨)، و"الجواهر الحسان" (ص٤٢١).

(٢) كُتب في الهامش: (كان ذلك في مترل الشيخ محمد صالح الميمني، الصديق الفاضل الشهير بالشامية، رحمه الله آمين). (ق١٣أ).

(٣) "ثبت الأثبات الشهيرة" (ق١٣أ،١٣ب)، و"فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٦).

المبحث الثاني: شيوخه، وأسانيده.

اهتم الشيخ أبو بكر –رحمه الله– بالتلقي عن علماء عصره، فأخذ عن جملة من علماء البلد الحرام، كما رحل في طلب العلم، وتتلمذ على عدد من علماء الأمصار.

وقد كتب الشيخ ثبَتاً، سماه: "ثبَت الأثبات الشهيرة"[(١)]، ذكر فيه مشايخه وأسانيده، وقال رحمه الله: ((رويت عن مشايخ معمرين مشهورين بعلو الإسناد...))[(٢)]، ثم ذكرهم.

كذلك الذين ترجموا للشيخ، قد ذكروا عدداً من مشايخه، وإن كان اعتماد بعضهم على ما كتبه الشيخ في ثبته، على ما ظهر لي.

ومما وقفت عليه من شيوخه ما يلي:

* المطلب الأول: شيوخه.

١- الشيخ حسين بن محسن الأنصاري[(٣)] –رحمه الله– :

هو المحدث الجليل، والفقيه النبيل، المفسر القاضي أبو محمد حسين بن محسن ابن محمد الأنصاري الخزرجي السعدي اليماني.

---

(١) يأتي التعريف به، في الفصل الرابع الخاص بمؤلفات الشيخ.

(٢) "ثبت الأثبات الشهيرة" (ق٣أ).

(٣) مصادر ترجمته: "فيض الملك المتعالي" (ق١/١١٨، ١١٩)، و"هجر العلم ومعاقله في اليمن". القاضي إسماعيل ابن علي الأكوع. دار الفكر. دمشق. ط١. (١٤١٦هـ). (١٩٣٣/٤، ١٩٣٤)، وتعريف صفي الرحمن المباركفوري للمترجم من مقدمة كتابه: "البيان المكمل في تحقيق الشاذ والمعلل". لحسين بن محسن الأنصاري. اعتنى به سعد بن عبد الله بن سعد السعدان. دار العاصمة. الرياض. ط١. (١٤١٧هـ). (ص٧-٩)، و"الأعلام" (٢٥٣/٢)، وأحال على: "أئمة اليمن"، "سيرة المنصور" (١١٩)، و"الأزهرية" (٣٢٣/١).

ولد ببلدة الحديدة عام (١٢٢٥هـ)، ونشأ بها وأتم القرآن، ثم ارتحل في طلب العلم، فدرس العربية والحديث والتفسير والفقه على السيد حسن بن عبد الباري الأهدل[١]، ثم قرأ الأمهات الست وغيرها على العلامة المفتي سليمان بن محمد بن عبد الرحمن الأهدل[٢]، وعلى أبيه محمد بن عبد الرحمن الأهدل[٣]، ومن كبار شيوخه: الحافظ الشريف محمد بن ناصر الحازمي[٤].

تولى القضاء، وسافر إلى الهند عدة مرات ثم توطنها، وقد درس وأفاد في الهند وفي اليمن، وتتلمذ عليه كثيرون، منهم: محمد صديق حسن خان، والمحدث محمد بشير السهسواني، والمحدث شمس الحق العظيم آبادي، والمحدث أبو العلي عبد الرحمن المباركفوري وغيرهم.

قال الشيخ أبو بكر -رحمه الله-: ((الشيخ حسين بن محسن الأنصاري، المحدث الشهير، شرف الدين السعدي الخزرجي اليماني، لقيته في سياحتي في الهند في

---

(١) الشيخ حسن بن عبد الباري الأهدل، من علماء القرن الثالث عشر، له "إرشاد المريدين"، مخطوط بمكتبة الحرم المكي برقم (٣٧٧٥)، وله "حط اليواقيت في المذاري والمواقيت".
انظر: هجر العلم (ص٢٠١٧).

(٢) الشيخ سليمان بن محمد بن عبد الرحمن الأهدل، من علماء اليمن، انقطع للتدريس والإفتاء في زبيد، وصار مفتيها، اجتمع له كتب كثيرة، وتوفي عام (١٣٠٤هـ). انظر: "هجر العلم" (ص٢٠١٦).

(٣) الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن سليمان الأهدل الزبيدي الحسني، قام بوظيفة الفتوى، وكان في غاية من الزهد والتقشف، عاكفاً على العبادة،. مات سنة (١٢٦٠هـ) رحمه الله.
انظر: "نيل الوطر في تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر". محمد بن حمد بن يحيى زبارة الحسني. ط١. المطبعة السلفية. القاهرة. (١٣٤٨هـ). (ص٢/٢٨٣)، و"هجر العلم" (ص٢٠٢٠).

(٤) الشيخ المحدث محمد بن ناصر الحازمي الحسني التهامي الضمدي، نشأ ببلدته "ضمد"، وأخذ عن علمائها وغيرهم، كان محققاً متفنناً، كانت له اليد الطولى في علم الحديث، كان عديم النظير في وقته، مات سنة (١٢٨٣هـ) رحمه الله.
انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق٣/١٧٨)، و"نيل الوطر" (ص٣٢٢)، و"الأعلام" (١٢٢/٧).

بهوبال، سنة (١٣١٢هـ)، فأول ما سمعته منه الحديث المسلسل بالأولية، وقرأت عليه أوائل الكتب الحديثية، للعلامة محمد سعيد سنبل المكي، وأجازني بها كما يرويها قراءة وإجازة عن شيخه العلامة المحدث الشريف محمد بن ناصر الحازمي اليماني الحسني ...))[١].

وقد عده من شيوخ الشيخ أبي بكر كل من: الشيخ عبد الستار الدهلوي[٢]، والشيخ عبد الله بن غازي[٣]، والشيخ محمد ياسين الفاداني[٤].

وكانت وفاته سنة (١٣٢٧هـ) رحمه الله.

٢- القاضي أحمد بن إبراهيم بن عيسى[٥] -رحمه الله-:

هو العالم الجليل الشيخ أحمد بن إبراهيم بن حمد بن عيسى، ولد في مدينة شقراء عام (١٢٥٣هـ) وتربى في بيت علم وشرف، وحفظ القرآن على والده العلامة إبراهيم بن عيسى[٦]، وقرأ عليه ولازمه، ومن أبرز مشايخه: العلامة عبد الله بن

---

(١) انظر: "ثبت الأثبات الشهيرة" (ق٣أ-٥أ)، و"فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧١).

(٢) انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٥).

(٣) انظر: "نثر الغرر" (ق١٧).

(٤) انظر: "قرة العين" (ق١/١٩)، وستأتي ترجمة الفاداني ضمن تلامذة الشيخ أبي بكر.

(٥) مصادر الترجمة: "علماء نجد للبسام" (١/١٥٥-١٦٢)، و"روضة الناظرين" (١/٦٧-٧٠)، و"مصطلحات الفقه الحنبلي" (٢٤٦)، و"معجم المؤلفين" (١/١٤١)، و"الإضافات على النعت الأكمل" (٣٩٩-٤٠٠)، و"فهرس الفهارس" (١٢٥)، و"أعلام المكيين" (٢١٣،٢١٤).

(٦) الشيخ إبراهيم بن حمد بن عيسى، العالم الفاضل الفقيه، نبغ في علوم عديدة، خصوصاً فقه الحنابلة. وقد ولي قضاء الوشم. توفي عام (١٢٨١هـ).

انظر: "علماء نجد" (١٠٧-١٠٨)، و"روضة الناظرين" (١/٣٦،٣٧).

عبد الرحمن أبابطين[1]، وقد ارتحل في طلب العلم.

وسكن مكة بعد حجه عام (١٣٠٦هـ)، وقرأ على علمائها، ومن أشهر شيوخه فيها: الشيخ حسين بن محسن الأنصاري، والشيخ محمد بن سليمان حسب الله[2]، وتاجر ببيع الأقمشة بمكة، وكان مثالاً لحسن التعامل والأمانة.

وجلس في المسجد الحرام للتدريس، والتف حوله الكثير من الطلبة، وكان حسن التعليم، واسع الاطلاع، غزير الفوائد والمعارف.

قال الشيخ أبو بكر -رحمه الله-: ((وأما شيخنا القاضي أحمد بن عيسى، فقد جاور بمكة المشرفة أعواماً طويلة، ثم رجع إلى نجد، فولي قضاء المجمعة، وتوفي بها سنة (١٣٣٨هـ)[3] وعمره نحو الثمانين. وقرأت عليه في علم التوحيد، والفقه الحنبلي، وسمعت منه شرحه على النونية لابن القيم، في مجلدين، وكتابه تنبيه النبيه والغبي، المطبوع في مصر، الذي يدل على سعة اطلاعه، وله مؤلفات أخرى، نسخها بخطه الحسن، نحو ثمانين جزءاً، كما أخبرني بذلك ورأيت بعضها ... وكان -رحمه الله- حسن المحاضرة، دمث الأخلاق، كثير الحفظ والسكوت، لا يتكلم إلا عن علم، وكتب لي بخطه الحسن إجازة

---

(١) الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز، الملقب كآبائه بأبي بُطَين، العالم الجليل مفتي نجد، عين قاضياً في عدة مناطق، واشتغل بالإفتاء والتدريس، وتخرج عليه عدد من العلماء، وله مؤلفات وردود. توفي رحمه الله عام (١٢٧٢هـ). انظر: "أزهار البستان في طبقات الأعيان". عبد الستار الدهلوي (ق٣٢٤)، و"علماء نجد" (٥٦٧-٥٧٥)، و"روضة الناظرين" (١/٣٣١-٣٣٥).

(٢) الشيخ محمد بن سليمان بن حسب الله الشافعي المكي، تصدر للتدريس بالمسجد الحرام، وأخذ عنه جمع كثير، وكذا درس بالمسجد النبوي. وقد كان متمكناً في التفسير والفقه كانت وفاته بمكة، عام (١٣٣٥هـ).

انظر: "أزهار البستان" (ق٣١٢)، و"نظم الدرر" (ق٢١٠)، و"سير وتراجم" (ص٢٩٩)، و"أعلام المكيين" (٣٧١،٣٧٢).

(٣) لعلها خطأ في النسخ، لأن وفاته (١٣٢٨هـ).

مطولة، كما أجاز كثيراً من فضلاء الهند وغيرهم...)) [١].

وقد عده من شيوخ الشيخ أبي بكر،كل من: الشيخ عبد الستار الدهلوي[٢]، والشيخ عبد الله بن غازي[٣]، والشيخ البسام[٤]، والشيخ محمد ياسين الفاداني[٥].

وكانت وفاته –رحمه الله– سنة (١٣٢٨هـ).

٣- الشيخ محمد نذير حسين[٦] –رحمه الله– :

العالم الرحالة المحدث محمد نذير حسين الدهلوي الحسيني، ولد سنة (١٢٢٠هـ) أو (١٢٢٥هـ) بالهند، ونشأ بها وتعلم الخط، ثم سافر في طلب العلم، والتقى بشيوخ أجلاء، منهم العلامة جلال الدين الهروي[٧]، وأخذ الأصول والبلاغة والتفسير عن الشيخ كرامة العلي الدهلوي[٨]، ولازم دروس الشيخ المسند إسحاق بن

---

(١) انظر: "ثبت الأثبات الشهيرة" (ق٥ب-٦ب)، و"فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٢).

(٢) انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٥).

(٣) انظر: "نثر الغرر" (ق١٧).

(٤) انظر: "علماء نجد" (١/١٥٩).

(٥) انظر: "قرة العين" (ق١/٢٠).

(٦) مصادر ترجمته: "نهاية الرسوخ في تراجم الشيوخ". لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، نقلاً عن مقدمة عون المعبود.دار الكتب العلمية. بيروت. ط١. (١٤١٠هـ) ، و"الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام" (ص١٣٩١-١٣٩٣)، و"الوجازة في الإجازة" (ص٢٨) وما بعدها.

(٧) الشيخ جلال الدين الهروي ثم الدهلوي، أحد العلماء المبرزين في المنطق، أصله من بلدة "هرات" وقدم الهند في صباه وأخذ عن علمائها، واشتغل بالتدريس، مات وعمره اثنان وسبعون سنة في بلدة "دهلي". انظر: "الإعلام بمن في تاريخ الهند" (ص٩٤٥،٩٤٦).

(٨) الشيخ المحدث كرامة العلي بن حياة علي الإسرائيلي الدهلوي، كان من كبار علماء الهند، ولد ونشأ بدهلي، وقرأ علي علمائها، ثم سافر إلى حيد آباد فولي القضاء، واشتغل بالتدريس. مات سنة (١٢٧٧) بحيدرآباد. انظر: "الإعلام" (ص١٠٧٣).

محمد أفضل العمري الدهلوي[١]، وأجازه.

وتصدر للتدريس والإفتاء، ودرس في كل علم وفن، لاسيما الأصول والفقه، وكان له ولع بالفقه الحنفي، ثم غلب عليه حب الكتاب والسنة، فترك اشتغاله بما سواهما، إلا الفقه.

قال الشيخ أبو بكر : ((وأما شيخنا السيد نذير حسين، عالم دهلي، المحدث الشهير، فقد لقيته بدهلي، سنة (١٣٠٧هـ) وقرأت عليه أوائل الكتب الحديثية الستة، في الجامع الذي يدرس فيه، وكتب لي إجازة عامة)) [٢].

وقد عده من شيوخ الشيخ أبي بكر،كل من: الشيخ عبد الستار الدهلوي[٣]، والشيخ عبد الله بن غازي[٤]، والشيخ محمد ياسين الفاداني[٥].

وكانت وفاته -رحمه الله- عام (١٣٢٠هـ) ببلدة دهلي.

٤- الشيخ محمد بن خليل القاوقجي الطرابلسي[٦] -رحمه الله- :

---

(١) الشيخ إسحاق بن محمد أفضل العمري، أبو سليمان الدهلوي، عالم فقيه محدث، قدم مكة وجاور بها، وأخذ عن علمائها، ثم تصدر للتدريس بالمسجد الحرام. كانت وفاته بمكة عام (١٢٦٢هـ) رحمه الله.
انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق١/٥،٦)، و"نظم الدرر" (ق١١٥) و"أعلام المكيين" (ص٤٣٨).

(٢) انظر: "ثبت الأثبات" (ق٦ب-٨أ)، و"فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٣).

(٣) انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٣).

(٤) انظر: "نثر الغرر" (ق١٧).

(٥) انظر: "قرة العين" (ق١/٢٠).

(٦) مصادر ترجمته: "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧،٢٨)، و"الأعلام" (٦/١١٨)، و"فهرس الفهارس" (ص١/١٠٤-١٠٦)، و"نشر الرياحين في تأريخ البلد الأمين". عاتق بن غيث البلادي. دار مكة. ط١. (١٤١٥هـ). (ص٥٩٥،٥٩٦)، و"الأعلام الشرقية في المائة الرابعة الهجرية". زكي محمد مجاهد. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط٢. (١٩٩٤). (ص٥٨٤-٥٨٨).

هو السيد محمد بن خليل بن إبراهيم القاوقجي الطرابلسي، المحدث الفقيه الحنفي، الصوفي.

ولد سنة (١٢٢٤هـ)، في مدينة طرابلس الشام، ولما بلغ أربع سنين بدأ في تعلم القرآن الكريم، فقرأ وهو ابن ست سنين، وتلقى مبادئ العلم في بلده، ثم هاجر إلى مصر، وعمره خمس عشرة سنة، والتحق بالأزهر، وأقام بها (٢٧) عاماً يتلقى الدروس على علمائها، وتفقه في المذهب الحنفي، وصار من أئمة المذهب.

قال الشيخ أبو بكر –رحمه الله– : ((وأما شيخنا أبو المحاسن السيد محمد بن خليل القاوقجي الطرابلسي، المعمر الشهير، فقد لقيته بمكة المشرفة، حين ورد إليها حاجاً، سنة (١٣٠٥هـ)، وتوفي بها في الحج. زرته مع جماعة من أصحابي في داره، فأسمعنا الحديث المسلسل بالأولوية، وهو أول ما سمعناه منه، قال: حدثنا شيخنا الشيخ محمد عابد السندي[١]، وهو أول حديث سمعته منه، إلخ ... ، وقد أجازني مع من حضر إجازة عامة، وله ثبت معروف ومسلسلات)) [٢].

وقد عده من شيوخ الشيخ أبي بكر،كل من: الشيخ عبد الستار الدهلوي[٣]، والشيخ عبد الله بن غازي[٤]، والشيخ محمد ياسين الفاداني[٥].

---

(١) الشيخ الإمام المحدث الفقيه: محمد عابد بن أحمد علي بن محمد مراد بن يعقوب الحافظ الأنصاري، هاجر مع جده إلى أرض العرب، قرأ على علماء اليمن، وسافر إلى مصر، وأقام بالمدينة، وقد أوذي وسجن باليمن، ثم عاد إلى المدينة وولي رئاسة علمائها. كانت وفاته رحمه الله بالمدينة عام (١٢٥٧هـ).

انظر: "الإعلام بمن في تاريخ الهند" (ص١٠٩٦–١٠٩٨).

(٢) انظر: "ثبت الأثبات الشهيرة" (ق٨أ)، و"فيض الملك المتعالي" (٣/٢٧٣).

(٣) انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٣).

(٤) انظر: "نثر الغرر" (ق١٧).

(٥) انظر: "قرة العين" (ق١/١٩).

كانت وفاته -رحمه الله- عام (١٣٠٥هـ)، بمكة المكرمة بعد أدائه للحج.

٥- الشيخ محمد الأنصاري السهارنفوري(١) -رحمه الله- :

الشيخ العالم المحدث المسند محمد بن عبد الرحمن الأنصاري السهارنفوري، كان من كبار المحدثين، ولد ونشأ ببلدة "سهارنفور" نحو عام (١٢٢٠هـ)، وسافر إلى "دهلي" في صباه، فلازم الشيخ نصير الدين المجاهد(٢)، وقرأ عليه وعلى الشيخ إسحاق ابن محمد أفضل العمري الدهلوي، وغيرهم.

ارتحل إلى مكة المباركة، وله اثنتان وعشرون سنة، فلازم الشيخ عبد الله سراج الحنفي المكي(٣)، وقرأ عليه صحيح البخاري في عشر سنين. ثم لما نزل بمكة الشيخ إسحاق الدهلوي، قرأ عليه الصحاح الستة كلها.

تصدى للتدريس بالمسجد الحرام، وكانت أكثر دروسه في الحديث.

قال الشيخ أبو بكر : ((وأما شيخنا المولوي، محمد الأنصاري السهارنفوري، ثم المكي، الرجل المعمر البركة، فقد قرأت عليه أكثر صحيح البخاري بمترله، وهو يروي عن الشيخ محمد إسحاق الدهلوي، وعن الشيخ عبد الله سراج ... وشيخنا هذا يروي عن أكثر المكيين في عصره، أعظمهم مسند الحجاز السيد محمد السنوسي

---

(١) مصادر ترجمته: "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٠٣،٢٠٤)، و"الإعلام بمن في تاريخ الهند" (ص١٣٤٣)، و"أعلام المكيين" (٥٤٢،٥٤٣).

(٢) الشيخ نصير الدين بن نجم الدين الحسيني الدهلوي، العالم الكبير المجاهد، وكان صاحب همة قوية ونفس عالية، كثير الدعاء، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر محيياً للسنة. توفي رحمه الله سنة (١٢٦٥هـ).
انظر: "نزهة الخواطر". عبد الحي بن فخر الدين. ط١. (١٣٧٨هـ). (٥٠٣/٧).

(٣) الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن سراج الحنفي المكي، ولد بمكة عام (١٢٠٠هـ) ونشأ بها، وصار له الباع الطويل في التفسير والحديث والفتوى، تصدر للإقراء والتدريس بالمسجد الحرام، وتقلد قضاء جدة، ثم مكة، وعين أول رئيس للعلماء بالبلد الحرام. انظر: "نظم الدرر" (ق١٣٢)، و"أعلام المكيين" (ص٤٩٩).

الكبير[١] ...)) [٢].

وقد عده من شيوخ الشيخ أبي بكر،كل من: الشيخ عبد الستار الدهلوي[٣]، والشيخ عبد الله بن غازي[٤]، والشيخ محمد ياسين الفاداني[٥].

كانت وفاته -رحمه الله- بمكة، سنة (١٣٠٨هـ).

٦- الشيخ محمد بن عبد العزيز الهاشمي[٦] -رحمه الله- :

هو الشيخ العالم المحدث شمس الدين أبو عبد الله القاضي محمد بن عبد العزيز الجعفري، أحد العلماء المشهورين في الهند.

ولد سنة (١٢٥٢هـ)، وقرأ على عدد من العلماء بالهند، منهم الشيخ المعمر عبد الحق بن فضل الله العثماني النيوتيني[٧]، وقرأ عليه الكثير، وأخذ عن الشيخ يعقوب ابن محمد أفضل الدهلوي[٨].

---

(١) الشيخ محمد بن علي بن السنوسي المكي، ولد عام (١٢٠٢هـ) بالمغرب، وتعلم بفاس، تصدر للتدريس بالمسجد الحرام، وأخذ عنه خلق كثيرون، وكان شديد الاتباع للسنة. توفي عام (١٢٧٦هـ). انظر: "نظم الدرر" (ق١٤٦)، و"أعلام المكيين" (ص٥٤١،٥٤٢).

(٢) "ثبت الأثبات الشهيرة" (ق٨أ)، وانظر: "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٣).

(٣) انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٣).

(٤) انظر: "نثر الغرر" (ق١٧).

(٥) انظر: "قرة العين" (ق١/٢٠).

(٦) مصادر ترجمته: "فيض الملك المتعالي" (ق٣/١٣٠،١٣١)، و"الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام" (ص١٣٤٣،١٣٤٤).

(٧) الشيخ عبد الحق بن فضل الله العثماني النيوتيني، كان شديد التمسك بالسنة، توفي عام (١٢٦٧هـ). انظر: "الإعلام" (ص١٠٠٠-١٠٠٣).

(٨) الشيخ يعقوب بن محمد أفضل العمري الدهلوي، ثم المكي، كان عالماً فقيهاً محدثاً، قدم مكة وتصدى للتدريس ونشر العلم إلى أن توفي، عام (١٢٨٣هـ) رحمه الله. انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٤٥،٢٤٦)، و"نثر الدرر (ق١٣)، و"أعلام المكيين" (ص٤٤٢،٤٤٣).

وقد أخذ عن علماء الهند، كما أخذ عن بعض علماء مكة، منهم الشيخ المعمر سليمان مرداد الإمام بالمسجد الحرام[١]، قرأ عليه من أول الصحيح أبواباً، ومنهم الشيخ السيد عبد الله بن محمد كوجك البخاري ثم المكي[٢]، سمع منه أول البخاري. كما أخذ عن عدد من علماء المدينة. وقد ولي القضاء ببلدة "بهوبال" مدة من الزمان.

قال الشيخ أبو بكر -رحمه الله- : ((وأما شيخنا محمد بن عبد العزيز المدعو بالشيخ محمد الهاشمي الجعفري، فقد لقيته بيوفال، وزرته في بيته سنة (١٣١٧هـ) وقد أجازني إجازة عامة، مشافهة وكتابة، وأسمعني الحديث المسلسل بالأولوية، وناولني مع الإجازة كتاب بلوغ المرام ... وقد كانت نسخة مطبوعة بتصحيحه وختمه في آخرها، وهي الفرع المنقول عن الأصل المقروء على شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري المصري الأزهري...)) [٣].

وقد عده من شيوخ الشيخ أبي بكر،كل من: الشيخ عبد الستار الدهلوي[٤]، والشيخ عبد الله بن غازي[٥]، والشيخ محمد ياسين الفاداني[٦].

توفي -رحمه الله- سنة (١٣٢٠هـ).

---

(١) الشيخ سليمان بن عبد المعطي مرداد، المكي الحنفي، شيخ الخطباء بمكة المكرمة، المدرس بالمسجد الحرام، تولى مشيخة الخطابة عام (١٢٧٦هـ)، ومكث فيها إلى أن توفي سنة (١٢٩٣هـ) رحمه الله.

انظر: "نثر الغرر" (ق٣)، و"أعلام المكيين" (ص٨٥٣،٨٥٤).

(٢) الشيخ عبد الله بن محمد عبد الله كوجك البخاري، نزيل مكة، عالم فاضل، ولد ببلده واشتغل بأخذ العلوم، ثم قدم المدينة عام (١٢٥٦هـ) وأخذ عن علمائها، ثم قدم مكة، وتلقى العلم، ثم اشتغل بالتدريس والإفادة، إلى أن توفاه الله، عام (١٢٩٧هـ) رحمه الله.

انظر: "نظم الدرر" (ق١٣٥)، و"أعلام المكيين" (ص٨١٤).

(٣) "ثبت الأثبات الشهيرة" (ق٨أ،ب)، و"فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٤).

(٤) انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٣).

(٥) انظر: "نثر الغرر" (ق١٧).

(٦) انظر: "قرة العين" (٢٠/١).

٧- أحمد زيني دحلان[١] :

أحمد بن زيني دحلان، ولد بمكة عام (١٢٣١هـ) ونشأ بها، وطلب العلم على بعض المشايخ، منهم: مفتي الشافعية بمكة: محمد سعيد قدسي[٢]، وشيخ العلماء الشيخ عبد الله سراج الحنفي، والسيد أحمد المرزوقي[٣]، مفتي المالكية بمكة.

تولى الإفتاء والتدريس بالحرم المكي، وصار مفتي الشافعية بمكة.

وفي أيامه أنشأت أول مطبعة بمكة، فطبع بها بعض كتبه.

وقد كان معادياً لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب المباركة، وألف في ذلك رسالة مشهورة، بعنوان: "الدرر السنة في الرد على الوهابية" طبعت بمطبعة مكة، عدة طبعات، كما أنها موجودة ضمن كتابه "خلاصة الكلام" وكتابه "الفتوحات الإسلامية"[٤]، وقد نقل الشيخ أبو بكر خوقير بعض كلام دحلان ورد عليه، دون التصريح باسمه، كما ستأتي الإشارة إلى ذلك في موضعه.

ثم كان من تلامذة دحلان من ناصب الشيخ أبا بكر خوقير العداء، وألف في

---

(١) مصادر ترجمته: حلية البشر في القرن الثالث عشر. عبد الرزاق البيطار. تحقيق محمد بهجة العطار. (١٣٨٠هـ). (١/١٨٠-١٨٣)، و"نظم الدرر" (ق١٥٩)، وفهرس الفهارس (١/٣٩٠)، و"الأعلام" (١/٥٩)، و"نشر الرياحين" (١/٢٧).

(٢) الشيخ محمد سعيد بن علي قدسي الشافعي المكي، ولد بمكة ونشأ بها، وأخذ عن بعض علمائها، وأجيز بالتدريس، وتقلد إفتاء الشافعية. توفي بمكة عام (١٢٦٠هـ). انظر: "نظم الدرر" (ق١٤٧)، و"أعلام المكيين" (ص٧٥٩).

(٣) الشيخ أحمد بن رمضان بن منصور بن محمد المرزوقي، المالكي، مفتي المالكية بمكة، ولد بسنباط، عام (١٢٠٥هـ)، وقد تصدى للتدريس بالمسجد الحرام، وأخذ عنه جماعة، له مؤلفات. انظر: "نظم الدرر" (ق١١٣،١١٤)، و"معجم المؤلفين" (٢/١٠٢)، و"أعلام المكيين" (ص٨٦١).

(٤) انظر: "دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب" (ص٥١،٥٢).

الرد عليه، وفي التحذير من مؤلفاته، واستعدى عليه الحكام من الأشراف.

قال الشيخ أبو بكر –رحمه الله– :((قرأت عليه المقدمات من شرح جمع الجوامع، وحضرت بعض دروس التفسير. وهو يروي عن شيخه عثمان الدمياطي، عن شيخه الشيخ محمد الأمير الكبير المصري، صاحب الثبت الشهير...)) [(١)].

وقد عده من شيوخ الشيخ أبي بكر،كل من: الشيخ عبد الستار الدهلوي[(٢)]، والشيخ عبد الله بن غازي[(٣)]، والشيخ محمد ياسين الفاداني[(٤)].

كانت وفاته عام (١٣٠٤هـ) بالمدينة النبوية.

٨– الشيخ عبد القادر بن محمد علي خوقير[(٥)] –رحمه الله– :

العلامة الفرضي الكبير الشيخ عبد القادر بن الشيخ محمد علي خوقير، العالم الفاضل، المدرس بالحرم المكي.

ولد بمكة المشرفة سنة (١٢٤٦هـ)، وتربى في مهد الكرامة، ثم بعد حفظه لكتاب الله تعالى اشتغل بطلب العلم الشريف[(٦)].

قال الشيخ أبو بكر –رحمه الله– : ((جدي العلامة الشهير الفقيه الفرضي، الشيخ عبد القادر بن محمد خوقير، المدرس والإمام بالمقام الحنفي، صاحب شرح

---

(١) انظر: "ثبت الأثبات الشهيرة" (ق٨ب)، و"فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٤).

(٢) انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٣).

(٣) انظر: "نثر الغرر" (ق١٧).

(٤) انظر: "قرة العين" (ق١/٢٠).

(٥) مصادر ترجمته: "نزهة الفكر"، ترجمة رقم (٢٤٨)، و"الجواهر الحسان" (ص٤٣٦)، و"سالنامة الحجاز" لعام (١٣٠٣هـ)، (ص٧٢،٨٠).

(٦) تقدمت ترجمته في الفصل الثاني من هذا الباب، وكذلك ترجمة مشايخه.

الرسالة الجامعة على مذهب الإمام أبي حنيفة، وغيرها. قرأت عليه أكثر الشفا للقاضي عياض، بشرح الملا علي القاري، وشرح إلنخبة لابن حجر، وقد رحل إلى الهند والأستانة، ولقي أفاضل كثيرين، وروى عن الشيخ صديق كمال الحنفي، المتوفى سنة (١٢٨٤هـ) وعن الشيخ عبد الله مرداد، وعن الشيخ رحمة الله الهندي، صاحب إظهار الحق، وتوفي الجد بالاستانة سنة (١٣٠٤هـ) ...)) [١].

وقد عده من شيوخ الشيخ أبي بكر،كل من: الشيخ عبد الستار الدهلوي[٢]، والشيخ عبد الله بن غازي[٣].

٩- الشيخ عبد الرحمن سراج[٤] -رحمه الله- :

الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله سراج، مفتي مكة وشيخ علمائها.

ولد بمكة عام (١٢٤٩هـ)، وحفظ القرآن ومجموعة من المتون في كثير من الفنون، وأخذ عن أكابر علماء عصره، وأكثر أخذه عن الشيخ جمال، مفتي مكة المكرمة، وبه تفقه. وأخذ عن الشيخ رحمة الله العثماني[٥]، صاحب "إظهار الحق".

وصار أوحد علماء عصره وفقهائه وأدبائه، وتصدر للتدريس بالمسجد الحرام،

---

(١) انظر: "ثبت الأثبات الشهيرة" (ق٩أ)، و"فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٥).

(٢) انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٣).

(٣) انظر: "نثر الغرر" (ق١٧).

(٤) مصادر ترجمته: "المختصر من نشر النور والزهر" (ص٢٠٠)، و"نظم الدرر" (ق١٨٣)، و"أعلام الحجاز" (٣/٣٣٩-٣٧١)، و"أعلام المكيين" (ص٤٩٧-٤٩٨)، و"معجم المؤلفين" (٥/١٤٩).

(٥) الشيخ رحمة الله بن خليل العثماني. صاحب المناظرة الشهيرة، وقد تلقى علومه عن أشهر علماء الهند في عصره، ونبغ وظهر صيته، وأخذ ينشر العلم ويحارب التبشير، وناظر رئيس البعثة التبشيرية بالهند (فندر) وأفحمه، ثم أعلن الجهاد ضد الإنكليز. كانت وفاته عام (١٣٠٨هـ).

انظر: "الإعلام" (ص١٢٢٨-١٢٢٩)، "سير وتراجم" (ص١٠٨)، "أعلام المكيين" (ص٦٥٨-٦٦١).

فدرس وأفتى وتخرج به جماعة من العلماء، وكان يرفض الهدايا التي تقدم له وهو في منصب الفتيا. كما عرف بثباته وقوته في أمور الدين، لا تأخذه في الله لومة لائم.

قال الشيخ أبو بكر -رحمه الله- : ((مفتي مكة، العلامة الشيخ عبد الرحمن سراج بن الشيخ عبد الله سراج، حظيت بمذاكرته ليالي كثيرة، وحضرت دروسه في التفسير، وله فيه طريقة عجيبة ... وهو يروي عن الشيخ جمال مفتي مكة ... وقد بلغت فتاوى شيخنا هذا نحو أربع مجلدات، واسمها: ضوء السراج، وله مجموع في الفقه، ورحل إلى مصر القاهرة آخر عمره، وتوفي بها)) (١).

وقد عده من شيوخ الشيخ أبي بكر،كل من: الشيخ عبد الستار الدهلوي(٢)، والشيخ محمد رشيد رضا(٣)، والشيخ عبد الله بن غازي(٤)، والشيخ محمد ياسين الفاداني(٥).

كانت وفاته عام (١٣١٤هـ) رحمه الله.

١٠- الشيخ علوي بن صالح بن عقيل(٦) -رحمه الله- :

هو الشيخ السيد علوي بن صالح بن عقيل الشافعي المكي، ولد بمكة المكرمة، عام (١٢٦٣هـ)، ونشأ بها في صلاح وصيانة، وفضل وديانة.

قرأ على بعض المشايخ بالحرم، منهم: الشيخ محمد بسيوني(٧)، في النحو

---

(١) انظر: "ثبت الأثبات الشهيرة" (ق٩أ)، و"فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٤،٢٧٥).

(٢) انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٣).

(٣) انظر: "مجلة المنار" (٣١/٢٤٠).

(٤) انظر: "نثر الغرر" (ق١٧).

(٥) انظر: "قرة العين" (ق١/٢٠).

(٦) مصادر ترجمته: "مختصر نشر النور والزهر" (ص٢٩٨)، "نظم الدرر" (ق١٩٠)، و"شمس الظهيرة". عبد الرحمن المشهور. (١/٣١٥)، نقلاً عن: "أعلام المكيين" (ص٦٩٥).

(٧) الشيخ محمد بن محمد بسيوني الشافعي المكي، ولد بمكة المكرمة عام (١٢٥٣هـ) ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم

وغيره، وقرأ على محمد سعيد بابصيل في الفقه والتفسير، وقرأ على أحمد دحلان التفسير والحديث والفقه.

قال الشيخ أبو بكر –رحمه الله– : ((وقد قرأت على كثير من المكيين من علماء الحرم الشريف، وأجازني بعضهم، منهم العلامة الجليل السيد علوي بن صالح ابن عقيل العلوي الحسيني، المعمر البركة، أدام الله النفع به، أجازني إجازة عامة في علم الحديث، وغيره من العلوم ...)) [١].

وقد عده من شيوخ الشيخ أبي بكر،كل من: الشيخ عبد الستار الدهلوي[٢]، والشيخ عبد الله بن غازي[٣].

كانت وفاته بمكة، ودفن بالمعلاة، رحمه الله.

وقد تتلمذ الشيخ أبو بكر خوقير على عدد من تلامذة العلامة حسن الشطي[٤]، قال –رحمه الله– : ((وقد لقيت المشايخ الكبار من تلامذة العلامة الشيخ حسن الشطي الحنبلي، واستفدت منهم ومن تلامذهم، منهم الشيخ يوسف البرقاوي،

وطلب العلم على علماء عصره في المسجد الحرام، ولازم أحمد دحلان ملازمة تامة ، وحضر دروسه كلها وبه تخرج، وأخذ عن جماعة من علماء المسجد الحرام، وكان مبرزاً في علم النحو. كانت وفاته عام (١٣٠٢هـ).انظر: "نظم الدرر" (ق٢١٢)، و"أعلام المكيين" (ص٢٩٠).

(١) انظر: "ثبت الأثبات الشهيرة" (ق٩أ،ب)، و"فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٥).

(٢) انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٣).

(٣) انظر: "نثر الغرر" (ق١٧).

(٤) الشيخ حسن بن عمر معروف الشطي الدمشقي مولداً ووفاة، المحدث الفقيه النحوي الفرضي، شيخ الحنابلة، صارت له درجة رفيعة في العلم، خاصة في الفقه الحنبلي، حتى رحل إليه طلاب عصره، توفي رحمه الله عام (١٢٧٤هـ)، لكن له كلام في معاداة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق١/١٣٠،١٣١)، و"حلية البشر" (١/٤٧٨-٤٨٠).

شيخ الحنابلة بمصر، ومنهم الشيخ محمد الروحاني الخطيب، خطيب "دوما"، وعالم الحنابلة بالمدينة، ومنهم الشيخ عبد الله صوفان القدومي...)) [(١)].

وفيما يلي التعريف بمن ذكرهم:

١١- الشيخ يوسف البرقاوي[(٢)] -رحمه الله- :

الشيخ يوسف البرقاوي المصري، الشيخ العلامة الفقيه العالم العامل، ولد في قرية "برقا" من أعمال نابلس، بعد عام (١٢٥٠هـ)، ورحل في طلب العلم إلى دمشق، فلازم الشيخ حسن الشطي، إمام الحنابلة في عصره، وحضر عليه في الأصول والفقه والفرائض والنحو، وانتفع في مبادئه بالشيخ عبد الله صوفان القدومي[(٣)]، وبرع وتفوق، ثم عاد إلى بلده، فدرس وأفاد.

ثم رحل إلى مصر، وجاور في الأزهر مدة، إلى أن صار شيخ رواق الحنابلة، فرحل إليه الطلبة وانتفعوا به في الفقه وغيره، وكان من أجل أهل زمانه علماً وفهماً، مع التواضع ولين الجانب، وقد كانت له شهرة علمية كبيرة.

وقد عده من شيوخ الشيخ أبي بكر،كل من: الشيخ عبد الستار الدهلوي[(٤)]، والشيخ عبد الله بن غازي[(٥)].

كانت وفاته في حدود سنة (١٣٢٠هـ) رحمه الله.

---

(١) "ثبت الأثبات الشهيرة" (ق١١ب،١٢أ)، وانظر: "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٥).

(٢) مصادر ترجمته: "مختصر طبقات الحنابلة" (ص٢١٠-٢١١)، و"الإضافات على النعت الأكمل" (ص٣٩٦)، وذكره في "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٤٣).

(٣) من شيوخ الشيخ أبي بكر خوقير، وستأتي ترجمته.

(٤) انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٥).

(٥) انظر: "نثر الغرر" (ق١٧).

١٢- الشيخ محمد الدوماني الخطيب[١] –رحمه الله- :

الشيخ محمد بن عثمان بن عباس بن محمد الحوراني المليحي الأصل، ثم الدوماني. المحدث الفقيه الأصولي الفرضي الميقاتي الفلكي.

ولد سنة (١٢٣٧هـ) بدوما، ونشأ على تقى وطاعة، ثم بعد أن اشتدت قواه، رحل إلى دمشق لأجل الطلب، فلازم العلامة حسن الشطي، وتتلمذ عليه في فنون عديدة.

وأخذ عن الشيخ سعيد الحلبي[٢]، والشيخ عمر أفندي الغزي[٣] وغيرهم.

وبعد أن حصل ذلك الكم الوافر من العلوم، رجع إلى بلده "دوما"،واستقر بها، وحصل جاهاً واسعاً، وشهرة عظيمة، وكان مهيباً فاضلاً، حافظاً للقرآن، لا يفتر لسانه عن تلاوته.

ثم سافر إلى مصر، وأقام بها مدة، وأجازه علماء الأزهر، ومنهم الشيخ إبراهيم

---

(١) مصادر ترجمته: "مختصر طبقات الحنابلة" (٢٠٠-٢٠٢)، و"الإضافات على النعت الأكمل" (ص٣٨٦-٣٨٨)، و"تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر" (ص١٠٤،١٠٥)، وأحال على "منتخبات تواريخ دمشق" (٢/٧٦٦).

(٢) الشيخ سعيد بن حسن بن أحمد الدمشقي الحنفي الحلبي، تصدر التدريس مدة حياته، وتخرج عليه كثيرون، سيما في الفقه الحنفي، وكانت له الكلمة النافذة في دمشق، وكان إماماً جليلاً عابداً زاهداً. توفي سنة (١٢٥٩هـ). انظر: "روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر". محمد جميل الشطي. مطبعة دار اليقظة. (١٣٣٣هـ). (ص١١٠-١١١)، و"تاريخ علماء دمشق في القرن الثالث عشر". محمد مطيع حافظ ونزار أباظة. دار الفكر. ط١، عام (١٤١٢هـ). (ص٤٥٧-٤٥٩).

(٣) الشيخ عمر بن عبد الغني بن محمد شريف الغزي العامري، تولى إفتاء دمشق، وكانت له مكانة عظيمة فيها. توفي عام (١٢٧٧هـ). انظر: "روض البشر" (ص١٨٨-١٩٠)، و"حلية البشر" (ص١١٣٣-١١٣٥)، و"تاريخ علماء دمشق في القرن الثالث عشر" (ص٥٧٩-٥٨٣).

السقا[١]، وغيره، ثم عاد إلى بلده، وكان خطيباً ومدرساً في جامعها الكبير، كما سبق لأبيه وجده من قبله.

ثم سافر إلى الحجاز سنة (١٣٠٥هـ) فحج بيت الله الحرام، ثم رجع إلى المدينة النبوية، فأقام بها، وأقبل عليه أهلها، وولي بالمدينة تدريس الحنابلة، وأوقافهم، ورحلت إليه الطلبة من البلاد، وانتفع به خلق كثير.

ولم يزل بالمدينة، على التدريس والعبادة، حتى توفاه الله عام (١٣٠٨هـ).

وقد عده من شيوخ الشيخ أبي بكر الشيخ عبد الستار الدهلوي[٢].

١٣- الشيخ عبد الله صوفان القدّومي[٣] -رحمه الله- :

الشيخ عبد الله بن عودة بن عبد الله القدومي بلداً، النابلسي موطناً، الحنبلي مذهباً.

ولد سنة (١٢٤٦هـ) في قرية كفر قدّوم بفلسطين، وبها نشأ، وحفظ القرآن الكريم، وكان في صغره كثير المطالعة للكتب الموجودة في مسجد قريته.

ثم رحل في طلب العلم إلى دمشق، فأخذ عن جل علمائها، ولازم العلامة حسن الشطي، وتتلمذ عليه في فنون كثيرة، وعلى غيره من العلماء.

---

(١) الشيخ إبراهيم السقا الشافعي الأزهري، العالم الفاضل، كان على درجة عالية في العلوم، وتأهل لمشيخة الأزهر بعد الباجوري. كان كريم السجايا، صالحاً عابداً. توفي رحمه الله سنة (١٢٩٨هـ). انظر: "حلية البشر" (ص٣٠-٣٢)، و"الأعلام" (٤٨/١).

(٢) "فيض الملك المتعالي" (ق٢٧٥/٣).

(٣) مصادر ترجمته: "فهرس الفهارس" (ص٩٣٩/٢-٩٤١)، و"مختصر طبقات الحنابلة" (ص٢١٣-٢١٥)، و"الإضافات على النعت الأكمل" (٤٠٠-٤٠٢)، و"تسهيل السابلة" (١٧٦١/٣-١٧٦٢)، و"معجم المؤلفين" (٩٨/٦-٩٩)، و"الأعلام" (١١١/٤) و"الأعلام الشرقية" (ص٣٤٣-٣٤٥).

ثم عاد إلى موطنه، ومكث فيه مدة، واشتغل بالعلم والإفادة والاستفادة والبحث في مسائل العلوم، ثم لما كثرت هناك المشاغب والإحن، فارق موطنه، وقصد مدينة "نابلس" وأقام بها يدرس وقصده الطلاب.

وفي سنة (١٣١٨هـ) زار بيت المقدس، ثم البلاد الحجازية، وأقام بالمدينة النبوية، وأقام يدرس وينشر العلوم، وانتفع به خلق كثيرون، ومضى على حاله تلك، يتردد بين المدينة و"نابلس"، إلى أن كانت وفاته بنابلس، عام (١٣٣١هـ).

وقد عده من شيوخ الشيخ أبي بكر،كل من: الشيخ عبد الستار الدهلوي(١)، والشيخ عبد الله بن غازي(٢).

نتيجة:

فهؤلاء الثلاثة عشر شيخاً هم الذين ذكرهم الشيخ أبو بكر في ثبته، وذكرهم الشيخ عبد الستار الدهلوي في ترجمته للشيخ، وقال: ((فهذا ما تحصل لي من ذكر مشايخ المترجم، وعدهم ثلاثة عشر)) وذكر منهم الشيخ عبد الله بن غازي اثني عشر شيخاً.

لكن الشيخ محمد ياسين الفاداني قد أضاف إلى شيوخ الشيخ أبي بكر الشيخ محفوظ بن عبد الله التَرْمسي(٣).

---

(١) انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧٥).

(٢) انظر: "نثر الغرر" (ق١٧).

(٣) الشيخ محفوظ بن عبد الله بن عبد المنان الترمسي، برز في الحديث وعلومه، وفي الفقه وأصوله، والقراءات، وأجيز للتدريس، وتتلمذ عليه كثيرون. وله عدد من المؤلفات. كانت وفاته بمكة عام (١٣٣٨هـ) رحمه الله. انظر: "نثر الغرر" (ق٦٥)، و"سير وتراجم" (ص٢٨٦)، وترجمة الفاداني له بنهاية ثبته: "كفاية المستفيد". دار البشائر الإسلامية. ط٥. (١٤٠٨هـ). (ص٤١-٤٣)، والدراسة عن المؤلف لتحقيق جزء من كتابه: "إسعاف المطالع بشرح البدر اللامع نظم جمع الجوامع" رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى، مقدمة من د. علي ابن صالح بن محمد المحمادي. (١٤٢١هـ).

ولا يظهر لي صحة ذلك، لأن الإجازة التي كتبها الشيخ أبو بكر للفاداني ووالده بتاريخ (١٣٤٩/١/٢٠هـ) - أي قبل وفاته بنحو أربعين يوماً- لم يذكر فيها الترمسي، وإنما ذكر بعض شيوخه المذكورين في ثبته، وأحال عليه[١]، والترمسي تقدمت وفاته عن ذلك بما يزيد على عشرة أعوام.

كما أن الفاداني كان عمره أربعة عشر عاماً، لما توفي الشيخ أبو بكر، فمن أين له أن ينفرد بشيء لم يأت به المعاصرون للشيخ أبي بكر، الذين صحبوه وعرفوا سيرته وشيوخه، مثل الشيخ عبد الستار الدهلوي والشيخ عبد الله بن غازي؟!

هذا، وقد أضاف الفاداني اثنين إلى شيوخ الشيخ أبي بكر، وذلك لإجازتهما العامة لمن أدرك حياتهما، وهما:

١- الشيخ فالح بن محمد الظاهري[٢].

٢- الشيخ فتح بن محمد[٣].

والإجازة العامة مختلف فيها، وقد رجح الحافظ ابن حجر -رحمه الله- عدم اعتبارها، فقال: ((الإجازة العامة، كأن يقول: أجزت جميع المسلمين، أو: لمن أدرك حياتي ... فلا عبرة بذلك، على الأصح، وقد جوز الرواية بها الخطيب، وروى

---

(١) "قرة العين" (ق١٩-٢٢)، وبه نسخة لإجازة الشيخ أبي بكر للفاداني ووالده.

(٢) الشيخ فالح (أو محمد فالح) بن محمد بن عبد الله بن فالح، أبو اليسر، الظاهري، التقى ببعض أهل العلم ولازمهم، كما رحل في طلب العلم. له مؤلفات طبع بعضها. كانت وفاته بالمدينة عام (١٣٢٨هـ).
انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق١٥٦/٣)، و"فهرس الفهارس" (ص٨٩٥-٨٩٨)، و"معجم المؤلفين" (٤٦/٨)، "الأعلام" (٣٢٦/٧) و"أعلام المكيين" (ص٦٤٨).

(٣) الشيخ فتح (أو أبو الفتح) بن محمد بن حسن العجيمي المكي الحنفي، صدر العلماء في عصره، لم يكن له نظير في علم الفقه في زمانه، وأخذ عنه جماعة. كانت وفاته بمكة، وهو من علماء القرن الثالث عشر.
انظر: "مختصر نشر النور والزهر" (ص٣٦،٣٧)، و"نظم الدرر" (ق١١١)، و"أعلام المكيين" (ص٦٦٥).

بالإجازة العامة جمع كثير، وكل ذلك -كما قال ابن الصلاح- توسع غير مرضـــي، لكنها في الجملة خير من إيراد الحديث معضلاً)) [1].

وحتى على القول باعتبارها، فلا يعد من أجاز بها شيخاً لكل من عاصره.

(١) "النكت على نزهة النظر". علي بن حسن الأثري. دار ابن الجوزي. ط١. (١٤١٣هـ). (ص١٧٤،١٧٥).

* المطلب الثاني: أسانيده.

قد خص الله هذه الأمة بالإسناد، وجعله من الدين كالنسب في الاعتماد، بحيث اتصل ما تلقته الأجيال من الدين إلى نبيهم ﷺ بلا انقطاع، وقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن المبارك قوله: (الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء بما شاء)(١)، وروى أيضاً عن ابن سيرين قوله: (إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم)(٢)، وقال الأوزاعي: (ما ذهاب العلم، إلا ذهاب الإسناد)(٣).

وقد تنافس المتقدمون في طلب الأسانيد والعلو فيها، وضربوا أكباد الإبل للوصول إليها، مجدين في السماع وضبط الرواية، حتى دونوا المسانيد والسنن.

وحينما دونت الأحاديث في الكتب، أخذ العلماء في روايتها عن مؤلفيها وعمن روى عنهم، وتحملوا ذلك بطرق الأداء المتنوعة.

فالإسناد سنة سلكها السلف، وتبعهم الخلف، فنهجوا على ذلك السنن، بتحري الرواية عن المشايخ الفحول، وضبط الأصول والاعتناء بالدراية.

فالمحافظة على الإسناد، محافظة على سنة الأولين، ومن التشبه بالكرام السابقين، وهو في العصور المتأخرة من زينة العلم، وإن لم تكن له القيمة العلمية التي كانت للإسناد في السابق.

قال ابن الصلاح -رحمه الله- في اعتبار الأسانيد في العصور المتأخرة للحكم

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين... (٨٧/١).

(٢) السابق (٨٤/١).

(٣) "مقدمة التمهيد" (ص١٥)، نقلاً عن: "السنة قبل التدوين". محمد عجاج الخطيب. (ص٣٢٣).

بالصحة والحسن : ((فقد تعذر في هذه الأعصار الاستقلال بإدراك الصحيح بمجرد اعتبار الأسانيد، ... وصار معظم المقصود بما يتداول من الأسانيد خارجاً عن ذلك: إبقاء سلسلة الإسناد التي خصت بها هذه الأمة، زادها الله تعالى شرفاً، آمين)) [١].

وقال ابن الصلاح –رحمه الله– في مبحث الشروط في رواة الحديث ومشايخه: ((أعرض الناس في هذه الأعصار المتأخرة عن اعتبار مجموع ما بينا من الشروط في رواة الأحاديث ومشايخه، فلم يتقيدوا بها في رواياتهم لتعذر الوفاء بذلك، على نحو ما تقدم، وكان عليه مَن تقدم. ووجه ذلك ما قدمناه في أول كتابنا هذا من كون المقصود آل آخراً إلى المحافظة على خصيصة هذه الأمة في الأسانيد، والمحاذرة من انقطاع صلتها، فليعتبر من الشروط المذكورة ما يليق بهذا الغرض على تجرده ...))[٢].

وقال الشيخ أبو بكر خوقير–رحمه الله–: ((ولأجل ذلك طلبوا الإجازة، بمعنى الإذن والإباحة، وربما توسعوا فيها، وجل قصدهم المحافظة على الإسناد واتصاله وتسلسل رجاله، فكانت الإجازة معياراً لذلك، وعنواناً على المعاصرة، وألفت لأجلها الأثبات الكثيرة، وقلما كان فاضل، إلا وله ثبت، أو كتابة على ثبت)) [٣].

قال الشيخ أبو بكر –رحمه الله–: ((هذا وقد جرت عادة أهل الأثبات وبعض أرباب الإجازات، أن يذكروا سند صحيح البخاري، وبعض المسلسلات – جمع مسلسل، وهو ما اتفق رواته أو معظمهم على صفة[٤]– كالأولية، والمصافحة، والمشابكة، والعد في اليد، والقبض على اللحية، ومسح الأرض، ووضع اليد على

---

(١) "علوم الحديث لابن الصلاح". تحقيق نور الدين عتر. دار الفكر المعاصر. بيروت. ط٣ معادة. (١٤١٨هـ). (ص١٧).

(٢) السابق (ص١٢٠).

(٣) انظر: "ثبت الأثبات الشهيرة" (ق٢أ، ب).

(٤) انظر: "النكت على نزهة النظر" (ص١٦٧).

الرأس، وقراءة الفاتحة، وسورة الصف، والكوثر، وأول سورة النحل ... وأصحها المسلسل بالأولية ...))[١].

ثم ساق من تلك المسلسلات: المسلسل بالأولية، والمسلسل بالعترة، والمسلسل بالحنابلة[٢]، كما أورد إسناد صحيح البخاري. وأوردت منها على سبيل المثال الحديث المسلسل بالأولية.

الحديث المسلسل بالأولية.

قال الشيخ أبو بكر –رحمه الله– : ((وقد رويته عن شيخنا السيد محمد القاوقجي، أولية مطلقة، عن الشيخ محمد عابد السندي، (ح)، ورويته أيضاً عن الشيخ حسين الأنصاري، وساق إسناده في إجازته لي، قال: بروايتي له عن شيخي الشريف محمد بن ناصر الحازمي الحسني، بروايته له أولية حقيقة مطلقة عن الشيخ محمد عابد بن أحمد السندي المدني، عن شيخه العلامة صالح بن محمد الفلاني المغربي ثم المدني، وهو أول حديث سمعته منه، عن شيخه العلامة محمد بن محمد العمري المغربي، وهو أول حديث سمعه منه، قال حدثني الشريف أبو عبد الله محمد الدولابي، وهو أول حديث سمعته منه، قال حدثني شيخي محمد بن خليل بن الكماش الحنفي، وهو أول حديث سمعته منه، قال وحدثني شيخي الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، وهو أول حديث سمعته منه، قال حدثني به شيخنا الحافظ أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، وهو أول حديث سمعته منه، قال حدثني به أبو الفتح محمد بن محمد

(١) "ثبت الأثبات الشهيرة" (ق١٠أ).

(٢) قال الشيخ د.حاتم الشريف: (لا يصح من المسلسلات التي على صفة كالأولية، والمصافحة، والمشابكة، والتلقيم، وقبض اللحية، وغيرها، لا يصح منها إلا المسلسل بالأولية، وقراءة سورة الصف. أما المسلسلات على هيئة، مثل المسلسل بالدمشقيين، أو الحنابلة، فتحتمل الصحة بعد دراستها. وأما المسلسل بالعترة فلا يصح، لأن فيه وضاع معروف ركب إسناداً، وإن كانت بعض الأحاديث التي وردت به تصح من طرق أخرى) "مشافهة" بتاريخ (١/٢/١٤٢٣هـ).

ابن إبراهيم الميدومي، بسنده إلى سفيان بن عيينة، قال حدثني عمروا بن دينار قال حدثني به أبو قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الراحمون يرحمهم الرحمن، تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء)، وكل واحد من هؤلاء يقول: هو أول حديث سمعه من شيخه، إلى سفيان بن عيينة.

وأورد طريقاً آخر، للشيخ محمد بن ناصر الحازمي، قال: وممن سمعته منه، شيخنا العلامة الحافظ الرباني محمد بن علي الشوكاني اليماني الصنعاني، عن شيخه السيد العلامة ابن أحمد الكوكباني، عن شيخه العلامة محمد حياة السندي ... وساق إسناده إلى الحاكم النيسابوري، عن سفيان بن عيينة، كالأول)) [١].

---

(١) "ثبت الأثبات الشهيرة" (ق١٠أ، ب).

المبحث الثالث: تلاميذه.

بعد ما تقدم بيانه من اجتهاد الشيخ وجده في الطلب، مما جعل له مكانة رفيعة بين علماء زمانه، مع ما تميز به من التمسك بعقيدة أهل السنة والجماعة، ثم اشتغاله بالتدريس في الحرم المكي، وتبوئه مترلة مفتي الحنابلة بمكة، الأمر الذي جعل الكثير من طلاب العلم يقصدونه ويتتلمذون عليه، سواء من الموجودين بمكة بصفة دائمة، أو من الذين يقضون في مكة فترة من الزمن.

قال عنه محمد منير الدمشقي: ((كان شديد الحرص على الإفادة والاستفادة، لذلك كان يقرأ لطائفة من طلاب العلم دروساً في العلوم الدينية والتاريخية وغيرها في بيته، بعضها بالنهار وبعضها بالليل)) (١).

وفيما يلي بيان من وقفت عليه من تلامذة الشيخ:

١- صالح بن عثمان القاضي -رحمه الله- :

الشيخ صالح بن عثمان بن حمد بن إبراهيم القاضي، ولد في عنيزة عام (١٢٨٢هـ)، وأقبل على العلم بجد، وقرأ على مشايخ عنيزة وبريدة والقاهرة ومكة، وأكثر من لازمه الشيخ أحمد بن عيسى، ومن شيوخه بمكة الشيخ أبو بكر خوقير(٢). ولي قضاء عنيزة، ودرس وأخذ عنه خلق كثير، منهم الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، والشيخ عبد الله بن حميد، وغيرهم. له حواشي على بعض الكتب. وتوفي رحمه الله عام (١٣٥١هـ) (٣).

---

(١) "نموذج من الأعمال الخيرية" (ص١٠٠).

(٢) "روضة الناظرين" (ص١٥٥).

(٣) انظر في ترجمته: "علماء نجد" (٣٦٧-٣٧٤)، و"روضة الناظرين" (١٥٢-١٦٥)، و"تسهيل السابلة" (١٨٠٢/٣).

٢- إبراهيم الكتبي الدهلوي -رحمه الله- :

الشيخ إبراهيم بن عبد الله يارشاه الكتبي الدهلوي، ولد بدهلي عام (١٢٥١هـ)، وطلب العلم على علمائها، ثم قدم مكة سنة (١٢٦١هـ) مع والده، وروى عن الشيخ عبد الله سراج، مفتي الحنفية، والشيخ أبي بكر خوقير(١)، وغيرهم، ورحل في طلب العلم إلى العراق والشام ومصر. كان عالماً صالحاً ورعاً، له عناية فائقة بالكتب، ولذلك لقب بالكتبي. كانت وفاته -رحمه الله- عام (١٣٥٤هـ)(٢).

٣- إبراهيم بن موسى الخزامي -رحمه الله- :

الشيخ إبراهيم بن موسى الخزامي السوداني، ولد بالسودان عام (١٢٦٧هـ) وقرأ على والده، وحفظ القرآن الكريم. قدم مكة عام (١٣١٠هـ) مجاوراً، وتفرغ للطلب، قرأ على الشيخ أبي بكر خوقير(٣)، وعلى غيره من العلماء، في مكة والمدينة، وبرع في علم القراءات واللغة، ودرس بالحرم المكي، وتزاحم عليه الطلاب، في درسه وفي مترله. ومن تلاميذه الشيخ عبد الله خياط، والشيخ محمد ياسين الفاداني. كانت وفاته عام (١٣٧٠هـ) رحمه الله(٤).

٤- سليمان بن محمد الشبل -رحمه الله- :

الشيخ سليمان بن محمد بن عبد الكريم الشبل، ولد بعنيزة عام (١٣١٢هـ)

---

(١) "تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع". لأبي سليمان محمود سعيد بن محمد ممدوح. دار الشباب للطباعة. القاهرة. (١٤٠٣هـ). (ص٢٠)، و"أعلام المكيين" (ص٤٣٧).

(٢) انظر في ترجمته: "قرة العين" (ق١/١٠)، و"تشنيف الأسماع" (ص٢٠)، و"أعلام المكيين" (ص٤٣٧).

(٣) "تشنيف الأسماع" (ص٢٣)، و"أعلام المكيين" (ص٤٠٣).

(٤) انظر في ترجمته: "قرة العين" (ق١/١-٥)، و"تشنيف الأسماع" (ص٢٣)، و"أعلام المكيين" (ص٤٠٣،٤٠٤).

وأخذ عن والده، وحفظ القرآن وجوده، ولازم الشيخ ابن سعدي. ورحل إلى الحجاز عام (١٣٤٧هـ) ولازم الشيخ أبا بكر خوقير[١]، وغيره من العلماء. ثم عاد إلى عنيزة، وسافر منها إلى الهند، وأخذ عن علماء الحديث والمصطلح، ثم رحل إلى العراق وقرأ على علماء الحنابلة فيه. ثم عاد إلى مكة، وتعين مدرساً بمدرسة الفلاح، وتعين بمدارس أخرى بمكة والطائف. كانت وفاته بعنيزة عام (١٣٨٦هـ) رحمه الله[٢].

٥- سليمان الصنيع -رحمه الله- :

الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع العتري المكي، ولد بمكة المكرمة سنة (١٣٢٣هـ) وطلب العلم بها صغيراً، ببعض المساجد والمدارس، والتحق بحلقات العلم في المسجد الحرام، فقرأ على عدد من علماء الحرم في عدة فنون. وقرأ على الشيخ أبي بكر خوقير عقيدة السفاريني[٣]، واجتمع بكثير من العلماء الوافدين إلى مكة. كان ذا نباهة وذكاء وهمة عالية وأخلاق حسنة، محباً للسنة وأهلها. تولى وكالة رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة، وكان عضواً فخرياً في لجنة دار الحديث المكية، ومديراً لمكتبة الحرم المكي، وعضواً في مجلس الشورى. توفي رحمه الله بمكة، عام (١٣٨٩هـ)[٤].

٦- حمود الشغدلي -رحمه الله- :

الشيخ حمود بن حسين الشغدلي، ولد في حائل عام (١٢٩٥هـ) وأخذ مبادئ القراءة والكتابة فيها، ثم شرع في حفظ كتاب الله وتجويده، ثم أخذ في طلب العلم

---

(١) انظر: "روضة الناظرين" (١٤٦/١)، و"أعلام المكيين" (ص٥٤٩).

(٢) انظر في ترجمته : "روضة الناظرين" (١٤٦/١-١٤٧)، و"أعلام المكيين" (ص٥٤٩).

(٣) "نثر الدرر" (ق٣٥).

(٤) انظر في ترجمته : "نثر الدرر" (ق٣٥،٣٦)، و"أعلام المكيين" (ص٦١٠،٦١١).

على علماء بلده، ثم رحل إلى الرياض، وأخذ بعض العلوم. حج البيت الحرام، وجاور بمكة وقرأ على علمائها في الحرم، منهم الشيخ أبي بكر خوقير[(١)]. وقد جد واجتهد في طلب العلم حتى صار من أكابر العلماء. ولي القضاء بحائل، ومكث فيه إلى إحالته للتقاعد. كان كريم الخلق، هيناً ليناً عطوفاً رحيماً بالمساكين، مع قوته في الحق وصراحته فيه. كانت وفاته رحمه الله بحائل، عام (١٣٩٠هـ)[(٢)].

٧- محمد نصيف -رحمه الله- :

الشيخ محمد بن حسين بن عمر نصيف، وجيه الحجاز، وصدر جدة في عصره. ولد بجدة عام (١٣٠٢هـ) ونشأ بها في كنف جده، وأولع بالكتب، فجمع مكتبة عظيمة، ونشر كتباً سلفية كثيرة، كان بيته مفتوحاً للزوار والباحثين والأدباء، ونزل به الملك عبد العزيز -رحمه الله- عند دخوله جدة، وبه بايعه أهلها. كان واسع الاطلاع محباً للعلم والعلماء، مرجعاً للباحثين وطلبة العلم. وكان كريماً مضيافاً حلو الحديث قوي الذاكرة، لا يكاد يصدر كتاب مما يروقه، إلا اشترى منه نسخاً وأهداها إلى المكتبات العامة ومعارفه. ترك مكتبة عظيمة، أهديت إلى جامعة الملك عبد العزيز بجدة. ومن شيوخه: الشيخ أحمد بن عيسى، والشيخ أبو بكر خوقير[(٣)].

كانت وفاته مستشفياً بالطائف، عام (١٣٩١هـ) رحمه الله[(٤)].

---

(١) انظر: "روضة الناظرين" (ص٩٨).

(٢) انظر في ترجمته: "علماء نجد" (ص٢٤٤،٢٤٥)، و"روضة الناظرين" (ص٩٧-١٠٠).

(٣) "محمد نصيف، حياته وآثاره". تأليف: محمد بن أحمد سيد أحمد، المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة، وعبده بن أحمد العلوي، المستشار الثقافي برابطة العالم الإسلامي. المكتب الإسلامي. بيروت. ط١. (١٤١٤هـ). (ص١٤٠).

(٤) انظر في ترجمته: "محمد نصيف، حياته وآثاره"، وهو كتاب ضخم في (٦٨٠) صفحة، و"الأعلام" (١٠٧/٦)، و"نشر الرياحين" (ص٥٨٨).

٨- محمد بن عبد الرزاق حمزة -رحمه الله- :

الشيخ محمد بن عبد الرزاق بن حمزة المصري، ولد بقرية كفر الشيخ بمصر، عام (١٣٠٨هـ) وحفظ القرآن، وتعلم مجموعة من مبادئ العلم، ثم التحق بالأزهر، ومكث عدة سنوات يطلب العلم، وثابر على المطالعة في العقائد، ثم لازم السيد محمد رشيد رضا، وصار معاوناً له، ولازم الشيخ عبد الظاهر أبو السمح، ووجهه إلى قراءة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وأولع بها. وفي سنة (١٣٤٤هـ) قدم للحج، وتشرف بلقاء الملك عبد العزيز -رحمه الله- فعرض عليه أن يعينه إماماً وخطيباً بالمسجد الحرام، فقبل ذلك، وعين عام (١٣٤٥هـ) بالمسجد الحرام، واشتغل بالتدريس بالحرم المكي، وبدار الحديث التي شارك في تأسيسها. له مؤلفات قيمة وردود على بعض أهل الضلال.

من شيوخه: الشيخ أبو بكر خوقير، بما في ثبته "ثبت الأثبات الشهيرة"[(١)].

كانت وفاته رحمه الله بمكة، عام (١٣٩٢هـ)[(٢)].

٩- عبد العزيز بن سليمان الفريح -رحمه الله- :

الشيخ عبد العزيز بن سليمان بن محمد بن منصور الفريح، ولد في "أشيقر" عام (١٣١٢هـ)، ونشأ بها وتعلم القراءة، وحفظ القرآن على مقرئ بلدته، ثم انتقل مع أبيه إلى مكة عام (١٣٢٧هـ) وجاوروا بها، وكان يطلب العلم على علماء المسجد الحرام، ومن أبرز مشايخه: الشيخ أبو بكر خوقير[(٣)]، والشيخ عبد الله بن حميد[(٤)]. قرأ في

---

(١) "قرة العين" (ق٢/٤٤٥).

(٢) ترجمته في: "نثر الغرر" (ق٦٥-٦٧)، و"قرة العين" (ق٢/٤٤٥)، و"أعلام المكيين" (ص٣٩٧،٣٩٨).

(٣) "علماء نجد" (ص٤٦١)، و"روضة الناظرين" (ص٣٠٠)، و"أعلام المكيين" (ص٧٢٧).

(٤) الشيخ عبد الله بن علي بن محمد ابن حميد، عقد حلقة للتدريس بالمسجد الحرام، كانت وفاته رحمه الله بالطائف عام (١٣٤٦هـ). انظر: "علماء نجد" (٢/٥٨٩،٥٩٩)، و"روضة الناظرين" (١/٤١٤)، و"تسهيل السابلة" (٣/١٧٨٥).

الحديث، والتفسير، والفقه، وعلوم العربية، وكان متخصصاً بعلوم العربية. وفي سنة (١٣٣٧هـ) عاد إلى "أشيقر"، وصار إمام وخطيب جامع البلد والمدرس فيه. ثم عين مدرساً بالمدارس الحكومية، مع اشتغاله بالخطابة والإفتاء والتدريس، إلى وفاته رحمه الله. وكانت وفاته في بلده، عام (١٣٩٥هـ)(١).

بعض من أجازهم الشيخ أبو بكر خوقير:

وقفت على بعض من أجازهم الشيخ أبو بكر خوقير -رحمه الله- ومن المناسب إلحاق ذكرهم بتلاميذه، وهم:

١- محمد بن حسين الفقيه -رحمه الله- :

الشيخ محمد بن حسين الفقيه، أحد فقهاء جدة وفضلائها، أجازه الشيخ أبو بكر خوقير بما في ثبته "ثبت الإثبات الشهيرة". جاء فيه: ((وقد كتب لي من جدة، الأخ في الله، الفاضل الأواه، الأستاذ محمد بن حسين الفقيه، زاده الله في معاليه، طالباً وصل سنده بأهل اليمن، فرأيتني لا أعد من رجال هذا الميدان، اللهم إلا بحكم هذا الزمان، وقد جاء في كثير من الروايات رواية الأكابر عن الأصاغر، فحررت هذه السطور امتثالاً لإشارة الفاضل المذكور، ورغبة في تجديد المآثر، والتشبه بالأكابر، قائلاً: قد أجزتك أيها الأستاذ الفقيه إجازة عامة بجميع ما تجوز لي روايته سماعاً وإجازة عمن لقيته في البلد الحرام، أو في سائر البلدان التي رحلت إليها ...)) (٢).

٢- محمد ياسين الفاداني -رحمه الله- :

الشيخ أبو الفيض علم الدين، محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني، الأندنوسي

---

(١) انظر في ترجمته: "علماء نجد" (ص٤٦٠-٤٦٢)، و"روضة الناظرين" (ص٣٠٠-٣٠٤)، و"أعلام المكيين" (ص٧٢٧).

(٢) انظر: "ثبت الأثبات الشهيرة" (ق٢ب،٣أ) باختصار، و"قرة العين" (ق٢٢/١).

أصلاً، المكي مولداً ووفاة، مسند الوقت، العالم المحدث المربي. كانت ولادته بمكة عام (١٣٣٥هـ) وكان ابتداء تحصيله على والده وعلى عمه، ثم التحق بالمدرسة الصولتية، درس على علماء كثيرين، ولازم بعضهم، وجمع أسانيدهم في مؤلفات، كما استجاز كثيرين، وبلغ عدد شيوخه نحو (٧٠٠) نفس، ما بين رجال ونساء.

ومن شيوخه: الشيخ أبو بكر خوقير، قال الفاداني: ((اجتمعت به مع سيدي الوالد الحاج محمد عيسى، مرات في مترله، وفي دكانه لبيع الكتب في باب السلام، واستجازه الوالد لنفسه ولي، فأجاز الوالد وأجازني لفظاً إجازة تامة عامة، بما له، وأجازنا أيضاً إجازة خاصة بما تضمنه ثبته المسمى بمسند الأثبات الشهيرة، وحرر وكتب بيده الإجازة في (٢٠) محرم، سنة (١٣٤٩هـ))) [١].

وقد باشر التدريس في دار العلوم الدينية بمكة، عام (١٣٦٥هـ)، وكان يلقي دروساً بالمسجد الحرام، وفي مترله، وتخرج على يديه الكثير. له مؤلفات كثيرة: في علم الحديث، وعلم أصول الفقه، وفي علوم مختلفة، وتبلغ مؤلفاته نحو (٧٠) كتاباً ورسالة في مختلف الفنون، وقد توفي رحمه الله عام (١٤١٠هـ)[٢].

نتيجة:

هذا ما تحصل لي الوقوف عليه ممن تتلمذ على الشيخ، ولا شك أن الذين استفادوا منه وتتلمذوا عليه أكثر من ذلك بكثير، خاصة مع اشتغاله بالتدريس في المسجد الحرام.

---

(١) "قرة العين" (ق١٩) وبه نسخة من إجازة الشيخ أبي بكر له (ق٢١،٢٢).

(٢) انظر في ترجمته: ترجمة بسام عبد الوهاب الجابي، بنهاية كتاب"الفيض الرحماني، بإجازة فضيلة الشيخ محمد التقي العثماني". تأليف: محمد ياسين الفاداني. دار البشائر الإسلامية. ط١. (١٤٠٦هـ). بيروت. (ص٨٩-١٠٠)، و"تتمة الأعلام للزركلي". محمد خير رمضان يوسف. دار ابن حزم. ط١. (١٤١٨هـ). (ص١٥٥-١٥٨).

وقد ذكر ضمن تلامذة الشيخ أبي بكر: الشيخ عبد الستار الدهلوي، فقد قال زكريا بيلا: ((وإني رأيته – أي الشيخ أبا بكر- يدرس عند باب المحكمة، وجلست عنده أستمع إليه، وفي هذه الجهة كنت رأيت تلميذه الشيخ عبد الستار الدهلوي، يدرس في البخاري)) [١]، فوصف الدهلوي بأنه تلميذه، ولا يظهر لي صحة ذلك.

فإن الدهلوي قال في ترجمته للشيخ أبي بكر: ((صديقنا الفاضل السلفي، ورفيقنا الكامل الأثري، كنت أجتمع به كثيراً في أيام المرحوم شيخنا القاضي أحمد بن إبراهيم بن عيسى، حين كان مقيماً بداره، وبباب السلام، وبمنزل صديقنا العلامة الهمام الشيخ محمد صالح الميمني، بالشامية. وكان المرحوم مقرئاً لنا حين اجتماعنا، وقراءتنا لمسند الإمام المبجل أحمد بن محمد بن حنبل، بحضور الأستاذ المقدم ذكره وغيره من أفاضل البلد الحرام. وذاكرته مراراً عن ترجمته وعن سنة ولادته...)) [٢].

فوصف الشيخ أبا بكر خوقير "بصديقنا..، ورفيقنا "، وبين اشتراكهما في الطلب على الشيخ أحمد بن عيسى، ولم يصفه "بشيخي"، أو نحو ذلك مما يفيد تتلمذه عليه. وقد كانوا يهتمون بالرواية والإجازة، ولكنه لم يرو عنه، ولم يذكر أنه أجازه. كذلك الذين ترجموا للدهلوي لم يذكروا من شيوخه: أبا بكر خوقير[٣].

هذا بالإضافة إلى تقاربهما في السن، فالشيخ أبو بكر أكبر منه بسنتين فقط، وقد اشتركا في الطلب، وتتلمذا على عدة شيوخ سوياً[٤]، ثم كان جلوسهما للتدريس في زمن مقارب.

---

(١) الجواهر الحسان (ص٤٢١) باختصار.

(٢) فيض الملك المتعالي (ق٢٧/٣

(٣) انظر: "قرة العين" (ق٢/٣١٤،٣١٥)، و"نثر الدرر" (ق٤٠)، و"أعلام المكيين" (ص٤٣٩).

(٤) مثل: أحمد بن عيسى، ومحمد الأنصاري السهارنفوري، وعبد الرحمن سراج، والقاوقجي، وأحمد دحلان، والظاهري.

وقد نقل الأستاذ عمر عبد الجبار عبارة الدهلوي السابقة في ترجمته للشيخ أبي بكر، لكنه قال: ((ويحدثنا الشيخ عبد الستار الدهلوي في ترجمته لعلماء القرن الثالث [عشر] وتواليه: سألت أستاذي الشيخ أبا بكر عن سنة ولادته...)) [(١)]، فنقل وصفه له "بأستاذي"، وبالرجوع إلى عبارة الدهلوي السابقة يتبين الصواب:

فالدهلوي أراد "بالأستاذ المقدم ذكره" الشيخ أحمد بن عيسى، وظن عمر عبد الجبار أنه يريد الشيخ أبا بكر، فجعل الشيخ أبا بكر أستاذاً للدهلوي، ونقل العبارة هكذا، منسوبة إليه.

ثم اعتمد على ترجمة عمر عبد الجبار بعض من جاء بعده، فعدوا الدهلوي تلميذاً للشيخ أبي بكر[(٢)]، والله أعلم بالصواب.

هذا، وقول زكريا بيلا: ((رأيته عند باب المحكمة يدرس ... وجلست عنده أستمع إليه)) قد يستفاد منه أنه تتلمذ عليه، وإن كان يظهر لي أنه مر مروراً وجلس مع تلامذته، وليس منهم، وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، فيما أرجو، كما أنه لم يرد ذكر الشيخ أبي بكر ضمن شيوخ زكريا بيلا[(٣)].

---

(١) سير وتراجم (ص٢٢).

(٢) وهم: – الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ. في: "مشاهير علماء نجد" (ص٣٣٧).

– الأخ الباحث عبد المحسن بن ردة الله الصاعدي. في رسالته: "جهود بعض علماء الحرم المكي في تقرير العقيدة السلفية". رسالة ماجستير بجامعة أم القرى. (ص٣٦٩).

– خالد بن علي العنبري. في: مقدمته لكتاب "مالا بد منه" دار سعد النجيم (ص١٣).

– د. عبد الله بن محمد الطريقي. في معجم مصنفات الحنابلة. (٦/٢٩٣).

(٣) انظر: "نثر الغرر" (ق٣٢)، و"نشر الرياحين" (١/١٨٧).

المبحث الرابع: مكانته العلمية.

كانت للشيخ –رحمه الله– مكانة علمية عظيمة، وكان من العلماء المبرزين في عصره، ويمكن تناول ذلك من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: أقوال العلماء ومعاصريه فيه، وثناؤهم عليه.

المطلب الثاني: خطاباته.

المطلب الثالث: تقريظ بعض العلماء والفضلاء لبعض كتبه.

* المطلب الأول: أقوال العلماء ومعاصريه فيه، وثناؤهم عليه.

إن المتتبع لكلام العلماء والمعاصرين للشيخ أبي بكر عنه، يجدهم قد اتفقوا على الثناء عليه، وعلى وصفه بصفات المدح والإجلال، وهذا مما جعله الله له من السيرة الحميدة والذكر الحسن عند الناس في حياته وبعد موته، رحمه الله.

ومما وقفت عليه من ذلك، ما يلي:

قال عنه الشيخ عثمان القاضي[1] –رحمه الله– : ((كان آية في علم الحديث، وكان من أخص زملائنا في مكة، وله شهرة وصيت ذائع، رحمه الله)) [2].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا –رحمه الله– : ((صديقنا العالم، العامل، المصلح، الشيخ أبو بكر خوقير ..)) [3].

---

(١) الشيخ عثمان بن صالح بن عثمان القاضي، كان من أوعية العلم، واسع الاطلاع في فنون عديدة، ويحفظ الكثير من المتون. وقد جلس للتدريس، والتف حوله الطلاب. وكان على أخلاق حميدة وصفات حسنة، توفي –رحمه الله– عام (١٣٨٥هـ). انظر: "روضة الناظرين" (ص٥٧-٦٧).

(٢) "تاريخ حوادث نجد وملحقاتها" (ص٢٧). باختصار.

(٣) "مجلة المنار" (٣١/٢٤٠).

وقال الشيخ **عبد الستار الدهلوي** -رحمه الله- : ((صديقنا الفاضل السلفي، ورفيقنا الكامل الأثري ...)) (١).

وقال الشيخ **محمد منير الدمشقي**: ((الشيخ الوقور، والمجاهد الغيور ..)) وقال: ((وهكذا شأن العلماء المخلصين الموحدين العاملين، فلهم أسوة بمن تقدم من الأنبياء والمرسلين، والعلماء الوارثين، رحمه الله، وجعل الجنة مثواه)) (٢).

وكان الشيخ **محمد نصيف** -رحمه الله- كثيراً ما يذكر الشيخ أبا بكر خوقير، ويقول: ((إنه من العلماء القليلين الذين كانوا يقومون بالدعوة السلفية زمن الأشراف))(٣).

وقال الشيخ **عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ** : ((الشيخ التقي المحقق، أبو بكر بن الشيخ محمد عارف ...))، وقال: ((رحم الله الشيخ (أبو بكر خوقير) ، حيث جاهد في الله بقلمه ولسانه حق جهاده، وأوذي في ذات الله، فما ضعف وما استكان، والله يحب الصابرين)) (٤).

وقال الشيخ **صالح بن عبد العزيز بن عثيمين** -رحمه الله- : ((كان رحمه الله على جانب عظيم من العلم، وله اليد الطولى في الفقه وأصوله، والتوحيد، والحديث، والتفسير.

ووجدت أهل مكة يحسنون الثناء عليه جداً، ويصفونه بالعبادة والعفة، وحسن السيرة، وسمت السلف واعتقادهم.

---

(١) "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٧١).

(٢) "نموذج من الأعمال الخيرية" (ص١٠٠-١٠٢).

(٣) نقل ذلك عنه الشيخ وصي الله بن محمد عباس، "مشافهة" بتاريخ (١٤٢٢/١١/٢٧هـ).

(٤) "مشاهير علماء نجد" (ص٣٣٩).

ورأيت له كتاب "ما لا بد منه"، وهو كتاب يدل على سعة اطلاع الرجـــل، وحسن اعتقاده)) (١).

وقال الشيخ زكريا بيلا –رحمه الله– : ((العالم الوقور، المتـــضلع، الـــسلفي، الأثري، الكبير ...)) (٢).

(١) "تسهيل السابلة لمريدي علماء الحنابلة" (٣/١٧٩٧)، ترجمة رقم (٣١٢٧).

(٢) "الجواهر الحسان" (ص٤٢٠).

* المطلب الثاني: خطاباته.

أولاً: خطابه بين يدي الملك عبد العزيز –رحمه الله– :

لقد كان من أعظم الأحداث التي شهدها البلد الأمين، دخول الملك عبد العزيز –رحمه الله– إلى مكة المكرمة، عام (١٣٤٣هـ)، ودخول الحجاز تحت ولايته وإمرته.

وقد ألقى الشيخ أبو بكر خوقير خطاباً بين يدي جلالة الملك، بحضور أعيان ووجهاء البلد، وذلك بعد مدة وجيزة من استتباب أمر الحجاز، وظهور الآثار الإصلاحية التي اهتم بها الملك عبد العزيز.

فجاء في خطابه قوله:

((مليكنا المعظم، حياك الرب وأحياك، وبلغك في الدارين مناك. هذا اليوم أعظم تاريخ للعرب، في هذا العصر في هذا البلد الحرام، لأنه اليوم السعيد الذي يشهده الرؤساء العظام، والأمراء الفخام، ووجهاء البلد وخيرة أهلها، ومن يشار إليه بالبنان من الوافدين إليها، في حضورك أيها الملك السعيد على بساط الوفاق والصفاء، فحياه الله من يوم مشهود، ظهر في مطالع السعود، في هذا القصر الذي صار عبرة للدهر، وموعظة للتاريخ وذكرى ...

فنهنيك أيها الملك الكريم بفتح البلاد، وفتح القلوب، وفتح باب الشورى وعرض الآراء، ونجل مقامك عن الفخفخة وألقاب العظمة والمدحيات المفرطة وزيادة الإطراء، فأنت غني عن ذلك بالتصريحات البليغة وحصافة الرأي، والقيام في الناس مقام العالم في التعليم، والمرشد الحكيم في التنبيه والتذكير والإنذار والتحذير، ونهني نفوسنا نحن العرب بهذه التهاني على هذه المبادئ، وقد ظهر من آثارها نحو عشرين مادة...)).

ومما ذكره قوله: ((إنقاذ الأمة الحجازية من الاستبداد والذل والاستعباد، بالروح التي دبت فيهم، فأنارت عقولهم، وهي إخلاص التوحيد لله وحده، وترك نداء الأموات

لقضاء الحاجات وتفريج الكربات، فهذا هو السر العظيم في انطلاق العقول وتحرير الأفكار والعتق من رق الأوهام والخيال، وفك القيود والأغلال وحل العقول من تعظيم غير الله، والإذعان لمن سواه، فلا يطهر النفوس إلا قوة الإيمان وحسن اليقين بإخلاص الدين، ورجوع المضطرين إلى رب العالمين ﴿**أمن يجيب المضطر إذا دعاه**﴾ وذلك هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ...)).

وقال الشيخ رحمه الله: ((وإنا نرجوا أن يكون هذا اليوم فاتحة عصر جديد، في طالع سعيد من أفق المدنية القديمة الإسلامية المؤسسة على العقيدة الدينية، مع تجنب العصبية ضد أمة أجنبية، وإقامة ميزان الحق والعدل وحرية الفكر والقول والفعل، والمساواة في الحقوق بين الناس، وتوفيق الأخوة بين سائر الأجناس، وتأليف القلوب بقمع الرذيلة، ونشر الدين والفضيلة، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، كما أمرنا الله بقوله ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ فذلك هو أساس المدنية المعتدلة والحضارة المحمودة، وتلك الضالة المنشودة، لا تلك المدنية التي يئن أهلها مما حل بها وأثقل كاهلها من الأفكار المادية، والمدمرات الحربية، والمطامع الأشعبية، والإسراف في الشهوات والانهماك في الشبهات، فلا مدنية صادقة إلا بالفضيلة، ولا فضيلة إلا بالدين، وتلك قضية مسلمة الثبوت والبرهان)).

وقال: ((وإنا نرجو أن تكون الأمة الحاكمة هي الطائفة التي جاء ذكرها والتنويه بشأنها في حديث: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك)[1]، وحديث: (إن الدين ليأرز إلى الحجاز، كما تأرز الحية إلى جحرها)[2] ، كما يشير إلى ذلك الحديث الذي رواه البخاري في

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه (١٣/٦٥/ح١٩٢٠).

(٢) رواه الترمذي: باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً (١٨/٥/ح٢٦٣٠)، وهو عند مسلم بلفظ:"وهو يأرز بين المسجدين، كما تأرز الحية في جحرها" كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً ... (٢/١٧٦/ح١٤٦).

صحيحة عن أبي هريرة، قال: (لا أزال أحب بني تميم، بعد ثلاث سمعتها من رسول الله ﷺ يقولها فيهم: (هم أشد أمتي على الدجال)، وكانت فيهم سبية عند عائشة، فقال: أعتقيها، فإنها من ولد إسماعيل، وجاءت صدقاتهم، فقال: هذه صدقات قومي)[١] . فلتحيا مشايخ بني تميم، ولتحيا الشيوخ آل سعود، وليحيا مليكنا المعظم، أدام الله نصره، ورفع قدره، وخلد ذكره)).

وجاء في نهاية خطابه قوله: ((وقبل الختام، أقول لك كلمة نصح أيها الملك، لقد كنت سلطاناً على نجد في ظهر الشداد بين البوادي والعربان، فاختارك الله لبلده الأمين، فخذ أهلها بالعطف واللين، وخدمة الدين والمساكين، فأنت اليوم إمام الحرمين وخادم الدين والطود الراسي، ولله فيك سر وشأن سيظهره الزمان، فكن من الشاكرين **﴿واصبر فإن العاقبة للمتقين﴾**.

وأوصيك بما أوصى به النبي ﷺ عتاب بن أسيد حين ولايته لمكة، قال: أتدري على من وليتك، قال: لا، قال: وليتك على أهل الله وخاصته، فاستوص بهم خيراً) يكررها عليه ثلاثاً[٢].

والميزان قوله تعالى: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾** والمثل الشهير:

---

(١) متفق عليه. رواه البخاري في كتاب المغازي، باب قال ابن إسحاق غزوة عيينة ... (٨/١٠٥/ح٤٣٦٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب في فضائل غفار وأسلم ... (١٦/٧٥/ح٢٥٢٥).

(٢) رواه أبو الوليد الأزرقي في أخبار مكة (٢/١٥١)، وإسناده مرسل، ولم يصح مرفوعاً في هذا المعنى شيء، إلا أنه ورد بإسناد حسن عن ابن أبي مليكة تسمية أهل مكة بأهل الله، وهذا الأثر يفيد أن هذا الاسم كان مشهوراً في تلك الفترة، ويظهر أن ذلك كان في زمن الصحابة.

انظر: "فضائل مكة الواردة في السنة"، تأليف: د. محمد بن عبد الله الغبان. دار ابن الجوزي. ط١. (١٤٢١هـ). (ص١/٣٩٦).

إن آثارنـــا تـــدل علينـــــا فانظروا بعدنا إلى الآثـــار))[1].

ثانياً: خطابه في المدرسة الصولتية[2]:

لقد كان من عادة القائمين على المدرسة الصولتية أن يقيموا حفلاً في نهاية العام الدراسي، يجتمع فيه أهل العلم من منسوبي المدرسة بغيرهم، بغية النـــهوض بالمـــستوى التعليمي للمدرسة، ولاستعراض أهم نتاجها خلال العام.

وقد ألقى الشيخ أبو بكر خوقير خطاب حفل المدرسة المقام عام (١٣٣٠هـ)، ومما جاء فيه:

((أيها السادات، نحمد الله الذي رفع شأن العلم، وجعل أهله خواص خلقـــه، وجعل هذا البلد الأمين مطلع شمسه، وجعل أفئدة الناس معلقة به، فجمعنا في كل عـــام في هذا النادي بأمثالكم من الحجاج المشتركين بهذا الاحتفال المعدود من الآثـــار الـــتي يسير بذكرها المسافر، ... بما أنه معيار ترقي التعليم في هذه المدرسة، ومظهر نتيجـــة أعمالها في عامها، والموازنة بين ماضيها وحاضرها، ومقدار سير التعليم فيهـــا وخدمـــة المعلمين، وفضل البارعين من المتعلمين ...)).

وقد تناول في خطابه شكر الذين قاموا بإنشاء المدرسة من أهل الهند، وحـــث بقية الأجناس على أن تحذوا حذوهم، بما يرتقي بالتعليم العام، وكذلك حـــث علـــى الاستفادة من موسم الحج، حيث يحصل التعارف بـــين أصـــحاب المعـــارف، لحـــل المشكلات المعقدة في مسائل التعليم من انتخاب الكتب، وتوحيد وجهة التعليم، وإيجاد المعلمين الحائزين على الصفات العالية، وأشاد بالنهضة العلمية في مصر، وما كان مـــن تشكيل مجلس إدارة للجامع الأزهر عام (١٣١٢هـ) مما أدى إلى تنظيم التعليم وترتيـــب

---

(١) "جريدة أم القرى". العدد (٦٢) بتاريخ (١٣٤٣/٨/٢٠هـ)، و العدد (٦٣) بتاريخ (١٣٤٣/٨/٢٧هـ).

(٢) تقدم التعريف بها (ص٢٦).

مراحله. ثم تحدث عن بعض نتائج المدرسة في السنة الماضية، وعن أعـــداد النـــاجحين، وتحدث عن الفنون التي تدرس في المدرسة، وأكد أهمية تكرير الامتحانـــات وجعلـــها شهرية، وأهمية وضع قانون صارم في التأديب ومعيار الأخلاق والتهذيب، واقترح إضافة مادة الجغرافيا من خلال بعض الكتب الصغيرة.

وفي الختام دعا بالرحمة لمؤسس المدرسة الشيخ رحمة الله، وبالثبـــات للقـــائمين بخدمتها[١].

(١) انظر: "التعليم في مكة والمدينة، آخر العهد العثماني". د.محمد عبد الرحمن الشامخ. ط١. (١٣٩٣هـ). دار العلوم الرياض. (ص١٦١-١٦٤)، وأحال على: "صدى العلم من الحجاز". طبـع عـام (١٣٣١هـ). (ص١٦، ١٧).

* المطلب الثالث: تقريظ بعض العلماء والفضلاء لبعض كتبه.

جرت عادة بعض العلماء إذا ألفوا كتاباً أن يعرضوه على بعض العلماء المحققين، للاستفادة والاستزادة منهم، وتدارك بعض الأمور أو تحقيقها. وقد يقوم أولئك بتقريظ الكتاب، مما يؤكد على أهميته، ويعرف بقيمته العلمية، ويبين موافقة عدد من العلماء لمضمونه، ويوثق المؤلف والمؤلف عند من لا يعرفه، ويثني عليه.

وقد ذيل كتابان للشيخ بعدد من التقريظات، الأول كتاب: "ما لا بد منه"، والثاني كتابه الأدبي: "مسامرة الضيف بمفاخرة الشتاء والصيف".

أولاً: تقريظ كتاب "ما لا بد منه" :

قام جماعة من علماء الأزهر وفضلائه بتقريظ كتاب الشيخ أبي بكر، الموسوم بما لا بد منه في أمور الدين. وفيما يلي بيان ذلك:

تقريظ العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي(١):

وجاء فيه : ((فقد اطلعت على كتاب "ما لا بد منه في أمور الدين"، لمؤلفه الفاضل الشيخ أبي بكر بن محمد عارف، المدرس بالحرم المكي، صانه الله من الأعداء،

---

(١) الشيخ محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي، مفتي الديار المصرية ومن كبار فقهائها، أكب على التدريس والإفادة بهمة نادرة، ثم ندب للاشتغال بالقضاء، فتنقل في وظائفه حتى بلغ أعلى درجاته، ومن ذلك قضاء مصر نيابة عن القاضي التركي، ثم عين مفتياً للديار المصرية، وبعد تقاعده عكف على التدريس والإفتاء. وكانت له شهرة تجاوزت مصر إلى أنحاء العالم الإسلامي. وله تآليف عديدة مفيدة. كانت وفاته رحمه الله عام (١٣٥٤هـ).

انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٢٠٦)، و"الأزهر في ألف عام". د.محمد عبد المنعم خفاجي. عالم الكتب. بيروت. ط٢. (١٤٠٨هـ). (٢/٤٦-٤٨)، و"الأعلام الشرقية" (ص٤٩٧-٤٩٩)، و"الأعلام" (٦/٥٠)، و"معجم المؤلفين" (٣/١٥٩).

فوجدته كتاباً يحتاج إليه المبتدئ ولا يستغني عنه المنتهي... جزى الله مؤلفه أحسن الجزاء، وأكثر من أمثاله في السادة العلماء ...)) (١).

تقريظ الإمام شيخ الحنابلة بالأزهر الشيخ أحمد البسيوني(٢):

ومما جاء فيه: ((فقد اطلعت على بعض هذا الكتاب، فوجدته متحلياً بعقائد التوحيد السلفية، ناطقاً بما كان به السلف يعتقدون بين البرية، قاطعاً لبدعة المخالفين، الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، مؤيداً لما يجب على المكلفين من العقائد اعتقاده شرعاً. تالله إنه لفريد في بابه، ولم ينسج ناسج يوماً على منواله، وكيف لا وهو حديقة للناظرين، وشاهد عدل لمؤلفه بالفضل بين أقرانه، وناطق بعلو قدره بين أهل عصره وزمانه، وإنه لجدير بأن تفتخر به الأقطار الحجازية، ويقوم على منبر الشكر له أهل ديارنا المصرية، وهو العالم الفرد بلا إفك ولا شك، محيي مذهب الإمام أحمد بن حنبل بالحرم المكي، مَن لسان الحمد بالشكر له جدير، الأستاذ أبو بكر خوقير...)) (٣).

تقريظ الأستاذ عبد الوارث بن عبد الصمد الصعيدي المالكي:

وجاء فيه: ((فقد أطلعت على هذه الرسالة، فأعجبني حسن صنيعها، كيف لا وهي محض النصيحة، موافقة للنصوص الصريحة، لا عيب فيها إلا أنها قليلة المباني، جليلة المعاني، ناشئة من قلب طيب، وبارزة من قلب حبيب، فلله در مؤلفها، فقد أبدى للأئمة النصائح، فجزاه الله عن هذه الأمة الجزاء الأوفى، وقربه ومن يلوذ به لديه زلفى، وأيد به السنة، وهدم به البدعة، وأدام لأمته نفعه ...)) (٤).

---

(١) "ما لا بد منه" (ص٨١).

(٢) الشيخ أحمد البسيوني، شيخ الحنابلة بالأزهر، ومن أشهر علمائه في القرن الرابع عشر، وكان من طليعة الشيوخ البارزين على طريقة الأزهر القديمة. انظر: "الأزهر في ألف عام" (٢١٤/١).

(٣) "ما لا بد منه" (ص٨٣،٨٤).

(٤) السابق (ص٨٢).

تقريظ العلامة الشيخ عبد المعطي السقا الشافعي:

وجاء فيه: ((فلما وفد على مصر المحروسة، سنة (١٣٣٢هـ) الفاضل العلامة، والحبر البحر الفهامة، الأستاذ الشيخ أبو بكر خوقير، المدرس بالحرم الشريف المكي، أتحفنا بتأليف له متين، فيما لا بد منه في أمور الدين، فألفيناه قد وضع على نمط يسهل معه تناول ما حواه للطالب، ولو أن كل مؤلف نحا ما نحاه الأستاذ في وضع كتابه، لما شكا قارئ صعوبة، فجزاه الله خير الجزاء ...)) (١).

تقريظ العلامة الشيخ محمد الذهبي الحنبلي الأزهري:

وجاء فيه: ((فقد اطلعت على هذا الكتاب الجليل، فوجدته عديم المثيل، لما احتوى عليه من جمع الشوارد وعموم الفوائد والفرائد من أحكام أصول الدين التي تمسك بها أهل اليقين، لصاحبه قدوة الأماثل، وعمدة الفضائل، مربي السادة العاملين، ومرشد القادة النجباء الراشدين، لازال محفوظاً بعناية رب العالمين، ونفع بكتابه عموم المسلمين، تالله إنه لكتاب ناطق بالعدل، شاهد لمؤلفه بالبراعة والفضل، قاصم للبدع الفاسدة المضلة، مثبتاً لعقائد السلف الصالح المرضية، لقد أبدعه مؤلفه على أحسن نظام، وأكمل وأودع فيه من الحكم ما فصل في غيره وأجمل...)) (٢).

تقريظ العلامة الأستاذ الشيخ حسين العبوشي الحنبلي الأزهري:

ومما جاء فيه: ((فقد اطلعت على كتب كثير من المتقدمين، وتصفحت مؤلفات كثير من المتأخرين، فما وجدت أسهل مورد للمبتدئين، وأعذب مصدر للمنتهين، من كتاب ما لا بد منه في أمور الدين، فياله من مؤلف جني الجنين، دانياً للمقتطفين، كافياً للموحدين، ولا عجب، فهو تأليف الأستاذ الجليل، والورع النبيل، الشيخ أبي بكر

---

(١) "ما لا بد منه" (ص٨٢، ٨٣).

(٢) السابق (ص٨٥).

خوقير ...)) [١].

ثانياً: تقريظ كتاب "مسامرة الضيف بمفاخرة الشتاء والصيف" :

قام عدد من الأدباء والفضلاء بتقريظ هذا الكتاب الذي يصور محاورة بين الشتاء والصيف في مقامة لطيفة ومقالة ظريفة، تضمنت أبياتاً شعرية للمؤلف.

تقريظ الأديب الشيخ عبد الغني اللبدي النابلسي[٢]:

وجاء فيه: ((فقد من الله تعالى علي في هذا العام السادس عشر بعد الثلاثمائة والألف من هجرة المصطفى عليه الصلاة والصلام بزيارة بيت الله الحرام وشهود المشاعر العظام، فاجتمعت بصاحبنا الأديب والعلامة الأريب ذي الرأي الصائب والفهم الثاقب الفاضل النحرير الشيخ أبي بكر بن محمد خوقير، القاطن في ربوع هذا البلد الأمين، والمعدود من أعيان أدباء فضلاء ساكنيها العرانين، فأطلعني حفظه الله على هذا التأليف النفيس، الذي أذعن لفضله المرؤس والرئيس، في المفاخرة بين الشتاء والصيف بكلام لا شطط فيه ولا حيف، فقد سلك فيه مسلكاً وسطاً، مع أني لم أجد له فيه فرطاً، بل هو مؤلف بديع، مرصع بالجوهر النفيس أتم ترصيع، فمن تأمله وجد فضله على جانب عظيم من الترجيح غنياً عن الإطناب أو الإطراء في مقام المديح، فلا يزينه مدح أمثالي، ولا يشينه قول قالي، وبالجملة فهو كشادن حارت في أوصافه العشاق، واشتغلت بالتطلع إلى شمائله أحداق الآماق ...)) [٣].

---

(١) "ما لا بد منه" (ص٨٥، ٨٦).

(٢) الشيخ عبد الغني بن ياسين اللبدي النابلسي، العالم الجليل، صار مدرساً بالمسجد الحرام. كان تقياً مهيباً حسن الهيئة، وكانت وفاته بمكة عام (١٣١٧هـ) رحمه الله. انظر: "مختصر طبقات الحنابلة" (ص١٧٨)، و"الإضافات على النعت الأكمل" (ص٣٩٥).

(٣) "مسامرة الضيف بمفاخرة الشتاء والصيف". للشيخ أبي بكر خوقير. طبع في بيروت. (١٣٢٠هـ). (ص٨٧،٨٨).

تقريظ الفاضل الأديب محمد باز المكي(١):

وجاء فيه: ((فلما سرحت الطرف في محاسن روض هذه المقامة، وارتويت بريق رائق معانيها، ألفيتها لكل نديم مدامة، لا بل هي السحر إلا أنه الحلال، والماء إلا أنه الزلال، تشهد لمحررها الفخر أبي بكر خوقير بالفخر، وتذعن بأن ما أتى به فيها هو دمية القصر ويتيمة العصر، ما بين مواصيل رائقة، ومقاطيع فائقة، وأمثال تضرب للناس للاستئناس، وروايات تطرب الأسماع لرقتها بلا التباس، فاخر فيها بواسع درايته بين الشتاء والصيف، وساعد كلاً منهما على صاحبه بلا حيف، بالدرقة والسيف ...))(٢).

تقريظ الحكيم محمد أجمل خان بهادر الدهلوي:

وجاء فيه: ((فقد فزت برسالة في غاية الفصاحة ونهاية الرجاحة والملاحة، ومقالة في نهاية البلاغة، محكمة الصنعة مونقة الصياغة، مرتع لأفكار الأدباء ومطمح لأنظار الفصحاء ...

وتلك الرسالة مؤلفها الفاضل اللبيب والعالم الفاضل الأديب النبيل النحرير الشيخ أبو بكر بن محمد خوقير، وضع فيها بدائع المعاني وصنائع البيان، فيا لله من ريح هبت من ديار تهامة، وظهور نجم تلألأ بعد استتاره تحت الغمامة.

ألا أيها المطالع الصالح، تجد فيها الحر والبرد الكالح متنازعين كالمتعادين، إذا نظرت إلى حجج الأول وجدتها رفيعة، وإن لاحظت براهين الثاني ألفيتها منيعة، فانتهى أمرهما إلى المصنف الفاضل، وركنت قضيتهما إلى هذا القاضي العادل، فراعى الجانبين،

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الله الباز الكتبي الشافعي المكي، الشاعر الأديب، ولد بمكة ونشأ بها وطلب العلم، ثم صارت له رغبة في الأدب، فصار ينظم الشعر الحسن، وقد عد من علماء القرن الثالث عشر الهجري. انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق٣/١٢٢)، و"تأريخ مكة" (ص٥٨٩).

(٢) "مسامرة الضيف" (ص٨٨،٨٩).

وأتى بما ليس فيه رين ولا شين.

والحق أن فيها من نوادر الأدب ما تجود بها أدباء العرب، إن رأيتها ازددت بها خبرة وبصيرة، لأنها طلعت كالدراري المنيرة، وهي تضاهي الكتب الشهيرة في هذا الباب ...)) (١).

تقريظ الشيخ محمد طيب المكي(٢):

ومما جاء فيه: ((فلله در المصنف حيث وفق للعدل في مثل هذا الزمان، وأفاض عليهما من نائل فضله الأمان، وهذا يدل على سلامة سليقته وغزارة مادته، وأيم الله إنه للعالم العلم، الذي يبري السيف إذا علّم بالقلم، ويصوغ من المداد اللئالي، ويريك الشمس في جنح الليالي ...

فهذا الكتاب للعلماء تذكرة، وللحذاق تبصرة، وللمتعلم منهاج، وللمبتدئ معراج، وفي المجالس نديم، وللضيف تكريم، فإنما هو مسامرة الضيف، ورحلة الشتاء والصيف، وأعجوبة الدهر وسلافة العصر.

كيف لا، ومصنفه ناصر السنة والكتاب، كما أنه مشيد أركان الآداب، أليس أنه لما برئ تقاعد كثير ممن يبجل عن نصرة مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل، قام بضبطه وتقوية ربطه، والتنويه باسمه في كل نادي، وإشاعته في كل مصر ووادي، فهو الذي إذا قرر انقادت له الشموس، ومتى حبر تطامنت لهيبته المحابر والطروس.

حبر إمام العصر كهف بنيه   بحر ذخائره لكل نبيه

---

(١) مسامرة الضيف (ص ٨٩،٩٠).

(٢) محمد طيب بن محمد صالح بن محمد عبد الله العلوي المكي، ولد بمكة ورحل في طلب العلم، له مشاركة في علوم متنوعة، كانت وفاته سنة (١٣٣٤هـ). انظر: "معجم المؤلفين" (١٠/١١٠) و"فصل المقال". تحقيق أبي بكر الشهال (ص ١٤٧).

بل عم من تهذيبه إحسانه ... فتراه يعطي النصح من يؤذيه
كالشمس يلحق كل شيء نورها ... والدوح يعطي الفضل من يرميه
روض العلوم وزهره أخلاقه ... بحر ولكن كل عذب فيه
ولقد تتبعت الزمان وأهله ... وعجمته مضغاً بلا تمويه
وصحبت فيه كل شهم كامل ... فرأيت منه بعض ما يخفيه
لكن أبو بكر صديق صادق ... صاف السريرة ناصح لأخيه
قد قام للإسلام قومة ناصح ... وأهال در الفضل بين ذويه
هذا إذا ركب اليراع بنانه ... جرت السوابق خلفه تبغيه
وإذا تكلم خاطباً ملك الورى ... حتى عِداه تقوم بالتنويه
أدب ودين في متانة رأيه ... وفكاهة وظرافة في فيه
ما فيه عيب غير أن زمانه ... زمن تعرى عن حلى التتريه
لكن أبو بكر معين كماله ... يصفو به زمني من التمويه
لا زال مضلعاً بكل فضيلة ... في ظل عز سابغ الترفيه[1]

---

(١) انظر: "مسامرة الضيف" (ص٩١-٩٣).

المبحث الخامس: مذهبه الفقهي.

تفقه الشيخ في بداية حياته على مذهب الأحناف، تبعاً لآبائه وأجداده، ثم اتجه إلى التفقه في المذهب الحنبلي[(١)]، وكان ذلك لسببين:

السبب الأول: رغبة جده الشيخ عبد القادر خوقير في أن يكون من أبنائه وأبنائهم من يتفقه على المذاهب الأربعة، وقد كان حفيده الشيخ أبو بكر على المذهب الحنبلي.

قال الشيخ زكريا بيلا في ترجمته للشيخ أبي بكر: ((وسألته — أي عم الشيخ أبي بكر- كيف صار الشيخ بكر[(٢)] حنبلي المذهب؟ فقال: إن والدي الشيخ عبد القادر خوقير رغب في أن يكون ابناؤه وابن ابنه المترجم [يتمذهبون] بالمذاهب الأربعة، وكان يعلمهم إياها، فخصص المترجم وابنه صديق للمذهب الحنبلي ...)) [(٣)].

السبب الثاني: ما أشار به عليه شيخه شيخ العلماء بمكة الشيخ عبد الرحمن سراج من أن يتفقه في المذهب الحنبلي، ليكون من علماء الحجاز من يتولى الفتيا بهذا المذهب، بدلاً من علماء نجد الذين كانوا يتولونه نظراً لعدم وجود أحد من علماء الحنابلة في الحجاز [(٤)].

قال الشيخ محمد منير المدمشقي : ((فدرس المرحوم المترجم له المذهب الحنبلي وتمكن فيه وبرع، حتى أملى على أحد تلامذته قبل موته بمدة مختصراً في الفقه، وقمنا بطبعه على نفقة الفاضل الشيخ محمد بن حمد بن راشد، المفتش في المدارس

---

(١) انظر: "مجلة المنار" (٣١/٢٤٠)، و"نموذج من الأعمال الخيرية" (ص٩٨).

(٢) صوابه : أبو بكر.

(٣) "الجواهر الحسان" (ص٤٢١).

(٤) انظر: "مجلة المنار" (٣١/٢٤٠)، و"نموذج من الأعمال الخيرية" (ص٩٨).

الأميرية والأهلية بمكة)) (١).

وهذا المختصر الذي أملاه الشيخ مطبوع بعنوان: " مختصر في فقه الإمام المبجل والحبر المفضل، شيخ أهل السنة والجماعة أحمد بن محمد بن حنبل، إملاء الشيخ العالم العلامة أبي بكر خوقير"(٢).

ولعل أقدم ما يفيد نسبة الشيخ إلى المذهب الحنبلي، ما جاء في الطبعة الحجرية لكتاب "أوجز السير لخير البشر" المطبوع عام (١٣١١هـ)، إذ كُتب في حاشية المقدمة: ((قام بتصحيحه على الوجه الأتم في بمبيء في شهر رجب الأصم سنة (١٣١١هـ) بقلم العبد الحقير أبي بكر بن محمد خوقير المكي الكتبي الحنبلي السلفي عامله الله بلطفه الخفي))(٣).

وقد بين الشيخ عنايته بكتاب "البلبل في أصول الفقه على أصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل. لسليمان عبد القوي" وقيامه بنسخه وحفظه ومقابلته على نسخة الشيخ أحمد بن إبراهيم، فجاء في نهاية المخطوط :(([تمت] قراءة هذه النسخة ومقابلتها على الوجه الأتم على حسب الطاقة على شيخنا علامة نجد الأوحد الشيخ أحمد، في ربيع الأول عام ألف وثلاثمائة وأحد عشر من هجرة خير البشر على نسخته [إلى] آخرها. بلغ مقابلة وحفظاً ... كتبه الحقير أبو بكر بن محمد خوقير المكي الكتبي)) (٤).

---

(١) "نموذج من الأعمال الخيرية" (ص٩٨).

(٢) سيأتي التعريف بالكتاب في الفصل الرابع.

(٣) "أوجز السير لخير البشر المنقول من الخط القديم المنور برواية أهل الأثر والنقل المعتبر" عن الإمام أبي الحسين أحمد بن فارس. ط.بمبيء (١٣١١). (ص١).

(٤) نقلاً عن "الأعلام" (٧٠/١).

وسيأتي بيان تولي الشيخ إفتاء الحنابلة بمكة عام (١٣٢٧هـ)[١].

وقد قال الزركلي في ترجمته: فقيه حنبلي[٢]، وقال كحالة: أبو بكر بن محمد عارف خوقير، الحنبلي[٣].

ووصفه شيخ الحنابلة بالأزهر الشيخ أحمد البسيوني بأنه: ((محيي مذهب الإمام أحمد بن حنبل بالحرم المكي)) [٤].

وقال عنه الشيخ محمد طيب المكي: ((ولما تقاعد كثير ممن يبجل عن نصرة مذهب الإمام إبي عبد الله أحمد بن حنبل، قام بضبطه وتقوية ربطه، والتنويه باسمه في كل نادي، وإشاعته في كل مصر ووادي)) [٥].

كما أنه وردت ترجمة الشيخ في عدد من الكتب الخاصة بتراجم الحنابلة:

- تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة[٦].
- الإضافات على النعت الأكمل[٧].
- علماء الحنابلة[٨].

كما ورد ذكر الشيخ في بعض الكتب المعنية بالمذهب الحنبلي:

---

(١) انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق٣/٣٢،٣٣)، و"إفادة الأنام" (ق٧/٦٦٥)، و"علماء نجد" (٢/٥٩٩)، و"تسهيل السابلة" (٣/١٧٨٥).

(٢) "الأعلام" (١/٧٠).

(٣) "معجم المؤلفين" (٣/٧٣).

(٤) "ما لا بد منه" (ص٨٤).

(٥) "مسامرة الضيف" (ص٩٢).

(٦) (٣/١٧٩٧).

(٧) (ص٤١٦).

(٨) ترجمة رقم (٣٥٨٨).

- المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل[١].
- مصطلحات الفقه الحنبلي[٢].
- الدر المنضد في أسماء كتب مذهب الإمام أحمد[٣].
- معجم مصنفات الحنابلة، من وفيات (٢٤١-١٤٢٠هـ)[٤].

وقد بين الشيخ أبو بكر -رحمه الله- نسبته للمذهب الحنبلي في عدد من كتبه:

فقال في نهاية كتابه " ثبت الأثبات الشهيرة" : ((كتبه بقلمه الفقير إلى الله الخبير أبي بكر بن محمد عارف خوقير، المكي الحنبلي، عفى عنه مولاه العلي)) [٥].

وقال في لكتاب نفسه : ((وبمناسبة كوني حنبلياً، أذكر المسلسل بالحنابلة...))[٦].

وجاء في خاتمة كتابه " تحرير الكلام في الجواب عن سؤال الهندي عن صفة الكلام" : ((حرره شيخ الحنابلة بمكة المشرفة، أبو بكر بن محمد خوقير عفى الله عنهما)) [٧].

---

(١) تأليف: بكر أبو زيد. دار العاصمة. ط١. انظر: (ص: ٦٨١، ١٠١٥، ١٠٦٠).

(٢) لسالم بن علي الثقفي. ط٢. (١٤٠١هـ). دار النصر للطباعة الإسلامية. القاهرة. (ص٢٥١).

(٣) لعبد الله بن علي بن حميد السبيعي. تحقيق وتعليق وتذييل: جاسم بن سليمان الدوسري. دار البشائر الإسلامية. بيروت. ط١. (١٤١٠هـ). (ص١٠٢).

(٤) تأليف: د.عبد الله بن محمد الطريقي. ط١. (١٤٢٢هـ). (٢٩٢/٦-٢٩٥).

(٥) (ق١٣ب).

(٦) (ق١١أ).

(٧) (ق١٩) من النسخة الموجودة بمكتبة الحرم المكي، وفي نهاية نسخة مكتبة جامعة الملك سعود، كتب: (جرت مقابلتها على المنقول من الأصل الذي بخطي في جمادى الثانية سنة ١٣٣٧هـ).

المبحث السادس: وظائفه.

لقد تقلد الشيخ أبو بكر خوقير -رحمه الله- عدداً من الوظائف خلال حياته التي قضاها بين العلم والتعليم.

وقد كان بعض تلك الوظائف في زمن الأشراف، وكان لا يلبث أن يعزل منها، لما كان يعرف عن الشيخ من قوته في الحق، وتمسكه بمذهب السلف، وكان يتهم بميله لأهل نجد[(١)]، وكانت تلك التهمة في ذلك الزمن من أشنع التهم وأخطرها.

وفيما يلي بيان وظائفه في زمن الأشراف، وفي العهد السعودي.

ويلاحظ أن التفريق بين المذاهب الأربعة كان أمراً ظاهراً مبالغاً فيه، حتى كان في الحرم المكي أربعة مقامات، وإمام لكل مقام[(٢)].

وقد كان اتجاه الشيخ للتفقه في المذهب الحنبلي سبباً في اشتغاله بالوظائف المتعلقة بهذا المذهب في الحرم المكي.

وقد تفقه الشيخ في المذهب الحنبلي وبرع فيه حتى كان له من وظائف المذهب: إمامة الصلاة في المقام الحنبلي، والإفتاء، والتدريس[(٣)].

ثم في عام (١٣١٤هـ) غضب الشريف عون على شيخ العلماء بمكة، الشيخ عبد الرحمن سراج، لقيامه بكتابة مضابط إلى الوالي بتركيا يشتكي تصرفات الشريف، فكان من الشريف عون أن عزله وجميع رجاله من المفتين والمدرسين، وكان للشيخ أبي بكر من تلك الوظائف ما سبق ذكره.

---

(١) "نموذج من الأعمال الخيرية" (ص١٠١).

(٢) انظر: مبحث التعصب المذهبي في "الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين". رسالة ماجستير بجامعة أم القرى. علي بن بخيت الزهراني. دار طيبة. ط٢. (١٤١٨هـ). (٧٣/٢).

(٣) انظر: "مجلة المنار" (٢٤٠/٣١).

وبعد عزله اشتغل الشيخ بتجارة الكتب، وكان يدعو للشريف عون بالرحمة، لإلجائه إلى تجارة الكتب، التي تعينه على طلب العلم(١).

وفي عام (١٣٢٤هـ) و(١٣٢٥هـ) كان الشيخ أحمد فقيه الشافعي(٢) مفتياً للحنابلة، وكان الذي يكتب له الفتوى ويستشار فيها الشيخ أبو بكر خوقير(٣).

وفي عام (١٣٢٦هـ)(٤) صار الشريف حسين أميراً لمكة، ثم في عام (١٣٢٧هـ) عزل الشيخ أحمد فقيه الشافعي، وعين الشيخ أبا بكر خوقير مفتياً للحنابلة، ثم بعد يومين فقط عزله(٥) بوشاية بعض معاصريه واتهامه عند الشريف بأنه "وهابي" أي سلفي (٦)، ثم ولى الشريف الشيخ عبد الله بن حميد إفتاء المذهب.

وقد كان الشيخ أبو بكر مدرساً بالحرم المكي عام (١٣٣٢هـ)، حيث كتب على صفحة عنوان كتاب "ما لا بد منه": لمؤلفه الشهير، العلامة النحرير، المدرس بالحرم المكي الشيخ أبي بكر خوقير.

وقد قال الشيخ في خاتمة الطبع للكتاب: ((... حين وصولي إلى مصر

---

(١) "مجلة المنار". وقد كتب في نهاية كتابه " مسامرة الضيف بمفاخرة الشتاء والصيف" (ص٨٣): "قال ذلك بفمه ورقمه بقلمه العبد الحقير أبو بكر بن محمد عارف خوقير الكتبي بمكة في باب السلام، وكان تحرير ذلك في غاية جمادى الآخرة من عام ألف وثلاثمائة وستة عشر من هجرة خير البشر صلى الله عليه وسلم".

(٢) الشيخ أحمد بن عبد الله بن جعفر فقيه الشافعي، ولد عام (١٢٧٣هـ) بمكة ونشأ بها، وحفظ القرآن، واشتغل بطلب العلم على علماء عصره، كما اهتم بالأدب والشعر. وقد كان خطيباً وإماماً بالمسجد الحرام. انظر: "المختصر من نشر النور والزهر" (٧٥/١، ٧٦)، و"أعلام المكيين" (ص٧٣٠).

(٣) "مجلة المنار" (٣٢٠/٣١).

(٤) انظر: "تأريخ مكة" (ص٥٦١).

(٥) انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق٣٢/٣، ٣٣)، و"إفادة الأنام" (ق٦٦٥/٧)، و"علماء نجد" (٥٩٩/٢)، و"تسهيل السابلة" (١٧٨٥/٣).

(٦) "مكة في القرن الرابع عشر" (ص٢٨٤) "حاشية".

المحروسة لتمضية شهري الصيف، الأسد والسنبلة، مدة التعطيل للدروس عندنا في الحرم المكي ...)) [(١)].

كما أنه جاء في بعض تقريظات الكتاب: ((فلما وفد على مصر المحروسة عام (١٣٣٢هـ) الشيخ أبو بكر خوقير المدرس بالحرم المكي ...))[(٢)].

وكذا في عام (١٣٣٤هـ) كان مستمراً بالتدريس في المسجد الحرام، فقد كتب في نهاية كتابه "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" : ((هذا آخر ما جرى به القلم في كتاب التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق ... وكان ذلك في يوم الخميس المبارك الموافق واحداً وعشرين من شهر شعبان من العام المبارك الرابع والثلاثين بعد الثلاثمائة والألف من هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ... على يد مؤلفه الفقير إلى المولى الخبير أبي بكر بن محمد عارف خوقير المدرس بالحرم المكي ...)) [(٣)].

ومن الوظائف التي شغلها الشيخ في عهد الشريف حسين: عضوية مجلس الشيوخ، حيث جعله الشريف عضواً فيه[(٤)]، ثم عزله بعد سنة، لاعتراض الشيخ على خوض محرر جريدة القبلة في تفسير كتاب الله بغير علم، وقد كان الحسين بن علي نفسه يحرر المقالات الرئيسة في تلك الجريدة [(٥)].

وفي آخر سنوات الأشراف، كانت محنة الشيخ، حيث سجن، ولبث في

---

(١) "ما لا بد منه" (ص٨٠).

(٢) انظر: "ما لا بد منه" (ص ٨٢).

(٣) (ق٣١أ).

(٤) ورد ذكر الشيخ أبي بكر خوقير ضمن أعضاء مجلس الشيوخ الذي أسسه الحسين بن علي. انظر: "الثورة العربية الكبرى" (١٣٣/٣)، و"العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز" (ص٣٤٧).

(٥) "مجلة المنار" (٢٤٠/٣١)، و"الثورة العربية الكبرى" (١٥٧/٣)، و"مجلة العرب" (٥٩٠/٥).

السجن بضع سنين، إلى دخول جيش الإخوان والملك عبد العزيز مكة عام (١٣٤٣هـ)[١].

وبعد خروج الشيخ من السجن لم يطلب وظيفة ولا مساعدة ولا وسط أحداً في ذلك، مع كونه من أكابر علماء السلفيين وفقهاء الحنابلة في الحجاز. وقبل أن يموت بسنة، أرشد بعض العارفين بحاله الملك عبد العزيز، ونوه بقدر هذا الرجل ومكانته ومنزلته في العلم والعمل، فجعله مدرساً في الحرم الشريف[٢].

وقد صدر الأمر السامي من جلالة الملك عبد العزيز –رحمه الله– بتعيين الشيخ أبي بكر خوقير مدرساً بالحرم المكي، ونشر ذلك في جريدة أم القرى[٣].

ولم يلبث الشيخ بعد ذلك إلا مدة وجيزة وانتقل إلى الدار الآخرة، رحمه الله، وأبدله داراً خيراً من داره.

---

(١) سيأتي الكلام على محنة الشيخ، في المبحث الخاص بذلك.

(٢) "نموذج من الأعمال الخيرية" (ص١٠١).

(٣) العدد (٢٩٢)، بتاريخ الجمعة، الموافق (١٥/٢/١٣٤٩هـ)، (ص٢).

المبحث السابع: دعوته الإصلاحية، والمؤلفات في الرد عليه.

كان الشيخ داعية إلى تصحيح ما وجد في مجتمعه من انحرافات عقدية، وكان أكثر ذلك فيما يتعلق بمسألة التوحيد وإخلاص أنواع العبودية لله.

قال عنه الشيخ محمد نصيف : ((كان من العلماء القليلين الذين كانوا يقومون بالدعوة السلفية زمن الأشراف)) [١].

وقال عمر عبد الجبار: ((وقد شغلت ذهنه مسألة التوحيد التي هي عماد الإسلام، والتي تبلورت في " لا إله إلا الله" ... فشرع يدعو إلى التوحيد بعبادة الله بما شرعه كالدعاء والذبح والنذر والاستعانة والاستغاثة ...

وكان رحمه الله ينقم على الذين يشدون الرحال للأولياء ويقدمون النذور لها ويتمسحون بالمقابر ويتذللون لها ويطلبون منها جلب الخير لهم ودفع الشر عنهم))[٢].

وقال محمد منير الدمشقي: ((ودرس مذهب السلف في العقائد الصحيحة الخالصة، وقام يناظر ويجادل ويؤلف الرسائل المفيدة في ذلك، ولا سيما في توسل العوام في القبور وطلب الحاجة من الأموات، فكان شديد الوطأة عليهم)) [٣].

وقد ألف الشيخ في الرد بدع القبوريين من التوسل والدعاء لغير الله كتابه "فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال" وكان كتابه هذا من أسباب محنته ونكبته مع الأشراف.

وقد ألف بعض أهل البدع ممن يشار إليهم بالبنان كتباً في الرد على هذا

---

(١) أخبرني بذلك عنه الشيخ وصي الله بن محمد عباس "مشافهة" بتاريخ (١٤٢٢/١١/٢٧هـ)، وقال: كان شيخنا محمد نصيف يقول ...

(٢) انظر: "سير وتراجم" (ص٢٣).

(٣) انظر: "نموذج من الأعمال الخيرية" (ص٩٩).

الكتاب وهم:

أولاً- مفتي الشافعية بمكة: محمد سعيد بن محمد بابصيل:

ألف كتاباً سماه: "القول المنير في الرد على رسالة أبي بكر خوقير"[(١)] وقال فيه: ((أما بعد، فقد وصلتني رسالة مؤلفها أبو بكر خوقير ذكر فيها ما يرد به على الأحاديث الدالة على طلب زيارة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والتوسل به، وأنها ضعيفة أو رواتها غير معتبرين عند علماء الحديث، وذكر فيها أنه لا يصح التوسل لا بالأحياء ولا بالأموات، إلى غير ذلك مما أطال به كما رآه من طالعها، وذكر فيها الثناء الكبير على ابن تيمية وسماه شيخ الإسلام واستند في معظم كلامه عليه، والثناء أيضاً على ابن عبد الوهاب النجدي ومدح مذهبه، فتعجبت من ذلك.

فأردت بما أكتبه في هذه الوريقات إبطال كلامه خوفاً من انتشار شره وشر رسالته في الآفاق، وجعلت ذلك في مطلبين. الأول: في بيان حال ابن تيمية وتوضيح شأنه مما بينه الثقات والكمل من رجال علماء الإسلام، والثاني: في بيان ما قرره العلماء في كتبهم ومصنفاتهم وما اجتمعت عليه الأمة من صحة مشروعية التوسل بالصالحين والأنبياء في حياتهم وبعد موتهم وغير ذلك))[(٢)].

ثم أخذ في سب شيخ الإسلام ابن تيمية وشتمه وانتقصه بأوصاف قبيحه[(٣)].

كما أخذ ينتقص الشيخ أبا بكر -رحمه الله- ومما قال: ((فصل: أذكر لك فيه عورات صاحب رسالة "فصل المقال" الذي هو أبو بكر خوقير ... لكن أحوجنا

---

(١) طبع بمطبعة إكليل المطابع، عام (١٣٢٩هـ)، وهو في (١٩) صفحة، وكتب في آخره: "تم تأليف هذه الرسالة بتاريخ ٢٩ ذي الحجة عام (١٣٢٧هـ) ".

(٢) "القول المنير" (ص١).

(٣) انظر: "القول المنير" (ص١).

إلى ذكره تجرؤه على الله وعلى رسوله وعلى عامة المسلمين وخاصتهم.

فمنها: أنه ادعى أنه مؤلف هذه الرسالة الضلالية، ومع كونها في الضلال، لا يظن أن مثله مع صغار رتبته يسود مثلها، بل الظن أنها من علماء الوهابية، وأظن أني اطلعت سابقاً عليه وألفت في الرد عليه رسالة سميتها: القول المجدي في الرد على عبد الله بن عبد الرحمن السندي[1]، ولعل الخوقير الذي هو أقل من أن يذكر اطلع على كلام السندي ونسبه إلى نفسه ...)) [2].

كما أنه أخذ يستعدي الحكام من الأشراف على الشيخ أبي بكر خوقير، ويقول: ((ومنها بل وأقبح مما سبق بكثير تعريضه بأمراء مكة وأنهم السبب في منع النجدي من الحج، ويعني بذلك التعييب والحط على سيدنا الشريف ... و ...

فحاربوه وقصدهم بمحاربته دفع شره عن أهل مكة، لأنهم لو دخلوها كفّروا جميع المسلمين واستحلوا أموالهم ودماءهم لأجل ما ابتدعوه من دينهم الجديد، ومنع هؤلاء الأمراء الأجلاء هو الحق، وطلب النجدي وجنوده للحج لأجل أن يكفر الناس ويدخلهم في دينه الجديد دين الضلال والفساد!

فما طلبه النجدي من أمراء مكة أن يحج وباطن أمره إظهار دينه وتكفيره المسلمين، ومنع أمراء مكة المذكورين رد شره عن أهل مكة، فيكون منعهم له مما طلب عين الحق والصواب، وطلبه هو أعني النجدي عين الضلال، فانظر حينئذ كيف جنح الخوقير الذي هو أصغر من أن يذكر إلى تحسين النجدي وفعله، والحط على أمراء مكة بإشارته بقوله: "وأما ما دار بينهم – أي النجديين- وبين الناس – يعني الأمراء المذكورين- من القتال فقد كان سببه منعهم من الحج" يعني بذلك أن النجدي

---

(١) مطبوع طبعة حجرية في (٢٩) صفحة.

(٢) "القول المنير" (ص١٦).

على الحق والأشراف على الباطل، عامله الله بما يستحقه)) [١].

ولا يخفى ما في كلامه من السفه والتعصب المقيت للباطل والبدع، وهذه سنة الله في خلقه، فلا يخلو زمان من دعاة للباطل يضلون الناس ويهدونهم إلى عذاب السعير.

ثانياً- مفتي الأحناف بمكة: محمد صالح بن صديق كمال[٢]:

وقد ألف رسالة بعنوان: " إقامة النكير على رسالة أبي بكر خوقير"[٣] وقد تكلم فيها عن السفر لزيارة القبور، واستحباب التوسل بالصالحين في الشدائد والنوازل المهمة، كما وصف الوهابية بالخوارج.

وقد ألف الشيخ أبو بكر -رحمه الله- بعد ذلك كتاباً سماه: "حسن الاتصال بفصل المقال في الرد على بابصيل وكمال"[٤]، ولكني لم أقف عليه.

---

(١) "القول المنير" (ص١٦،١٧).

(٢) محمد صالح بن صديق كمال الحنفي، ولد بمكة عام (١٢٦٣هـ) ونشأ بها وحفظ القرآن، ولزم أحمد دحلان وتتلمذ على غيره. تولى القضاء بجدة مدة عامين، وولي الإفتاء والإمامة والخطابة بالحرم، كانت وفاته عام (١٣٣٢هـ). انظر: "فيض الملك المتعالي" (ق ٣/٨،٧)، و"مختصر نشر النور والزهر" (ص٢١٩)، "سير وتراجم" (ص٢٣٣)، "أعلام المكيين" (٢/٨٠٧).

(٣) طبعت بمطبعة إكليل المطابع، عام (١٣٢٩هـ)، وهي في (٩) صفحات. وكتب في آخرها: "كان الفراغ من نقلها ظهر يوم السبت المبارك الموافق خمسة وعشرين من ذي القعدة الحرام أحد شهور عام السادس والعشرين بعد الثلاثمائة والألف ...".

(٤) لم يذكر هذا الكتاب إلا الشيخ محمد رشيد رضا في "مجلة المنار" (٣١/٣٢٠).

المبحث الثامن: محنته.

قال الله تعالى:﴿**ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا أمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**﴾(١) وجاء في الحديث: (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى المرء على قدر دينه، فإن كان دينه صلباً، اشتد بلاؤه ...)(٢).

ولا يخفى ما تعرض له كثير من الأئمة من المحن والأذى في سبيل الله، فقد تعرض إمام أهل السنة أحمد بن حنبل الشيباني للتعذيب والسجن أيام المأمون ومن بعده، وضرب بالسياط مراراً، حتى غشي عليه، في فتنة القول بخلق القرآن، وصبر وصابر، وكذا زميله أحمد بن نصر، قتل شهيداً في تلك الفتنة، وسعيد بن جبير أوذي في الله وقتله الحجاج بن يوسف، وسعيد بن المسيب عذب في الله فصبر، والإمام أبو حنيفة سجن، والشيخ تقي الدين ابن تيمية في فتنة التتار عذب في الله وسجن وأحرقت كتبه، ومات في السجن، وهذا وهم صابرون محتسبون للأجر (٣).

وقد كان قيام الشيخ أبي بكر بدعوته السلفية وجهاده في نصرة الحق بلسانه وقلمه سبباً في تعرضه للبلاء والمحنة في زمن الشريف الحسين بن علي.

قال محمد منير الدمشقي في ترجمته للشيخ أبي بكر: ((وقد امتحن وابتلي

---

(١) سورة العنكبوت، الآيات: (١-٣).

(٢) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء (٥/٥٢٠/ح٢٣٩٨)، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (٢/١٣٣٤/ح٤٠٢٣)، وفي سنن الدارمي (٢/٤١٢/ح٢٧٨٣)، ومسند أحمد (ح:١٤٨١،١٤٩٤،١٥٥٥،١٦٠٧)، وغيرهم. قال الألباني: هذا سند جيد. انظر: الصحيحة (ح١٤٣).

(٣) انظر: "روضة الناظرين" (ص١٦،١٧) وقد ذكر في أمثلة تعرض الأئمة للأذى ما جرى للشيخ أبي بكر خوقير.

وأوذي في الله إيذاء شديداً جزاء له على إنكار البدع والخرافات وتوسل القبوريين وضلالات المتصوفين، حبس أولاً ثمانية عشر شهراً، ثم حبس ثانياً نحواً من سبعين شهراً في عهد الشريف حسين)) [١].

وقال عمر عبد الجبار: ((بلغ ولاة الأمور دعوة الشيخ أبي بكر إلى محاربة البدع والخرافات فخافوا على مراكزهم وأساءوا الظن من نتائج دعوته، فتربصوا به وضيقوا عليه سبيل الدعوة ومنعوه من التدريس، ولما رأوا تمسكه بعقيدته وثباته في دعوته، أمر الحسين بن علي بالقبض عليه، فسجنه مع المجرمين في غرفة واحدة، سنة (١٣٣٩هـ) سجن دون تحقيق أو حكم، وظل في سجنه إلى أن زالت حكومة دولة الأشراف، فأفرج عنه مع كثير من السجناء المظلومين)) [٢].

وقال محمد عمر رفيع[٣]: ((وأعرف ممن كان في حبس القبو -وهو حبس خصصه الشريف لمن يشتد عليه غضبه- المرحوم الشيخ أبا بكر خوقير، وقد ظل في حبس القبو منذ عام (١٣٣٨هـ) أي منذ نحو خمسة سنوات ...)) .

وقال عمر عبد الجبار: ((لقد شاهدت الشيخ أبا بكر أثناء دخولي السجن في غرفته بملابس رثة، وهو أشعث طال شعر رأسه ولحيته، إذ لا يسمح لسجين باستعمال مقص أو موسى، فسلمت عليه، فرد علي السلام وقال: إن الله مع الصابرين، ولي أسوة بإمامنا أحمد بن حنبل)) [٤].

---

(١) "نموذج من الأعمال الخيرية" (ص٩٩، ١٠٠)، وانظر: "مجلة المنار" (٣١/٢٤٠).

(٢) "سير وتراجم" (ص٢٤).

(٣) محمد عمر رفيع: كاتب سعودي عاش أواخر عهد الأشراف، وله بعض المؤلفات، كانت وفاته عام (١٤٠٠هـ). انظر: "المنتقى من أخبار أم القرى". محمد عبد الله مليباري. ط١. (١٤٠٥هـ). (ص١٨٨). والنقل من كتاب محمد رفيع "مكة في القرن الرابع عشر" (ص٢٨٤).

(٤) "سير وتراجم" (ص٢٤).

وقد حبس ابن الشيخ أبي بكر المدعو عبد القادر في سجن القبو، ومات فيه من أثر التعذيب، ومات ابنه الآخر حسن من الحسرة والحزن.

قال الشيخ محمد رشيد رضا: ((وحبس ولده الشيخ عبد القادر في سجن القبو — الذي هو شر من سجن الحجاج بن يوسف، وقد سبق وصفه في المنار- فمات فيه صبراً، وكان له ابن صغير، فمات كمداً وقهراً)) (١).

وقد أفاد بذلك الشيخ زكريا بيلا، حيث ذكر أن ابن الشيخ مات في السجن خنقاً(٢)، ومحمد عمر رفيع ذكر بأنه مات من شدة التعذيب(٣).

وقد لبث الشيخ أبو بكر في السجن إلى دخول جيش الملك عبد العزيز إلى مكة عام (١٣٤٣هـ).

قال الشيخ الأمير عبد الله بن فيصل الفرحان آل سعود(٤): ((إن جيش الملك عبد العزيز بقيادة خالد بن لؤي قد دخل مكة المشرفة، وانطلق الجيش والإخوان يهدمون الأضرحة والقباب، ويؤمنون ساكني البلد الحرام، ويطوفون بالبيت العتيق، ثم عمدوا إلى السجن وأخرجوا الشيخ أبا بكر خوقير ومن معه.

وفي فجر ذلك اليوم وبعدما أم الشيخ أبو بكر تلاميذه ومن معه في السجن، إذ رأوا على وجهه البشر والسرور، فألحوا عليه في سر ذلك، فأنبأهم أنه بينما هو نائم إذ رأى جماعة قد اقتحموا السجن، وفكوا الحديد الذي في أرجلهم وأطلقوا سراحهم.

وكان الشيخ ومن معه لا يعلمون بالأحداث التي تجري في الخارج، وإذ برؤيا

---

(١) "مجلة المنار". (٣١/٢٤٠).

(٢) "الجواهر الحسان". (ص٤٢١).

(٣) "مكة في القرن الرابع عشر" (ص٢٨٤) " حاشية ".

(٤) وكان من المرابطين مع الملك عبد العزيز في حصاره لجدة عام (١٣٤٣هـ).

الشيخ تتحقق، فدخل الإخوان السجن - وكان فيهم من يعرف الشيخ- وأذن مؤذن منهم: يا خوقير، يا خوقير! فأخرجوا الشيخ ومن معه أجمعين)) (١).

قال الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ: ((رحم الله الشيخ أبا بكر خوقير، حيث جاهد في الله بقلمه ولسانه حق جهاده، وأوذي في ذات الله، فما ضعف وما استكان، والله يحب الصابرين)) (٢).

وقال محمد منير الدمشقي: ((وهكذا شأن العلماء المخلصين الموحدين العاملين المصلحين، فلهم أسوة بمن تقدم من الأنبياء والمرسلين والعلماء الوارثين، رحمه الله وجعل الجنة مثواه، فهؤلاء جاهروا بالحق وصدعوا به فما كان جزاؤهم إلا الثناء الجميل والذكر الحسن الخالد في الدنيا والثواب العظيم والأجر الكثير في الآخرة ...)) (٣).

---

(١) انظر: "من رأى رؤيا فكانت كما رأى". إبراهيم بن عبد الله الحازمي. دار الشريف. ط٤. (١٤١٨هـ). (ص١٥٧،١٥٨) باختصار.

(٢) "مشاهير علماء نجد" (ص٤٤٠).

(٣) "نموذج من الأعمال الخيرية (ص٩٩،١٠٠).

الفصل الرابع

دراسة وصفية لمؤلفات الشيخ

المبحث الأول: مؤلفاته في العقيدة:

المطلب الأول: مالا بد منه في أمور الدين.

المطلب الثاني: فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال.

المطلب الثالث: التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق. (مخطوط)

المطلب الرابع: تحرير الكلام في الجواب عن سؤال الهندي في صفة الكلام. (مخطوط)

المبحث الثاني: مؤلفاته في الفنون الأخرى.

المبحث الثالث: ما ذكر من كتب الشيخ ولم يتيسر الوقوف عليه.

المبحث الأول: مؤلفاته في العقيدة

لقد ترك الشيخ حصيلة علمية قيمة من مؤلفاته فيما يتعلق بالعقيدة، وقد قمت بدراسة وصفية لها، نظراً لأن بيان جهوده في العقيدة يعتمد على هذه المؤلفات(١).

المطلب الأول: كتاب "ما لا بد منه في أمور الدين".

عنوان الكتاب:

مالا بد منه في أمور الدين، على طريقة السلف الصالح ومذهب الإمام أحمد بن حنبل.

تأريخ التأليف:

جاء في خاتمة الكتاب أن الفراغ منه كان في السادس والعشرين من شهر رجب من عام ألف وثلاثمائة واثنين وعشرين من الهجرة.

وجاء في خاتمة الطبع أن الفراغ من طبع الكتاب كان في العشرين من شهر شوال، لعام ألف وثلاثمائة واثنين وثلاثين من الهجرة (٢).

نسخ الكتاب وطبعاته:

توجد نسخه خطية للكتاب بخط مؤلفه بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، برقم (٧٣١)، وعدد أوراقها (٤٣) ورقة.

---

(١) بحمد الله قد طبعت مجموعة مؤلفات الشيخ أبي بكر خوقير في العقيدة بتحقيق الشيخ الدكتور عبد الله الدميجي، وقامت جامعة أم القرى مشكورة ممثلة في لجنة تكريم رواد مكة المكرمة بطباعة المجموعة وتوزيعها في حفل تكريم الشيخ أبي بكر خوقير والذي أقامته الجامعة بتاريخ ١٤٢٥/١/٢٢هـ بالإضافة إلى طباعة مجموعة مؤلفات الشيخ في العلوم الأخرى بتحقيق نخبة من منسوبي الجامعة تأتي الإشارة إليهم.

(٢) "ما لا بد منه". مطبعة التمدن. (١٣٣٢هـ). (ص٨٠).

وقد طبع الكتاب في حياة مؤلفه، عام (١٣٣٢هـ) بمطبعة التمدن بمصر، في (٨٧) صفحة من القطع المتوسط، وهذه الطبعة موجودة بمكتبة الحرم المكي، ومكتبة مكة المكرمة.

وأعيدت طباعة الكتاب عام (١٤١٢هـ) بدار سعد النجيم للنشر والتوزيع، بتحقيق خالد بن علي العنبري، في (١٥٢) صفحة من القطع الصغير.

وهذا الكتاب أعيدت طباعته عدة مرات، وقد قامت إدارة التوعية الإسلامية بمكة بتوزيع عدد من نسخه[١].

توثيق النسبة:

نسب هذا الكتاب لمؤلفه كل من: عبد الستار الدهلوي في فيض الملك المتعالي (ق٣/٢٧٦)، ومحمد رشيد رضا في مجلة المنار (٣١/٣٢٠)، وعبد الله بن غازي في نثر الغرر (ق١٧)، والزركلي في الأعلام (٢/٧٠)، وكحالة في معجم المؤلفين (٣/٧٣)، وغيرهم ممن ترجم للشيخ[٢].

سبب التأليف وموضوع الكتاب :

قام الشيخ بتأليف هذا الكتاب ليكون جامعاً لأبواب الاعتقاد، بصورة مختصرة، بحيث يصلح مقرراً لتدريس العقيدة للطلاب في المدارس.

قال الشيخ أبو بكر في مقدمة الكتاب: ((فهذا (ما لا بد منه) في أمور الدين، كتبته لأبنائنا على وجه ينشرح به الصدر، ويمازج بشاشة القلب، حين قل السائل والمسؤول في مذهبنا، وصعب جمع ما ينبغي اعتقاده، وتخليصه من الأبحاث والأقاويل

---

(١) أفادني بذلك الشيخ عاطف بن عبد الحفيظ منشي عضو التوعية، مشافهة بتاريخ (١٤٢٣/٣/٣٠هـ).

(٢) وانظر "معجم مصنفات الحنابلة" (٦/٢٩٤)، وقد ذكرت أرقام الصفحات في المتن طلباً للاختصار.

وما فيها من التشنيع والتضليل ...)) [١].

وكتب على غلاف الطبعة: ((هذا القسم الأول في الاعتقاد في ثلاثة أبواب: (معرفة الله) و(دينه) و(نبيه)، وهي الثلاثة الأصول التي جاءت في سؤال الملكين: من ربك وما دينك ومن نبيك، وفيه بيان الكبائر وشعب الإيمان، وعسى أن يكون هذا الكتاب هو الضالة المنشودة للمدارس في العقيدة الإسلامية، وهو كالشرح على حديث جبريل في الإيمان والإسلام والإحسان ...)) .

أسلوبه :

هذا الكتاب على طريقة السؤال والجواب، ويتصف بالاختصار واستعمال الألفاظ التي يسهل فهمها وتناسب الطلاب، كما أنه مرتب على أبواب بها مطالب، تحت كل مطلب عدد من الأسئلة.

قال الشيخ أبو بكر –رحمه الله– في مقدمة الكتاب: ((سلكت فيه الطريقة العصرية والسنة النبوية في التعليم بالسؤال والجواب، كما في حديث الإسلام والإيمان والإحسان، لأن السؤال نصف العلم، والجواب بعده أوقع في النفس، وأسرع للفهم والحفظ. ورتبته على قسمين: القسم الأول في الاعتقاد، وهو في ثلاثة أبواب وفي كل باب مطالب ...))[٢] .

منهجه:

- الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة على مسائل العقيدة، وإن كان في هذا المختصر لم يدلل على كل مسألة[٣].

---

(١) "ما لا بد منه" (ص٢).

(٢) "ما لا بد منه" (ص٢،٣).

(٣) انظر: "ما لا بد منه" (ص٨،٧،٣،١٤) وغيرها.

- يحتج بنصوص عن الأئمة المتقدمين مثل الإمام أحمد والشافعي(١).
- يعتمد على أقوال الأئمة مثل ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن حجر والسفاريني وغيرهم(٢).
- يوضح مخالفة الخلف للسلف ويرجح قول السلف، كما في مسألة إثبات الخلف عدداً معيناً من الصفات(٣)، ومسألة التأويل(٤).
- أدخل الكلام على خصائص النبي ﷺ في كتابه هذا وهو كتاب عقيدة، وذكر أن هذا فعل بعض المتقدمين(٥).
- إذا ذكر قولاً لفرقة ما، فإنه قد ينسبه إلى مصدره(٦).

مصادره :

ذكر الشيخ عدداً من المصادر التي رجع إليها، ونقل بعض الأقوال بغير ذكر المصدر، وفيما يلي ذكر مصادره:

- أوجز السير لخير البشر، لابن فارس(٧).
- بهجة الناظرين، لمرعي بن يوسف الكرمي(٨).

---

(١) انظر: "مالا بد منه" (ص٣٩).

(٢)"ما لا بد منه" (ص: ٦، ٢٣، ٣٠، ١٨، ٧) على الترتيب.

(٣) انظر: المصدر نفسه (ص١٤-١٦).

(٤) انظر: المصدر نفسه (ص١١٦، ١٧).

(٥) انظر: نفسه (ص٦٠)، ومنهم السفاريني في عقيدته. مكتبة أضواء السلف. الرياض. ط١. (١٩٩٨م). (ص٨٤).

(٦) انظر: المصدر نفسه (ص١٦، ١٧).

(٧) انظر: المصدر نفسه (ص٥٧).

(٨) انظر: المصدر نفسه (ص٣٦).

- تفسير القرآن العظيم[١].
- جلاء الأفهام[٢].
- شرح الإقناع والمنتهى[٣].
- شرح عقيدة السفاريني (لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية)[٤].
- الزواجر، لابن حجر المكي[٥].
- عقيدة السفاريني (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية)[٦].
- عقيدة الصابوني (عقيدة أهل الحديث) [٧].
- فتح الباري، للحافظ ابن حجر[٨].
- كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب[٩].
- مدارج السالكين[١٠].

---

(١) انظر: "ما لا بد منه" (ص٣٠).

(٢) انظر: المصدر نفسه (ص٧٣،٧٤).

(٣) انظر: المصدر نفسه (ص٥١).

(٤) انظر: المصدر نفسه (ص٣٨).

(٥) انظر: المصدر نفسه (ص٤٤).

(٦) انظر: المصدر نفسه (ص٧،٢١،٣٨).

(٧) انظر: المصدر نفسه (ص٢٢).

(٨) انظر: المصدر نفسه (ص٥٣،٦٤).

(٩) انظر: المصدر نفسه (ص٩)، وذكر اسم الكتاب في الحاشية.

(١٠) انظر: المصدر نفسه (ص٤٤).

- منظومة الكبائر، لموسى الحجاوي[١].
- الهدي النبوي (زاد المعاد)[٢].
- الواسطية[٣].
- أحال على إحياء علوم الدين في تفصيل أضداد أعمال القلوب[٤].
- أحال قولاً للماتريدية على نظم بدء الأمالي[٥].

* كما نقل بعض النقولات بغير ذكر اسم المصدر الذي نقل عنه :

نقل عن ابن بطة، والبلباني، والحليمي ، واللخمي، والطحاوي[٦]، والقاضي عياض[٧]، والنووي[٨]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[٩]، وابن عقيل[١٠]، وابن القيم[١١]، وابن رجب[١٢]، والسيوطي [١٣].

---

(١) انظر: "ما لا بد منه" (ص٤٥).

(٢) انظر: المصدر نفسه (ص٦٨).

(٣) انظر: المصدر نفسه (ص٢٦).

(٤) انظر: المصدر نفسه (ص٥١).

(٥) انظر: المصدر نفسه (ص١٦).

(٦) انظر: المصدر نفسه (ص٧٣).

(٧) انظر: المصدر نفسه (ص٧٠).

(٨) انظر: المصدر نفسه (ص٥٦).

(٩) انظر: المصدر نفسه (ص٢٣،٦٨).

(١٠) انظر: المصدر نفسه (ص٤٢).

(١١) انظر: المصدر نفسه (ص٧).

(١٢) انظر: المصدر نفسه (ص٥١).

(١٣) انظر: المصدر نفسه (ص٥٣).

تقريظ الكتاب:

تقدم تقريظ بعض علماء ومشايخ الأزهر من المذاهب الأربعة للكتاب في الفصل السابق، في مبحث: "مكانة الشيخ العلمية".

المطلب الثاني: " فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال".

تأريخ التأليف:

جاء في خاتمة الكتاب: ((تم تأليف هذا الكتاب لأربع بقين من شعبان، سنة (١٣٢٤) من هجرة سيد المرسلين، عليه الصلاة والتسليم))[١].

طبعة الكتاب:

طبع الكتاب بمطبعة مجلة المنار بمصر سنة (١٣٢٤هـ) على نفقة عبد القادر التلمساني[٢].

ثم طبع حديثاً بتحقيق أبي بكر بن سالم الشهال. نشر دار المسلم. الرياض. ط١. (١٤٢٣هـ)، وقد أجاد محققه.

توثيق النسبة:

نسب هذا الكتاب لمؤلفه كل من: عبد الستار الدهلوي في فيض الملك المتعالي (ق٣/٢٧٦)، ومحمد رشيد رضا في مجلة المنار (٣١/٣٢٠)، وعبد الله بن غازي في نثر الغرر (ق١٧)، والزركلي في الأعلام (٢/٧٠)، وكحالة في معجم المؤلفين (٣/٧٣)[٣].

---

(١) "فصل المقال" (ص٧٢).

(٢) عبد القادر التلمساني أحد التجار بجدة، وقد تعامل معه الشيخ أحمد بن عيسى زمن إقامته بمكة، وكان ذلك سبباً في اهتداء التلمساني إلى منهج السلف وقيامه بنصرته بطباعة كتب الردود على المبتدعة مثل هذا الكتاب وكتاب "غاية الأماني في الرد على النبهاني" الذي قام بطباعته مع محمد نصيف. انظر ترجمة أحمد بن عيسى في كتاب أعلام نجد (١/١٥٥)، ومقدمة "غاية الأماني في الرد على النبهاني" (ص٦).

(٣) وانظر "معجم مصنفات الحنابلة" (٦/٢٩٣).

موضوع الكتاب وسبب التأليف:

قام الشيخ بتأليف هذا الكتاب للرد على بعض الشبهات في موضوع التوسل بالنبي ﷺ.

وبين الشيخ سبب تأليف الكتاب فقال في مقدمته: ((فقد بلغني ورود رجل من أفاضل الهند إلى ثغر جدة المحروس، فوصلت إلى محله للسلام عليه حباً في العلم وأهله، فحصلت معه مذاكرة في التوسل وما تفرع عنه من توسع الناس فيه قولاً وفعلاً، فظهر من هذا الرجل تعصب جاهلي وقال: إن آدم توسل بالنبي ﷺ وأنه ورد في تفسير قوله تعالى ﴿**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه**﴾ أنه قال: (يا رب بحق محمد اغفر لي) فكتبنا له عبارات الإمام ابن جرير والإمام ابن كثير في تفسير الآية، فأرسل إلينا رسالة بإمضائه أفرغ فيها ما في جعبته وأعرب عن وقاحته وما عنده من فاسد التعصب ... فوجب علينا الانتداب للرد على هذه الرسالة فكتبنا هذه العجالة ...))[١].

أسلوبه:

يمتاز أسلوب هذا الكتاب بالوضوح والموضوعية.

كما يتخلله إيراد بعض الأبيات الشعرية[٢].

ولا يخلو أسلوبه من شيء من الدعابة، كقوله مخاطباً المخالف: ((اعرف الحديث وما قيل فيه وفي حال راويه، فليس كل مرفوع حجة، كما أنه ليس كل مستدير رغيفاً !))[٣].

---

(١) انظر: "فصل المقال" (ص٢-٤).

(٢) انظر: المصدر نفسه (ص١٦، ١٨، ١٩) وغيرها.

(٣) المصدر نفسه (ص٢٦، ٢٧).

وكتعليقه على عبارة المخالف: ((وأيضاً ثبت عند أهـــل العلـــم والـــدين أن الإثبات بالذكر لا يدل على نفي غيره، والشيخ ما جاء في دليله ومكتوبه إلا بـــالقول المحض خالياً عن الأدلة الشرعية)) فقال الشيخ أبو بكر: ((أقول: هذه عبارة ركيكة لا يكاد يفهم معناها، ولكن نحن نترجمها! فمقصوده ...))[١].

منهجه:

من الممكن بيان منهج الشيخ في كتابه في النقاط التالية:

- التمسك بمنهج السلف في مسألة التوسل.
- الاعتماد على التفسير بالمأثور.
- التنبيه على أهمية معرفة درجة الحديث ليصح الاستدلال به.
- الرجوع إلى أقوال الأئمة لبحث درجة ثبوت الحديث.
- إيراد كلام المخالف،ثم التعقيب بالرد عليه.
- أورد الشيخ بعض الشبه إضافة على ما ذكره المخالف وأجاب عنها.

مصادره:

- إرشاد كمل العبيد إلى خالص التوحيد، لعلي باصبرين[٢].
- إعلام الموقعين، لابن القيم[٣].
- إغاثة اللهفان[٤].

---

(١)"فصل المقال" (ص١٨).

(٢) انظر: المصدر نفسه (ص٦٣).

(٣) انظر: المصدر نفسه (ص٧٠،٧١).

(٤) انظر: المصدر نفسه (ص١٦).

- الإقناع وشرحه[١].
- اقتضاء الصراط المستقيم[٢].
- الباعث على إنكار البدع والحوادث، لأبي شامة[٣].
- تاريخ الهند، للحكيم البيروني[٤].
- تتمة منهاج التأسيس، لمحمود شكري الآلوسي[٥].
- تجريد التوحيد، للمقريزي[٦].
- تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد، للشوكاني[٧].
- تفسير البيضاوي[٨].
- تفسير ابن جرير[٩].
- تفسير ابن كثير[١٠].

---

(١) انظر: "فصل المقال" (ص٦٠).

(٢) انظر: المصدر نفسه (ص٣٤).

(٣) انظر: المصدر نفسه (ص٧٠).

(٤) انظر: المصدر نفسه (ص٦، ٥٠).

(٥) انظر: المصدر نفسه (ص٣٩).

(٦) انظر: المصدر نفسه (ص٦٦).

(٧) انظر: المصدر نفسه (ص٦٦).

(٨) انظر: المصدر نفسه (ص١٩).

(٩) انظر: المصدر نفسه (ص١٣).

(١٠) انظر: المصدر نفسه (ص٥٩).

- تفسير المدارك[١].
- جلاء العينين، للآلوسي[٢].
- الحلية، لأبي نعيم[٣].
- الدر النضيد، للشوكاني[٤].
- ذكر كتاب: "شواهد الحق في الاستغاثة بخير الخلق" للنبهاني[٥].
- الرد على البكري لابن تيمية[٦].
- رسالة في قول العامة: "يا شيخ عبد القادر شيء لله"[٧].
- رسالة محمد طيب المكي في التوحيد[٨].
- سيف الله على من كذب على أولياء الله، لصنع الله الحلبي[٩].
- شرح التنوير على التتارخانية، للعلائي[١٠].

---

(١) انظر: "فصل المقال" (ص١٩).

(٢) انظر: المصدر نفسه (ص٥٣).

(٣) انظر: المصدر نفسه (ص٣٠).

(٤) انظر: المصدر نفسه (ص٩).

(٥) انظر: المصدر نفسه (ص٥٧).

(٦) انظر: المصدر نفسه (ص٢١-٢٣،٢٤-٢٩،٣٠).

(٧) انظر: المصدر نفسه (ص٦٩).

(٨) انظر: المصدر نفسه (ص٦٧-٦٩).

(٩) انظر: المصدر نفسه (ص١٠-١٢).

(١٠) انظر: المصدر نفسه (ص٢١).

- شرح المختارة، للبلدجي[١].
- الصارم المنكي، لابن عبد الهادي[٢].
- طوالع الأنوار شرح تنوير الأبصار مع الدر المختار، لمحمد عابد السندي الحنفي[٣].
- الفتاوى البزازية[٤].
- فتح الباري، لابن حجر[٥].
- الفرقان، لابن تيمية[٦].
- قواعد التصوف، للشيخ زروق[٧].
- الكشاف للزمخشري[٨].
- كشف الظنون[٩].
- مجمع البحار[١٠].

---

(١) انظر: "فصل المقال" (ص٢١).

(٢) انظر: المصدر نفسه (ص٤٤،٤٥-٤٨).

(٣) انظر: المصدر نفسه (ص٩).

(٤) انظر: المصدر نفسه (ص٩).

(٥) انظر: المصدر نفسه (ص٥٢).

(٦) انظر: المصدر نفسه (ص٥٠).

(٧) انظر: المصدر نفسه (ص١٧).

(٨) انظر: المصدر نفسه (ص٥٣).

(٩) انظر: المصدر نفسه (ص٤٩).

(١٠) انظر: المصدر نفسه (ص٣٨).

- مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنـام في اليقظـة والمنـام، لعبـد الله النعمان[١].
- المغازي، لمحمد بن إسحاق[٢].
- المواهب اللدنية، للقسطلاني[٣].
- الميزان، للشعراني[٤].

كما نقل بعض الأقوال ولم يذكر اسم المصدر: فنقل عن صاحب الوهبانية[٥]، وعن أبي الوفاء ابن عقيل[٦]، وأبي حامد الإسفرايني[٧]، والعز بن عبد السلام[٨]، وأحمد ابن ناصر التميمي[٩]، والمناوي[١٠]، والمراغي[١١]، وابن سينا[١٢].

---

(١) انظر: "فصل المقال" (ص٥١).

(٢) انظر: المصدر نفسه (ص٣٨).

(٣) انظر: المصدر نفسه (ص٤٩).

(٤) انظر: المصدر نفسه (ص٧٢).

(٥) انظر: المصدر نفسه (ص٤).

(٦) انظر: المصدر نفسه (ص٩).

(٧) انظر: المصدر نفسه (ص١٤).

(٨) انظر: المصدر نفسه (ص٢٠).

(٩) انظر: المصدر نفسه (ص٢٨،٢٩).

(١٠) انظر: المصدر نفسه (ص٣٤).

(١١) انظر: المصدر نفسه (ص٤١).

(١٢) انظر: المصدر نفسه (ص٥٠).

تقريظ الكتاب:

قرظ هذا الكتاب الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- فقال: ((ألف الشيخ أبو بكر خوقير الكتبي أحد علماء مكة المكرمة كتاباً جديداً سماه "فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال" واسمه يدل على مسماه، وقد أحسن فيه ونصر السنة وخذل البدعة، وقد طبع هذه الأيام بمطبعة المنار على نفقة الحاج عبد القادر التلمساني الفاضل السلفي، وإننا نورد خاتمته على سبيل النموذج ...))[1]، ثم نقل عشر صفحات من آخر الكتاب.

---

(١) مجلة المنار (٩/٨٢٤).

المطلب الثالث: " التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (مخطوط).

عنوان الكتاب:

كتب على طرة المخطوط ((هذا كتاب التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق)).

وقال الشيخ في مقدمته للكتاب: ((... فكتبت هذه الرسالة ... وسميتها: التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق ...))(١).

وجاء في نهاية الكتاب: ((هذا آخر ما جرى به القلم في كتاب التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق ...))(٢).

تأريخ التأليف:

بين الشيخ تأريخ فراغه من الكتاب بقوله : ((... وكان ذلك في يوم الخميس المبارك الموافق واحداً وعشرين من شهر شعبان من العام المبارك الرابع والثلاثين بعد الثلاثمائة والألف من هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه ...)) (٢).

نسخة الكتاب:

توجد للكتاب نسخة وحيدة، بخط مؤلفه، بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، برقم (١٥٩٠)، وعدد أوراقها (٣١) ورقة، مقاس: (٢٤X ١٨) سم.

وخط النسخة واضح في مجمله، إلا مواضع بياض قليلة. وقد حققها الشيخ عبد الله الدميجي ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ أبي بكر خوقير في العقيدة.

توثيق النسبة:

نسب هذا الكتاب لمؤلفه كل من: محمد رشيد رضا في مجلة المنار

---

(١) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق١).

(٢) المصدر نفسه (ق ٦١).

(٣٢٠/٣١)، وعبد الله بن غازي في نثر الغرر (ق١٧)، وعبد الرحمن آل الشيخ في مشاهير علماء نجد (٤٤٠)، والزركلي في الأعلام (٧٠/٢)، وكحالة في معجم المؤلفين (٧٣/٣)[1].

وقد كتب على طرة المخطوط: ((هذا كتاب التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق، للمدرس بالحرم المكي، أبي بكر بن محمد عارف خوقير)).

ومما يؤيد نسبة الكتاب لمؤلفه أنه كتب بخط الشيخ أبي بكر، وقد كتب على طرته: ((اكتبوا فهرست المطالب في المباحث، وأبقوا محل البياض إلى أن نتواجه معكم)) ، فكأن الشيخ كتب هذه النسخة مسودة وأرسلها إلى شخص ما، وكتب له تلك الملحوظة.

وأسلوب الكتاب يوافق أسلوب الشيخ في كتبه الأخرى، وموضوعه يتفق مع ما عرف عنه من دعوته إلى التمسك بهدي السلف ومحاربة البدع والمحدثات.

سبب التأليف وموضوع الكتاب:

بين الشيخ سبب تأليف الكتاب وهو ورود أسئلة عن مسائل تتعلق بالتصوف، فقال: ((... أما بعد، فقد سألني بعض الإخوان، أصلح الله لي ولهم الحال والشأن، عن أشياء مما ينسب إلى أهل الطريق، وطلب مني أن أنقل له ما ذكره أهل التحقيق، فأحجمت زمناً طويلاً، حتى عرضت لي مسائله في جملة من الأوراق، فبدا لي الكتابة فيها وإجابة السائل عنها، رغبة في النفع العام، وجمع الأوابد المتفرقة في هذا المقام، مع التوفيق بين كلام القوم وأهل الحديث، والتوسط في السير بين البطيء والحثيث، والمفرط والمفرط، والغالي والجافي ...))[2].

---

(١) وانظر "معجم مصنفات الحنابلة" (٢٩٣/٦).

(٢) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق١).

والأسئلة التي وردت على الشيخ في ست مسائل[١] :

(١) هل ما يذكره أهل الطرق المعروفة في زماننا من أسانيد طرقهم عن الإمام علي عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن الله تعالى معتبرة عند أهل الحديث؟

(٢) هل الاجتماع في المساجد والبيوت للذكر المعروف في زماننا برفع الأصوات والتمايل والرقص والتصفيق جائز بلا كراهة أم لا ؟

(٣) هل الأحاديث التي استدل بها أهل الطريق على جواز الاجتماع للذكر، منها قوله ﷺ : (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر) هل هي صحيحة أم لا ؟

(٤) هل نسبة ذلك إلى أهل الصفة الذين كانوا في مسجد النبي ﷺ صحيحة أم لا، وما وظيفة أهل الصفة وما وجه تسميتهم بهذا الاسم ؟

(٥) هل ورد الذكر بالاسم المفرد، كلفظ الجلالة المفرد، أو (هو) أو حق أو قيوم، وهل يجوز إخراج الاسم الجليل من الصدر، كما هو مشاهد؟

(٦) هل الذين يعطون الدراهم لجمع الناس على الذكر الموصوف، أو مناقب الأولياء كمناقب الجيلاني وغيره، مع اجتماع المردان وغير ذلك من المنكرات مثابون على ما أنفقوه من الدراهم، وهل يعد ذلك صدقة وفعل خير أم لا ؟

أسلوبه ومنهجه:

يتصف أسلوب الكتاب بالموضوعية ومناقشة المسائل المطروحة مناقشة علمية،

---

(١) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق١٧).

ويكثر من النقول لتقرير المسائل وتأصيلها على مستند علمي، ويتصف أسلوبه بالوضوح، ويظهر فيه سجع في النصف الأول من الكتاب، ويقل في آخره.

وقد تحدث الشيخ عن منهجه في الكتاب في مقدمته فقال: ((... فكتبت هذه الرسالة ناقلاً فيها من عبارات الطرفين ما تقر به العين، مؤيداً بنصوص الفقهاء من المذاهب الأربعة، والبراهين القاطعة، بغاية الإيضاح والتفصيل، وكشف ما يسلكه البعض من التلبيس والتضليل، راجياً أن تحل محل القبول عند ذوي المعقول والمنقول، ورتبتها على مقدمة وستة فصول وخاتمة ...))[١].

وقد جعل إجابة كل سؤال من الأسئلة الواردة في فصل، ثم بين في الخاتمة النتيجة التي توصل إليها في هذا الكتاب، فيما يتعلق بحكم الاجتماع للذكر الوارد السؤال عنه.

ومن منهج الشيخ في كتابه: تخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرها.

ومن منهجه: الاعتناء ببيان أقوال الأئمة في درجة الحديث وبيان علته.

مصادره:

ذكر الشيخ عدداً من المصادر التي نقل عنها، وهي:

- أبواب السعادة وسلاسل السيادة، لمحمد مرتضى الزبيدي[٢].
- إحياء علوم الدين، للغزالي[٣].
- أدب الطلب، للشوكاني[٤].

---

(١)"التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق١).

(٢) انظر: المصدر نفسه (ق ١٥).

(٣) انظر: المصدر نفسه (ق ٢٩).

(٤) انظر: المصدر نفسه (ق ٢٣-٢٦).

- إغاثة اللهفان، لابن القيم[١].

- اقتضاء الصراط المستقيم[٢].

- الباعث على إنكار البدع والحوادث، لأبي شامة[٣].

- تائية ابن القيم[٤].

- التتارخانية[٥].

- تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد، للشوكاني[٦].

- التعرف على حقيقة التصوف، للكلاباذي[٧].

- تعليق أبي طاهر محمد بن أحمد الغيثي على مدارج السالكين[٨].

- تقريب التهذيب، لابن حجر[٩].

- تنزيه الشريعة، لرحمة الله السندي[١٠].

---

(١) انظر: "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٥٨،٥٩).

(٢) انظر: المصدر نفسه (ق ٤٠).

(٣) انظر: المصدر نفسه (ق ٧).

(٤) انظر: المصدر نفسه (ق ١١).

(٥) انظر: المصدر نفسه (ق ٣١).

(٦) انظر: المصدر نفسه (ق ٥٠).

(٧) انظر: المصدر نفسه (ق ١٣).

(٨) انظر: المصدر نفسه (ق ١٤).

(٩) انظر: المصدر نفسه (ق ٢٠).

(١٠) انظر: المصدر نفسه (ق ٤٤).

- جمع الجوامع[١].
- الجمع بين الحقيقة والشريعة، لزروق[٢].
- جواهر القرطاس، للعربي بن أحمد[٣].
- حاشية ابن حمدون[٤].
- حلية الأولياء، لأبي نعيم[٥].
- ذم السماع، للفاسي أبي الطيب الطبري الشافعي[٦].
- الرسالة القشيرية[٧].
- رفع الأستار عن نتاج الأفكار، لعبد الرحمن بن بلفقيه العلوي[٨].
- الرياض النضرة[٩].
- ريحان القلوب، ليوسف الكوراني[١٠].

---

(١) انظر: "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ١٥).

(٢) انظر: المصدر نفسه (ق ١٠).

(٣) انظر: المصدر نفسه (ق ٥١).

(٤) انظر: المصدر نفسه (ق ٣٤).

(٥) انظر: المصدر نفسه (ق ١٢،٤٨).

(٦) انظر: المصدر نفسه (ق ٣٣).

(٧) انظر: المصدر نفسه (ق ١٣).

(٨) انظر: المصدر نفسه (ق ١٥).

(٩) انظر: المصدر نفسه (ق ٨).

(١٠) انظر: المصدر نفسه (ق ١٨).

- شرح آداب المريدين، للملا علي القاري[١].
- شرح الإقناع[٢].
- شرح البخاري، للقسطلاني[٣].
- شرح الدرة المضية، للسفاريني[٤].
- شرح تحفة [المحتاج] ، لمحمد العيني[٥].
- طبقات الأولياء، للمناوي[٦].
- العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ[٧].
- العوارف، للسهروردي[٨].
- الغنية، لعبد الستار الجبلاني[٩].
- فتح الباري، لابن حجر[١٠].

---

(١) انظر: "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٤٤).

(٢) انظر: المصدر نفسه (ق ٤٠).

(٣) انظر: المصدر نفسه (ق ٤٦).

(٤) انظر: المصدر نفسه (ق ١١).

(٥) انظر: المصدر نفسه (ق ٣٠).

(٦) انظر: المصدر نفسه (ق ٣٩).

(٧) انظر: المصدر نفسه (ق ٩،٥٢).

(٨) انظر: المصدر نفسه (ق ١٣،٢٧-٢٩).

(٩) انظر: المصدر نفسه (ق ٣٩).

(١٠) انظر: المصدر نفسه (ق ٤٦).

- الفنون، لأبي الوفاء بن عقيل[(١)].
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، للشوكاني[(٢)].
- القاموس المحيط[(٣)].
- كشف القناع عن السماع[(٤)].
- مختصر الإيمان، للغزالي[(٥)].
- مدارج السالكين[(٦)].
- مصنف ابن أبي شيبة[(٧)].
- معالم التتريل، للبغوي[(٨)].
- المقاصد الحسنة، للسخاوي[(٩)].
- منازل السائرين، لأبي إسماعيل الأنصاري[(١٠)].

---

(١) انظر: "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٥٢).

(٢) انظر: المصدر نفسه (ق ١٨).

(٣) انظر: المصدر نفسه (ق ١٦).

(٤) انظر: المصدر نفسه (ق ٣٤).

(٥) انظر: المصدر نفسه (ق ٦٠،٦١).

(٦) انظر: المصدر نفسه (ق ١٤).

(٧) انظر: انظر: المصدر نفسه (ق ٢٨).

(٨) انظر: المصدر نفسه (ق ٢٨).

(٩) انظر: المصدر نفسه (ق ١٩).

(١٠) انظر: المصدر نفسه (ق ١٣).

- منهاج القاصدين[١].
- المنهاج، للحليمي[٢].
- الموضوعات، لابن الجوزي[٣].
- الموضوعات، للملا علي القاري[٤].
- ميزان الاعتدال[٥].
- نتائج الفكر في آداب الذكر[٦].
- نزهة الأسماع في مسألة السماع، لابن رجب[٧].

كما نقل بعض النقولات بغير ذكر اسم المصدر الذي نقل عنه:

فنقل عن أبي الوفاء بن عقيل[٨]، وابن الجوزي[٩]، والحافظ ابن رجب[١٠]، والطرطوشي[١١]، والعز بن عبد السلام[١٢]، والملا علي قاري[١٣].

---

(١) انظر: "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٢٦).
(٢) انظر: المصدر نفسه (ق ٣٢).
(٣) انظر: المصدر نفسه (ق ٤٤).
(٤) انظر: المصدر نفسه (ق ١٩).
(٥) انظر: المصدر نفسه (ق ٣٩).
(٦) انظر: المصدر نفسه (ق ٣٤).
(٧) انظر: المصدر نفسه (ق ٣٦).
(٨) انظر: المصدر نفسه (ق ٣٥).
(٩) انظر: المصدر نفسه (ق ٢٠).
(١٠) انظر: المصدر نفسه (ق ٢).
(١١) انظر: المصدر نفسه (ق ١٦).
(١٢) انظر: المصدر نفسه (ق ٢٩).
(١٣) انظر: المصدر نفسه (ق ٤).

المطلب الرابع: " تحرير الكلام في الجواب عن سؤال الهندي في صفة الكلام" (مخطوط).

عنوان الكتاب:

كتب في الصفحة الأولى من المخطوط: ((تحرير الكلام في الجواب عن سؤال الهندي في صفة الكلام، لأبي بكر بن محمد عارف خوقير)).

تأريخ التأليف:

كتب الشيخ أبو بكر في نهاية نسخة مكتبة جامعة الملك سعود: ((جرت مقابلتها على المنقول من الأصل الذي بخطي، في جمادى الثانية، سنة (١٣٣٧هـ))).

نسخ الكتاب:

لهذا المخطوط ثلاث نسخ:

١- نسخة مكتبة الحرم المكي، بخط المؤلف، وعدد أوراقها عشر ورقات، مقاس (١٧ X ٢٣) سم، وهي برقم (١٢٩٨)، وأعزو النقول عليها.

٢- نسخة مكتبة جامعة الملك سعود، بخط المؤلف، وعدد أوراقها تسع ورقات، مقاس (١٨,٥ X ٢٤) سم، وهي برقم (١٥٩٧).

٣- نسخة مكتبة جامعة الملك عبد العزيز (ضمن مكتبة محمد نصيف) وهي بخط المؤلف، في دفتر من ثمان وعشرين صفحة، برقم (٢٨٧١)[1].

---

(١) وهذه النسخة التي اعتمدها الشيخ د. عبد الله الدميجي في تحقيق الكتاب وإخراجه ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ أبي بكر خوقير نظراً لتأخرها إذ كتبها المؤلف بخطه سنة (١٣٤٨هـ). وجاء في آخر لوحة فيها: ((حرره خادم الحنابلة بمكة المشرفة في جمادى الثانية سنة ١٣٣٧هـ ثم أعاد عليه النظر في أول هذا العام

توثيق النسبة:

نسب هذا الكتاب لمؤلفه كل من: عبد الستار الدهلوي في فيض الملك المتعالي (ق٢٧٦/٣)، ومحمد رشيد رضا في مجلة المنار (٣٢٠/٣١)، وعبد الله بن غازي في نثر الغرر (ق١٧)، وعبد الرحمن آل الشيخ في مشاهير علماء نجد (٤٤٠)[1].

ونسخ الكتاب الموجودة كلها بخط المؤلف، وعلى نسخة مكتبة الحرم المكي ختم المؤلف وتوقيعه، وعلى نسخة مكتبة جامعة الملك سعود توقيع المؤلف.

سبب التأليف وموضوع الكتاب:

هذا الكتاب ألفه الشيخ في الإجابة على سؤال ورد عليه بخصوص صفة الكلام، فقد قال: ((... ورد علي هذا السؤال، فلجأت إلى الله داعياً بما ينبغي أن يقال في حل الإشكال، يا معلم إبراهيم علمني ، اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ... ثم نظرت في كتب الحنابلة السائرين على طريقة السلف، فمن الله علي بتحرير الكلام في الجواب على هذا السؤال، بعد إمعان النظر فيه أياماً وليال، وهذه صورة السؤال والجواب ...)).

ثم أورد الشيخ السؤال، وهو من مقدمة ثم ثلاث مسائل:

(١) هل الاختلاف في صفة الكلام أو في نفس الكلام ؟

(٢) إن كان الاختلاف في نفس الكلام فما الذي حمل أهل السنة على القول بعدم حدوثه، المخالف للعقل والنقل ؟

سنة ١٣٤٨هـ فأضاف إليه زيادات فيها إيضاحات مع تقديم وتأخير ، وكان ذلك في ٩ محرم الحرام عام ١٣٤٨هـ بقلم صاحبه أبي بكر خوقير عفى الله عنه)). وأنقل عن هذه النسخة بالإحالة إلى رقم الصفحة من تحقيق الشيخ عبد الله الدميجي لها ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ خوقير.

(١) وانظر "معجم مصنفات الحنابلة" (٢٩٣/٦).

(٣) أي ضرر إذا قلنا: إن صفة الكلام وقدرته قديمة، وأما الكلام الصادر من تلك الصفة فهو حادث، أو بتعبير القرآن: "محدث" ؟

أسلوبه ومنهجه :

يتصف أسلوب الكتاب بالوضوح والموضوعية.

وأما منهج الشيخ: فإنه يعتمد على نقل أقوال السلف – كما يظهر من مصادره – وإن كان كلامه في مسألة قدم كلام الله بحاجة إلى تحرير سيأتي في موضعه من الرسالة، إن شاء الله.

مصادره:

- الأسئلة المصرية، لابن تيمية[١].
- الأسماء والصفات، للبيهقي[٢].
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للبيهقي[٣].
- البرهان، للموفق ابن قدامة[٤].
- التسعينية، لابن تيمية[٥].
- التعرف على مذهب التصوف، للكلاباذي[٦].

---

(١) انظر: "تحرير الكلام" (ق ٥أ).

(٢) انظر: المصدر نفسه (ق ٦ب).

(٣) انظر: المصدر نفسه (ق ٦ب).

(٤) انظر: المصدر نفسه (ق ٩أ).

(٥) انظر: المصدر نفسه (ق ٥ب).

(٦) انظر: المصدر نفسه (ق ٣أ).

- جمع الجوامع، للزركشي[١].
- الحيدة، لعبد العزيز الكناني[٢].
- خلق أفعال العباد[٣].
- الرد على الجهمية، للإمام أحمد[٤].
- رسالة الإمام أحمد إلى مسدد بن مسرهد[٥].
- شرح الدرة المضية، للسفاريني[٦].
- شرح الفقه الأكبر، للملا علي قاري[٧].
- شرح حديث النزول، لابن تيمية[٨].
- طبقات الشافعية، للسبكي[٩].
- العقيدة الطحاوية[١٠].
- فتاوى ابن تيمية[١١].

---

(١) انظر: "تحرير الكلام" (ق ٦أ).

(٢) انظر: المصدر نفسه (ق ٥ب).

(٣) انظر: المصدر نفسه (ق ٣أ).

(٤) انظر: المصدر نفسه (ق ٩أ).

(٥) انظر: المصدر نفسه (ق ٥ب).

(٦) انظر: المصدر نفسه (ق ٩أ).

(٧) انظر: المصدر نفسه (ق ٥أ).

(٨) انظر: المصدر نفسه (ق ٤ب).

(٩) انظر: المصدر نفسه (ق ٧أ).

(١٠) انظر: المصدر نفسه (ق ٢ب).

(١١) انظر: المصدر نفسه (ق ٤أ،٤ب).

- فتح الباري، لابن حجر[١].
- الفصول في الأصول، لمحمد الكرخي[٢].
- المواقف، لعضد الدين[٣] .
- النونية، لابن القيم[٤].

---

(١) انظر: "تحرير الكلام" (ق ٦ب).

(٢) انظر: المصدر نفسه (ق ٦ ب).

(٣) انظر: المصدر نفسه (ق ٧أ).

(٤) انظر: المصدر نفسه (ق ٨ب).

المبحث الثاني: مؤلفات الشيخ في الفنون الأخرى.

للشيخ أبي بكر بعض المؤلفات في فنون غير العقيدة، وهي: كتاب في الفقه الحنبلي، وكتاب أدبي، و" ثبت" ذكر فيه شيوخه وأسانيده.

وفيما يلي التعريف بهذه الكتب بإيجاز.

الكتاب الأول: مختصر في الفقه الحنبلي:

طبع هذا الكتاب بعنوان: " مختصر في فقه الإمام المبجل والحبر المفضل شيخ أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل، إملاء الشيخ العالم أبي بكر خوقير".

ثم أعيدت طباعته ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ أبي بكر خوقير بتحقيق وتعليق فضيلة الشيخ عبد المحسن بن ردة الله الصاعدي.

والكتاب يتناول أبواب الفقه من كتاب الطهارة إلى كتاب الشهادات، وقد طبع بالمطبعة المنيرية بمصر عام (١٣٤٩هـ)، في (٤٠) صفحة.

وقد نسب الكتاب لمؤلفه كل من: محمد رشيد رضا في مجلة المنار (٣١/٣٢٠)، والزركلي في الأعلام (٢/٧٠)، وكحالة في معجم المؤلفين (٣/٧٣)، وعبد الرحمن آل الشيخ في مشاهير علماء نجد (ص٤٤٠)، وبكر أبو زيد في المدخل المفصل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل (١٠٦٠،١٠١٥،٦٨١)[1].

الكتاب الثاني: مسامرة الضيف بمفاخرة الشتاء والصيف:

وهو كتاب أدبي يصور مناظرة بين الشتاء والصيف، يفاخر كل منهما صاحبه فيها، ويورد الشيخ في كتابه هذا أبياتاً من شعره ومن شعر غيره، ضمن مقامة لطيفة ومقالة ظريفة.

---

(١) وانظر معجم مصنفات الحنابلة (٦/٢٩٥).

وقد طبع الكتاب سنة (١٣٢٠هـ) ببيروت، ثم أعيدت طباعته ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ أبي بكر خوقير بدراسة وتعليق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الزهراني.

ونسب هذا الكتاب إلى مؤلفه كل من: عبد الله بن غازي في نشر الغرر (ق١٧)، ومحمد رشيد رضا في مجلة المنار (٣١/٣٢٠)، وآل الشيخ في مشاهير علماء نجد (٤٤٠)، والزركلي في الأعلام (٢/٧٠)، وكحالة في معجم المؤلفين (٣/٧٣)[(١)].

الكتاب الثالث: ثبت الأثبات الشهيرة :

قام الشيخ بكتابة ثبت ذكر فيه مشايخه وأسانيده، وسماه: " ثبت الأثبات الشهيرة "، وهو مخطوط بمكتبة الحرم المكي برقم (٤٢٧٣) وعدد أوراقه (١٣) ورقة، مقاس (٢٩ X ١٩) سم.

وقد حقق هذا الكتاب فضيلة الشيخ الدكتور حاتم بن عارف بن ناصر الشريف ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ أبي بكر خوقير.

وقد نسب هذا الكتاب لمؤلفه كل من: عبد الستار الدهلوي في فيض الملك المتعالي (ق٣/٢٧٦)، وعبد الله بن غازي في نشر الغرر (ق١٧)، وذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفات الشيخ في موسوعة أسبار (١/١٣٢)[(٢)].

---

(١) وانظر معجم مصنفات الحنابلة (٦/٢٩٣،٢٩٤).

(٢) وانظر معجم مصنفات الحنابلة (٦/٢٩٥).

المبحث الثالث: ما ذكر من كتب الشيخ ولم يتيسر الوقوف عليه

الكتاب الأول: حسن الاتصال بفصل المقال في الرد على بابصيل وكمال.

تقدم أن الشيخ بعد تأليفه كتاب "فصل المقال" قام بعض أهل البدع بالرد على كتابه، ثم تعقبهم الشيخ وألف كتاباً في الرد عليهم.

ولم يذكر هذا الكتاب إلا محمد رشيد رضا في مجلة المنار (٣١/٣٢٠)[١]، وذكر أنه لم يطبع، وأنه جدير بأن يطبع.

الكتاب الثاني: ما لا يسع المكلف جهله.

ذكره عبد الستار الدهلوي ضمن مؤلفات الشيخ أبي بكر[٢].

وقد قال الشيخ أبو بكر في مقدمة كتابه " ما لا بد منه" : ((ورتبته على قسمين: القسم الأول في الاعتقاد، وهو في ثلاثة أبواب، وفي كل باب مطالب، والقسم الثاني في ربع العبادات، وهو في أربعة أبواب، وفي كل باب مطالب))[٣].

وقال في خاتمة الطبع: ((فقد تم طبع القسم الأول من كتاب "ما لا بد منه في أمور الدين" في غاية التصحيح والتحسين بالمقابلة على الأصل الذي بخطي ... وسنطبع القسم الثاني مثله، مع تعليقات نفيسة على أشياء وما يتعلق بالكبائر وشعب الإيمان، إن شاء الله ...))[٤].

---

(١) وانظر معجم مصنفات الحنابلة (٦/٢٩٤).

(٢) انظر: فيض الملك المتعالي (ق٣/٢٧٦).

(٣) "ما لا بد منه" (ص٣).

(٤) المصدر نفسه (ص٨٠).

الكتاب الثالث: ما لا غنى عنه شرح ما لا بد منه.

وذكره محمد رشيد رضا في مجلة المنار (٣١/٣٢٠)[1]، وذكر أنه مخطوط لم يطبع.

وقد يكون هذا الكتاب هو الكتاب السابق.

الكتاب الرابع: السجن والمسجونون.

وذكره كل من: محمد رشيد رضا في مجلة المنار (٣١/٣٢٠) وذكر أنه لم يطبع، كما ذكره عمر عبد الجبار في سير وتراجم (ص٢٤)[1].

(١) وانظر معجم مصنفات الحنابلة (٦/٢٩٤).

الباب الثاني

جهود الشيخ في تقرير مجمل قضايا العقيدة

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الإسلام والإيمان والإحسان.

الفصل الثاني: الإيمان بالله (التوحيد وأنواعه).

الفصل الثالث: الإيمان ببقية أركان الإيمان.

الفصل الأول

الإسلام والإيمان والإحسان

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد: حديث جبريل في بيان مراتب الدين وأركانها.

المبحث الأول: الإسلام.

المبحث الثاني: الإيمان.

المطلب الأول: حد الإيمان، والعلاقة بينه وبين الإسلام، وزيادته ونقصانه.

المطلب الثاني: شعب الإيمان.

المطلب الثالث: الاستثناء في الإيمان.

المطلب الرابع: كبائر الذنوب، وحكم عصاة الموحدين.

المبحث الثالث: الإحسان.

تمهيد

حديث جبريل في بيان مراتب الدين وأركانها

هذا الفصل في بيان حديث جبريل عليه السلام، حينما جاء إلى النبي ﷺ في صورة رجل، وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان.

وقد جاء في آخر الحديث قوله ﷺ: (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((فجعل الدين هو الإسلام والإيمان والإحسان، فتبين أن ديننا يجمع الثلاثة، لكن هو درجات ثلاث: مسلم، ثم مؤمن، ثم محسن، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ﴾[٢] ...))[٣].

وقال: ((... فجعل الدين وأهله ثلاث طبقات، أولها الإسلام، وأوسطها الإيمان، وأعلاها الإحسان، ومن وصل إلى العليا فقد وصل إلى التي تليها، فالمحسن مؤمن، والمؤمن مسلم وأما المسلم فلا يجب أن يكون مؤمناً ...))[٤].

ووصف هذه الثلاث الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بأنها: مراتب الدين[٥].

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ ، رواه البخاري : كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل ... (١/٢٧/ح٥٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، (١/٣٩/ح٩).

(٢) سورة "فاطر"، الآية (٣٢).

(٣) "مجموع الفتاوى" (٧/١٠).

(٤)"مجموع الفتاوى" (٧/٣٥٧،٣٥٨).

(٥) انظر: "دلائل التوحيد" للإمام محمد بن عبد الوهاب. مستخرجة من الدرر السنية في الأجوبة النجدية. دار القاسم. (ص١٨).

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب في معرفة العبد دينه : ((الأصل الثاني: إذا قيل لك ما دينك؟ فقل: ديني الإسلام، وهو ... وإذا قيل لك: ما الإيمان؟ فقل: ... وإذا قيل لك ما الإحسان؟ فقل: ...))[١].

وقد ذكر هذه المراتب الثلاث الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله، فقال بأن معرفة الإنسان لدينه تكون ((بمعرفة أركانه الثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان))[٢].

لكني لم أجد من وافقه على تسمية الإسلام والإيمان والإحسان: أركان الدين.

كما أن هذا الوصف يشعر بتغايرها وعدم دخول بعضها تحت بعض بحال، فأركان الشيء: أجزاؤه التي يقوم بها [٣]، وهذه الأجزاء لا يكون أحدها شاملاً لها، كما هو حال الإحسان مع الإيمان والإسلام.

وعند ذكر أركان الإسلام – على سبيل المثال- نجدها: الشهادة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، ((فالإسلام مركب من هذه الأجزاء، وتكون الهيئة الاجتماعية فيه مركبة منها ومبنية عليها))[٤]، ولكن بين هذه الأجزاء تغاير بين.

وأما الإسلام والإيمان والإحسان، فبينها عموم وخصوص :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((فالإحسان أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أهله، والإيمان أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أهله من الإسلام، فالإحسان

---

(١) "الأصول الثلاثة" ضمن مجموعة التوحيد. دار الفكر. ط١. (١٤١١هـ). (ص١٢).

(٢) " ما لا بد منه" (ص ٢١).

(٣) انظر: "نزهة الخاطر العاطر، شرح روضة الناظر". مكتبة العلوم والحكم. (٢/١٩٣)، و"التعريفات" للجرجاني. مكتبة لبنان. (ص١١٧).

(٤) "مجموع الفتاوى" (١١/٧).

يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام، والمحسنون أخـص مـن المـؤمنين، والمؤمنون أخص من المسلمين))[1].

((وقد جعل النبي الدين ثلاث درجات، أعلاها الإحسان، وأوسطها الإيمان، ويليه الإسلام، فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مؤمن محسناً، ولا كل مسلم مؤمناً))[2] .

فالأولى أن يقال في الإسلام والإيمان والإحسان: درجات الدين، أو مراتبه، أو طبقاته، أو يقال: الأقسام الثلاثة في حديث جبريل[3]، والله أعلم.

ثم شرع الشيخ أبو بكر بالتعريف بكل واحد من هذه الثلاث، باعتبار ذكرها مقترنة، وتناول المسائل المهمة التي تتعلق بها، كما سيأتي بيانه في المباحث التالية.

---

(١) "مجموع الفتاوى" (٧/١٠)، ونقله في "شرح الطحاوية" (ص٣٨٩).

(٢) "مجموع الفتاوى" (٧/٧).

(٣) انظر: "شرح النووي" (١/١٥٨).

المبحث الأول: الإسلام.

الإسلام لغة هو الاستسلام والانقياد والخضوع[١].

والإسلام بمعناه العام: ((دين أنبياء الله تعالى ورسله كافة))[٢].

وعند ذكر الإسلام مقروناً بالإيمان، ينصرف الإسلام إلى الأعمال الظاهرة[٣].

قال البغوي في حديث سؤال جبريل: ((جعل النبي ﷺ الإسلام اسماً لما ظهر من الأعمال، وجعل الإيمان اسماً لما بطن من الاعتقاد ...))[٤].

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب في معنى الإسلام – وهو يذكره مقروناً بالإيمان – : ((هو الاستسلام والإذعان والانقياد إلى الله تعالى ... وهو مبني على خمسة أركان ...))[٥].

قال الشيخ أبو بكر خوقير: ((هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة في الأحكام الشرعية))[٦].

ويتضح المقصود من هذا التعريف ببيان أركان الإسلام، وهي ما أجاب به النبي ﷺ جبريل حينما سأله عن الإسلام.

---

(١) انظر: "مختار الصحاح" (١٣١/١) مادة (سلم)، و"لسان العرب" (٢٩٤/١٢) مادة (سلم) و"القاموس المحيط"، مادة (سلم)، و"مجموع الفتاوى" (٦٢٣/٧).

(٢) انظر: "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح". دار العاصمة. ط١. (١٤١٤هـ). (٨١/١-٨٣).

(٣) انظر: "مجموع الفتاوى" (٥٧٦/٧).

(٤) "شرح مسلم" (١٤٥/١).

(٥) " الأصول الثلاثة" ضمن مجموعة التوحيد (ص١٢).

(٦) " ما لا بد منه" (ص٢١).

قال الشيخ أبو بكر في بيان أركان الإسلام: ((خمسة، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام مع الاستطاعة، فمن أنكر ذلك أو بعضه لم يكن مسلماً))(١).

وفي تكفير من أنكر شيئاً من أركان الإسلام يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ((فأما الشهادتان، فإذا لم يتكلم بهما مع القدرة، فهو كافر باتفاق المسلمين، وهو كافر باطناً وظاهراً عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها ...

وأما الفرائض الأربع، فإذا جحد وجوب شيء منها بعد بلوغ الحجة، فهو كافر))(٢) .

وبعد ذكر الشيخ أبي بكر لأركان الإسلام، شرع في بيان معناها، فقال في معنى الشهادة: ((الاعتراف بأن لا معبود حق إلا الله وحده، وبرسالة نبيه ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وطاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر))(٣).

ثم بين بإيجاز معنى بقية أركان الإسلام، وأحال في تفصيل أحكامها على الجزء الثاني لكتابه " ما لا بد منه".

وبين الشيخ أبو بكر حكم من جحد وجوب الصلاة ومن تركها تهاوناً وكسلاً، فقال: ((حكم الأول أنه يكفر، ويقتله الإمام أو نائبه بعد الاستتابة ثلاثة أيام كسائر المرتدين.

والثاني: لا يكفر، إلا إذا استتيب ثلاثة أيام ودعاه إمام أو نائبه وامتنع وتضايق وقت الثانية التي بعدها، فيقتل كفراً، وكذا إذا ترك شرطاً أو ركناً مجمعاً عليه. ولا

---

(١) " ما لا بد منه" (ص٢١،٢٢).

(٢) "مجموع الفتاوى" (٧/٦٠٩،٦١٠).

(٣) " ما لا بد منه" (ص٢٢).

قتل ولا تكفير قبل الدعاية. قال الشيخ تقي الدين: وتنبغي الإشاعة عنه بتركها حتى يصلي، ولا ينبغي السلام عليه ولا إجابة دعوته))[١].

وقال الشيخ أبو بكر في حكم من جحد الزكاة ومن تركها عازماً على ألا يعطيها: ((حكم الأول كسائر المرتدين، والثاني يستتاب إن كان عارفاً بوجوبها، وإن كان جاهلاً عرف، فإن أصر قتل حداً ولا يكفر. وكذا القبيلة إذا امتنعت عن أدائها تقاتل، ويتولى ذلك إمام أو نائبه))[٢].

وقال بأن حكم من جحد الصوم أو تركه من غير عذر مثل ما تقدم في الزكاة[٣].

والقول بأن المقر لا يكفر إلا بترك الصلاة، نسبه شيخ الإسلام إلى الإمام أحمد، رواية عنه، وذكر أنه قول كثير من السلف وطائفة من أصحاب مالك والشافعي، وطائفة من أصحاب أحمد[٤].

---

(١) " ما لا بد منه" (ص٢٢،٢٣). وانظر الأقوال فيمن ترك أركان الإسلام مع الإقرار: "مجموع الفتاوى" (٦١٠/٧) وما بعدها.

(٢) " ما لا بد منه" (ص٢٣).

(٣) انظر: " ما لا بد منه" (ص٢٤).

(٤) انظر: "مجموع الفتاوى" (٦١١/٧).

المبحث الثاني: الإيمان.

المطلب الأول: حد الإيمان، والعلاقة بينه وبين الإسلام، وزيادته ونقصانه.

الإيمان عند جمهور أهل اللغة: التصديق[(١)].

وفي الاصطلاح عند أهل السنة والجماعة: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح[(٢)].

وهذا تعريف الإيمان عند إطلاقه، أما عند ذكره مقروناً بالإسلام، فإنه يختص بعمل القلب، العمل الباطن، وينصرف الإسلام إلى العمل الظاهر، فالإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

قال شيخ الإسلام : ((فإذا قرن اسم الإيمان بالإسلام أو العمل، كان دالاً على الباطن فقط))[(٣)].

وقال: ((لكن التحقيق ابتداء هو ما بينه النبي ﷺ لما سئل عن الإسلام والإيمان، ففسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة، فليس لنا إذا

---

(١) "لسان العرب" (٢٣/١٣) مادة (أمن)، و"مختار الصحاح" (١١/١) مادة (أمن)، و"شرح مسلم" (١٤٥/١،١٤٦).

(٢) انظر: "السنة"، للخلال. دار الراية. الرياض. (١٤١٠هـ). ط١. (٥٦٦/٣)، و"شرح السنة"، للبربهاري. دار ابن القيم. (١٤٠٨هـ). ط١. (٢٧/١)، و"التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع"، للملطي. دار رمادي للنشر. الدمام. (١٤١٤هـ). (ص٥٨)، و"اعتقاد أهل السنة"، للالكائي. دار طيبة. الرياض. (١٤٠٢هـ). (١٧٢/١، ١٧٤، ١٧٦، ٨٤٦/٤-٨٤٩)، و"المحلى"، لابن حزم. دار الآفاق الجديدة. (٣٨/١)، و"شرح مسلم" (١٤٥/١-١٤٧)، و"العقيدة الواسطية" (ص٣٩). الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء. الرياض. ط٢. (١٤١٢هـ). (ص٣٩)، و"شرح الطحاوية" (ص٣٧٣).

(٣) "مجموع الفتاوى" (٥٧٥/٧)، وانظر: "شرح النووي على صحيح مسلم" (١٤٨/١).

جمعنا بين الإسلام والإيمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبي ﷺ ...))[١].

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب في تعريف الإيمان – مقروناً بالإسلام-: ((وإذا قيل لك ما الإيمان؟ فقل: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى))[٢].

قال الشيخ أبو بكر خوقير: ((المطلب الثاني في الإيمان، الذي هو الركن الثاني من أركان الدين ...))[٣] ، ثم بين معنى الإيمان بإيراده أسئلة وإجاباتها، وفق أسلوب كتابه " ما لا بد منه" ، فقال:

- ((ما الإيمان ؟

- هو تصديق القلب بكل ما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ...

- كم أركان الإيمان ؟

- ستة، أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى)).

ثم تعقب ذلك بسؤال قال فيه :

- ((قد اشتهر عن السلف أن الإيمان قول وعمل ونية، وأنه يزيد وينقص على حسب الأعمال، فكيف أخرجتها عن مسمى الإيمان وقصرته على التصديق، وجعلت أركانه هذه الستة ؟

- نعم، ما اشتهر عن السلف مما ذكر هو اعتقادنا، ولكن إذا أفرد كل من الإسلام

---

(١) "مجموع الفتاوى" (٧/٢٥٩).

(٢) "الأصول الثلاثة"، ضمن مجموعة التوحيد (ص١٣).

(٣) " ما لا بد منه" (ص٢٥).

والإيمان بالذكر، فلا فرق بينهما، فيصدق كل واحد منهما على ما صدق عليه الآخر. وإذا اجتمعا، فرقنا بينهما، كما جاء في الحديث الذي سأل فيه جبريل النبي ﷺ، فأجابه تعليماً للناس، وقد اقتفينا أثره))(١).

فالشيخ يصرح بأن قول السلف في الإيمان هو اعتقاده، وأنه إنما خصه بالتصديق لأنه ذكره مقروناً بالإسلام، وعد أركانه الستة المذكورة في جواب النبي ﷺ جبريل عن الإيمان.

وسيأتي في مبحث شعب الإيمان ذكر الشيخ لبعض الأعمال كالصلاة والحج، ضمن شعب الإيمان، مما يؤكد قوله بدخول الأعمال في مسمى الإيمان.

ويتضح من النقل السابق أن الشيخ يقول بزيادة الإيمان ونقصانه، متبعاً في ذلك قول السلف بزيادة الإيمان ونقصانه.

قال الإمام أحمد: ((... والسنة فيه أن تقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص))(٢).

وقال الإمام البخاري: ((لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص))(٣).

---

(١) " ما لا بد منه" (ص٢٥،٢٦).

(٢) "السنة، للخلال". (٣/٥٦٦/ رقم ٩٦٤)، وقال المحقق د. عطية الزهراني: إسناده صحيح.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٤٧/١) : ((روى اللالكائي بإسناد صحيح عن البخاري ...)) ، والنقل من "اعتقاد أهل السنة" للالكائي (١٧٣/١) وفيه : ((الدين قول وعمل ...)).

وانظر في أقوال أهل العلم في زيادة الإيمان ونقصانه: "السنة"، لابن أبي عاصم، المكتب الإسلامي. بيروت. (١٤٠٠هـ). ط١. (٦٤٥/٢)، و"السنة"، لعبد الله بن أحمد بن حنبل. دار ابن القيم. الدمام. (١٤٠٦هـ). ط١. (١٧٤/١، ٣٠٧، ٣١٠)، و"الإيمان"، لابن منده، مؤسسة الرسالة. بيروت. (١٤٠٦هـ). ط٢. (٢٩٥)، و"السنة"، للخلال (١٥١/١، ١٥٩، ١٦٧).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: ((وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص))[1].

وانظر: "التمهيد"، لابن عبد البر. نشر وزارة عموم الأوقاف. المغرب. (١٣٨٧هـ). (٩/٢٥٢،٢٥٣)، و"الاستذكار"، لابن عبد البر. دار الكتب العلمية. بيروت. (١٤٢١هـ). ط١. (٨/٢٨٣)، و"فتح الباري" (١/٤٧،٤٨).

(١) "مجموع الفتاوى" (٧/٦٧٢)، وانظر: (٧/٥٠٥)، (٦/٤٨١).

المطلب الثاني: شعب الإيمان.

جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان))(١).

فشبه الإيمان بشجرة لها أصل وأغصان متعددة(٢)، ((فكذلك الإيمان له أصل وشعب متعددة، كل منها تسمى إيماناً، فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والصوم والحج والأعمال الباطنة، كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه، حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق، فإنه من شعب الإيمان.

وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها، كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها إجماعاً، كإماطة الأذى عن الطريق، ومنها ما يقرب من شعبة الشهادة، ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى))(٣).

وقد اعتنى بعض أهل العلم بعدها، وأفردها بعضهم بالتأليف، مثل البيهقي في "شعب الإيمان"، واختصره بعض من جاء بعده(٤).

وقد عدها الحافظ ابن حجر، ونقل عنه الشيخ أبو بكر خوقير، فقال في تعداد شعب الإيمان: ((عدها الحافظ ابن حجر في الفتح، وتبعه السيوطي.

قال [الحافظ ابن حجر] رحمه الله: وقد لخصت مما أوردوه ما أذكره وهو أن

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ ، روى شطره الأول البخاري في كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان (٦٧/١/ ح٩) بلفظ: بضع وستون، ومسلم في كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان (٢/٥/ ح٣٥).

(٢) انظر: "حادي الأرواح" (٥٢/١).

(٣) "شرح الطحاوية" (٣٨٣).

(٤) انظر: "ما لا بد منه" (ص٥٣) "حاشية".

هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن.

فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيات وتشتمل على أربع وعشرين خصلة:

(١) الإيمان بالله ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأنه ليس كمثله شيء واعتقاد حدوث ما دونه (٢) الإيمان بملائكته (٣) وكتبه (٤) ورسله (٥) والقدر خيره وشره (٦) والإيمان باليوم الآخر ويدخل فيه المسألة في القبر والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط والجنة والنار (٧) محبة الله (٨) الحب والبغض فيه (٩) محبة النبي ﷺ واعتقاد تعظيمه ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سنته (١٠) الإخلاص ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق (١١) التوبة (١٢) الخوف (١٣) الرجاء (١٤) الشكر (١٥) الوفاء (١٦) الصبر (١٧) الرضا بالقضاء (١٨) التوكل (١٩) الرحمة (٢٠) التواضع ويدخل فيه توقير الكبير ورحمة الصغير (٢١) ترك الكبر والعجب (٢٢) ترك الحسد (٢٣) ترك الحقد (٢٤) ترك الغضب.

وأعمال اللسان: تشتمل على سبع خصال:

(٢٥) التلفظ بالتوحيد (٢٦) تلاوة القرآن (٢٧) تعلم العلم (٢٨) تعليمه (٢٩) الدعاء (٣٠) الذكر ويدخل فيه الاستغفار (٣١) اجتناب اللغو.

وأعمال البدن وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة، منها ما يختص بالأعيان وهي خمس عشرة خصلة:

(٣٢) التطهير حساً وحكماً ويدخل فيه اجتناب النجاسات (٣٣) ستر العورة (٣٤) الصلاة فرضاً ونفلاً (٣٥) الزكاة كذلك (٣٦) فك الرقاب (٣٧) الجود ويدخل فيه إطعام الطعام وإكرام الضيف (٣٨) الصيام فرضاً ونفلاً (٣٩) الحج (٤٠) العمرة كذلك (٤١) الطواف (٤٢) الاعتكاف (٤٣) التماس ليلة القدر (٤٤) الفرار بالدين ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك (٤٥) الوفاء بالنذر (٤٦) التحري في الإيمان وأداء الكفارات.

ومنها ما يتعلق بالاتباع وهي ست خصال:

(٤٧) التعفف بالنكاح (٤٨) القيام بحقوق العيال (٤٩) بر الوالدين وفيه اجتناب العقوق (٥٠) تربية الأولاد (٥١) صلة الرحم (٥٢) طاعة السادة أو الرفق بالعبيد.

ومنها ما يتعلق بالعامة وهي سبع عشرة خصلة:

(٥٣) القيام بالأمرة مع العدل (٥٤) متابعة الجماعة (٥٥) طاعة أولي الأمر (٥٦) الإصلاح بين الناس ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة (٥٧) المعاونة على البر ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٥٨) إقامة الحدود (٥٩) الجهاد ومنه المرابطة (٦٠) أداء الأمانة ومنه أداء الخمس (٦١) القرض مع وفائه (٦٢) إكرام الجار (٦٣) حسن المعاملة وفيه جمع المال من حله (٦٤) إنفاق المال في حقه ومنه ترك التبذير والإسراف (٦٥) رد السلام (٦٦) تشميت العاطس (٦٧) كف الأذى عن الناس (٦٨) اجتناب اللهو (٦٩) إماطة الأذى عن الطريق.

قال الحافظ ابن حجر: فهذه تسع وستون خصلة ويمكن عدها تسعاً وسبعين خصلة باعتبار إفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر والله أعلم))[1].

(١) " ما لا بد منه" (ص٥٣-٥٥)، والنقل من "فتح الباري" (١/٥٢،٥٣).

المطلب الثالث: الاستثناء في الإيمان.

مسألة الاستثناء في الإيمان، بأن يقول: أنا مؤمن، إن شاء الله، وقع فيها خلاف قديم بين السلف والمتكلمين، وبين المتكلمين أنفسهم، وأصل الخلاف في المسألة يرجع إلى الخلاف في الإيمان، هل هو القول فقط، أو القول والعمل، وهل يزيد وينقص.

وقد تقدم تقرير قول السلف بأن الإيمان قول وعمل، وأنه يزيد وينقص، وعلى هذا ترتب قولهم في مسألة الاستثناء في الإيمان، فمن باب الرد على المرجئة القائلين بأن الإيمان هو القول فقط، قالوا بالاستثناء في الإيمان مراعاة لجانب العمل.

فعن عبد الرحمن بن مهدي أنه قال: ((أول الإرجاء ترك الاستثناء)) [١].

وقال الإمام أحمد: ((لو كان القول كما تقول المرجئة أن الإيمان قول، ثم استثنى بعد على القول، لكان هذا قبيحاً أن تقول: لا إله إلا الله، إن شاء الله، ولكن الاستثناء على العمل))[٢].

وعن الإمام أحمد أنه قال له رجل: ((قيل لي: أمؤمن أنت؟ قلت: نعم، هل علي في ذلك شيء ؟ هل الناس إلا مؤمن وكافر؟ فغضب أحمد وقال: هذا كلام الإرجاء! وقال الله عز وجل: ﴿**وآخرون مرجون لأمر الله**﴾ [٣] من هؤلاء؟!

ثم قال أحمد: أليس الإيمان قولاً وعملاً ؟! قال الرجل: بلى. قال: فجئنا بالقول؟ قال: نعم. قال: فجئنا بالعمل؟ قال: لا. قال: فكيف تعيب أن يقول إن شاء الله ويستثني))[٤].

---

(١) "السنة"، للخلال (٥٩٨/٣/ رقم ١٠٦١)، وقال محققه د. عطية الزهراني: إسناده صحيح.

(٢) "السنة"، للخلال (٦٠١/٣/ رقم ١٠٦٧)، وقال محققه د. عطية الزهراني: إسناده صحيح.

(٣) سورة "التوبة"، آية رقم: (١٠٦).

(٤) "السنة"، للخلال (٥٩٧/٣/ رقم ١٠٥٦) وقال محققه د. عطية الزهراني: إسناده صحيح. وقد احتج به ابن تيمية، "مجموع الفتاوى" (٤٤٦/٧، ٤٤٧).

وسئل الإمام أحمد عن ((الاستثناء في الإيمان، فقال: نعم، الاستثناء على غير معنى شك، مخافة واحتياطاً للعمل، وقد استثنى ابن مسعود وغيره ...))[١].

وكذلك يلاحظ اعتبار قبول الأعمال، وأدائها على وجهها، قال الإمام أحمد: ((كان سليمان بن حرب حمل هذا على التقبل، يقول: نحن نعمل ولا ندري يتقبل منا أم لا))[٢].

وعن الإمام أحمد أنه سئل: ((عن قوله ورأيه في مؤمن إن شاء الله، قال: أقول: مؤمن إن شاء الله ومؤمن، أرجو لأنه لا يدري كيف أداؤه للأعمال، على ما افترض عليه أم لا))[٣].

قال شيخ الإسلام: ((الإيمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله، وترك ما نهاه عنه كله، فإذا قال الرجل: أنا مؤمن بهذا الاعتبار، فقد شهد لنفسه أنه من الأبرار المتقين القائمين بجميع ما أمروا به، وترك كل ما نهوا عنه، فيكون من أولياء الله المقربين، وهذا من تزكية الإنسان لنفسه، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة لكان ينبغي أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذه الحال.

وهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون، وإن جوزوا ترك الاستثناء، بمعنى آخر ...)) [٤].

---

(١) "السنة"، للخلال (٥٩٣/٣/ رقم ١٠٤٩)، وقال محققه د. عطية الزهراني: إسناده صحيح. واحتج به ابن تيمية، "مجموع الفتاوى" (٤٥٠/٧).

(٢) "السنة"، للخلال، تتمة الأثر قبل السابق.

(٣) "السنة"، للخلال (٦٠١/٣/ رقم ١٠٦٦)، وقال محققه د. عطية الزهراني: إسناده صحيح. واحتج به ابن تيمية، "مجموع الفتاوى" (٤٤٨/٧).

(٤) "مجموع الفتاوى" (٤٤٦/٧،٤٤٧)، ونقله شارح الطحاوية (ص ٣٩٥).

وقال شارح الطحاوية: ((وأما من يجوز الاستثناء وتركه، فهم أسعد بالدليل من الفريقين — أي الموجبين والمانعين- وخير الأمور أوسطها، فإن أراد المستثني الشك في أصل إيمانه، منع من الاستثناء، وهذا مما لا خلاف فيه، وإن أراد أنه مؤمن من المؤمنين الذين وصفهم الله في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِيْنَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُم ...﴾[1] فالاستثناء حينئذ جائز، وكذلك من استثنى وأراد عدم العلم بالعاقبة، وكذلك من استثنى تعليقاً للأمر بمشيئة الله، لا شكاً في إيمانه))[2].

قال شيخ الإسلام: ((وجمهور السلف، وهو مذهب أهل الحديث، وهو المنسوب إلى أهل السنة، أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأنه يجوز الاستثناء فيه))[3].

وبين شيخ الإسلام أن محل الاستثناء في الإيمان إنما يكون عند الإخبار، أما في الإنشاء فلا يجوز، لأنه يحتمل أنه لم ينشئ الإيمان بعد[4].

قال الشيخ أبو بكر خوقير:

- ((هل يجوز الاستثناء في الإيمان؛ بأن يقال: أنا مؤمن إن شاء الله، معلقاً بالمشيئة، على وجه التبرك[5] والجهل بالخاتمة ؟

- مذهب أهل الحديث والحنابلة جوازه والتلفظ به، واستحبه بعضهم. قال

---

(١) سورة "الأنفال"، الآيات: (٢-٤). وسورة "الحجرات"، آية رقم: (١٥).

(٢) "شرح الطحاوية" (ص٣٩٨)، وانظر: "شرح النووي على مسلم" (١/١٤٩،١٥٠)، و"مجموع الفتاوى" (٤١/١٣).

(٣) "مجموع الفتاوى" (٧/٥٠٥).

(٤) "مجموع الفتاوى" (١٣/٤٤،٤٥).

(٥) لم أجد من قال بهذا، ولم يظهر لي وجه طلب البركة بالاستثناء في الإيمان.

ابن عقيل: ((لا على الشك في الحال، بل في المآل، أو في قبول بعض الأعمال ولحوق التقصير، أو كراهية تزكية النفس)) انتهى. وذلك لأن الإيمان يزيد وينقص ...))(١).

ثم ذكر مسألة الاستثناء في الإسلام، فقال: ((لا يجوز الاستثناء في الإسلام، بأن يقول: أنا مسلم، إن شاء الله، بل يجزم، وقيل بالجواز. والأولى سد هذا الباب والوقوف عند الوارد، كما هو دأب السلف))(٢).

وقد جاء عن الإمام أحمد أنه قال: ((أقول: مؤمن، إن شاء الله، وأقول: مسلم، ولا أستثني))(٣).

وفصل في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: ((وأحمد إنما منع الاستثناء فيه [أي الإسلام] على قول الزهري: هو الكلمة، هكذا نقل الأثرم والميموني عنه.

وأما على جوابه الآخر الذي لم يختر فيه قول من قال: الإسلام الكلمة، فيستثني في الإسلام، كما يستثني في الإيمان، فإن الإنسان لا يجزم أنه قد فعل كل ما أمر به من الإسلام.

وإذا قال النبي ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)(٤) و (بني الإسلام على خمس)(٥) فجزمه بأنه فعل الخمس بلا نقص كما أُمر، كجزمه بإيمانه،

---

(١) " ما لا بد منه" (ص٤٢).

(٢) " ما لا بد منه" (ص٤٢).

(٣) "الإيمان"، لابن منده (٣١١/١)، وذكره عنه في "مجموع الفتاوى" (٢٥٦/٧).

(٤) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه : كتاب الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون... (١٣/١ح١٠)، ورواه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه : كتاب الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام... (٦٥/١ح١٦).

(٥) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب: قول النبي بني الإسلام ... (١٢/١ح٨)، ورواه مسلم: كتاب الإيمان، باب: بيان أركان الإسلام ... (٤٥/١ح١٦).

فقد قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[١] أي: في جميع شرائع الإسلام.

وتعليل أحمد وغيره من السلف ما ذكروه في اسم الإيمان، يجيء في اسم الإسلام، فإذا أريد بالإسلام الكلمة، فلا استثناء فيه، كما نص عليه أحمد وغيره، وإذا أريد به فعل الواجبات الظاهرة كلها، فالاستثناء فيه كالاستثناء في الإيمان.

ولما كان كل من أتى بالشهادتين صار مسلماً متميزاً عن اليهود والنصارى تجري عليه أحكام الإسلام التي تجري على المسلمين، كان هذا مما يجزم به بلا استثناء فيه ...))[٢].

---

(١) سورة البقرة: آية رقم: (٢٠٨).

(٢) "مجموع الفتاوى" (٧/٤١٥).

المطلب الرابع: كبائر الذنوب، وحكم مرتكب الكبيرة.

دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر.

أما نصوص الكتاب: فمنها قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوْا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِيْنَ يَجْتَنِبُوْنَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ ﴾(٢).

ومن السنة: قوله ﷺ: (الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر)(٣).

وقال ابن القيم رحمه الله : ((وقد دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين بعدهم أن الذنوب كبائر وصغائر))(٤).

وفي بيان معنى الكبيرة، قال شيخ الإسلام: ((أمثل الأقوال في هذه المسألة القول المأثور عن ابن عباس، وذكره أبو عبيد وأحمد بن حنبل وغيرهما، وهو: أن الصغيرة ما دون الحدين: حد الدنيا، وحد الآخرة.

وهو معنى قول من قال: ما ليس فيها حد في الدنيا(٥)، وهو معنى قول القائل:

---

(١) سورة "النساء"، آية رقم: (٣١).

(٢) سورة "النجم"، آية رقم: (٣٢).

(٣) رواه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ : كتاب الطهارة، باب: الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ... (٢٠٩/١/ح٢٣٣).

(٤) "الجواب الكافي". دار الكتب العلمية. بيروت (٨٧/١)، وانظر: "مدارج السالكين". دار الكتاب العربي. بيروت. (١٣٩٣هـ). ط٢. (٣١٥/١).

(٥) روى ابن جرير عن الضحاك قوله: ((الكبائر كل موجبة أوجب الله لأهلها النار، وكل عمل يقام به الحد فهو من الكبائر)). "جامع البيان". دار المعارف بمصر. (٢٤٧/٨/ رقم ٩٢١٨).

كل ذنب ختم بلعنة، أو غضب، أو نار[١]، فهو من الكبائر ...))[٢].

قال الشيخ أبو بكر خوقير في تعريف الكبيرة: ((ما كان فيه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، زاد بعضهم : أو جاء فيه وعيد بنفي الإيمان أو لعن))[٣].

ثم تحدث عن عدد الكبائر، فقال: ((جمعها كثير من العلماء واختلفوا في تعدادها، فمنهم المكثر ومنهم المقل[٤]، ألف فيها الشيخ ابن حجر المكي كتابه: "الزواجر" وأجاد فيه، وأوصلها إلى أربعمائة وست وستين كبيرة، وألف فيها الحافظ الذهبي، فأوصلها إلى سبعين كبيرة، ونظمها صاحب "الإقناع" فأوصلها إلى ست وستين كبيرة ...

وقد ذكر ابن القيم في "مدارج السالكين" فصلاً في "أجناس ما يتاب منه ولا يستحق العبد اسم التائب حتى يتخلص منه"[٥]، وقال: ((إنها اثنا عشر جنساً عليها مدار كلما حرم الله، وإليها ينتهي العالم بأسرهم، إلا أتباع الرسل صلوات الله عليهم وسلامه)).

وقد عد تلك الأمهات الاثني عشر وشرحها، وهذه هي:

(١) الكفر (٢) الشرك (٣) النفاق (٤) الفسوق (٥) العصيان (٦) الإثم (٧) العدوان (٨) الفحشاء (٩) المنكر (١٠) البغي (١١) القول على الله بغير علم (١٢)

---

(١) روى ابن جرير عن ابن عباس: ((الكبائر، كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب)) "جامع البيان" (٨/٢٤٦/ رقم ٩٢١٢).

(٢) "مجموع الفتاوى" (١١/٦٥٠).

(٣) " ما لا بد منه" (ص٤٤).

(٤) انظر في عدد الكبائر: "مجموع الفتاوى" (١/٦٥٠-٦٥٧)، و"شرح الطحاوية" (ص٤١٦،٤١٧).

(٥) "مدارج السالكين" (١/٣٣٥).

اتباع غير سبيل المؤمنين))[1].

ثم ذكر الشيخ الكبائر التي عدها صاحب "الإقناع" الشيخ موسى الحجاوي في منظومته، وهي:

(١) الشرك بالله (٢) قتل النفس (٣) أكل الربا (٤) السحر (٥) القذف (٦) أكل أموال اليتامى بالباطل (٧) التولي حالة الزحف في الحرب (٨) الزنا (٩) اللواط (١٠) شرب الخمر (١١) قطع الطريق (١٢) سرقة ما للغير وأكل ماله باطلاً بالقول والفعل واليد (١٣) شهادة الزور (١٤) عقوق الوالدين (١٥) الغيبة (١٦) النميمة (١٧) اليمين الغموس (١٨) ترك الصلاة (١٩) صلاة المحدث متعمداً (٢٠) الصلاة بغير الوقت (٢١) الصلاة إلى غير القبلة (٢٢) الصلاة بلا قراءة (٢٣) القنوط من رحمة الله (٢٤) إساءة الظن بالله (٢٥) الأمن من مكر الله (٢٦) قطيعة الرحم (٢٧) الكبر والخيلاء (٢٨) الكذب لرمي الفتنة والافتراء عمداً على النبي ﷺ (٢٩) قيادة الديوث (٣٠) نكاح المحلل (٣١) هجر المؤمن العدل (٣٢) ترك الحج مع الاستطاعة وعدم العزم على فعله (٣٣) منع الزكاة (٣٤) منع حكم الحاكم (٣٥) مخالفة الحق (٣٦) إعطاء الرشوة (٣٧) الفطر بلا عذر في رمضان ولو يوماً واحداً (٣٨) القول بلا علم في الدين (٣٩) سب الصحابة رضوان الله عليهم (٤٠) الإصرار على العصيان (٤١) ترك التنزه من البول (٤٢) إتيان الحائض في فرجها (٤٣) نشوز المرأة على زوجها بلا عذر (٤٤) إلحاق المرأة بالزوج من لا يلتحق به (٤٥) كتمان العلم عن المستهدي (٤٦) تصوير صورة ما فيه روح (٤٧) إتيان الكاهن (٤٨) إتيان العراف وتصديقه في قوله (٤٩) السجود لغير الله (٥٠) الدعاية إلى بدعة أو ضلالة (٥١) الغلول في الغنيمة (٥٢) النياحة على الميت (٥٣) التطير (٥٤) استعمال أواني الذهب والفضة (٥٥) جور الموصي في وصيته لحرمان وارث (٥٦) إباق العبد (٥٧) إتيان

---

(١) " ما لا بد منه" (ص٤٤).

المرأة في دبرها (٥٨) بيع الحرة (٥٩) استحلال البيت الحرام بالقتال عنده (٦٠) اكتساب الربا والشهادة عليه (٦١) نفاق ذي الوجهين (٦٢) غش الإمام للرعية (٦٣) إتيان البهيمة (٦٤) إساءة المالك إلى القن (٦٥) ترك الجمعة (٦٦) دعوى الانتساب إلى من ليس بأصله[١].

حكم مرتكب الكبيرة:

عقيدة أهل السنة في مرتكب الكبيرة أنهم لا يسلبونه مطلق الإيمان، كقول الوعيدية، ولا يعطونه الإيمان المطلق، كقول المرجئة، بل هم وسط بينهم.

فحكم صاحب الكبيرة في الدنيا أنه: مؤمن بإيمانه، فاسق بمعصيته، ناقص الإيمان، وهو باق في عداد المسلمين، لا يخرج من الملة. وحكمه في الآخرة: أن مصيره إلى الجنة، ولو عذب في النار بذنوبه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ((ولا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية، ولا يخلدونه في النار ... ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم بكبيرته))[٢].

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله: ((وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين، وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عز وجل في كتابه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[٣]، وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته ...))[٤].

---

(١) " ما لا بد منه " (ص٤٤-٤٧).

(٢) "العقيدة الواسطية" (ص ٣٩، ٤٠).

(٣) سورة النساء، آية رقم: (٤٨).

(٤) "شرح الطحاوية" (ص٤١٦)، وانظر: "رسالة إلى أهل الثغر". أبو الحسن الأشعري. مكتبة العلوم والحكم. دمشق. (١٩٨٨م). ط١. (ص٢٨٨).

قال الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله:

-((من هم عصاة الموحدين، وما حكمهم، وما الواجب عليهم ؟

-كل من ارتكب كبيرة، أو أصر على صغيرة، سمي: عاصياً وفاسقاً. وحكم العاصي كسائر المؤمنين، لا يخرج من الإسلام بمعصية، ولكن لا تقبل شهادته[١]، ولا يُصلى خلفه[٢]، إلا الحاكم الجائر، فيصلى خلفه الجمعة والعيدين. والواجب على العاصي التوبة من المعصية ...))[٣].

(١) في رد شهادة الفاسق تفصيل، قال ابن القيم: ((إذا غلب على الظن صدق الفاسق، قبلت شهادته وحكم بها، والله سبحانه لم يأمر برد خبر الفاسق، فلا يجوز رده مطلقاً، بل يتثبت فيه حتى يتبين هل هو صادق أو كاذب، فإن كان صادقاً قبل قوله وعمل به، وفسقه عليه، وإن كان كاذباً رد خبره و لم يلتفت إليه ...)) "الطرق الحكمية". مطبعة المدني. القاهرة. (ص٢٥٦،٢٥٧).

(٢) قال شيخ الإسلام: ((والفاسق والمبتدع صلاته في نفسه صحيحة، فإذا صلى المأموم خلفه لم تبطل صلاته، لكن إنما كره من كره الصلاة خلفه لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ...)) انظر: "مجموع الفتاوى" (٣٥٤/٢٣)، وقد نقله "شارح الطحاوية" (ص٤٢٢).

(٣) " ما لا بد منه" (ص٤٣).

المبحث الثالث: الإحسان.

الإحسان مصدر، تقول: أحسن يحسن إحساناً، ويتعدى بنفسه وبغيره، تقول: أحسنت كذا، إذا أتقنته، وأحسنت إلى فلان، إذا أوصلت إليه النفع.

والأول هو المراد لأن المقصود إتقان العبادة، وقد يلحظ الثاني بأن المخلص مثلاً محسن بإخلاصه إلى نفسه، وإحسان العبادة الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود(١).

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : ((وإذا قيل لك: ما الإحسان؟ فقل: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ...))(٢).

قال الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله: ((ما الإحسان ؟

- أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك(٣).

وهذا جواب النبي ﷺ على سؤال جبريل عليه السلام، ليعلم الناس، كما في الإسلام والإيمان ...))(٤).

ثم شرح معنى الإحسان، فقال: ((الإحسان لفظ عام، ومعناه ظاهر، وهو مطلوب من كل مؤمن بكل معانيه، في كل شيء يوجه الإنسان إليه قلبه، بعمل الفكر

---

(١) "فتح الباري" (١/١٢٠).

(٢) "الأصول الثلاثة"، ضمن مجموعة التوحيد (ص١٣).

(٣) ويظهر أنه استفاد من كتاب "الأصول الثلاثة" واعتنى بتأليف كتابه " ما لا بد منه" على منواله، وقد كتب على طرة الكتاب: ((هذا القسم الأول في الاعتقاد، في ثلاثة أبواب: (معرفة الله) و (دينه) و (نبيه)، وهي الثلاثة الأصول التي جاءت في سؤال الملكين: من ربك، ما دينك، من نبيك ...)).

(٤) " ما لا بد منه" (ص٤٧).

أو الجوارح، فقد كتب الله الإحسان على كل شيء[١]، ونوه بمحبته للمحسنين، وجزاء الإحسان بمثله وزيادة، فلا يعمل المؤمن عملاً إلا وهو محسن له بمراقبة الله فيه، ويلزم [نفسه] إتقان العمل وجودته))[٢].

ثم تحدث عن وجه كون الإحسان مطلوب عموماً، وقد خصه النبي ﷺ بالعبادة، كما في الحديث، فقال: ((لم يخلق الله الإنسان إلا لعبادته وحده، بمعنى الخضوع والتذلل له حباً، في كل حال. وإحسان العبادة الشرعية، أي المطلوبة منه شرعاً: الإتيان بها على أكمل الوجوه وأتمها، ورأس إحسانها الإخلاص فيها.

وهكذا يطلب منه [في] كل عمل، من حركة أو سكون، بالإحسان فيه من طريق الإخلاص ومراقبة الله فيه، وذلك بحسن النيات فهي تجعل العادات عبادات.

وقد علم النبي ﷺ سامع ذلك الحديث الوصول إلى الإخلاص فيه من طريقين:

الأول: أشار إليه بقوله ﷺ : (أن تعبد الله كأنك تراه) وفي رواية (أن تخشى الله كأنك تراه)[٣] ، أي تقدر في نفسك في كل حال كأنك حاضر بين يدي مولاك، بمرئي منه ومسمع، فلا شك أن ذلك أدعى للإخلاص فيما تعمله وفيما يصدر منك من حركة أو سكون، بحيث لا تترك شيئاً مما تقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت وحفظ القلب والجوارح والاجتماع بظاهرك وباطنك، ولا تترك شيئاً من إتقان العمل وتحسينه، فتكون صادقاً في القول والفعل.

والطريق الثاني الموصل إلى الإخلاص: أشار إليه بقوله ﷺ: (فإن لم تكن تراه

---

(١) كما في الحديث: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء ...) رواه مسلم (١٥٤٨/٣/ ح١٩٥٥)، وابن حبان (١٩٩/١٣/ ح٥٨٨٣)، وأبو داود (١٠٠/٣/ح ٢٨١٥)، والترمذي (٢٣/٣/ح١٤٠٩)، والنسائي (٢٢٧/٧/ح٤٤٠٥).

(٢) " ما لا بد منه" (ص٤٧).

(٣) رواية عند مسلم (٤٠/١/ ح١٠).

فإنه يراك) أي: إذا لم تقدر على تصوير حضورك بين يدي ربك، فتقدر في نفسك مشاهدته لك، ولكل أحد من خلقه، [في كل] حركة أو سكون، فهو القائم على كل نفس))(١).

ثم ذكر مثالاً يتضح به المعنى، فقال: ((هذا معلوم بالمقايسة على عوائد الناس الجارية بينهم، فإنك ترى الباعث العظيم من إصلاح الزي الظاهري بمراسم الأدب أمام الأمراء، فمن دونهم، وكذا أمام الصالحين، مع احترامهم وحيائه منهم، وتحرك القلوب بذكر الله عند رؤية أهل العلم والعلم ومن يبدو على أطرافهم معنى الخلوص والخشوع، كما جاء وصفهم: (الذين إذا رؤوا ذكر الله(٢)))(٣).

ثم بين ما يترتب على الإخلاص والمراقبة، فقال: ((من راقب الله لم يتعد حدوده، ولم يقدم على أمر حتى يعرف ما حكم الله فيه، واستحيى منه تعالى في السر حياءه من الناس في العلانية، ولم يعمل عملاً إلا على أحسن الوجوه وأتمها، ولو كان من أمور الدنيا، لأن الله ورسوله أمرا بالإحسان والنصح فيه، فصار ذلك العمل عبادة بمراقبة الله فيه.

وهكذا لا يزال المؤمن في عبادة حتى يلقى ربه، معروفاً بين الناس بالصدق، معدوداً عند الله من الصديقين))(٣) .

---

(١) " ما لا بد منه" (ص ٤٨،٤٩).

(٢) عن ابن مسعود ﷺ : (إن من الناس مفاتيح لذكر الله، فإذا رؤوا ذكر الله): رواه أحمد في "العلل ومعرفة الرجال" (٣/١٧١/ رقم ٤٧٦٠)، وهو في "تاريخ ابن معين" (رواية الدوري): (٣/٤١٤/ رقم ٢٠٢٥). وقد جاء هذا الوصف في ترجمة بعض السلف، كمحمد بن سيرين، انظر: "تذكرة الحفاظ" (١/٧٨)، و"التعديل والتجريح" (٢/٦٧٧).

(٣) " ما لا بد منه" (ص ٤٩).

الفصل الثاني

الإيمان بالله (التوحيد وأنواعه)

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

* **تمهيد:** أقسام التوحيد.
* **المبحث الأول:** توحيد الربوبية.
* **المبحث الثاني:** توحيد الألوهية.

المطلب الأول: تعريفه، وأهميته.

المطلب الثاني: معنى "لا إله إلا الله".

المطلب الثالث: العبادة.

المطلب الرابع: ما ينافي توحيد الألوهية.

المطلب الخامس: الشرك.

* **المبحث الثالث:** توحيد الأسماء والصفات.

المطلب الأول: مذهب الشيخ في الأسماء والصفات.

المطلب الثاني: موقف الشيخ من التأويل.

المطلب الثالث: مسائل في الصفات.

المطلب الرابع: صفة الكلام.

المطلب الخامس: بعض الصفات الإلهية التي تناولها الشيخ:

- **صفتي العلو، والمعية.**
- **صفة الاستواء**
- **صفة الحكمة.**

تمهيد

أقسام التوحيد

أول أركان الإيمان: الإيمان بالله، والمراد بالإيمان بالله: توحيده ومعرفته.

فقد جاء في حديث معاذ ﷺ حينما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن أنه قال له: (فليكن أول ما تدعوهم إليه: أن يوحدوا الله)[١]، وفي لفظ آخر: (ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله)[٢]، وفي لفظ آخر: (فليكن أول ما تدعوهم إليه: عبادة الله، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس)[٣].

وقال الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله في معنى ((الإيمان بالله، الذي هو الركن الأول من أركان الإيمان: اعتقاد ربوبيته وألوهيته وحده.

قال في "الواسطية": ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله ﷺ[٤] ...))[٥].

والعلم بالله ومعرفته أشرف العلوم وأعلاها، فإن شرف العلم من شرف

---

(١) رواه البخاري من حديث ابن عباس ﷺ:كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله (٦/٢٦٨٥/ح٦٩٣٧)، وعند الدارقطني: (فليكن أول ما تدعوهم إليه: توحيد الله) (٢/١٣٦/ح٥).

(٢) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم الأموال (٢/٥٠٥/ ح١٣٣١).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم الأموال (٢/٥٢٩/ح١٣٨٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١/٥١/ح١٩).

(٤) "الواسطية" (ص ٦)

(٥) " ما لا بد منه" (ص ٢٦).

المعلوم، ومعرفة الله وعبادته أشرف المطالب وأسمى الغايات، وبها يصل العبد إلى أعلى الدرجات، ويكون من أولياء الله ومن أهل دار كرامته.

والله سبحانه لما خلق الخلق، لم يتركهم سدى، بل أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، ليدلوا الناس على طريق الرشاد، ويبلغوهم رسالات ربهم.

وقد دل الله على نفسه، وعرف خلقه بأسمائه وصفاته، وأنه المتفرد بالربوبية، واستحقاق العبودية، وبذلك جاءت دعوة الرسول الكريم صلوات الله عليه، لتقرير هذه العقيدة في قلوب العباد، وترسيخها ليعملوا على تطبيقها والتمسك بها.

والقرآن الكريم بأكمله متضمن لعقيدة التوحيد، يقول ابن القيم رحمه الله: ((إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم ...))(١).

ويتبين من نصوص الوحي أن التوحيد أنواع، فمن الممكن أن تجعل على نوعين: التوحيد العلمي الخبري، وتوحيد القصد والطلب، ومن الممكن أن يفصل في التوحيد العلمي الخبري فيجعل على نوعين: توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

---

(١) "مدارج السالكين" (٣/٤٤٩).

وقد ذكر الشيخ أبو بكر خوقير كلا التقسيمين، فذكر أن التوحيد ينقسم إلى قسمين: قولي، وفعلي[١]، وذكر التقسيم الآخر لأنواع التوحيد، فقال: ((أقسام التوحيد ثلاثة: (١) توحيد الربوبية (٢) توحيد الألوهية (٣) توحيد الصفات، كما ذكرها الشيخ السفاريني وغيره))[٢].

وبيان أقسام التوحيد سبقت الإشارة إليه في كلام متقدمي علماء السلف، فقد قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾[٣]: (("فاعبدوه": يقول: فاعبدوا ربكم الذي هذه صفته، وأخلصوا له العبادة، وأفردوا له الألوهة والربوبية))[٤].

وقال رحمه الله: ((يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ﴾[٥] بأدلتنا على توحيدنا، وحجة تبين لمن عاينها وتأملها بقلب صحيح، أنها تدل على توحيد الله، وكذب كل من ادعى الربوبية دونه، وبطول قول من أشرك معه في الألوهية غيره))[٦].

وجاء ذكر أنواع التوحيد الثلاثة في كلام الإمام الطحاوي، في قوله: ((نقول في توحيد الله، معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره))[٧].

---

(١) " ما لا بد منه" (ص ٥،٦).

(٢) " ما لا بد منه" (ص ٧)، والنقل عن السفاريني من كتابه "لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية". المكتب الإسلامي. ط٣. (١٤١١هـ). (١/١٢٨،١٢٩).

(٣) سورة "يونس"، آية رقم: (٣).

(٤) "جامع البيان" (١٥/١٧)، وانظر: "جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف". د.عبد العزيز بن صالح الطويان. مكتبة العبيكان. ط١. (١٤١٩هـ). (ص٩٣،٩٤).

(٥) سورة "هود"، آية رقم: (٩٦).

(٦) "جامع البيان" (١٥/٤٦٥،٤٦٦).

(٧) "متن الطحاوية" (ص١٧،١٨).

وكذلك في كتاب "التوحيد" لابن منده، إذ يقول محققه: ((ومؤلف هذا الكتاب عاش في القرن الرابع الهجري (٣١٠-٣٩٥هـ) وقد اشتمل كتابه على أقسام التوحيد التي ورد ذكرها في كتاب الله تعالى: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات؛ فبدأ بقسم الوحدانية في الربوبية مستدلاً به على توحيد الله في الألوهية، ثم ذكر عنواناً لتوحيد الأسماء ...))(١).

وذكر شيخ الإسلام أنواع التوحيد في " التدمرية" وغيرها (٢).

وقال شارح الطحاوية: ((فالتوحيد أول الأمر وآخره، أعني: توحيد الإلهية، فإن التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع؛ أحدها: الكلام في الصفات، والثاني: توحيد الربوبية وبيان أن الله خالق كل شيء، والثالث: توحيد الألوهية، وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له))(٣).

وقال في موضع آخر: ((ثم التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان: توحيد في الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقصد))(٤).

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب: ((وأما التوحيد فهو ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات))(٥).

وقد بين الشيخ أبو بكر أن أنواع التوحيد متلازمة، وأنه لا يتم الإيمان إلا بها جميعها(٦).

---

(١) مقدمة كتاب "التوحيد" بتحقيق د. علي بن محمد فقيهي. مكتبة الغرباء بالمدينة. ط٢. (١٤١٤هـ). (ص٢٧).

(٢) "التدمرية" (ص ٤،٥)، و"مجموع الفتاوى" (٣/٣٦٧،٣٦٨).

(٣) "شرح الطحاوية" (ص ٧٦).

(٤) "شرح الطحاوية" (ص٨٨).

(٥) الرسالة الأولى ضمن "مجموعة التوحيد" (ص٥).

(٦) " ما لا بد منه" (ص ٧).

المبحث الأول: توحيد الربوبية.

تعريفه:

قال الشيخ أبو بكر خوقير معرفاً توحيد الربوبية: ((إفراده تعالى باعتقاد أن لا خالق ولا رازق ولا محيي ولا مميت ولا موجد ولا معدم إلا الله تعالى))[١].

وهذا موافق لما قرره العلماء من قبله، فقد قال شيخ الإسلام: ((فتوحيد الربوبية: أنه لا خالق إلا الله، فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور...))[٢].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: ((الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار الذي له الأمر كله وبيده الخير كله القادر على ما يشاء ليس له في ذلك شريك))[٣].

فتوحيد الربوبية هو توحيد الله بأفعاله سبحانه[٤].

وبين الشيخ أبو بكر ما يضاد توحيد الربوبية، فقال رحمه الله: ((أن يجعل لغيره معه تدبير، فالربوبية منه سبحانه لعباده، والتأله من عباده له تعالى))[٥].

---

(١) "ما لا بد منه" (ص٧).

(٢) "مجموع الفتاوى" (١٠/٣٣١).

(٣) "تيسير العزيز الحميد" مكتبة الرياض الحديثة. (ص١٧).

(٤) انظر: "مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب" جامعة الإمام محمد بن سعود (ص٤٧).

(٥) " ما لا بد منه" (ص ١١).

دلالات توحيد الربوبية:

توحيد الربوبية من أظهر الأمور وأوضحها ركوزاً في النفوس، ((فالقلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم: ﴿ **قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض**﴾[١]))[٢].

وقد بين الشيخ أبو بكر أن معرفة الإنسان بربه تكون ((بآياته ومخلوقاته، فكل صنعة تدل على صانعها، والإنسان واحد من مصنوعاته تعالى، فالله ربه الذي رباه وربى جميع العالمين بإيجاده ونعمائه ...))[٣].

وهذا ما قرره الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من قبل حيث قال: ((وإذا قيل لك بأي شيء عرفت ربك؟ فقل: عرفته بآياته ومخلوقاته))[٤].

وقد بين شارح الطحاوية أن دلالات توحيد الربوبية متعددة، ويستفاد من كلامه الدلالات التالية: الاستدلال على الله بالله، الدليل الفطري، دليل الآيات، إجماع الأمم، معجزة الرسل، المقاييس العقلية[٥].

وتطرق الشيخ أبو بكر خوقير إلى مسألة معرفة حقيقة ذات الله بالعقل فقال:

((العقل قاصر عن إدراك نفسه، وله حد محدود، ولا يعرف حقيقته تعالى إلا هو، والعجز عن إدراكها إدراك. قال تعالى: ﴿**ولا يحيطون به علماً**﴾[٦] و ﴿**ليس**

(١) سورة "إبراهيم"، آية رقم (١٠).

(٢) "شرح الطحاوية" (ص ٧٦،٧٧).

(٣) "ما لا بد منه" (ص٣).

(٤) "الأصول الثلاثة" ضمن "مجموعة التوحيد" (ص١٢).

(٥) انظر: "تقريب وترتيب شرح الطحاوية" (ص٢٩١) وما بعدها.

(٦) سورة "طه"، آية رقم (١١٠).

كمثله شيء﴾[١] .

فكل ما خطر ببالك، فالله بخلاف ذلك[٢]، [وقد] أجمع المحققون أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق.

وقد نهينا عن التفكر في ذاته، وأمرنا بالتفكر في مخلوقاته.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد[٣]

وكما تكون معرفته بعبادته والنظر في مخلوقاته، تكون بمعرفة أسمائه وصفاته، وذلك هو توحيد الأنبياء والمرسلين))[٤].

---

(١) سورة "فصلت"، آية رقم (١١).

(٢) يحمل على نفي المماثلة في الحقائق والكيفية، لا على نفي معاني الأسماء والصفات.

(٣) نسبه صاحب "الوفيات" إلى أبي نواس (١٣٨/٧)، ونسبه صاحب "الأغاني" إلى أبي العتاهية (٣٥/٤)، وهو في ديوانه (ص٦٢). وانظر: "تقريب وترتيب شرح العقيدة الطحاوية" (ص٣٥١) حاشية (٢).

(٤) "ما لا بد منه" (ص ٤).

المبحث الثاني: توحيد الألوهية.

المطلب الأول: تعريفه، وأهميته.

تعريفه:

هو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده، لا شريك له(١).

قال الشيخ أبو بكر خوقير: ((إفراده تعالى بالعبادة والتأله والخضوع والذل والحب والافتقار والتوجه إليه بالدعاء والطلب، ويقال له أيضاً: توحيد العبودية، أو العبادة، ويسمى أيضاً: التوحيد العملي الإرادي، كما قاله ابن القيم))(٢).

وقال في تعريف التوحيد العملي: ((هو عبادته تعالى وحده لا شريك له، بأن لا يكون المسلم عبداً لغيره تعالى، ولا يعبد بغير ما شرعه من الإيمان والإسلام والإحسان، ولا يجعل له نداً في قصد ولا حب ولا خوف، ولا رجاء، ولا لفظ، ولا حلف، ولا نذر، بل يرفع الأنداد له من قلبه وقصده ولسانه وعبادته، كما أنها معدومة في نفس الأمر لا وجود لها البتة، فلا يجعل لها وجوداً في قلبه ولا لسانه، كما قاله ابن القيم))(٣).

أهميته:

هو أعظم أنواع التوحيد، وهو متضمن لتوحيد الربوبية، فمن حقق توحيد الألوهية فقد أتى بتوحيد الربوبية ضمناً(٤).

---

(١) "شرح الطحاوية" (ص٧٦).

(٢) "ما لا بد منه" (ص ٧)، وكلام ابن القيم في "مدارج السالكين" (٣/٤٤٩).

(٣) " ما لا بد منه" (٥،٦)، والنقل عن ابن القيم من كتاب "الروح" دار الكتب العلمية. بيروت. (١٣٩٥هـ). (ص٢٦١).

(٤) انظر: "مجموع الفتاوى" (١٠/٢٨٤).

قال شيخ الإسلام موضحاً أهمية توحيد الألوهية: ((وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة، فمن لم يأت به، كان من المشركين الخالدين، فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء))[١].

وتظهر أهمية توحيد الألوهية لكونه التوحيد الذي جاءت به الرسل[٢]، كما قال الشيخ أبو بكر خوقير:

- ((ما هو التوحيد الذي جاءت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم من هذه الأقسام ؟

- الذي بعث الله به رسله هو توحيد الألهية))، واستدل على ذلك بقوله تعالى عن المشركين: ﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾[٣] [٤]، والأقرب الاستدلال بنحو قوله تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾[٥].

وقال رحمه الله:

- ((كيف كانت دعاية الرسل أممها، وإلى أي كلمة كانت تدعوها ؟

- كل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه قوله: ﴿**يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره**﴾[٦] ، ﴿**أن لا تعبدوا إلا الله**﴾[٧] ، ﴿**أن اعبدوا الله واتقوه**﴾[٨] ، ﴿**قل أغير**

---

(١) "مجموع الفتاوى" (١٤/٣٨٠).

(٢) انظر: "شرح الطحاوية" (ص٧٤،٧٥).

(٣) سورة "الزمر"، آية رقم (٣).

(٤) "ما لا بد منه" (ص٧).

(٥) سورة "النحل"، آية رقم: (٣٦).

(٦) سورة "الأعراف"، آية رقم (٥٩).

(٧) سورة "هود"، آية رقم (٢٦).

(٨) سورة "نوح"، آية رقم (٣).

الله أتخذ ولياً﴾[١] ، ﴿أفغير الله أبتغي حكماً﴾[٢]، ﴿قل أغير الله أبغي ربـاً﴾[٣] ، وقال ﷺ: (أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: "لا إله إلا الله")[٤] ... وكانـت دعاية الرسل إلى قولها باعتقاد معناها، لا مجرد قولها باللسان ...))[٥].

وقد نبه الشيخ رحمه الله إلى أهمية معرفة حال الجاهلية وما كانت عليه، فقـال: ((ينبغي البحث عن حالها، والتأمل فيما حكى الله عنها مع رسله وكيفية جدالهم، كما قص الله علينا ذلك في معظم كتابه، وقد قال الفاروق رضي الله عنه: (تنقض عـرى الإسلام عروة عروة، قالوا: متى ؟ قال: إذا دخل في الأمر من لا يعرف الجاهليـة)[٦] أو كما قال، وقد جاء في السنة التحذير من أشياء كثيرة كانوا يعملونها وبعضها شرك أكبر وبعضها أصغر، كما ورد: (كفر دون كفر)[٧]))[٨].

---

(١) سورة "الأنعام"، آية رقم (١٤).

(٢) سورة "الأنعام"، آية رقم (١١٤).

(٣) سورة "الأنعام"، آية رقم (١٦٤).

(٤) رواه مالك في الموطأ (٢١٤/١/ح٥٠٠)، (٤٢٢/١/ح٩٤٥)، والترمذي (٥٧٢/٥/ح٣٥٨٥)، وابن أبي شيبة (٣٨٢/٣/١٥١٣٥) و(١٥١٣٦،٢٩٦٥٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١١٧/٥/٩٢٥٦)، وغيرهم. قال الألباني (في الصحيحة ح١٥٠٣) : ((وجملة القول: أن الحديث ثابت بمجموع هـذه الشواهد، والله أعلم)).

(٥) "ما لا بد منه" (ص٨).

(٦) لم أقف عليه، لكن ذكره شيخ الإسلام بلفظ: ((إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية))، "منهاج السنة" (٣٩٨/٢، ٥٩٠/٤)، وذكره في "تيـسير العزيـز الحميـد" (ص٩٠،٢٤٦).

(٧) ورد عن ابن عباس ﷺ أخرجه الحاكم (٣٤٢/٢/ح٣٢١٩)، والبيهقي (٢٠/٨/ ح١٥٦٣٢)، وقـال الترمذي: ((روي عن ابن عباس وطاووس وعطاء وغير واحد من أهل العلم قالوا: كفر دون كفـر)) (٢١/٥/ ح ٢٦٣٥)، وبوب البخاري (باب كفران العشير وكفر بعد كفر) (١٩/١/ باب ١٩).

(٨) " ما لا بد منه" (ص ٩).

وقد صنف الإمام محمد بن عبد الوهاب رسالة في معرفة المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية[١]، وعددها مائة وواحد وثلاثون مسألة، ويظهر أن الشيخ أبا بكر خوقير إنما أشار إلى هذا الكتاب مبيناً أهميته.

موقف المشركين من توحيد الربوبية وعلاقته بتوحيد الألوهية:

لم ينكر المشركون توحيد الربوبية، بل أقروا به، واحتج الله عليهم بهذا الإقرار وألزمهم به بتوحيد الألوهية، فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((أما توحيد الربوبية، فقد أقر به المشركون، وكانوا يعبدون مع الله غيره ويحبونهم كما يحبونه، فكان ذلك التوحيد – الذي هو توحيد الربوبية – حجة عليهم، فإذا كان الله هو رب كل شيء ومليكه ولا خالق ولا رازق إلا هو، فلماذا يعبدون غيره معه، وليس له عليهم خلق ولا رزق ولا بيده لهم منع ولا عطاء، بل هو عبد مثلهم لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ؟!))[٣].

قال الشيخ أبو بكر : ((حكى الله عنهم – أي المشركين- إثبات توحيد الربوبية، في قوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[٤] وقوله : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ﴾[٥] إلى

---

(١) "مسائل الجاهلية" ضمن "مجموعة التوحيد" (ص ٤٧-٥٦).

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى" (٢٨٤/١٠)، (٨٣/٦)، (١٥٥/١)، و"مجموعة التوحيد" (ص ٥).

(٣) "مجموع الفتاوى" (٣٨٠/١٤).

(٤) سورة "العنكبوت"، آية رقم (٦١).

(٥) سورة "يونس"، آية رقم (٣١).

غير ذلك من الآيات، مما يتضمن الاحتجاج على منكري الألهية بإثبات الربوبية والملك))[١].

وقال: ((ولأجل ربوبيته استحق العبادة، ولأجلها خلقهم، كما قال تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[٢]))[٣].

(١) "ما لا بد منه" (ص ٨).

(٢) سورة "الذاريات"، آية رقم (٥٦).

(٣) "ما لا بد منه" (ص ٣).

المطلب الثاني: معنى "لا إله إلا الله".

قبل بيان معنى هذه الكلمة العظيمة، من المناسب بيان أهميتها وعظم شأنها.

يقول ابن القيم رحمه الله: ((كلمة قامت بها الأرض والسموات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه، ولأجلها نصبت الموازين ووضعت الدواوين وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار والأبرار والفجار، فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة وعليها أسست الملة ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام، وعنها يسأل الأولون والآخرون، فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ فجواب الأولى بتحقيق "لا إله إلا الله" معرفة وإقراراً وعملاً، وجواب الثانية: بتحقيق أن محمداً رسول الله، معرفة وإقراراً وانقياد وطاعة))[١].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب : ((ومعنى لا اله إلا الله، أي: لا معبود بحق إلا إله واحد وهو الله وحده لاشريك له، كما قال تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾[٢] مع قوله تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾[٣]، فصح أن معنى الإله: هو المعبود ...))[٤].

---

(١) "زاد المعاد" (٣٤/١).

(٢) سورة "الأنبياء"، آية رقم (٢٥).

(٣) سورة "النحل"، آية رقم (٣٦).

(٤) "تيسير العزيز الحميد" (ص ٥٣).

وهذا المعنى هو الذي عليه السلف، ويوافقهم عليه الشيخ أبو بكر خوقير، فيقول في معنى الشهادة: ((الاعتراف بأن لا معبود حق إلا الله وحده))[١].

وقال أيضاً : ((إفراد الله بالإلهية والعبادة، والنفي لما يعبد من دونه، والبراءة منه، فلو قال: "لا رب إلا الله"، لما أجزأه عند المحققين[٢]))[٣].

فبين الشيخ معنى شهادة "أن لا إله إلا الله" ، ونبه على خطأ من يجعل معناها تحقيق الربوبية، وهذا قول كثير من المتكلمين وطوائف من المتصوفة [٤].

وقال الشيخ في معنى "الإله": (("اتخذوه إلهاً" أي: مألوهاً، أي معبوداً)) [٥].

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين: ((وجميع العلماء من المفسرين وشراح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الإله بأنه المعبود))[٦].

وقال الشيخ أبو بكر: ((فلفظ "الله" دال على صفة له تعالى، وهي الإلهية الجامعة لمعاني الأسماء الحسنى والصفات العليا، وهو الذي ينكره المشركون مع اعترافهم بأنه الرب الخالق الرازق الذي ترجع إليه جميع الشؤون، فمعنى "الإله": الذي تألهه القلوب وتخضع له))[٧].

---

(١) "ما لا بد منه" (ص٢٢).

(٢) قال ابن القيم: ((فإن المشركين كانوا مقرين بأنه لا رب إلا الله ولا خالق سواه، وبأنه وحده المنفرد بالخلق والربوبية، ولم يكونوا مقرين بتوحيد الإلهية...)) "مدارج السالكين" (١/١٩،٢٠).

(٣) "ما لا بد منه" (ص٩).

(٤) انظر: "مجموع الفتاوى" (١/٢٣، ٣/١٠١،١٠٢)، و"شرح الطحاوية" (ص ٧٩).

(٥) "ما لا بد منه" (ص ٤).

(٦) رسالة في تعريف العبادة، ضمن "مجموعة التوحيد" (ص ١٠١).

(٧) "ما لا بد منه" (ص ٤)، وانظر: "فصل المقال" (ص ٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((فالإله: هو الذي تألهه القلوب، عبادة واستعانة ومحبة وتعظيماً وخوفاً ورجاء وإجلالاً وإكراماً))[١].

(١) "مجموع الفتاوى" (٣٦٥/١)، وانظر: "إغاثة اللهفان" (٢٧/١).

المطلب الثالث: العبادة

العبادة لغة: الطاعة، ويقال: طريق معبد، أي مذلل(١).

وفي معناها شرعاً، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ((العبادة أصل معناها: الذل، أيضاً يقال: طريق معبد، إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام، لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له ... ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له، ولو أحب شيئا و لم يخضع له، لم يكن عابداً له، كما قد يحب ولده وصديقه، ولهذا لا يكفى أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شئ، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شئ بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله))(٢).

قال الشيخ أبو بكر مبيناً معنى العبادة: ((أقصى غاية الخضوع، مع نهاية الحب له تعالى، لكونه الخالق الموجد لعباده، القائم بتربيتهم وإصلاحهم في كل شيء))(٣).

وقال في معناها ذاكراً أمثلة لبعض العبادات : ((عرف الفقهاء العبادة بقولهم: "ما أمر به شرعاً من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي" والمراد بها هنا معناها اللغوي وهو : خضوع القلب والأركان وغاية التعظيم القلبي بالحب الخالص وما تولد منه من الرجاء والخوف والدعاء والخشية والتوكل والإنابة والتوبة والنذر والذبح وغير ذلك، كأنواع العبادات الشرعية، والتي هي خضوع وتعظيم بهيئة مخصوصة جاءت في الشريعة ، ومن ذلك اعتقاد التأثير لله وحده والنفع والضر وطلبه منه وحده، خصوصاً

---

(١) انظر: "القاموس المحيط" مادة (عبد)، و"رسالة في معنى العبادة" لعبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين، ضمن "مجموعة التوحيد" (ص ٩٧-١٠٤).

(٢) "مجموع الفتاوى" (١٥٣/١٠).

(٣) " ما لا بد منه" (ص٤).

فيما خرج عن الأسباب الظاهرة))[١].

ويلاحظ أن الشيخ اهتم بذكر العبادات التي تعظم الحاجة للتنبيه على وجوب إخلاصها لله، مما يكثر وقوع الشرك فيها، ويقع الكثيرون في صرفها لغير الله.

ثم أكد الشيخ هذا الجانب، ببيانه أموراً مما ينافي التوحيد، كما سيأتي في المطلب التالي.

---

(١) " ما لا بد منه" (ص٦).

المطلب الرابع: ما ينافي توحيد الألوهية.

عدد الشيخ أبو بكر رحمه الله الأمور التي تنافي توحيد الألوهية، مما ينافي أصل التوحيد، أو مما ينافي كماله الواجب.

وكان الأولى التمييز بين النوعين، وإن كان التحذير من كل ذلك مطلوباً، ويظهر لي أن الشيخ اتبع تبويب الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتاب "التوحيد"، وذكر أكثر المسائل التي بوب لها الإمام محذراً من منافاتها للتوحيد، أو كماله.

قال الشيخ أبو بكر: ((المطلب الرابع فيما ينافي التوحيد ...))[(١)].

قال:

- ((ما تلك الأشياء التي حذر منها ﷺ، ولأي معنى كان ؟

- بعضها في القرآن، وبعضها في السنة، والحكمة من التحذير منها حماية جانب التوحيد، وهي هذه، نحو اثنين وعشرين أمراً:

(١) الرقى والتمائم من غير القرآن[(٢)] (٢) التبرك بالأشجار والأحجار ونحوه (٣) الذبح لغير الله (٤) النذر لغير الله (٥) الاستعاذة بغير الله (٦) الاستغاثة بغير الله،

---

(١) "ما لا بد منه" (ص٩).

(٢) قال في "تيسير العزيز الحميد" : ((اعلم أن العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته، فقالت طائفة: يجوز ذلك، وهو قول عبد الله بن عمرو ابن العاص وغيره، وحملوا الحديث على التمائم الشركية، أما التي فيها القرآن وأسماء الله وصفاته، فكالرقية بذلك. قلت: وهو ظاهر اختيار ابن القيم.

وقالت طائفة: لا يجوز ذلك، وبه قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما من الصحابة، وبه قال جماعة من التابعين، واحتجوا بهذا الحديث وما في معناه، فإن ظاهره العموم لم يفرق بين التي في القرآن وغيرها، بخلاف الرقى، فقد فرق فيها ...)) (ص١٣٧) "باختصار".

ودعاء غيره (٧) الاستشفاع بغيره، بمعنى طلب الشفاعة من الغـير[1] (٨) الغلـو في الصالحين بالإطراء (٩) عبادة الله عند قبر رجل صالح (١٠) السحر والكهانـة (١١) النشرة والتطير (١٢) الاستسقاء بالأنواء (١٣) محبة غير الله كمحبته، والخوف منـه (١٤) الرياء، وإرادة الدنيا بالعمل (١٥) طاعة العلماء والأمـراء في معـصية الله، أو تحريم ما أحل، أو تحليل ما حرم (١٦) اتخاذ الأنداد (١٧) الحلف بغير الله (١٨) قرن مشيئة الله بمشيئة المخلوق بالتساوي، كنحو: ما شاء الله وشاء فلان (١٩) سب الدهر (٢٠) التسمي بقاضي القضاة (٢١) الهزل بشيء فيه ذكر الله (٢٢) الاستشفاع بالله على خلقه)).

وقال في موضع آخر فيما ينافي توحيد الألوهية: ((أمران: (١) الإعراض عن محبته والإنابة إليه والتوكل عليه (٢) الإشراك به في ذلك، واتخاذ أوليائه شفعاء مـن دونه))[2].

ويتضح من هذا حرص الشيخ على التنبيه على ما يكثر الوقوع فيه مما يناقض توحيد الألوهية، وتظهر موافقته لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، والتي اهتمـت غاية الاهتمام بتحقيق هذا الأصل الذي به قوام الدين.

وقد قال الشيخ أبو بكر مثنياً على دعوة الإمام محمد بن عبـد الوهـاب، في معرض كلامه عن أهمية الدعوة إلى توحيد الله وإنكار الشرك:

((أما أهل نجد، فلهم في ذلك المؤلفات الكثيرة، وهم أول من نبه الناس لذلك في القرن الماضي، ولقد قال بعض السادة من أهل حضرموت: لو لم يقيض الله أولئك القوم لتلك النهضة، لعكف الناس على القبور كافة، ولم يحصل من العلماء إنكار ولا

---

(١) يأتي تفصيل ذلك في مبحث الشفاعة.

(٢) " ما لا بد منه" (ص١١).

أخذ ولا ورد، ولم تتحرك الأفكار لذلك ... ومن نظر في كتبهم، عرف ما يفتريه الناس في حقهم، وأن مرجعهم في الأحكام والاعتقاد: إلى كتب السنة والتفسير ومذهب الإمام أحمد، وطريقة الشيخين: ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ...))[١].

وقد اعتنى الشيخ أبو بكر رحمه الله بالكلام على مسألة التوسل ودعاء غير الله، وتعرض للكثير من شبه المخالفين في هذه المسألة، وسيأتي بيان جهوده في هذا الجانب في الباب الثالث من الرسالة.

---

(١) "فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال" (ص ٦٩).

المطلب الخامس: الشرك.

الشرك هو أكبر الكبائر، وهو أعظم ما عصي الله به، وهو الظلم العظيم والذنب الذي لا يغفره الله، ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً**﴾(١)، وفي الآية الأخرى: ﴿ **فقد ضل ضلالاً بعيداً**﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ **ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق**﴾(٣).

وجاء عنه ﷺ أنه قال: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله ...)(٤).

وقد عرف الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله الشرك بقوله: ((تشبيه المخلوق بالخالق في خصائص الألهية التي تفرد بها سبحانه، وبعبارة أخرى(٥): هو اعتقاد أن لغير

---

(١) سورة "النساء"، آية رقم: (٤٨).

(٢) سورة "النساء" ، آية رقم: (١١٦).

(٣) سورة "الحج"، آية رقم: (٣١).

(٤) متفق عليه من حديث أبي بكرة ﷺ رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: عقوق الوالدين من الكبائر (ح٥٦٣١/٥/٢٢٢٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها (ح٨٧/١/٩١)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب: ومن سورة النساء، (ح٣٠٢٠/٥/٢٣٦)، وغيرهم.

(٥) في حاشية الكتاب: ((قوله: "وبعبارة أخرى ..." هي للأستاذ الإمام في رسالة التوحيد، وأوضحها بقوله: وهو اعتقاد من يعظم سوى الله مستعيناً به فيما لا يقدر عليه العبد، كالاستنصار في الحرب بغير قوة الجيوش، والاستشفاء من الأمراض بغير الأدوية التي هدانا الله إليها، والاستعانة على السعادة الأخروية أو الدنيوية بغير الطرق والسنن التي شرعها الله لنا، هذا هو الشرك الذي كان عليه الوثنيون ومن ماثلهم، فجاءت الشريعة الإسلامية بمحوه ورد الأمر فيما فوق القدرة البشرية والأسباب الكونية إلى الله وحده ...)). "ما لا بد منه" (ص ١١) حاشية رقم (١). والنقل عن "رسالة التوحيد" للشيخ محمد عبده. دار الكتاب العربي. (١٩٦٦م). (ص ٣٣).

الله أثراً فوق ما وهبه الله من الأسباب الظاهرة، وأن لشيء من الأشياء سلطاناً عن ما خرج عن قدرة المخلوقين))[١].

وقال في بيان أصول الشرك: ((تنحصر في ستة أنواع، كما أفاده بعض المتأخرين:

(١) شرك استقلال، وهو إثبات إلهين مستقلين، كشرك المجوس.

(٢) شرك تبعيض، وهو تركيب إله من آلهة مشتركة، كشرك النصارى.

(٣) شرك تقريب، وهو عبادة غير الله ليقرب إليه زلفى.

(٤) شرك تقليد، كشرك متأخري الجاهليين.

(٥) شرك أسباب، بإسناد التأثير إلى الأسباب العادية بنفسها بدون قدرة الله، كما للفلاسفة والطبيعيين، كقولهم: مطرنا بنؤ الكوكب.

(٦) شرك أغراض، وهو العمل لغير الله، وحكم هذا المعصية فقط، كما ذكره البعض))[٢].

---

(١) "ما لا بد منه" (ص ١١)، وانظر: "شرح الطحاوية" (ص ٢٣٧).

(٢) "ما لا بد منه" (ص ١٢).

المبحث الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

المطلب الأول: مذهب الشيخ في الأسماء والصفات.

توحيد الأسماء والصفات من أصول الدين، وهو أحد أنواع التوحيد الثلاثة التي لا يتم الإيمان بالله إلا بها، وبهذا النوع يتم التعرف على الله بمعرفة أسمائه وصفاته والتعبد بها.

فمعرفة هذا النوع من التوحيد من أشرف العلوم، وهو مستلزم لتوحيد الألوهية، فإذا عرف العبد ربه بأسمائه الحسنى وصفات كماله وجلاله، خلص قلبه إليه، وأسلم نفسه لباريه، فاستقام أمره وصلح حاله ومآله، فالعبودية كلها راجعة إلى مقتضى الأسماء والصفات[1].

وقد اعتنى الشيخ أبو بكر خوقير ببيان هذا الجانب المهم من العقيدة، واعتنى ببيان مذهب السلف فيه، وتعرض لذكر بعض أقوال المتكلمين.

وتوحيد الأسماء والصفات يظهر مدلوله من تسميته، ولكن يستفاد من تعريفه بيان بعض الضوابط المتعلقة به.

فقد نقل الشيخ أبو بكر عن شيخ الإسلام قوله: ((ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل))[2].

ففي هذا النقل بيان الأصل في توحيد الصفات، ((فالأصل فيه أن يوصف تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه.

---

(١) انظر: "مفتاح دار السعادة" (٢/٩٠).

(٢) " ما لا بد منه" (ص ٢٦)، والنقل عن "الواسطية" (ص ٦).

وقد علم من طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولاتعطيل ...))[١].

وقال الشيخ أبو بكر في تعريف توحيد الصفات: ((إفراده تعالى بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، بغير تشبيه[٢] ولا تأويل[٣]، كما سيأتي، ويسمى التوحيد العلمي الخبري، كما قاله ابن القيم[٤]))[٥].

وبين الشيخ أبو بكر أن الإثبات يكون مع التتريه، إذ ((لا يلزم من الإثبات مع التتريه شيء من اللوازم الباطلة))[٦].

وقال الشيخ موضحاً توحيد الأسماء الصفات: ((يجمع الكلام عليه قولنا: يوصف الله بجميع صفات الكمال، كما وصف نفسه، بمعاني أسمائه الحسنى[٧] وصفاته العليا، وكما وصفه به رسوله وأنبيائه من قبله. ولا يجوز وصفه إلا بما دل عليه الكتاب

---

(١) "التدمرية" (ص ٦،٧).

(٢) الأولى "بغير تمثيل"، لأن اللفظ الوارد في الآية ﴿**ليس كمثله شيء**﴾، ولأن ضابط "نفي التشبيه" عليه مآخذ. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((واضطرب من خالف شيئاً من السنة في الأصل الذي يضبطه في نفي التشبيه، إذ جعل مسمى التشبيه والتمثيل واحداً...)) "درء تعارض العقل والنقل" (١٨٨/٥)، وانظر: "الأصفهانية" (١١٣/١)، و"التدمرية" ضمن القاعدة الخامسة والسادسة.

(٣) الأولى " بغير تحريف"، لأن التحريف هو اللفظ الوارد، ولأن التأويل يحتمل عدة معان، ولأن التأويل ليس بمنفي كله، ولأن النفوس تنفر من لفظ التحريف. انظر: "التدمرية" القاعدة الخامسة، و"مجموع الفتاوى" (١٦٥/٣).

(٤) قال ابن القيم: ((فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري)). "مدارج السالكين" (٤٤٩/٣).

(٥) " ما لا بد منه" (ص ٧).

(٦) انظر: " ما لا بد منه" (ص ١٧).

(٧) انظر: "الإبانة عن أصول الديانة" (ص١٥١)، و"بدائع الفوائد" (ص ٢٦).

والسنة، أو أجمع عليه[١]))[٢].

وقال الشيخ أبو بكر في تعريف التوحيد القولي، باعتبار تقسيم التوحيد إلى قولي وعملي[٣]: التوحيد القولي ((على نوعين، سلب وإثبات.

فالسلب: تتريه أوصاف كماله عن التشبيه والإنكار، وسلب جميع النقائص والعيوب، منفصلة أو متصلة. فالأولى: كالشريك والظهير والشفيع بدون إذنه، والزوج والولد والكفء والولي. والثانية: كالموت والإعياء والتعب والنوم والسنة وعزوب شيء عنه والحاجة إلى رزق أو طعام أو شيء من خلقه، وترك الخلق سدى بلا بعث ولا معاد والعبث الذي تنفيه حكمته تعالى.

والإثبات: هو إثبات أوصاف الكمال من العلو والعظمة والجلال والجمال والحياة والإرادة والسمع والبصر والقدرة والعلم والكلام والقدم[٤] و البقاء، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، الموصوف بالأسماء الحسنى التي هي أوصاف مدح لأنها مشتقة، تدل على معاني ما اشتقت منه[٥]، وقد حذر سبحانه من الإلحاد فيها))[٦].

ثم بين معنى الإلحاد في أسماء الله فقال: ((يكون الإلحاد في إثبات الأسماء

---

(١) قال شيخ الإسلام : ((والناس متنازعون هل يسمى الله بما صح معناه في اللغة والعقل والشرع، وإن لم يرد بإطلاقه نص ولا إجماع، أم لا يطلق إلا ما أطلق نص أو إجماع؟ على قولين مشهورين)). "مجموع الفتاوى" (٩/٣٠٠).

(٢) " ما لا بد منه" (ص ١٢).

(٣) هذا التقسيم ذكره ابن القيم في "النونية" (٢/٢٠٩-٢١٥)، فصل: (في توحيد الأنبياء والمرسلين) وقد اعتمد عليه الشيخ أبو بكر فيما ذكره هنا.

وذكر ابن القيم هذا التقسيم في "الصواعق المرسلة" (٢/٤٠١).

(٤) يأتي الكلام عنه في مبحث "هل الصفات قديمة".

(٥) انظر: "بدائع الفوائد" (ص ٢٦).

(٦) " ما لا بد منه" (ص ٥).

الحسنى بالإشراك فيها، أو إنكار معانيها، أو التحريف فيها بضرب من التأويل يؤدي إلى التعطيل، فنثبت حقيقة الأسماء والأوصاف على ما جاء في القرآن والسنة، وعلى ما مضى عليه سلف الأمة))[١].

وذكر الشيخ ما يضاد توحيد الصفات، فقال: ((ضده أمران: (١) التعطيل (٢) التشبيه، فمن نفى صفاته تعالى وعطلها، ناقض تعطيله توحيده وكذبه، ومن شبهه بخلقه، ناقض تشبيهه توحيده وكذبه))[٢].

ومعلوم أن توحيد الصفات يدور بين الإثبات والنفي، فمن غالى في الإثبات، وصل إلى التشبيه، ومن غالى في النفي، وصل إلى التعطيل، والتشبيه والتعطيل طرفان الحق بينهما، وكل من المعطل والمشبه بدأ من حيث انتهى الآخر، وانتهى حيث بدأ، وذكر الشيخ للتشبيه والتعطيل فيما يضاد توحيد الصفات لا يحمل على الحصر، فقد ذكر المحذورات الأخرى فيما سبق نقله عنه.

مسألة الاشتراك في الألفاظ:

أخبر الله عن أسمائه وصفاته بألفاظ، وأخبر عن بعض عباده بذلك، ولا يلزم من ذلك المماثلة، فحقيقة ذات الله تخالف حقيقة ذات مخلوقاته، وكذا صفاته، وكيفية ذات الله وصفاته لا تماثل كيفية المخلوق، بل كيفية ذات الله وصفاته مجهولة لنا.

والألفاظ التي أخبر الله بها عن نفسه، والألفاظ التي تكون للمخلوق، يجمع بينها قدر مشترك من جهة المعنى العام الكلي، فمعاني ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر تشبه ما نعلمه في الدنيا، لكن ليست الحقيقة كالحقيقة، وليست هذه مثل تلك[٣].

---

(١) " ما لا بد منه" (ص ٥).

(٢) " ما لا بد منه" (ص ١١).

(٣) انظر: "التدمرية" (ص ٩٦، ٩٧).

ومن هنا قال الإمام مالك: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول)[١] يعني أنا نعلم معنى الاستواء، فهو يأتي في اللغة بمعنى علا وارتفع ...، أما كيفية استوائه تعالى على عرشه وحقيقة ذلك، فهي مجهولة لنا.

وعلى هذا فلا بد من إثبات قدر مشترك نتمكن من خلاله من فهم نصوص الصفات، وليس في إثبات هذا القدر المشترك محذور، بل نفي القدر المشترك مطلقاً يلزم منه التعطيل التام، وإثبات الاشتراك في المعنى العام الكلي لا يلزم منه المماثلة في المعنى الخاص الموجود في الخارج[٢].

وقد ذكر الشيخ أبو بكر مسألة اشتراك الألفاظ المستعملة في حقه تعالى، وفي حق المخلوق، فقال: ((الاشتراك في الألفاظ لا يقتضي الاشتراك في المعاني، والصفة تابعة للموصوف، فإذا كانت الذات مجهولة الكيف، ولا تشبه الذوات، فالصفة كذلك، والفرق بين الحادث والقديم معلوم بالضرورة))[٣].

فقول الشيخ بعدم وجود اشتراك في المعنى: إن أراد به المعنى الخاص، الذي يكون بعد الإضافة والتخصيص، فما ذكره حق، وأما إذا أراد المعنى العام، وأنا لا نفهم من أسماء الله وصفاته أي معنى، فهذا باطل.

---

(١) ثبت هذا القول عن الإمام مالك، انظر: "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (ح٦٦٤/٣/٣٩٨)، و"الاعتقاد للبيهقي (ص١١٦)، و"التمهيد" (١٣٨/٧، ١٥١)، و"مجموع الفتاوى" (٣٩٨/٦)، و"فتح الباري" (٤٠٦/١٣،٤٠٧). وقد قال الذهبي بعدما ساق كلام الإمام مالك: ((وهذا قول أهل السنة قاطبة ...))، "العلو" (رقم ٣٧٧/ص١٣٨،١٣٩).

(٢) انظر: "التدمرية" (ص ١٢٥-١٢٨)، وانظر: "الصفدية" (٥/٢-١٠)، و"منهاج السنة" (١١٢/٢-١١٥)، ونقل عنه شارح الطحاوية (ص ١٠٠،١٠١)، و"تقريب وترتيب شرح الطحاوية" (ص٤٨٦-٤٩٠).

(٣) " ما لا بد منه" (ص ١٤).

وسياق كلامه يدل على أنه يقصد المعنى الخاص الموجود في الخارج، وإن كان التفصيل في هذا الموضع أولى، إذ قد يفهم من نفي الاشتراك في المعاني، نفي معاني الأسماء ونفي كل قدر مشترك مما يترتب عليه تعطيل النصوص.

ولكن قد ذكر الشيخ أن للأسماء الحسنى معاني يوصف الله بها، كما تقدم.

وبين أن إضافة الصفات تقتضي تخصيصها بمن أضيفت إليه، فتختلف حقيقتها تبعاً لذلك، فقال: ((ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، ومن فهم من صفات الرب الذي ليس كمثله شيء ما يناسب صفات المخلوق فقد غوى))[1].

وكذلك قوله: ((فكل ما خطر ببالك فالله بخلافه، [وقد] أجمع المحققون على أن حقيقة ذات الله تعالى مخالفة لسائر الحقائق))[2]، يحمل على نفي المماثلة في الحقيقة والكيفية، لا على نفي معاني الأسماء والصفات، والله أعلم.

---

(١) " ما لا بد منه" (ص ١٧).

(٢) " ما لا بد منه" (ص ٤).

المطلب الثاني: موقف الشيخ من التأويل.

جاء لفظ "التأويل" في نصوص الكتاب والسنة، وجاء في كلام المتقدمين، كما جاء في مصطلح المتكلمين، ويختلف معناه حسب وروده، وذلك كما يلي:

ففي نصوص الكتاب والسنة يأتي التأويل بمعنى حقيقة ما يؤول إليه الشيء، وهي الحقيقة الموجودة في الخارج، وهي على أنواع: فيأتي بمعنى العاقبة والمآل، كما في قوله تعالى: ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً** ﴾(١). ويأتي بمعنى حقيقة الشيء المخبر به، كما في قوله تعالى: ﴿ **هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ...** ﴾(٢). ويأتي بمعنى العلة الغائية، كما في قوله تعالى ﴿ **سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً** ﴾(٣). ويأتي بمعنى تعبير الرؤيا، كما في قوله تعالى: ﴿ **قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين** ﴾(٤).

وفي اصطلاح السلف والمفسرين، يراد بالتأويل: التفسير، وذلك كما في قول ابن جرير الطبري: "القول في تأويل قوله تعالى ..."، وكقول الإمام أحمد في كتابه: "الرد على الجهمية في ما تأولته من القرآن على غير تأويله".

وأما في اصطلاح المتكلمين المتأخرين، فالمراد بالتأويل: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر مرجوح، وهذا قد يكون بقرينة وقد يكون بغير قرينة، فإذا كان بقرينة شرعية أو لغوية قوية، فهو ضرب من التفسير، وإن كان بغير قرينة، أو قرينة

---

(١) سورة "النساء"، آية رقم: (٥٩).

(٢) سورة "الأعراف"، آية رقم: (٥٣).

(٣) سورة "الكهف"، آية رقم: (٧٨).

(٤) سورة "يوسف"، آية رقم: (٤٤).

ضعيفة لا تقابل ظاهر النص، فهو من التأويل المذموم، وهو نوع من التحريف، وهـو المراد من التأويل عند إطلاقه[١].

والتأويل بهذا المعنى من باب تحريف الكلم عن مواضعه، واتفق سلف الأمـة وأئمتها على ذمه، وقد تركه الصحابة ومن بعدهم، ولم ينقـل إلا عـن مبتـدع أو منسوب إلى بدعة [٢].

قال شيخ الإسلام عن أهل التأويل: ((يقولون إن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل، ولكن قصد بها معاني، ولم يبين لهم تلك المعاني، ولا دلهم عليها، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم، ثم يجتهـدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها، ومقصوده امتحانهم وتكليفهم وإتعـاب أذهـانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه، ويعرف الحق من غـير جهتـه، وهذا قول المتكلمة والجهمية والمعتزلة ومن دخل معهم في شيء من ذلك))[٣].

وقد بين الشيخ أبو بكر رحمه الله موقف السلف مـن التأويـل في نـصوص الصفات، فقال: ((هل يكون إثبات هذه الصفات له تعالى على ظاهرها، أو بـشيء من التأويل ؟)).

قال: ((إن طريقة السلف إثبات ما أثبته تعالى لنفسه من الصفات مـع نفـي مشابهة المخلوقات، إثباتاً بلا تكييف ولا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، كما قال تعـالى:

---

(١) انظر: "التدمرية" (ص ٩١-٩٣)، و"مجموع الفتاوى" (٤/٦٨-٦٩)، (١٣/٢٨٨،٢٩٤)، و"درء التعارض" (١/٢٠١-٢٠٨)، و"مختصر الصواعق" (١/٢٠،٢١)، و"شرح الطحاوية" (ص٢٣٢-٢٣٥).

(٢) انظر: "ذم التأويل" (ص ٤٠)، و"نقض المنطق" (ص ٥٨)، و"جهود الشيخ الأمين" (ص٣١٥).

(٣) "الفتوى الحموية الكبرى". دار الكتب العلمية. بيروت. توزيع دار الباز بمكة. (ص ٢٠). وانظر "شرح الطحاوية" (ص ٢٠٤).

﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[١] فسمعه ليس كسمعنا، وبصره ليس كبصرنا، وكذا غيرهما))[٢].

وبين الشيخ موقف المتكلمين، وأن غالبيتهم يثبتون عدداً محصوراً من الصفات ويؤولون غيرها، فقال: ((يثبت الخلف خمس عشرة صفة له تعالى فقط، صفات المعاني السبع المتقدمة، وهي: الحياة، القدرة، الإرادة، العلم، الكلام، السمع، البصر. والصفات السلبية الخمس: القدم، البقاء، المخالفة للحوادث، القيام بالنفس، الوحدانية. والصفة النفسية: وهي الوجود، وعند الماتريدية: التكوين والحكمة))[٣].

والمتكلمون الذين يثبتون بعض الصفات يختلفون فيما يثبتونه، ولكنهم يتفقون في إثبات بعض الصفات وتأويل غيرها[٤].

وقال الشيخ في مسألة تعيين الصفات وتعدادها: ((لا يجب حصر جميع الصفات وجمع المتفرق منها مما ورد في الكتاب والسنة، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (إن لله تسعة وتسعون اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة)[٥] كما رواه الشيخان وأهل السنن)).

وقال الشيخ أبو بكر عقب ذكره لإثبات بعض المتكلمين عدداً محصوراً من الصفات: ((فماذا يقولون في غيرها، ولم خصوها بالإثبات ؟)).

---

(١) سورة "فصلت"، آية رقم (١١).

(٢) " ما لا بد منه" (ص ١٣، ١٤). وانظر في كون مذهب السلف ترك التأويل: "مجموع الفتاوى" (٥/٨٩، ١٩٧، ١٩٨، ٦/٣٩٤).

(٣) "ما لا بد منه" (ص ١٤، ١٥).

(٤) انظر: "التدمرية" (ص٣١-٤٣)، و"مجموع الفتاوى" (٦/٦٨) وما بعدها.

(٥) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ ، رواه البخاري: كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى ... (٥/٢٣٥٤/ح٦٠٤٧)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء .. باب في أسماء الله تعالى (٤/٢٠٦٢/ح٢٦٧٧).

قال: ((يقولون بتأويل غيرها ولا يجرونه على ظاهره، لاستعماله في الحادث، وإنما خصوا تلك الصفات المحصورة لثبوتها بالعقل لاستحالة أضدادها ووجوب اتصافه بالكمال المطلق))[1].

ثم بين الشيخ رحمه الله الصواب في المسألة، وأجاب على الإشكال الذي أورده المتكلمون بأسلوب تظهر منه حكمته في الدعوة إلى مذهب السلف، فقال: ((لم يظهر لنا وجه الفرق بين تلك الصفات المحصورة وغيرها، على مذهب الخلف ؟)).

قال: ((هو غير ظاهر، والسلف أعلم وأقرب عهداً، والظاهر عدم الفرق فيما ثبت من الكتاب والسنة من الصفات في إجرائه على ظاهره مع التنزيه الذي تقدم بيانه، وهو سبحانه متصف بجميع أنواع الكمال عقلاً، ولا تجوز التفرقة بين المتماثلين عقلاً ولا نقلاً، كما يقول الخلف بإثبات البعض وتأويل البعض، مع أن ظواهر الجميع في حق المخلوقين إما جوهر محدث وإما عرض قائم بغيره، كالسمع والبصر والعلم والإرادة، وقد نزه الله نفسه بنفسه بقوله: ﴿ **ليس كمثله شيء**﴾))[2].

وقال الشيخ مؤكداً على أهمية ترك التأويل: ((ما وجه ترجيح عدم التأويل؟)).

قال: ((هو أن النفوس تأنس بالإثبات، وقد بالغت فيه الأنبياء، ليقروا في أنفس العوام وجود الخالق[3]، ومن أضر الأشياء عليهم كلام المتأولين. ولو لم يكن في ترجيح الإثبات على التأويل إلا أن صاحب التأويل ليس جازماً بتأويله بخلاف صاحب الإثبات لكفى ذلك))[4].

فيظهر من هذا تمسكه رحمه الله بمذهب السلف في إثباتهم ما أثبته الله ورسوله من الصفات، وترك التأويل والتحذير منه.

---

(١) " ما لا بد منه" (ص ١٥).

(٢) " ما لا بد منه" (ص ١٥،١٦).

(٣) هذا الوصف لا يليق بمقام الأنبياء؛ فإنهم مبلغون ما أنزل إليهم من غير مبالغة ولا تقصير.

(٤) " ما لا بد منه" (ص ١٧).

المطلب الثالث: مسائل في الصفات.

يتناول هذا المطلب بعض المسائل التي تتعلق بالصفات مما ذكره الشيخ، وهذه المسائل هي: مسألة تقسيم الصفات إلى أنواع، ومسألة قدم الصفات، وتعلقها بالمشيئة، ومسألة هل الفعل هو المفعول، ومسألة التسلسل في الماضي، وحلول الحوادث.

ونظراً لارتباط بعض هذه المسائل ببعض، ولأن الشيخ تناولها بإيجاز، فقد رأيت أن أجمعها في مطلب واحد، ليكون أيسر لدراستها.

المسألة الأولى: أقسام الصفات.

يذكر بعض أهل العلم تقسيم الصفات إلى أنواع، وهذا التقسيم للتفهيم والتعليم، إذ لا فرق بين الصفات في وجوب الإيمان بها كلها.

ومن ذلك ما ذكره ابن القيم رحمه الله، إذ قال: ((فائدة جليلة: ما يجري صفة أو خبراً على الرب أقسام:

أحدها: ما يرجع إلى نفس الذات، كقولك: ذات وموجود وشيء.

الثاني: ما يرجع إلى صفات معنوية، كالعليم والقدير والسميع.

الثالث: ما يرجع إلى أفعاله، نحو الخالق والرزاق.

الرابع: ما يرجع إلى التتريه المحض، ولا بد من تضمنه ثبوتاً، إذ لا كمال في العدم المحض، كالقدوس والسلام.

الخامس: ولم يذكره أكثر الناس، وهو الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة، بل هو دال على معناه لا على معنى مفرد، نحو المجيد العظيم الصمد ...))[1].

---

(١) "بدائع الفوائد" (١/١٦٦).

وقد جاء في كلام بعض المتقدمين تقسيم الصفات إلى ذاتية وفعلية، لكن منهم من يريد بهذا التقسيم معنى باطلاً، يتمثل في:

١- كون صفات الفعل ليست ذاتية، بمعنى أنها لا تقوم بالذات، بل هي بائنة عنها، فعندهم: الفعل هو المفعول[1].

٢- أن الله كان معطلاً عن صفات الفعل، ثم اتصف بها.

ومن أهل العلم من يذكر هذا التقسيم ولا يريدون ذلك.

وقد ذكر شيخ الإسلام تقسيم بعض المتكلمين للصفات إلى ذاتية وفعلية في حديثه عن قيام الأفعال بالذات، فقال : ((والجمهور المثبتون للصفات هم في الأفعال على قولين، منهم من يقول: لا يقوم به فعل، وإنما الفعل هو المفعول، وهذا قول طائفة، منهم الأشعري ومن وافقه من أصحابه وغير أصحابه كابن عقيل و غيره وهو أول قولي القاضي أبي يعلى.

وهؤلاء يقسمون الصفات إلى ذاتية ومعنوية و فعلية، وهذا تقسيم لا حقيقة له، فإن الأفعال عندهم لا تقوم به، فلا يتصف بها، لكن يخبر عنه بها ...

وأما من كان مراده بالصفات ما يقوم به، فهذا التقسيم لا يصلح على أصلهم، ولكن أخذوا التقسيم عن أولئك، وهم مخالفون لهم في المراد بالصفات ...))[2].

وقد جاء تقسيم الصفات إلى ذاتية وفعلية، عند البيهقي[3]، ويؤخذ على كلامه أنه عرف صفات الفعل بأنها ما يوصف الله به فيما يزال دون الأزل، وفي هذا تعطيل لله عن أفعاله في وقت ما، وسيأتي التعليق على هذه المسألة بعد نقل كلام الشيخ أبي

---

(١) انظر: "شرح نونية ابن القيم" (٢٤١/٢).

(٢) "مجموع الفتاوى" (٣٤٧/١٦، ٣٧٥)، وانظر: "درء التعارض" (٨٩/٤).

(٣) " كتاب الأسماء والصفات". دار الكتاب العربي. بيروت. ط٣. (١٤٢٣هـ). (١٨٨/١)، في باب: "جماع أبواب إثبات صفات الله عز وجل".

بكر خوقير في تقسيم الصفات، ويلاحظ أنه اعتمد على كلام البيهقي في ذلك، فقال: ((تنقسم صفاته تعالى إلى قسمين: صفاتِ الذات، وصفات الأفعال.

فصفات الذات: مما استحقه[١] تعالى في الأزل وفيما يزال، فمنها ما ثبت بنص الكتاب والسنة، كالوجه واليد والعين، ومنها ما ثبت كذلك واقترنت به دلالة العقل من استحالة أضداده، وهي: الحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام[٢].

وصفات الأفعال: مما استحقه تعالى فيما يزال دون الأزل، كالاستواء والنزول والمجيء، وكالخلق والرزق والإحياء والإماتة والعفو والعقوبة))[٣].

وتقسيم الصفات إلى ذاتية وفعلية يصح باعتبار التعلق بالمشيئة، فالصفات الذاتية: ((ما توصف به الذات مع عدم تعلق القدرة والمشيئة به، كالحياة))[٤]، وصفات الفعل: ((ما يقوم بذات الرب مع كونه بقدرته ومشيئته، فهذا في الصفات الذاتية لقيامة بالذات، وهو من الفعلية لتعلقه بالمشيئة))[٥].

وأما تقسيم الصفات إلى ذاتية وفعلية باعتبار أن الذاتية ما اتصف الله به في الأزل وفيما يزال، وأن الفعلية ما يتصف الله بها فيما يزال دون الأزل، فهذا خطأ، فإن الله ((لم يزل متصفاً بصفات الكمال، صفات الذات وصفات الفعل، ولا يجوز أن

---

(١) جاء التعبير باستحقاق الله لصفات الكمال في كلام شيخ الإسلام، كما في "مجموع الفتاوى" (٢/٢١٠، ١٢/٢٩)، وغيرها.

(٢) العقل لا يقتصر على إثبات هذه السبع فحسب، بل يمكن إثبات غيرها بنظير ما أثبتت به تلك الصفات من العقليات. انظر: "التدمرية" (ص ٣٤،٣٥).

(٣) انظر: " ما لا بد منه" (ص ١٣)، وبنحوه في "الأسماء والصفات" للبيهقي (١/١٨٨).

(٤) "الصفدية" (٢/٨٨،٨٩).

(٥) "الصفدية" (٢/٨٨،٨٩).

يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها، لأن صفاته سبحانه صفات كمال وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده ...))[١].

وقال شيخ الإسلام: ((ولهذا كان ما أنكره المسلمون على هؤلاء قولهم: إن الرب في الأزل لم يكن قادراً ثم صار قادراً، وهو مما استحل به المسلمون لعنة بعض من أضيف إليه ذلك من أهل الكلام، لا سيما من يسلم أن الرب تعالى لم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال، فإنه يجب أن يصفه بأنه لم يزل ولا يزال قادراً، والقدرة لا تكون إلا على ممكن، فلزم إمكان فعله فيما لم يزل ولا يزال))[٢].

والشيخ أبو بكر في هذا الموضع أورد كلام البيهقي بما فيه من خطأ، ولكنه في مواضع أخرى صرح بدوام فاعلية الله، فقال: ((... ويفعل ما يشاء باختياره وحكمته، ولا يزال فعالاً، كما أنه لم يزل فعالاً))[٣].

فالشيخ يوافق السلف في إثبات أفعال الله الاختيارية المتعلقة بمشيئته، ويقول بدوام فاعليته.

وإثبات دوام فاعلية الله في الماضي يتعلق بمسألة قدم الصفات، وهو ما يأتي بحثه في المسألة التالية.

وقد ذكر الشيخ أبو بكر أن المتأخرين يسمون الصفات الذاتية السبع ((بالصفات الثبوتية، وصفات المعاني، والصفات العقلية، ويسمون ما سواها بالصفات الخبرية))[٤].

---

(١) "شرح الطحاوية" (ص ١٢٧،١٢٨).

(٢) "درء التعارض" (٩/١٨٥).

(٣) " ما لا بد منه" (ص ١٩)، وانظر: "تحرير الكلام" (ق ٤أ).

(٤) "ما لا بد منه" (ص ١٣).

وذكر بأن الماتريدية يسمون ((كل ما دل على إخراج المعدوم من العدم بصفة "التكوين" وهو المعنى المعبر عنه بالفعل والخلق والتخليق والإيجاد والإحداث والاختراع، ونحو ذلك))(١).

المسألة الثانية: هل الصفات قديمة ؟

لفظ "قديم" لم يرد في نصوص الشرع وصف الله أو صفاته به، وهذا اللفظ فيه إجمال، فهو يستخدم في اللغة بمعنى المتقدم على غيره، وبمعنى المتقدم في الزمان(٢)، وأما عند المتكلمين فيختلف معناه.

قال شيخ الإسلام عن لفظ "القديم" : ((فإنه في لغة الرسول التي جاء بها القرآن: خلاف الحديث، وإن كان مسبوقاً بغيره ... وهو عند أهل الكلام: عبارة عما لم يزل، أو عما لم يسبقه وجود غيره إن لم يكن مسبوقاً بعدم نفسه ...))(٣).

ويلاحظ أن شيخ الإسلام قد استخدم لفظ "القديم" في كلامه عن الصفات والذات، ولعل هذا مما يحتاج إليه في مجادلة المتكلمين، ليتم فهمهم للمراد، ويكون هذا من باب الإخبار، لا من باب التسمية(٤).

ومن ذلك قول الإمام الطحاوي رحمه الله: ((ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها أبدياً))(٥).

---

(١) "ما لا بد منه" (ص ١٣)، وانظر: "مجموع الفتاوى" (١٦/٣٧٦)، و" الماتريدية، دراسة وتقويماً". د أحمد ابن عوض الله الحربي. دار الصميعي. ط٢. (١٤٢١هـ). (ص ٢٩٣،٢٩٤).

(٢) انظر: "شرح الطحاوية" (ص١١٤).

(٣) "مجموع الفتاوى" (١/٢٤٥)، وانظر: (١٧/١٦٨).

(٤) انظر في الفرق بين التسمية والإخبار: "مجموع الفتاوى" (٦/١٤٢،١٤٣)، و"بدائع الفوائد" (١/١٧٠).

(٥) "شرح الطحاوية" (ص ١٢٧).

قال شارح الطحاوية: ((والشيخ رحمه الله أشار بقوله: "ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه" إلى آخر كلامه، إلى الرد على المعتزلة والجهمية ومن وافقهم من الشيعة، فإنهم قالوا: إنه تعالى صار قادراً على الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادراً عليه، لكونه صار الفعل والكلام ممكناً بعد أن كان ممتنعاً، وأنه انقلب من الامتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي، وعلى ابن كلاب والأشعري ومن وافقهما، فإنهم قالوا: إن الفعل صار ممكناً له بعد أن كان ممتنعاً منه ...))(١).

والخلاف في أفعال الله يرجع إلى مسألة **هل الفعل هو المفعول؟**

فالجهمية والمعتزلة والأشاعرة يقولون الفعل هو المفعول، وأما الذين يقولون الفعل غير المفعول فانقسموا إلى قسمين:

فالماتريدية قالوا: الفعل غير المفعول، والفعل قديم.

وأما الذين قالوا: الفعل حادث، فهم طائفتان:

فطائفة قالت: أفعال الله حادثة قائمة بذاته كائنة بعد أن لم تكن، بمعنى أن الله لم يكن فاعلاً ثم فعل، وهم الكرامية.

وأما أهل السنة فقالوا: نوع الفعل قديم، والآحاد حادثة متجددة(٢).

وقد بين الشيخ أبو بكر أن الفعل غير المفعول، وبين أن هذا هو المأثور عن السلف ((كما ذكره البخاري في كتاب خلق أفعال العباد عن العلماء مطلقاً ولم يذكر فيه نزاعاً، وكذلك ذكره البغوي وغيره من أهل السنة، وكذلك ذكره أبو علي الثقفي والضبعي وغيرهما من أصحاب ابن خزيمة، في العقيدة التي اتفقوا هم وابن خزيمة على

---

(١) "شرح الطحاوية" (ص ١٣٢).

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى" (٥/٥٢٩، ٦/١٤٦-١٤٩،٢٣٧،٢٩٨)، و"شرح ابن عيسى على النونية" (١/٣٤٤) وما بعدها.

أنها مذهب أهل السنة، وكذلك ذكره الكلاباذي في كتاب التعرف لمذهب التصوف بأنه مذهب التصوف، وهو مذهب الحنفية، وهو مشهور عندهم، وكذا عند الأئمة الأربعة، كما نقله عنهم شيخ الإسلام))(١).

ويلاحظ أن أهل السنة يقولون بقدم نوع أفعال الله وتجدد الآحاد لارتباطها بالمشيئة(٢)، والماتريدية يقولون بقدمها ولا يفصلون، فعندهم صفة التكوين قديمة، وقد ردوا إليها جميع الأفعال، وأدى بهم ذلك إلى القول بنفي تعلق الأفعال بالمشيئة(٣).

والشيخ أبو بكر يقول بأن صفات الذات والفعل قديمة، ويقول بأن نوع صفات الأفعال قديم، ويقول بأنها تقوم بالله وتتعلق بمشيئته.

قال رحمه الله: ((فتقوم به تعالى الأمور الاختيارية من الأفعال كالتكلم بمشيئته واختياره، كيف شاء، لأنه يفعل ما شاء، ولم يزل فعالاً متكلماً، ولا يزال فعالاً متكلماً إذا شاء، ولا تسمى تلك الأمور الاختيارية حوادث(٤)، لأن صفات الأفعال قديمة باعتبار نوع الفعل ...)) (٥).

وقال رحمه الله: ((صفات الذات قديمة، ومثلها صفات الأفعال، عند السلف والماتريدية(٦)، فأفعاله سبحانه وتعالى لا تشبه أفعال شيء من خلقه، لأنه سبحانه يفعل

---

(١) "تحرير الكلام" (ق ٣أ)، وما ذكره منقول عن شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى" (٥/٥٢٨،٥٢٩)، وانظر: (١٦/٣٧٥،٣٧٦).

(٢) انظر " الصفدية" (ص٢/٤٢) وما بعدها، و"درء التعارض"(٤/١٢٨،١٢٩)، و"شرح الطحاوية" (ص١٨٠).

(٣) انظر: "الماتريدية" (٢٩٥-٣٠٠).

(٤) بمعنى أن تلك الصفات حدثت بعد أن لم يكن الله متصفاً بها. انظر التفصيل في معنى حلول الحوادث في "شرح الطحاوية" (ص ١٢٨).

(٥) "تحرير الكلام" (ق ٣أ).

(٦) ينبغي التنبيه إلى الفرق بين قول السلف والماتريدية، ويظهر ذلك في نفي الماتريدية تعلق الأفعال بالمشيئة، وما يلزم قولهم من قدم الآحاد. وكلام الشيخ يوضح مخالفته الماتريدية في ذلك، ولكنه لم ينبه إلى اختلاف السلف والماتريدية في المسألة.

الأشياء بلا واسطة ولا آلة، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون، ولا يفعل سبحانه شيئاً عبثاً ولا لاحتياجه إليه، بل هو الحكيم الذي يضع كل شيء في محلـــه، ويفعل ما يشاء باختياره وحكمته، ولا يزال فعالاً، كما أنه لم يزل فعالاً))(١).

وقال رحمه الله ناقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية: ((قال شـــيخ الإســـلام في فتاويه: وأصل اضطراب الناس في مسألة الكلام أن الجهمية والمعتزلـــة لمـــا نـــاظرت الفلاسفة في مسألة حدوث العالم اعتقدوا أن ما يقوم به من صفات الأفعال المتعاقبة لا يكون إلا حادثاً، بناءً على أن ما لا يتناهى لا يمكن وجوده، والتزموا أن الرب كان في الأزل غير قادر على الفعل والكلام، بل كان ذلك ممتنعاً عليه، وكان معطلاً عـــن ذلك، وقد يعبرون بأنه كان قادراً في الأزل على الفعل فيما لا يزال مع امتناع الفعـــل عليه في الأزل، فيجمعون بين النقيضين، حيث يصفونه بالقدرة في حال امتناع المقدور عليه لذاته إذ كان الفعل يستلزم أن يكون له أولاً، والأزل لا أول له، والجمـــع بـــين إثبات الأولية ونفيها جمع بين النقيضين.

و لم يهتدوا إلى الفرق بين ما يستلزم الأولية والحدوث، وهو الفعـــل المعـــين والمفعول المعين، وبين ما لا يستلزم الأولية والحدوث، وهو نوع الفعل والكلام، بـــل هذا يكون دائماً وإن كان كل من آحاده حادثاً، كما يكون دائماً في المـــستقبل وإن كان كل من آحاده فانياً، بخلاف خالق يلزمه مخلوقه المعين دائماً، فإن هذا هو الباطل في صحيح العقل وصريح النقل، ولهذا اتفقت فطر العقلاء على إنكار ذلك، لم ينازع فيه إلا شرذمة من المتفلسفة. اهـــ))(٢).

فالشيخ أبو بكر في نقله هذا عن شيخ الإسلام يبين الصواب في قـــدم نـــوع

---

(١) "ما لا بد منه" (ص ١٩).

(٢) "تحرير الكلام" (ق ٤أ، ٤ب). والنقل عن ابن تيمية من "مجموع الفتاوى" (١٢/٥٩٢،٥٩٣).

أفعال الله، وحدوث آحادها، ولكنه يذكر أيضاً القول بأن المتجدد هو ما تتعلق به الصفات الفعلية، ناقلاً في ذلك عن السعد التفتازاني(١).

وكذلك قال بأن ((السلف والماتريدية يقولون بقدم الصفات الاختيارية وحدوث متعلقاتها))(٢).

وعدم تفريق الشيخ بين قول السلف وقول الماتريدية، أدى إلى ظهور بعض ما يؤخذ عليه في كلامه في مسألة قدم كلام الله، كما سيأتي في المبحث الخاص بصفة الكلام.

والقول بأن الحادث هو التعلق فقط، هو قول بعض المتكلمين، كابن كلاب ومن وافقه، وهم يتوصلون بذلك إلى نفي الصفات الاختيارية، لأن التعلق عندهم أمر عدمي لا وجودي، فينفون تجدد قيام أفعاله به سبحانه، وعندهم الإرادة قديمة واحدة، وإنما يتجدد تعلقها بالمراد، وهذا قول ظاهر البطلان، كما بين ذلك شيخ الإسلام وغيره(٣).

والذي يظهر أن الشيخ أبا بكر لا يوافق المتكلمين على نفي قيام الأفعال الاختيارية به سبحانه، بل يثبت أنه ((تقوم به تعالى الأمور الاختيارية من الأفعال، كالتكلم بمشيئته واختياره، كيف شاء، لأنه يفعل ما شاء، ولم يزل فعالاً متكلماً، ولا يزال فعالاً متكلماً إذا شاء))(٤).

---

(١) "تحرير الكلام" (ق ٢ب، ٣أ).

(٢) انظر: "تحرير الكلام" (ق ٤أ).

(٣) انظر : "مجموع الفتاوى" (٣٠١/٦-٣٠٥، ٢٢٩/٦، ٣٤٢/٨،٣٤٣)، و"الصفدية" (١٠١/٢-١٠٥) ورسالة في "تحقيق تعلق علم الله بالمستقبل" لشيخ الإسلام، ضمن "جامع الرسائل" تحقيق. محمد رشاد سالم، وانظر: "الصواعق المرسلة" (١٤٦٩/٤).

(٤) "تحرير الكلام" (ق ٣أ).

وقال رحمه الله: ((ولا فرق في فعله تعالى، سواء كان قائماً بذاته أو منفصلاً عنه، فإن الفعل المنفصل الذي يفعله الفاعل لا يكون إلا بفعل يقوم بذاته، وأما نفس فعله القائم بذاته فلا يفتقر إلى فعل آخر، بل يحصل بقدرته ومشيئته))(١).

ولكن يؤخذ على الشيخ إيراده لبعض كلام المتكلمين بما فيه من خطأ، بما يشعر بنوع اضطراب في تصور المسألة وتقريرها.

المسألة الرابعة: مسألة التسلسل في الماضي.

بعد أن قرر الشيخ دوام فاعلية الله ذكر شبهة بعض المتكلمين من أنه يلزم من ذلك القول بحوادث لا أول لها، وهذا يعني عندهم القول بقدم العالم، وليس هذا بلازم، فإن التسلسل في المفعولات في الأزل ممكن، كتسلسل المفعولات في الأبد، ((ولا يلزم من ذلك أنه لم يزل الخلق معه، فإنه سبحانه متقدم على كل فرد من مخلوقاته تقدماً لا أول له، فلكل مخلوق أول، والخالق سبحانه لا أول له، فهو وحده الخالق، كل ما سواه مخلوق كائن بعد أن لم يكن))(٢).

فالتسلسل أنواع، الواجب منها: التسلسل في فاعلية الله، وأما التسلسل في مفعولاته فجائز، وأما التسلسل الممنوع فهو التسلسل في المؤثرين(٣).

قال الشيخ أبو بكر بعد أن ذكر شبهة بعض المتكلمين بلزوم حوادث لا أول لها من القول بقدم صفات الأفعال: ((ولم يبال به أصحاب هذا القول من السلف والماتريدية، فقالوا: لا مانع من تسلسل فاعلية الرب ودوام كلامه أزلاً وأبداً، فكما أنه

---

(١) "تحرير الكلام" (ق ٣أ) وهو بنحو ما نقله عن شيخ الإسلام في (ق ٤ب)، وهو في "مجموع الفتاوى" (٥/٥٣١).

(٢) "شرح الطحاوية" (ص ١٣٥)، وانظر (ص ١٣٢-١٣٨)، و"منهاج السنة" (١/١٥٧-١٦٠)، و"شرح نونية ابن القيم" (١/٣٥٣).

(٣) انظر: "مجموع الفتاوى" (٦/٧٩، ١٦/٣٨٦)، و"درء التعارض" (١/٣٦٣)، و"شرح الطحاوية" (ص ١٣٥)، و"تقريب وترتيب شرح الطحاوية" (ص٥٥٨) حاشية (١).

لم يزل متكلماً، كذلك لا يزال فعالاً متكلماً بمشيئته وقدرته، فالتسلسل في الماضي كالتسلسل في المستقبل ... فلا يضر القول بحوادث لا أول لها تبعاً لصفات الأفعال، ولا يلزم من ذلك القول بحدوثها.

ولا عبرة بتشنيع بعض الأشاعرة بقوله: يلزم من ذلك أن يكون الله محلاً للحوادث، فجعل أفعاله الاختيارية حوادث، وأنكر قيامها به، وعطله عن الوصف بها، وخالف صريح المنقول وصحيح المعقول))[١].

وقد أشار الشيخ في كلامه السابق إلى شبهة **حلول الحوادث** التي يوردها بعض المتكلمين. ((و"حلول الحوادث" تعبير فيه إجمال: فإن أريد أنه سبحانه لا يحل بذاته شيء من مخلوقاته المحدثة، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن، فهذا نفي صحيح. وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية، من أنه لا يفعل ما يريد، ولا يتكلم بما شاء إذا شاء، وأنه لا يغضب ويرضى لا كأحد من الورى ... فهذا نفي باطل))[٢].

وهذا المعنى الباطل هو ما حذر الشيخ منه، وبين خطأ بعض المتكلمين في إثباته[٣].

---

(١) "تحرير الكلام" (ق ٤أ) باختصار ، وبنحوه في "ما لا بد منه" (ص ١٩، ٢٠).

(٢) انظر: "شرح الطحاوية" (ص ١٢٨).

(٣) انظر في شبهة "حلول الحوادث" : "مجموع الفتاوى" (٦/٩٠، ٩١، ١٥٠، ٢٤٧-٢٥٦، ٢٨٤-٢٨٧، ٣٤٢-٣٤٤)، (٨/١٥٠، ١٥١)، و"منهاج السنة" (٢/٣٨٠، ٣٨١)، و"شرح الطحاوية" (ص٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٩).

المطلب الرابع: صفة الكلام.

صفة الكلام من أكثر ما وقع فيه التنازع والخلاف بين الطوائف، وتعددت فيها الأقوال وتشعبت، وقد قيل في سبب تسمية علم العقيدة بعلم الكلام أنه لأجل ما وقع من الخلاف في كلام الله(١).

وقد بين الشيخ أبو بكر رحمه الله اختلاف المتكلمين في مسألة كلام الله وما وقع لهم في ذلك، فقال: ((اعلم أن بعض المتكلمين يحكي الاختلاف في كلام الله على ثلاثة أقوال، وبعضهم يحكي أربعة أقوال، كأبي المعالي ونحوه، وبعضهم يحكي خمسة أقوال، كالشهرستاني ونحوه، وحكى شيخ الإسلام في المسألة المصرية نحو سبعة أقوال، وحكى الملا علي قاري في شرح الفقه الأكبر تسعة أقوال ...

وأكثر أصحاب تلك الأقوال من فرق المبتدعة الذين كانت لهم مذاهب مشهورة، بين المتكلمين وبينهم جدال وأبحاث تمرض القلوب ولا حاجة في هذا الزمن إلى إحياء تلك البدع بذكرها والخوض في أمرها، فإن ذلك يشغل عن المهم ولا يفيد إلا مجرد الحيرة، كما اشتكى من ذلك كثير من أئمتهم، وقد تمنى محققوهم في آخر أمرهم دين العجائز، وقالوا: هنيئاً للعامة.

ولهذا اتفقوا على أن طريق السلف أسلم، وقد أعرضت عن حكاية تلك الأقوال للخوف من تأثيرها في نفس بعض السامعين، فضلاً عن الشبه التي اعترضت لهم والخوض في غمار الرد عليهم)) (٢).

ثم بين رحمه الله المنهج المنبغي سلوكه، فقال: ((فعلى الكاتب في هذا المقام أن يقتصر على نقل كلام السلف وما استقر عليه رأي أهل السنة وجرى عليه الجمهور.

---

(١) انظر: "تحرير الكلام" (ق ٥أ).

(٢) "تحرير الكلام" (ق ٥ب).

فنقول: إن كلام الإمام أحمد في هذا المقام كثير لا يخفى، فانظر رسالته إلى مسدد بن مسرهد[١]، وكتاب "السنة"[٢]، وكتاب "الرد على الجهمية"[٣]، وغيرها مما نقله أصحابنا، وقد عرف هذا الإمام بالمحنة في هذه المسألة وأنه قام مقام الأنبياء فيها، وأنه كأبي بكر الصديق في يوم الردة، حتى صار إمام السلف وشيخ أهل السنة، وصار حبة علامة على السني وحب الطريقة السلفية، وانظر كتاب "الحيدة"[٤] للإمام عبد العزيز الكناني في مناظرته لبشر المريسي مع أصحابه ومنهم محمد بن الجهم بحضرة المأمون العباسي، وانظر مؤلفات شيخ الإسلام تقي الدين في فن الكلام وخصوصاً تأليفه التسعينية))[٥].

بيان الشيخ لقول السلف في القرآن:

بين الشيخ رحمه الله قول السلف في القرآن وأورد في ذلك عدة نقولات عنهم، فقال رحمه الله: ((أجمع السلف على قول: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدا وإليه يعود، ومنهم الإمام الطحاوي. ومعنى قولهم: كلام الله منه بدا: أنه صدر منه[٦]، ولا تعرف كيفية التكلم به. وقولهم: وإليه يعود: أنه يرفع من الصدور و المصاحف، كما

---

(١) في نسبة هذه الرسالة إلى الإمام أحمد شك، لضعف إسنادها ولما على مضمونها من ملحوظات، انظر: "براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة" (ص ١٠٠-١١٣).

(٢) لعبد الله بن الإمام أحمد، طبع في جزئين بتحقيق د. محمد بن سعيد القحطاني.

(٣) انظر في بيان صحة نسبة هذه الكتب إلى الإمام أحمد: "براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة" (ص ٩٤- ١٠٠).

(٤) قال الذهبي بأنه موضوع على عبد العزيز المكي، كما في "الميزان" (٢/٦٣٩، ٣/٤٤)، ولكن قد نقل عنه بعض الأئمة كابن تيمية، كما في "درء التعارض" (٢/٢٤٥-٢٤٩)، وانظر: "تقريب وترتيب شرح الطحاوية" (٦٩٩،١٠٣٦).

(٥) "تحرير الكلام" (ق ٥ب).

(٦) المراد بالصدور هنا المعنى اللغوي لا الاصطلاحي عند المتكلمين الذي يطلق على عدم إرادة الفعل.

ورد في الأحاديث))[١].

وقال رحمه الله: ((اعلم أن أهل السنة وفي مقدمتهم السلف الصالح أجمعوا على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وكذا الكتب المنزلة وما ينسب إليه تعالى من الكلام حروفه ومعانيه))[٢].

وبين رحمه الله أن من أنكر أن ما بين دفتي المصحف كلام الله، فهو كافر، وقال بأن هذا معلوم من الدين بالضرورة، وقال بأن الإجماع منعقد على أن القرآن كلام الله حقيقة، وأن التحدي والمعارضة بكلام الله الحقيقي [٣].

وقال بأن ((من زعم أن القرآن مخلوق فقد جعله قولاً للبشر، وهذا مما أنكره الله على المشركين، كما قاله البيهقي))[٤].

وقال رحمه الله ناقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية: ((قال رحمة الله في القاعدة التي كتبها في القرآن ما نصه: وأما جمهور الأئمة[٥] وأهل الحديث والفقه والتصوف،

---

(١) "تحرير الكلام" (ق ٢ب)، وانظر في ذلك: "مجموع الفتاوى" (١٢/٢٧٤، ١٨/٣٠٤، ٣/١٧٤)، و"شرح الطحاوية" (١٩٤-١٩٥).

وقد أشار الشيخ إلى ما جاء في الحديث: (يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية) رواه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم (ح٤٠٤٩/٢/١٣٤٤)، وقال في الزوائد (٥٢٣) إسناده صحيح ورجاله ثقات، وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم (ح٨٤٦٠/٤/٥٢٠، ح٨٥٤٢/٤/٥٥٠، ح٨٦٣٦/٤/٥٨٧) وقال: "صحيح على شرط مسلم".

(٢) "تحرير الكلام" (ق ٢أ).

(٣) انظر: "تحرير الكلام" (ق ٨أ)، وانظره بنصه في كتاب "العين والأثر في عقائد أهل الأثر" لعبد الباقي البعلي الحنبلي (ت١٠٧١هـ). (ص١٠٢).

(٤) "تحرير الكلام" (ق ٨أ)، وكلام البيهقي في كتابه "الاعتقاد" دار الآفاق الجديدة. بيروت. ط١. (١٤٠١هـ). (ص ٩٧).

(٥) (الأمة) في "مجموع الفتاوى" (١٢/٣٦).

فعلى ما جاءت به الرسل، وما جاء عنهم من الكتب والأثارة من العلم، وهم المتبعون للرسالة اتباعاً محضاً لم يشوبوه بما يخالفه من مقالة الصابئين، وهو أن القرآن كله كلام الله، لا يجعلون بعضه كلام الله وبعضه ليس كلام الله، والقرآن هو الذي يعلم المسلمون أنه القرآن حروفه ومعانيه والأمر والنهي، هو اللفظ والمعنى جميعاً.

ولهذا كان الفقهاء المصنفون في أصول الفقه من جميع الطوائف الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية إذا لم يخرجوا عن مذهب الأئمة والفقهاء، إذا تكلموا في الأمر والنهي ذكروا ذلك وخالفوا من قال: إن الأمر هو المعنى المجرد.

ويعلم أهل الأثارة النبوية أهل السنة والحديث وعامة المسلمين الذين هم جماهير أهل القبلة أن قوله تعالى: ﴿ **الم ذلك الكتاب لا ريب فيه**﴾[١] ونحو ذلك هو من كلام الله، لا كلام غيره، وكلام الله هو ما تكلم به لا ما خلقه في غيره و لم يتكلم هو به))[٢].

وقال الشيخ أبو بكر: ((قال الزركشي في "جمع الجوامع": قال البوطي عن الشافعي: إنما خلق الله كل شيء بكن، فلو كانت هي مخلوقة، فمخلوق خلق مخلوقاً.

قال الأئمة: ولو كان كن الأول مخلوقاً، فهو مخلوق بأخرى وأخرى إلى ما لا يتناهى، وهو مستحيل.

وقال سفيان بن عيينة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾[٣] الأمر القرآن، ففصل بين المخلوق والأمر، ولو كان الأمر مخلوقاً، لم يكن لتفصيله معنى، قال ابن عيينة: فرق بين الأمر والخلق، فمن جمع بينهما فقد كفر.

وأما أن القرآن هو الأمر فلقوله تعالى: ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا**

---

(١) سورة "البقرة"، الآيات (١،٢).

(٢) "تحرير الكلام" (ق ٦أ)، والنقل عن "مجموع الفتاوى" (١٢/٣٦).

(٣) سورة "الأعراف"، آية رقم: (٥٤).

منزلين فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا﴾(١) وروي هذا الاستنباط عن أحمد ابن حنبل ومحمد بن يحيى الذهلي وأحمد بن سنان وغيرهم من الأئمة.

وذكر البيهقي بإسناد صحيح عن عمرو بن دينار قال سمعت مشيختنا منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله ليس مخلوقاً.

قال: ومشيخته جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمر وجابر وابن الزبير وأكابر التابعين.

ثم قال: وروينا هذا القول عن الليث بن سعد وسفيان وابن المبارك وحماد بن زيد وابن مهدي والشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد والبخاري ومشيخة جليلة سواهم، وإنما أحدث هذه البدعة الجعد بن درهم، وعنه كان يأخذ جهم، فذبحه خالد ابن عبد الله القسري يوم الأضحى. انتهى))(٢).

وقال الشيخ أبو بكر رحمه الله: ((وقد ذكر الإمام محمد الكرجي(٣) في كتابه "الفصول في الأصول" بسنده إلى أبي حامد الإسفراييني يقول: مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال إنه مخلوق فهو كافر))(٤).

وقال رحمه الله ناقلاً عن الحافظ ابن حجر: ((وقال الحافظ في الفتح: والذي استقر عليه قول الأشعري أن القرآن كلام الله غير مخلوق مكتوب في المصاحف محفوظ

---

(١) سورة "الدخان"، الآيات (٣-٥).

(٢) "تحرير الكلام" (ق ٦أ)، وما ذكره منقول عن شرح ابن عيسى للنونية (٣١٦/١،٣١٧). وانظر في حادثة الجعد: "مجموع الفتاوى" (١٤٢/٨)، و"درء التعارض" (٢٤٤/٥)، و"الصواعق المرسلة" (١٠٧١/٣).

(٣) أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي، أحد أئمة الشافعية، توفي سنة (٥٣٢هـ) وقد نقل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "درء التعارض" (٩٦/٢). انظر: "طبقات الشافعية الكبرى" (١٣٧/٦).

(٤) "تحرير الكلام" وما ذكره نقل عن ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى" (٣٠٦/١٢).

في الصدور مقروء بالألسنة، قال الله: ﴿ فأجره حتى يسمع كلام الله﴾[١] والحديث: (لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو كراهة أن يناله العدو)[٢]، ليس المراد ما في الصدور بل بما في المصحف، وأجمع السلف على أن الذي ما بين الدفتين كلام الله. انتهى))[٣].

وقال رحمه الله: ((وذكر الحافظ البيهقي باباً في كتاب "الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد"[٤] في القول في القرآن يتضمن نقل كلام الأئمة الثقات والنصوص الواضحات في أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه المكتوب في المصاحف المتلو بالألسنة المحفوظ في الصدور المسموع بالآذان على الحقيقة. وممن نقل عنه الإمام الشافعي وأبو الحسن الأشعري في "الإبانة".

وذكر البيهقي أيضاً في كتاب "الأسماء والصفات" باباً (في إثبات صفة الكلام وأنه غير مخلوق) وباباً (فيما جاء من إثبات صفة القول وهو الكلام عبارتان بمعنى واحد) وباباً (فيما جاء في إثبات صفة التكليم والتكلم والقول سوى ما مضى) وباباً (في ما كان لبشر أن يكلمه الله ، الآية) وباباً فيما جاء في إسماع الرب عز وجل بعض ملائكته كلامه ، وباباً (فيما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في أن القرآن

---

(١) سورة "التوبة"، آية رقم (٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو (ح٢٨٢٨/٣/١٠٩٠)، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب في المصحف يسافر به إلى أرض العدو (ح٢٦١٠/٣/٣٦)، وابن ماجه، كتاب الجهاد، باب النهي أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو (ح٢٨٧٩/٢/٩٦١)، وغيرهم.

(٣) "تحرير الكلام" (ق ٦ب، ٧أ)، ويظهر أن الشيخ أبا بكر أورد عبارة الحافظ نقلاً عن كتاب "العين والأثر في عقائد أهل الأثر" لأنها مذكورة هناك (ص ١٠٠) كما أوردها هنا، ولكنها في الفتح (٤٩٣/١٣) مختلفة بعض الشيء: ((والذي استقر عليه قول الأشعرية أن القرآن كلام الله ... قال تعالى: فأجره حتى يسمع كلام الله، وقال تعالى: بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، وفي الحديث المتفق عليه عن ابن عمر كما تقدم في الجهاد: لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو ...)).

(٤) انظر: "الاعتقاد" للبيهقي (ص ١٠٨).

كلام الله غير مخلوق) وباباً (في الفرق بين التلاوة والمتلو))[١].

وقال الشيخ أبو بكر رحمه الله بعد إيراده تلك النقول: ((... فليراجع ذلك من أراد الطمأنينة وليعلم أن ما نقلناه هو ما كان عليه خير القرون ثم الذين يلونهم، وقد كانوا أعلم بالله وبما جاء في وصفه في كتابه وسنة نبيه ﷺ فإنهم جميعاً يصفون الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ ويمرون الصفات على ظاهرها ولا يتكلفون علم ما لم يعلموا ولا يتأولون.

وإذا نزغ بينهم نازغ، أوضحوا للناس أمره وبينوا لهم أنه على ضلالة وحذروا من بدعته، كما كان منهم لما ظهر معبد الجهني وأصحابه، وهكذا فعل من جاء بعدهم من التابعين بالجعد بن درهم ومن تبعه، وهو أول من قال بخلق القرآن، فخطب الناس خالد بن عبد الله القسري بواسط يوم النحر فقال: أيها الناس، ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما قال الجعد علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه ...))[٢].

وقال الشيخ أبو بكر مبيناً عقيدة أهل السنة أنهم يقولون: ((لم يزل الله متكلماً ولا يزال متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء[٣] وقالوا: إنه صفة ذات وفعل معاً...))[٤]، ونقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية أن الذين يجعلونها صفة فعل هم

---

(١) "تحرير الكلام" (ق ٦ب)، وما أشار إليه الشيخ في كتاب "الأسماء والصفات" (٢٩٧/١-٣٩٧)، لكن يلاحظ على الحافظ البيهقي رحمه الله أنه يجنح أحياناً إلى تقرير قول الأشعرية في كلام الله، كما في قوله: ((وكلمات الله: واحد، وإنما جاء بلفظ الجمع على معنى التعظيم والتفخيم)) (٣٠٥/١)، والبيهقي كما وصفه شيخ الإسلام ابن تيمية: من فضلاء الأشاعرة، "مجموع الفتاوى" (٥٣/٦).

(٢) "تحرير الكلام" (ق ٧أ).

(٣) جاء عن الإمام أحمد قوله: ((لم يزل الله متكلماً بما شاء، كيف شاء، إذا شاء))، انظر: "المحنة" لحنبل (ص٦٨)، و"اجتماع الجيوش الإسلامية" (ص ٨٣)، و"براءة الأئمة الأربعة" (ص ٤٠٥).

(٤) "تحرير الكلام" (٣ب).

الذين يقولون إن القرآن مخلوق[١].

وقال بأن القول بخلق القرآن يترتب عليه القول ((بنفاد كلامه تعالى، وهو يقول: ﴿**قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً**﴾[٢] فلو كانت البحار مداداً تكتب به لنفدت وتكسرت الأقلام ولم يلحق الفناء علم الله، لأن من فني كلامه لحقته الآفات وجرى عليه السكوت[٣]، فلما لم يجز ذلك على ربنا، صح أنه لم يزل متكلماً ولا يزال متكلماً، قد نفى النفاد عن كلامه، كما نفى الفناء عن وجهه، كما قاله البيهقي ...))[٤].

وقال الشيخ بأن كلام الله يسمع، ((وقد سمعه منه موسى وملائكته وبعض أنبيائه، كما يسمعه منه خلقه يوم القيامة، بلا كيف، وكما يرونه بلا كيف))[٥].

فالشيخ على قول السلف في معتقدهم في كلام الله، ونجد في كلامه أنه تناول تقرير الأمور التي يستند إليها قول السلف في كلام الله، وهي:

(١) أن القرآن الذي هو (١١٤) سورة، هو كلام الله حقيقة، حروفه ومعانيه، ليس كلامه مجازاً ولا حكاية.

---

(١) "تحرير الكلام" (ق٥ب).

(٢) سورة "الكهف"، آية رقم (١٠٩).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((... فثبت بالسنة والإجماع أن الله يوصف بالسكوت، لكن السكوت يكون تارة عن التكلم، وتارة عن إظهار الكلام وإعلامه)) "مجموع الفتاوى" (١٧٩/٦)، وانظر: "مجموع الفتاوى" (١٣١/١٣)، و"درء التعارض" (١٢٨/٤-١٢٩)، و"ترتيب وتقريب شرح الطحاوية" (ص٥٣٠).

والقول بنفي السكوت والخرس والآفات المانعة للكلام هو مما احترز بعض الأشاعرة بزيادته عند تعريفهم للكلام بأنه المعنى القائم بذات المتكلم. انظر: "درء التعارض" (٨٣/٢-٨٦)، و"براءة الأئمة الأربعة" (ص ٣٠٩).

(٤) "تحرير الكلام" (ق ٨أ، ب). والنقل عن البيهقي من كتابه "الاعتقاد" (ص ٩٧).

(٥) "تحرير الكلام" (ق ٣ب).

(٢) أن الكلام صفة من صفات الله، الذاتية والفعلية، فهو صفة ملازمة لذاته، ويتكلم سبحانه متى شاء.

(٣) أن كلام الله قديم النوع حادث الآحاد، فالآحاد حدثت بعد أن لم تكن، وهي متعلقة بالمشيئة، أما نوع الكلام فهو قديم.

(٤) أن القرآن مترل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود[١].

فكلام الشيخ موافق لقول السلف في مسألة صفة الكلام، وسيأتي زيادة بحث لمسألة "قدم الكلام" فهي تحتاج إلى تحرير وبيان.

---

(١) كما بينها الشيخ د. عبد الله الدميجي في "درس شرح نونية ابن القيم"، شريط رقم (٢٦)، بتاريخ (٢١/٧/١٤٢٠هـ).

مسألة قدم كلام الله:

القول بقدم كلام الله قول محدث لم يقل به أحد من الأئمة، وأول من قال به ابن كلاب(١) ثم تبعه طوائف منهم الأشعرية وغيرهم.

وقد كان الناس قبل إحداث هذا القول على أحد قولين(٢):

القول الأول: قول أهل السنة الذين يثبتون صفة الكلام لله تعالى كسائر صفاته تعالى، وأن الله يتكلم إذا شاء متى شاء كيف شاء، وأنه كلم موسى عليه السلام، ويكلم الملائكة ويكلم المؤمنين في الجنة، وأنه يتكلم بحرف وصوت يسمع، وأن القرآن المنزل هو كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود.

والقول الثاني: قول المعتزلة والجهمية الذين يقولون: إن كلام الله مخلوق، خلقه الله في غيره، وإن القرآن المنزل خلق خلقه الله وأنزله على نبيه ﷺ.

فلما جاء ابن كلاب أحدث قولاً جديداً في صفات الله، وقال في كلامه: إنه كلام قديم وإنه معنى واحد لا يتعدد ولا يتجزأ، وإنه لا يتعلق بمشيئته وإرادته، أما القرآن المنزل فهو حكاية عن كلام الباري النفسي المعنوي القائم به تعالى(٣).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الذين يقولون بقدم كلام الله هم الكلابية ومن وافقهم كالأشعرية وغيرهم، وذكر أيضاً من يوافقهم على القول بقدم كلام الله، ويقول بأنه حروف وأصوات، فقال: ((وحدثت طائفة أخرى من السالمية وغيرهم ممن هو من أهل الكلام والفقه والحديث والتصوف ومنهم كثير ممن هو ينتسب إلى مالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وكثر هذا في بعض المتأخرين المنتسبين إلى أحمد بن حنبل،

(١) توفي في حدود سنة (٢٤٠هـ). انظر: "سير أعلام النبلاء" (١١/١٧٥).

(٢) انظر: "موقف ابن تيمية من الأشاعرة" (ص١٢٦٢) وما بعدها، "براءة الأئمة الأربعة" (ص ٣٠٧-٣١٠).

(٣) انظر: "مقالات الإسلاميين" (ص٥٨٤،٥٨٥)، و"مجموع الفتاوى" (١٢/٢٧٢)، و"درء التعارض" (٢/٩٩)، و"منهاج السنة" (١/٣١٢-٣١٥)، و"براءة الأئمة الأربعة" (ص ٣٠٩).

فقالوا بقول المعتزلة وبقول الكلابية، وافقوا هؤلاء في قولهم إنه قديم، ووافقوا أولئك في قولهم إنه حروف وأصوات ...))[(١)].

وممن قال بقدم كلام الله من الحنابلة: ابن قدامة المقدسي[(٢)] في كتابه "لمعة الاعتقاد"[(٣)] والسفاريني[(٤)] في كتابه " لوامع الأنوار البهية شرح الدرة المضية"[(٥)].

ويمكن أن يضاف هنا كتاب "العين والأثر في عقائد أهل الأثر" فقد ذكر مؤلفه[(٦)] أنه كتبه لبيان عقيدة الإمام أحمد، ثم وقع له تخليط فقرر عقيدة الأشاعرة في مواضع من كتابه، ورد عليهم في مواضع[(٧)]، وقد قال بقدم كلام الله ناسباً ذلك إلى الحنابلة[(٨)].

---

(١) "مجموع الفتاوى" (١٢/٣١٩، ٣٢٠)، وانظر: (٦/٢٩٠)، و" الصفدية" (٢/٥٨).

(٢) الإمام الموفق عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، من أعيان المذهب الحنبلي، قال عنه ابن تيمية: ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ الموفق. كانت وفاته عام (٦٢٠). انظر: "الذيل على طبقات الحنابلة" (٢/١٣٣) "الدر المنضد" (١/٣٤٦) "سير أعلام النبلاء" (٢٢/١٦٥).

(٣) قال رحمه الله: ((ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه)) "لمعة الاعتقاد" الدار السلفية. الكويت. ط١. (١٤٠٦هـ). (ص ١٥).

(٤) الشيخ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، بلغ منزلة كبيرة بين علماء الحنابلة في عصره، وكان متين الديانة لا تأخذه في الله لومة لائم، درس وأفتى وله مؤلفات كثيرة. كانت وفاته عام (١١٨٨هـ) رحمه الله.
انظر "سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر" (٤/٣١)، و"النعت الأكمل" (ص٣٠١)، وترجمته بمقدمة كتابه "لوامع الأنوار".

(٥) قال رحمه الله: ((وتحرير مذهب السلف أن الله تعالى متكلم، كما مر، وأن كلامه قديم وأن القرآن كلام الله وأنه قديم حروفه ومعانيه)) وقال: ((ممن ذهب إلى مذهب السلف والحنابلة من قدم كلامه تعالى ...)) (ص ١٣٧، ١٤٣)، وقد تعقبه في ذلك الشيخ عبد الله بابطين، والشيخ ابن سحمان، كما هو مبين في حاشية الكتاب (ص١٣٠).

(٦) عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر البعلي، مفتي الحنابلة بدمشق في عصره، كانت ذا شهرة وصيت ذائع، توفي سنة (١٠٧١هـ). انظر: "النعت الأكمل" (ص٢٢٣).

(٧) انظر تحليل الشيخ د. عبد العزيز الحميدي للكتاب في "براءة الأئمة الأربعة" (ص ١٣٢-١٣٨).

(٨) كما في (ص ٣٢، ٩٠، ١٠٤، ١٠٦)، ويظهر أن الشيخ أبا بكر خوقير رجع إلى هذا الكتاب، وإن لم يكن

وقد كان الشيخ أبو بكر خوقير يصرح بقدم كلام الله، وينسب هذا القول إلى الحنابلة، كما في كتابه "ما لا بد منه"[(١)]، وكذا في كتابه "تحرير الكلام" في مخطوط مكتبة الحرم سنة (١٣٣٧هـ) فنجد أنه يصرح بقدم كلام الله، مع نقله ما ينفي ذلك من أقوال السلف.

ثم إنه في سنة (١٣٤٨هـ) أعاد النظر في كتابه هذا وحذف النصوص التي تصرح بقدم كلام الله، وصرح بعدم قدم كلام الله، وأن السلف يقولون بقدم نوع الكلام وحدوث آحاده، فقال رحمه الله مبيناً قول السلف في كلام الله: ((وقد صرحوا بأن الله يتكلم متى شاء بقدرته كلاماً يسمع منه تعالى، ولم يقل أحد منهم إن الكتب المنزلة قديمة أو أحدها قديم، وإن نقل عن أحد أنه قال إنه قديم، فلا يعني بذلك إلا أنه غير مخلوق، لأن كلام الله تابع لذاته وصفة من صفاته، فهو قديم النوع))[(٢)].

ومع ذلك تبقت بعض الجوانب في هذه المسألة بحاجة إلى زيادة تحرير، فمن

أشار إليه، وذلك لأن الكتاب في بيان عقيدة الحنابلة – على زعم مؤلفه- والشيخ أبو بكر حنبلي ويهتم بكتب الحنابلة، ولأن الشيخ نقل عن ابن حجر عبارة بلفظها نفسه الوارد في كتاب "العين والأثر" مع ما فيها من اختلاف عنها في "الفتح"، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وكذلك نقل في "تحرير الكلام" (ق ٨أ) كلاماً موجوداً بلفظه في الكتاب (ص ١٠٢)، ولعله كذلك في موضعين آخرين من "تحرير الكلام" (ق ٧أ، ق ٨ب) نقل عنه من (ص ١٠٢، ٨٩، ٩٠)، والله أعلم.

يلاحظ أيضاً أن من الحنابلة من قال بأن كلام الله حروف وأصوات قديمة مقترنة، ومنهم ابن الزاغوني الحنبلي، وقد قال الحافظ ابن حجر مبيناً مذهب الإمام أحمد في القرآن: ((أنه كلام الله غير مخلوق، وأنه لم يزل يتكلم إذا شاء، نص على ذلك أحمد في كتاب الرد على الجهمية، وافترق أصحابه فرقتين: منهم من قال: هو لازم لذاته، والحروف والأصوات مقترنة لا متعاقبة، ويسمع كلامه من شاء، وأكثرهم قالوا: إنه متكلم بما شاء متى شاء، وأنه نادى موسى عليه السلام حين كلمه ولم يكن ناداه من قبل)) "فتح الباري" (٤٩٣/١٣)، وانظر: "شرح الطحاوية" (ص ١٨٠)، و"شرح ابن عيسى على النونية" (٢٨٧/١) وما بعدها.

(١) قال الشيخ أبو بكر خوقير: ((الحنابلة سائرون على طريقة السلف، وإمامهم شيخ هذه الطريقة، وهم متفقون على أن كلامه تعالى قديم غير مخلوق، وأنه بحرف وصوت قديمين بلا كيف)) "ما لا بد منه" (ص ١٨).

(٢) "تحرير الكلام". ت الدكتور عبد الله الدميجي (ص٢٦)، وانظر: (ص٣٣، ٣٤) منه.

ذلك أن الشيخ قال بأن المتجدد الحادث هو تعلق صفة الكلام بموجود أو مخاطب، قال رحمة الله: ((فكلامه صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، غير أن تعلقه بالمعلوم يكون وقت وجوده بمشيئته تعالى وإرادته))[1] وقد تقدم التعليق على هذه المسألة بما يكفي.

والشيخ قرر قول السلف أن نوع الكلام قديم وأن أفراده حادثة، ولكنه عند مناقشة هذه المسألة سوّى بين الأفراد ونوع الصفة فلم يفرق بينها مما يؤدي إلى القول بقدم الأفراد، قال رحمه الله: ((والسائل[2] لم يفقه التجرد في نفس الفعل الاختياري القائم بذاته، مع أنه كنفس الكلام الذي هو الحروف والمعاني المسموعة، وهو داخل في معنى التكلم والتكليم ... ومن أين له أن يحكم على المعنى الحاصل بالمصدر بالحدوث وهو عين الصفة وداخل في معنى صفة الفعل التكليم والكلام، فإن التكليم هو ما يسمع من المتكلم ويصل إلى سمع المخاطب، والمسموع إنما هو الحروف بمعانيها ... وليس ذلك من قبيل متعلقات الصفة القديمة من الممكنات لأنها خارجة عن معانيها منفصلة عنها، وهذا داخل في معنى الصفة القديمة، بل هو عينها، فهو قديم غير متناه))[3].

ويلاحظ أن الشيخ رحمه الله رد احتجاج السائل بوقوع كلام الله في مناسبات مختلفة ككلامه تعالى في ثلث الليل الآخر وكلامه لأهل الجنة، فرد الشيخ على ذلك بقوله: إن الله متره عن الزمن[4] وكان كافياً هنا التسليم بأن آحاد كلام الله حادثة كائنة

---

(١) "تحرير الكلام". ت الدكتور عبد الله الدميجي (ص ٢٨)، وقد تقدم التعليق على هذه المسألة (ص٢١٥).

(٢) يلاحظ أن السؤال الوارد على الشيخ إنما هو في مسألة قدم كلام الله، فالسائل قال بأن "كلام الله" له معنيان: الأول: بمعنى المصدر وهو صفة الكلام لله، ولا إشكال أنها قديمة كذاته، والثاني: المتكلم به، والإشكال الذي أورده هو وصف الكلام المتكلم به بالقدم، وقد ظن أن أهل السنة يقولون بقدمه، فكان المطلوب أن يجاب بأن أهل السنة لا يقولون بقدم الكلام على وجه الإطلاق بل يفصلون، فيقولون بقدم نوع الكلام لا آحاده المعينة، ويثبتون حدوث الآحاد، وهذا ما قرره الشيخ أبو بكر خوقير ناقلاً عن السلف في عدة مواضع من كتابه، فكان الاقتصار عليه كافياً، والله أعلم.

(٣) "تحرير الكلام". ت الدكتور عبد الله الدميجي (ص ٣٤،٣٥).

(٤) انظر: "تحرير الكلام". ت الدكتور عبد الله الدميجي (ص ٢٦،٢٧).

بعد أن لم تكن، أما نوع الكلام فهو قديم.

ويلاحظ أن الشيخ أبا بكر لم يراع التفريق بين قول السلف وقول الماتريدية في مسألة أفعال الله[١]، فالماتريدية يوافقون السلف على أن الفعل غير المفعول، لكنهم يخالفونهم بقولهم إن الفعل قديم، ويرجعون الأفعال إلى حقيقة التكوين، وينفون عنها تعلقها بالمشيئة والقدرة، أما أهل السنة والجماعة فقالوا: الفعل غير المفعول، ونوع الفعل قديم، والآحاد حادثة متجددة[٢].

ولعل مما سبب لدى الشيخ تأثراً بقول الماتريدية، تمسكه بما نقل عن الإمام أحمد من إنكار لفظ "المحدث"، فقال الشيخ في معنى "المحدث": ((المخلوق المنفصل، على اصطلاح المتناظرين في محنة الإمام أحمد))[٣]، ونقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: ((... وتنازعوا هل يقال: إنه محدث، على قولين لهم، ومن كان من عادته أن لا يطلق لفظ المحدث إلا على المخلوق المنفصل، كما أن هذا الاصطلاح هو المشهور عند المتناظرين الذين تناظروا في القرآن في محنة الإمام أحمد، رحمه الله، وكانوا لا يعرفون للمحدث معنى إلا المخلوق المنفصل، فعلى هذا الاصطلاح لا يجوز عند أهل السنة أن يقال القرآن محدث، بل من قاله فقد قال إنه مخلوق.

ولهذا أنكر الإمام أحمد هذا الإطلاق على داود لما كتب إليه أنه تكلم بذلك[٤]، فظن الذين يتكلمون بهذا الاصطلاح أنه أراد هذا، فأنكره أئمة السنة.

وداود نفسه هذا قصده، بل هو وأئمة أصحابه متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وإنما كان مقصوده أنه قائم بنفسه، وهو قول غير واحد من أئمة

---

(١) انظر: "تحرير الكلام" (ص٢٧، ٢٩، ٣٤) ت الدكتور عبد الله الدميجي.

(٢) تقدم بحث المسألة (ص٢١٢).

(٣) "تحرير الكلام" (ق ٢أ)، (ص٣٢) ت الدكتور عبد الله الدميجي.

(٤) انظر روايات الحادثة في "التسعينية" (٣٣٩/٢)، و"تحرير الكلام" (ص٣٢) ت الدكتور عبد الله الدميجي.

السلف، وهو قول البخاري وغيره، والنزاع في ذلك بين أهل السنة لفظي، فإنهم متفقون على أنه ليس بمخلوق منفصل، ومتفقون على أن الكلام قائم بذاته.

وكان أئمة السنة كأحمد وأمثاله والبخاري وأمثاله وداود وأمثاله وابن المبارك وأمثاله وابن خزيمة وعثمان بن سعيد الدارمي وابن أبي شيبة وغيرهم متفقين على أن الله يتكلم بمشيئته وقدرته، لم يقل أحد منهم إن القرآن قديم[١] وإن أول من اشتهر عنه أنه قاله هو ابن كلاب اهـ))[٢].

ويلاحظ من النقل السابق – والذي أورده الشيخ أبو بكر خوقير – عن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه نفى نسبة القول بقدم كلام الله إلى أحد من الأئمة، وقال بأن هذا القول لم يعرف عن أحد من سلف الأمة، وإنه من إحداث ابن كلاب.

ثم قال الشيخ أبو بكر معلقاً على النقل السابق: ((فسقط قول السائل: "وقال أهل السنة: إن القرآن قديم" وقد سبق ذكر إجماعهم على أنه غير مخلوق رداً على من قال: إنه مخلوق في شجرة أو هواء ونحو ذلك، ولم يقل أحد منهم بأن الكتب المنزلة أو بعضها قديم كقدم ذات الله، بمعنى أنها كانت مقولة في زمان واحد في القدم)) [٣].

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((... وكما لم يقل أحد من السلف إنه مخلوق فلم يقل أحد منهم إنه قديم، لم يقل واحداً من القولين أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا من بعدهم من الأئمة الأربعة ولا غيرهم ...))[٤].

---

(١) في هامش نسخة الحرم: (لعله محدث)، ثم حذف الشيخ أبو بكر هذا الهامش في نسخة نصيف المتأخرة التي حققها د. عبد الله الدميجي، وهذا مما يبين رجوع الشيخ عن قوله بقدم كلام الله.

(٢) "تحرير الكلام" (ق ٤ب، ٥أ)، (ص٣٢، ٣٣) والنقل عن ابن تيمية من مجموع الفتاوى (٥/٥٣١-٥٣٣).

(٣) "تحرير الكلام" ت الشيخ عبد الله الدميجي (ص ٣٣)، وهذا التعليق أضافه الشيخ أبو بكر على النسخة المتأخرة.

(٤) "مجموع الفتاوى" (١٢/٣٠١).

ومسألة هل القرآن محدث، جاء فيها عن الإمام أحمد أنكار إطلاق هذا اللفظ على القرآن، وهذا الإنكار حق، لأن المحدث يحتمل المخلوق، ويحتمل أن يكون المراد أن الله تكلم بعد أن كان معطلاً عن الكلام.

فالمحدث لفظ مجمل يحتمل أكثر من معنى، فقد يراد بالمحدث: المخلوق المنفصل، كما هو قول المعتزلة، وقد يراد حدوث النوع، كما هو قول الكرامية، وقد يراد بالمحدث: حدوث الأفراد مع قدم نوع الكلام، وهو قول أهل السنة، فأئمة أهل السنة يسمون كلام الله المعين محدثاً [١].

وقد ظهر في تقرير الشيخ أبي بكر خوقير رحمه الله لمسألة قدم كلام الله تضارب وعدم وضوح، فهو مع تقريره قول السلف في المسألة في عدة مواضع إلا أنه يجهد نفسه في الجواب على السائل وتخطئته، فمن ذلك إجابته على قول السائل: ((أي ضرر إذا قلنا إن صفة الكلام وقدرته قديمة، وأما الكلام الصادر من تلك الصفة فهو حادث، أو بتعبير القرآن هو محدث ؟))[٢].

وقول السائل موافق لقول السلف بحدوث آحاد كلام الله، فقد حدثت بعد أن لم تكن، وهذا هو المعقول الذي لا يمكن تصور غيره، لكن قال الشيخ أبو بكر رحمه الله مجيباً على السؤال: ((ونقول: أي ضرر إذا قلنا: إن الكلام المنسوب للباري حروفه ومعانيه قديم، لأنه صفة قائمة به تتعلق بالمعلوم عند ظهوره من غير كيف ...))[٣] وقرر بعدها بأسطر بأن الكلام حقيقةً: الأصوات والحروف، وقد

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (٦/١٦٠-١٦٢) (١٦/٣٨٢-٣٨٤)، و"تقريب وترتيب شرح الطحاوية" (ص٦٩٩) حاشية (١).

(٢) "تحرير الكلام" (ق ٨أ)، (ص ٥٠) ت الشيخ عبد الله الدميجي.

(٣) "تحرير الكلام" ت الدكتور عبد الله الدميجي (ص٥٠)، ويلاحظ أن الشيخ حذف في هذه النسخة المتأخرة ما ذكره في هذا الموضع من النسخة السابقة، إذ جاء فيها: ((وأي ضرر إذا قلنا: إن صفة الكلام قديمة، بمعنى أنها نفس الكلام المنسوب للباري، حروفه ومعانيه، المكتوبة بالمصاحف والمسموعة بالآذان والمحفوظة في الصدور !)) "تحرير الكلام" (ق ٨أ).

كان كافياً هنا إعادة التفصيل في ذكر قول السلف في قدم كلام الله.

والقول بأن المسموع هو الكلام القديم ظاهر البطلان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((... ثم من هؤلاء(١) من يزعم أن ذلك القديم هو ما يسمع من العباد من الأصوات بالقرآن والتوارة والإنجيل أو بعض ذلك، فكان أظهر فساداً مما قبله، فإنه يعلم بالضرورة حدوث أصوات العباد))(٢).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ((قول من قال: إن الذي يسمع من القارئ هو الصوت القديم، لا يعرف عن السلف، ولا قاله أحمد ولا أئمة أصحابه، وإنما سبب نسبة ذلك لأحمد قوله: "من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي"، فظنوا أنه سوى بين اللفظ والصوت، و لم ينقل عن أحمد في الصوت ما نقل عنه في اللفظ، بل صرح في مواضع بأن الصوت المسموع من القارئ هو صوت القارئ، ويؤيده حديث (زينوا القرآن بأصواتكم)(٣)، والفرق بينهما أن اللفظ يضاف إلى المتكلم به ابتداء، فيقال عمن روى الحديث بلفظه: هذا لفظه، ولمن رواه بغير لفظه: هذا معناه، ولفظه كذا، ولا يقال في شيء من ذلك: هذا صوته ...))(٤).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن كثيراً من المتأخرين الذين يقولون بقدم كلام الله لا يوافقون المتكلمين فيما ذهبوا إليه، ولا يوافقوهم على اللوازم الباطلة المترتبة على هذا القول، قال رحمه الله: ((... والذين قالوا من المتأخرين هو قديم كثير، منهم

---

(١) أي القائلين بقدم كلام الله.

(٢) "مجموع الفتاوى" (١٢/٥١،٥٢).

(٣) رواه البخاري في "خلق أفعال العباد" (ح١٨٦، ح١٨٨، ح١٩١/ ص ٦٨،٦٩)، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب: استحباب الترتيل في القراءة (ح١٤٦٨/٢/٧٤)، والنسائي، كتاب الإفتتاح، باب: تزيين القرآن بالصوت (ح١٠١٥،ح١٠١٦/٢/١٧٩)، وابن ماجه، كتاب الصلاة، باب: في حسن الصوت بالقرآن (ح١٣٤٢/١/٤٢٦)، وغيرهم.

(٤) "فتح الباري" (١٣/٤٩٢،٤٩٣)، وانظر: "براءة الأئمة الأربعة" (ص ٤١٥،٤١٦).

من لم يتصور المراد، بل منهم من يقول هو قديم في علمه، ومنهم من يقول قديم أي متقدم الوجود متقدم على ذات زمان المبعث لا أنه أزلي لم يزل، ومنهم من يقول بل مرادنا بقديم أنه غير مخلوق، وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع))(١).

وفيما يلي دراسة للوازم الباطلة التي ترتبت على قول المتكلمين بقدم كلام الله وبيان موقف الشيخ أبي بكر خوقير منها، وبيان أنه يخالفهم في تلك اللوازم الباطلة في مجملها.

اللوازم المترتبة على القول بقدم كلام الله وموقف الشيخ منها:

تقدم أن القول بقدم كلام الله قول محدث، وأن أول من قال به ابن كلاب، وتبعه على ذلك الأشعرية وغيرهم، لكن ليس كل من قال بقدم كلام الله يشارك الكلابية فيما يعنونه بذلك، بل يختلف مراد القائلين به كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في قوله: ((ومن هؤلاء من يطلق لفظ القديم ولا يتصور معناه، ومنهم من يقول: يعني القديم أنه بدأ من الله وأنه غير مخلوق، وهذا المعنى صحيح، لكن الذين نازعوا هل هو قديم أو ليس بقديم لم يعنوا هذا المعنى ...))(٢).

وقول الكلابية بقدم كلام الله لزم منه عدة لوازم باطلة، وترتبت عليه أمور بينها أهل العلم، وسأتعرض لذكرها فيما يلي مبيناً موقف الشيخ أبي بكر خوقير منها.

أولاً: نفي تعلق كلام الله بمشيئته واختياره.

وهذا اللازم يلزم من يقول بقدم كلام الله، ويلتزم به الأشاعرة والاقترانية، فهم ينفون تعلق الكلام بمشيئة الله، وكلاهما يقول بقدمه(٣).

---

(١) " مجموع الفتاوى" (١٣٢/١٣).

(٢) " مجموع الفتاوى" (٣٢١/١٢)، وانظر: (١٣٢/١٣).

(٣) انظر: "موقف ابن تيمية من الأشاعرة" (ص١٢٥٣، ١٢٧٧-١٢٨٩)، "شرح النونية لابن عيسى" (٢٧٨/١) وما بعدها، و"شرح الطحاوية" (ص ١٧٩، ١٨٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وجميع ما احتج به الكلابية والأشعرية والسالمية وغيرهم على قدم الكلام إنما يدل على أنه لم يزل متكلماً إذا شاء، لا يدل على قدم كلام بلا مشيئة، ولا على قدم كلام معين بل على قدم نوع الكلام))[1].

وقال مبيناً قول الكلابية ومن تبعهم من الأشاعرة، أنهم يقولون عن كلام الله: ((إذا لم يكن مخلوقاً فهو قديم، فإنه إما مخلوق منفصل عن الرب، وإما قديم قائم به، فالقديم صفاته والمخلوق المنفصل مفعولاته، وقالوا: الكلام كالحياة لا يتعلق بمشيئته وقدرته واختياره، فلا يقال: إنه يقدر على الكلام ولا إنه يتكلم بمشيئته واختياره وقدرته، وأنكر هؤلاء وجود أفعال تقوم به شيئاً بعد شيء))[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((... ولهذا كان كل من قال: القرآن قديم، يقولون: تكلم بغير مشيئته وقدرته))[3].

لكن نجد الشيخ أبا بكر خوقير صرح في أكثر من موضع بأن الله يتكلم بمشيئته واختياره، فقال رحمه الله: ((فتقوم به تعالى الأمور الاختيارية من الأفعال كالتكلم بمشيئته واختياره، كيف شاء لأنه يفعل ما شاء، ولم يزل فعالاً متكلماً، ولا يزال فعالاً متكلماً إذا شاء))[4].

فالشيخ لا يوافق القائلين بنفي تعلق كلامه تعالى بمشيئته، بل يؤكد على أن كلامه سبحانه متعلق بمشيئته، وأنه يتكلم متى شاء، وأن الكلام صفة ذات وفعل له سبحانه[5].

---

(١) "مجموع الفتاوى" (٣٠٠/٦)، وانظر: "الصفدية" (٥٥/٢-٥٨).

(٢) "الصفدية" (٥٥/٢).

(٣) "مجموع الفتاوى" (٣٧٩/١٦).

(٤) "تحرير الكلام" (ق ٣أ)، وانظر: "ما لا بد منه" (ص ١٨) وغيرها.

(٥) انظر: "تحرير الكلام" (ق ٣ب).

ثانياً: أن كلام الله هو المعنى دون اللفظ، وأنه معنى واحد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيناً هذا اللازم: ((ثم من هؤلاء من قال: إذا كان قديماً، فالقديم لا يكون معاني متعددة، لأن وجود ما لا يتناهى من المعاني متعدد، وتخصيص قدر دون قدر تحكم.

قالوا: فيكون القديم معنى واحداً، هو النهي والأمر والخبر والاستخبار، والعبارة عن ذلك المعنى بالعربية قرآن وبالعبرية توراة وبالسريانية إنجيل، وهذا أصل قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعري))(١).

فالكلابية والأشاعرة يقولون بأن القرآن كلام الله: حقيقةً في المعنى، مجازاً في اللفظ، والمعتزلة على العكس من قولهم، فهو عندهم: حقيقة في اللفظ، مجاز في المعنى، ومن الأشاعرة المتأخرين كأبي المعالي والجويني من قال: حقيقة في اللفظ والمعنى على سبيل التفرد، والصحيح أن القرآن كلام الله حقيقة، في اللفظ والمعنى مجتمعين(٢).

ونجد الشيخ أبا بكر رحمه الله بين أن القرآن هو اللفظ والمعنى جميعاً، ونقل في ذلك عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: ((وأما جمهور الأئمة(٣) وأهل الحديث والفقه والتصوف، فعلى ما جاءت به الرسل، وما جاء عنهم من الكتب والأثارة من العلم، وهم المتبعون للرسالة اتباعاً محضاً لم يشوبوه بما يخالفه من مقالة الصابئين، وهو أن القرآن كله كلام الله، لا يجعلون بعضه كلام الله وبعضه ليس كلام الله، والقرآن هو الذي يعلم المسلمون أنه القرآن حروفه ومعانيه، والأمر والنهي، هو اللفظ والمعنى جميعاً.

---

(١) "الصفدية" (٢/٥٥) باختصار يسير. وانظر في قول الأشاعرة بأن الكلام هو المعنى: "الإنصاف" (ص١٥٨)، و"الإرشاد" (ص ١٠٨) نقلاً عن: "براءة الأئمة الأربعة" (ص ٣١٠)، وانظر: "موقف ابن تيمية من الأشاعرة" (ص١٢٨٩-١٢٩٥)

(٢) انظر الأقوال في مسمى الكلام: "الإيمان" (ص١٦٢) ط المكتب الإسلامي، "درء التعارض" (٣٢٩/٢، ٢٢٢/١٠)، "مجموع الفتاوى"(٦٧/١٢، ٥٣٣/٦)،"موقف ابن تيمية من الأشاعرة" (ص١٢٥٤، ١٢٥٥).

(٣) (الأمة) في "مجموع الفتاوى" (٣٦/١٢).

ولهذا كان الفقهاء المصنفون في أصول الفقه من جميع الطوائف الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية إذا لم يخرجوا عن مذهب الأئمة والفقهاء، إذا تكلموا في الأمر والنهي ذكروا ذلك، وخالفوا من قال: إن الأمر هو المعنى المجرد ...))(١).

ويترتب على القول بأن كلام الله هو الكلام النفسي الذي هو معنى واحد، ما سيأتي في اللازم الثالث.

ثالثاً: أن الذي بين دفتي المصحف ليس كلام الله حقيقة.

وهذا ما يقول به الكلابية، فما في المصحف حكاية عن كلام الله، والأشاعرة قالوا: عبارة عن كلامه(٢).

والشيخ أبو بكر رحمه الله يخالفهم في ذلك، ويصرح بأن: ((القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه المكتوب في المصاحف المتلو بالألسنة المحفوظ في الصدور المسموع بالآذان على الحقيقة))(٣).

وقال الشيخ أبو بكر خوقير بكفر من أنكر أن ما بين دفتي المصحف كلام الله، وقال بأن الإجماع منعقد على كونه كلامه حقيقة(٤)، كما تقدم.

ونقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قوله: ((ويعلم أهل الأثارة النبوية أهل السنة والحديث وعامة المسلمين الذين هم جماهير أهل القبلة أن قوله تعالى: ﴿ **ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه**﴾(٥) ونحو ذلك، هو من كلام الله لا كلام غيره، وكلام الله

---

(١) "تحرير الكلام" (ق ٦أ)، والنقل في "مجموع الفتاوى" (٣٦/١٢).

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى" (٢٧٢/١٢)، "درء التعارض" (١٠٧/٢)، "شرح ابن عيسى على النونية" (٢٨٦/١)، "موقف ابن تيمية من الأشاعرة" (ص١٢٩٧-١٢٩٩).

(٣) "تحرير الكلام" (ق ٦ب).

(٤) "تحرير الكلام" (ق ٨أ).

(٥) سورة "البقرة"، الآيات (١،٢).

هو ما تكلم به لا ما خلقه في غيره و لم يتكلم هو به))[١].

فتبين بذلك مخالفة الشيخ أبي بكر للكلابية والأشعرية في هذا القول، والذي هو من أشنع الأقوال وأبعدها عن الصواب، فحقيقته: القول بخلق القرآن، وجعله من قول البشر أو من قول جبريل، تعالى الله عما يقولون.

رابعاً : نفي كون كلامه تعالى حروفاً وأصواتاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((ثم من هؤلاء من قال: إذا كان قديماً فالقديم لا يكون حروفاً وأصواتاً، لأنها متعاقبة شيئاً بعد شيء ...))[٢].

ونجد أن الشيخ أبا بكر رحمه الله قد صرح بأن القرآن حروف وأصوات، فقال في كتابه "ما لا بد منه": ((... وأنه بحرف وصوت قديمين بلا كيف، كما جاء ذلك في أحاديث كثيرة تنيف على أربعين حديثاً، وكما جاء ذكر النداء في القرآن في ثمان آيات منسوباً إليه تعالى، وهو في اللغة الحرف والصوت))[٣].

ويظهر أن الشيخ رجع عن القول بأن الحروف والأصوات قديمة، فقد ذكر في كتابه "تحرير الكلام" في النسخة المتأخرة الحروف والأصوات و لم يصفها بالقدم، قال رحمه الله: ((الكلام حقيقة: الأصوات والحروف لغة وعرفاً، وكذا جهة الحقيقة، والصوت هو ما يتحقق سماعه))[٤].

وقال بأن موسى عليه السلام والملائكة وبعض الأنبياء سمعوا كلامه منه سبحانه وتعالى[٥].

---

(١) "تحرير الكلام" (ق ٦أ).

(٢) "الصفدية" (٢/٥٥)، وانظر: "موقف ابن تيمية من الأشاعرة" (ص١٢٩٥-١٢٩٧).

(٣) " ما لا بد منه" (ص ١٨).

(٤) "تحرير الكلام" (ص٥٠،٥١) ت الدكتور عبد الله الدميجي.

(٥) "تحرير الكلام" (ق ٣ب).

فالشيخ يثبت أن كلام الله حروف وأصوات، وجاء عنه وصفها بأنها قديمة، ويظهر رجوعه عن هذا الوصف، ويترتب على القول بأن كلام الله حروف وأصوات قديمة ما يأتي في اللازم الخامس.

خامساً: أن الحروف والأصوات القديمة مقترنة وليست متعاقبة.

وهذا يلزم من يقول بأن كلام الله حروف وأصوات، ويقول بأن كلامه قديم، وهذا مذهب الاقترانية السالمية، وقد وافقوا الكلابية في كون كلامه تعالى قديماً، ووافقوا قول المعتزلة أنه حروف وأصوات، وركبوا قولاً جديداً[1].

والشيخ أبو بكر رحمه الله كان على القول بأن كلام الله حروف وأصوات قديمة، وهو بذلك يوافق قول الاقترانية في بعض مذهبهم، لكنه خالفهم في حقيقة قولهم وما يؤول إليه، ويظهر ذلك من تفصيل القول في بيان مذهبهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((والفريق الثاني[2] وافقوهم على القدم، وعلى أنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته، وأن الكلام المعين صفة لازمة لذاته، وأنه ما ثم إلا قديم لازم له بعينه وإما مخلوق منفصل عنه، وأما ما يتعلق بقدرته ومشيئته ويقوم بذاته فأنكروه، وادعوا كما ادعى أولئك وجود الحوادث بدون سبب حادث، والترجيح بمجرد الإرادة مع تماثل وقت الفعل وغيره وقالوا: القادر يرجح أحد المتماثلين بلا مرجح.

ثم رأوا قول أولئك: أن الكلام العربي ليس بكلام الله ولم يتكلم الله به ولا يتكلم وإنما كلامه مجرد معنى هو حقائق مختلفة، قولاً مخالفاً للمعقول والمنقول، قالوا: فالكلام القديم هو الحروف والأصوات، ومنهم من قال الحروف دون الأصوات، فهي

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (١٢/٣٢٠).

(٢) ذكر أن أهل السنة والجماعة والجمهور اتفقوا على أن كلام الله غير مخلوق، ثم صاروا أربع فرق: الأولى هم الكلابية والأشعرية، والثانية هم الاقترانية، وهنا يفصل قولهم ويقارنه بقول الطائفة الأولى. انظر: "الصفدية" (٢/٥٥-٦٤).

قديمة أزلية بأعيانها، لا نقول بوجود شيء بعد شيء، وأنه ما زال يقول: يا آدم يا نوح يا موسى، من الأزل إلى الأبد، ولا يزال يقول ذلك !

وقال هؤلاء باقتران الحروف بعضها ببعض في الأزل، وأن الباء والسين موجودتان معاً في الأزل، والترتيب بينهما إنما هو ترتيب في ذاهما أو في ظهورهما لا في وجودهما.

وهذا قول طائفة من أهل الكلام والحديث والفقه، حكاه الأشعري في المقالات[١] عن طائفة قالته، وقد وافقهم عليه طائفة من الفقهاء من أصحاب مالك وأحمد والشافعي وغيرهم ...))[٢].

فتبين من هذا النقل مخالفة الشيخ أبي بكر خوقير لهم، فهم ينفون تعلق كلامه تعالى بمشيئته واختياره، والشيخ يثبت ذلك، وهم يقولون بأن كلامه صفة قائمة بذاته، والشيخ يثبت أنها صفة ذات وفعل، وهم ينفون حكمة الله فيما يكون من الحوادث، والشيخ يثبتها [٣]، وهم يقولون لم يزل الله منذ الأزل يقول: يا آدم ... ولا يزال يقول ذلك، والشيخ أبو بكر يقول بأن الله يتكلم متى شاء بما شاء.

وقد قال الشيخ أبو بكر، في النسخة المتأخرة من كتابه "تحرير الكلام"، بأن الكتب المنزلة ليست قديمة، فلم تكن مقولة في زمان واحد في القدم[٤]، وقال بأن الله ((تكلم بما شاء في الوقت الذي سمعه منه جبريل، وبلّغه إلى رسول ذلك الزمان))[٥]، فالشيخ يثبت أن كلام الله يقع شيئاً بعد شيء.

---

(١) انظر "مقالات الإسلاميين" (ص ٥٨٦).

(٢) "الصفدية" (٥٨،٥٧/٢)، وانظر: "مجموع الفتاوى" (٣١٩/١٢ - ٣٢٢).

(٣) كما سيأتي في ما يتعلق بالحكمة.

(٤) انظر: "تحرير الكلام" ت الدكتور عبد الله الدميجي (ص٣٣).

(٥) "تحرير الكلام" ت الدكتور عبد الله الدميجي (ص٣٤).

فأهل السنة والجماعة يثبتون أن كلام الله يقع متعاقباً كلماته وحروفه، ويلاحظ أن الشيخ أبا بكر تعرض لذكر مسألة تعاقب الكلمات والحروف، ولكنه أورد المسألة باعتبارها شبهة من شبه المتكلمين(١)، وأن أهل السنة دفعوها لكون التعاقب لازماً في حق من يتكلم بمخارج وأدوات! ثم أورد الشيخ أبو بكر كلام ابن القيم بإثبات التعاقب، ثم عقب على ذلك بقوله بأن الكيف مجهول(٢).

وما أورده الشيخ أبو بكر عن ابن القيم فيه الكفاية والهداية، حيث قال ابن القيم رحمه الله:

وتعاقب الكلمات أمر ثابت ... للذات مثل تعاقب الأزمان

والله رب العرش قال حقيقة ... حم مع طه بغير قران

بل أحرف مترتبات مثل ما ... قد رتبت في مسمع الإنسان(٣)

---

(١) يستدل بعض المتكلمين بمسألة تعاقب الكلمات والحروف على نفي أن يكون كلام الله حروفاً وأصواتاً. انظر: "الإنصاف" للباقلاني (ص٩٩)، نقلاً عن "رسالة السجزي في الرد على من أنكر الحرف والصوت" تحقيق محمد باكريم باعبد الله. ط١. (١٤١٣هـ). (ص١٦٨) حاشية (١).

(٢) انظر: "تحرير الكلام" ت الدكتور عبد الله الدميجي (ص٥٤، ٥٥). وقد أحسن الشيخ أبو بكر في هذه النسخة المتأخرة بحذفه كلام الحافظ أبي نصر السجزي (ت ٤٤٤هـ) حيث قال: ((إنما يستعين التعاقب فيمن يتكلم بأداة، يعجز عن أداء شيء إلا بعد فراغ من غيره، وأما المتكلم بلا جارحة، فلا يتعين في كلامه التعاقب، وقد اتفق العلماء على أنه سبحانه يتولى الحساب بين خلقه يوم القيامة في حالة واحدة، وعند كل واحد منهم أن المخاطب في الحال هو وحده، وهذا خلاف المتعاقب!)) "تحرير الكلام" (ق ٨ب). وعبارة السجزي في كتابه "رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت" (ص١٦٨): ((دخول التعاقب إنما يتعين فيما يتكلم بأداة، والأداة تعجز عن أداء شيء إلا بعد الفراغ من غيره ...)) ويظهر أن الشيخ أبا بكر نقل العبارة من "العين والأثر" (ص٨٩، ٩٠) أو من "لوامع الأنوار البهية" (ص١٤٠). وانظر ترجمة السجزي في "سير أعلام النبلاء" (٦٥٤/١٧) وما بعدها، "البداية والنهاية" (١١٧/١٢).

(٣) "شرح ابن عيسى على النونية" (٣٠٢/١).

ولا شك أن القول باقتران الحروف في الأزل وعدم تعاقبها ظاهر البطلان، وقد قال في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((فأنكر الجمهور هذا القول وقالوا: هذا مخالف لصريح المعقول والمنقول، فإن الله تعالى يقول: ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**﴾[١]، و"إن" تخلص الفعل المضارع للاستقبال، ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**﴾[٢]، أي: واذكر إذ قال ربك للملائكة، والمؤقت بظرف معين لا يكون قديماً أزلياً، وقال تعالى: ﴿**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**﴾[٣]، وقال تعالى:﴿**فلما أتاها نودي يا موسى**﴾[٤]، ومثل هذا في القرآن كثير.

قالوا: والصوت كالحركة توجد شيئاً بعد شيء، فيستحيل اقتران أوله بآخره ووجوده كله في وقت واحد، وإنما يوجد متعاقباً ...))[٥].

وفي ختام هذا المبحث يظهر أن الشيخ أبا بكر قد رجع عن قوله بقدم كلام الله، وما بقي في كلامه مما يحتاج إلى تحرير فإنه لا يوافق فيه المتكلمين في لوازم قولهم الباطلة، فالشيخ يقرر قول السلف ويوافقهم عليه.

---

(١) سورة "يس"، آية رقم: (٨٢).

(٢) سورة "البقرة"، آية رقم: (٣٠).

(٣) سورة "آل عمران"، آية رقم: (٥٩).

(٤) سورة "طه"، آية رقم: (١١).

(٥) "الصفدية" (٥٨/٢).

المطلب الخامس: بعض الصفات الإلهية التي تناولها الشيخ:

تناول الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله تقرير بعض الصفات الإلهية ضمن كلامه على توحيد الأسماء والصفات، وهذه الصفات هي: العلـو، والاسـتواء، والمعيـة، والحكمة، ويلاحظ أن المتكلمين خالفوا أهل السنة في إثبات هذه الصفات، وقد قرر الشيخ أبو بكر كلام السلف في إثباتها، كما سيأتي بيانه.

صفة العلو:

لله سبحانه العلو المطلق على مخلوقاته، علو الذات والقدر والقهر، وهذا أمـر فطر الله عباده عليه، وقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة على إثباته، وأجمع عليـه السلف، كما أن الدليل العقلي والفطري يشهدان به[1].

((وكلام السلف في إثبات صفة العلو كثير جداً، فمنه ما روى شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه"الفاروق" بسنده إلى أبي مطيع البلخي، أنه سأل أبـا حنيفة عمن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟ فقال: قـد كفـر! لأن الله يقول: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[2] وعرشه فوق سبع سموات ...))[3].

ومع ذلك فقد نازع المتكلمون في ذلك، وأنكروا علو الله بذاته واستواءه على عرشه، وردوا الأدلة المستفيضة على إثباته وأولوها.

وقد قرر الشيخ أبو بكر خوقير قول السلف في إثبات علو الله، فقال رحمـه الله: ((قد فطر الله القلوب على طلبه من جهة العلو، فلم يقل قائل: يا الله، إلا وجد من قلبـه

---

(١) انظر: "شرح الطحاوية" (ص٣١٣) وما بعدها، و"شرح ابن عيسى على النونية" (٣٩٦/١) وما بعدها.

(٢) سورة "طه"، آية رقم: (٥).

(٣) "شرح الطحاوية" (ص ٣٢٢)، وأورد شيخ الإسلام كلام أبي حنيفة، "بمجموع الفتـاوى" (١٨٣/٥)، وانظر في أقوال السلف في العلو: "اجتماع الجيوش الإسلامية" لابن القيم.

ضرورة بطلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، ولا يمكن إزالة تلك الضرورة عنه))[١].

فأشار بذلك إلى الدليل الفطري الذي فطر الله قلوب العباد عليه، كما جاء عن أبي جعفر الهمداني أنه حضر مجلس أبي المعالي الجويني وهو يتكلم في نفي صفة العلو، ويقول: كان الله ولا عرش، وهو الآن على ما كان، فقال الهمداني: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فإنه ما قال عارف قط: يا الله، إلا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا ؟ فلطم أبو المعالي على رأسه، وقال: حيرني الهمداني حيرني الهمداني[٢].

وقد ذكر الشيخ أبو بكر من صفات الله الفعلية: النزول[٣]، وهذا مما استدل به أهل السنة على إثبات علو الله، وقد أجمع المتكلمون قاطبة على رد حديث النزول وعلى عدم التسليم به، مع أنه حديث متواتر، صح عن أكثر من ثلاثين صحابياً[٤].

ومن شبهات المتكلمين في نفي العلو أنهم يقولون: يلزم من إثبات علو الله أن يكون في جهة، والجهات كلها مخلوقة، وقد كان الله قبل الجهات، فمن قال إنه في جهة فقد قال بقدم شيء من العالم ... إلى غير ذلك من تلبيسهم[٥].

قال الشيخ أبو بكر مبيناً ذلك: ((هل يلزم من إثبات بعض الصفات بعض

---

(١) "ما لا بد منه" (ص ١٧).

(٢) هذه القصة أسندها الحافظ الذهبي في كتاب العلو. قال الألباني: إسناد هذه القصة صحيح مسلسل بالحفاظ. "مختصر العلو" (ص ٢٧٦)، و"السير" (١٨/٤٧٤-٤٧٥)، وانظر: "مجموع الفتاوى" (٣/٢٢٠، ٤/٤٤،٦١) و"الاستقامة" (١/١٦٧).

(٣) انظر: "ما لا بد منه" (ص ١٣).

(٤) انظر: "شرح الطحاوية" (ص ٣١٩)، و"شرح ابن عيسى على النونية" (١/٤١٢) وما بعدها.

(٥) انظر: "شرح الطحاوية" (ص ٢٤٢). والمتكلمون يقولون بأن الجهة أمر وجودي فهي عندهم: اسم لمنتهى مأخذ الإشارة، وبناءً على ذلك يقولون: ليس في جهة من ليس في مكان، فمن كان في مكان فهو في جهة. فهم لا يقولون بأن الجهة أمر عدمي، ونحن نبين لهم أن الجهة لها معنى هم لا يقولون به. "مشافهة من فضيلة الشيخ د. محمد عمر مناقش الرسالة، بتاريخ ١٤٢٥/٨/٢٥هـ".

اللوازم الفاسدة، كما يلزم من إثبات صفة الاستواء كونه تعالى بجهة العلو؛ لأن العرش فوق سبع سموات، والجهة والمكان من صفات المخلوقين التي يتره الله عنها ؟)).

قال: ((لا يلزم شيء من الإثبات مع التتريه، ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، ومن فهم من صفات الرب الذي ليس كمثله شيء ما يناسب صفات المخلوق فقد غوى، وما فوق العرش خارج عن العالم، لا يوصف بمكان ولا جهة إلا بالنسبة إلينا، فهو تعالى فوق الكون باعتبار الكون لا باعتبار وحدانيته، إذ لا فوق فيها ولا تحت ...)) (١).

فالشيخ يبين أن إثبات صفات الله مع التتريه لا يلزم منه مشابهة المخلوقين، ولا يلزم من إثبات علو الله ما يلزم من علو المخلوق، وبين رحمه الله أنه إذا أريد بالجهة أمر اعتباري معدوم، فيصح أن يوصف الله أنه في جهة العلو على هذا الوجه.

قال شارح الطحاوية رحمه الله: ((وأما لفظ الجهة، فقد يراد به ما هو موجود، وقد يراد به ما هو معدوم، ومن المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق والمخلوق.

فإذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله تعالى كان مخلوقاً، والله تعالى لا يحصره شيء ولا يحيط به شيء من المخلوقات، تعالى الله عن ذلك.

وإن أريد بالجهة أمر عدمي، وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده. فإذا قيل: إنه في جهة بهذا الاعتبار، فهو صحيح، ومعناه: أنه فوق العالم، حيث انتهت المخلوقات، فهو فوق الجميع، عال عليه))(٢).

صفة الاستواء:

استواء الله على عرشه من صفاته التي جاءت نصوص الكتاب والسنة بإثباتها،

---

(١) "ما لا بد منه" (ص ١٧).

(٢) "شرح الطحاوية" (ص ٢٤٢)، وانظر: "مجموع الفتاوى" (٥/٢٦٤-٢٦٦، ٢٩٩).

وهذا أحد أدلة إثبات علو ذات الله على خلقه، وقد أجمع أهل السنة على أن الله مستوي على عرشه، ومن ذلك ما نقل الذهبي عن إسحاق بن راهويه أنه قال: ((قال الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى، ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة))[١].

قال الشيخ أبو بكر رحمه الله: ((ما بال السلف يطيلون الكلام في بعض الصفات، كالاستواء ؟)).

قال: ((لكثرة ما جاء فيه من الكتاب والسنة، فقد ذكر في سبعة مواضع من القرآن[٢]، وأفتى فيه السلف جميعهم بقولهم[٣]: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول"[٤] فكان كالقاعدة في باب الصفات.

وقال الإمام أحمد: "استوى كما أخبر، لا كما يخطر للبشر"[٥]))[٦].

وقد بين الشيخ أبو بكر أن الاستواء من الصفات الفعلية التي يجب إثباتها لله[٧].

---

(١) "العلو" للذهبي، مكتبة أضواء السلف. الرياض. ط١. (١٩٩٥م). (١/١٧٩/رقم ٤٨٧)، وانظر في أقوال السلف وإجماعهم، "شرح ابن عيسى على النونية" (١/٤٣٩) وما بعدها.

(٢) لعل سبب إكثار السلف الكلام في مسألة العلو هو كثرة المخالفين في إثبات هذه الصفة صراحة، وإلا فهناك صفات ذكرت في القرآن عشرات المرات و لم يطل السلف الوقوف عندها لعدم وجود المخالف.

(٣) هذا قول السلف جميعاً، لكنه لم يؤثر عن كل واحد منهم بهذا اللفظ.

(٤) ثبت هذا القول عن الإمام مالك، انظر: "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (ح٦٦٤/٣/٣٩٨)، و"الاعتقاد" للبيهقي (ص١١٦)، و"التمهيد" (٧/١٣٨، ١٥١)، و"مجموع الفتاوى" (٦/٣٩٨)، و"فتح الباري" (١٣/٤٠٦،٤٠٧). وقد قال الذهبي بعدما ساق كلام الإمام مالك: ((وهذا قول أهل السنة قاطبة ...))، "العلو" (رقم ٣٧٧/ص١٣٨،١٣٩).

(٥) ممن ذكر هذا القول عن الإمام أحمد: الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي (المتوفى سنة ١٠٣٣هـ) في كتابه "أقاويل الثقات". مؤسسة الرسالة. بيروت. ط١. (١٤٠٦هـ). (ص ١٢١).

(٦) "ما لا بد منه" (ص ١٦).

(٧) "ما لا بد منه" (ص ١٣).

صفة المعية:

جاءت المعية في نصوص الكتاب والسنة، وهذه المعية لا تنافي علو الله واستوائه على عرشه، لأن "مع" لمطلق المقارنة والمصاحبة، وتختلف باختلاف السياق، فتأتي بمعنى معية السمع والرؤية، وتأتي بمعنى معية العلم، كما تأتي بمعنى النصرة والتأييد(١).

وقد تقدم نقل الإجماع على أن الله مستوي على عرشه، وأنه مع خلقه بعلمه.

قال الشيخ أبو بكر رحمه الله في المعية: ((اتفق الأئمة من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وسائر أئمة الدين على أن قوله تعالى: ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾(٢) ليس معناه أنه مختلط بالمخلوقات وحال فيها، ولا أنه بذاته في كل مكان، بل هو سبحانه مع كل شئ بعلمه وقدرته، ونحو ذلك، وهو مستو على عرشه بائن من خلقه، على أن معيته على نوعين: خاصة وعامة، فالخاصة بالنصر والرحمة وما أشبه ذلك))(٣).

صفة الحكمة:

الحكمة ناشئة عن القدرة والعلم بمبادئ الأمور وعواقبها، والله موصوف بكمال الحكمة وكمال القدرة والعلم.

ومن أسمائه سبحانه: الحكيم، ومن صفاته: الحكمة البالغة(٤)، كما أن العقل يثبت لله الحكمة وينفي عنه ضدها.

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (٥/١٠٣-١٠٦، ٤٩٥-٤٩٨)، (١١/٢٤٨).

(٢) سورة "الحديد"، آية رقم: (٤).

(٣) " ما لا بد منه" (ص ١٨). ومن أمثلة المعية الخاصة ما جاء في قوله تعالى: ﴿**قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى**﴾ سورة "طه"، آية رقم: (٤٦)، ومن أمثلة المعية العامة ما جاء في قوله تعالى: ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم**﴾ سورة "المجادلة"، آية رقم: (٧).

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿**حكمة بالغة**﴾، سورة "القمر"، آية رقم (٥).

فأهل السنة يقولون: كل ما خلقه الله أو أمر به فله فيه حكمة تتضمن شيئين: أحدهما: حكمة تعود إليه سبحانه يحبها ويرضاها، والثاني: حكمة تعود إلى عباده، يفرحون بها ويتلذذون بها، فهو سبحانه لا يفعل شيئاً عبثاً ولا لعدم معنى.

وقد خالفت في مسألة الحكمة طوائف، فالجهمية أنكرت الحكمة والتعليل، وتبعهم في ذلك الأشاعرة وغيرهم، أما المعتزلة فقالوا: خلق الله المخلوقات وأمر المأمورات لحكمة، لكنها مخلوقة منفصلة عنه(١).

والشيخ أبو بكر خوقير على مذهب السلف في إثباتهم الحكمة، قال رحمه الله : ((... ولا يفعل سبحانه شيئاً عبثاً، ولا لاحتياجه إليه، بل هو الحكيم الذي يضع كل شيء في محله، ويفعل ما يشاء باختياره وحكمته ...))(٢).

وقال رحمه الله: ((نعتقد أن أفعاله لا تخلو من الحكمة، وأن حكمته في فعله خاصة به لا تشبه ما للمخلوقين من الحكمة، كما لا مشابهة له في ذاته وصفاته...))(٣).

وذكر رحمه الله من النقائص والعيوب التي يتره الله عنها: ((العبث الذي تنفيه حكمته))(٤).

كما بين رحمه الله أنه لا يصح الخوض في حكمة أفعال الله(٥)، فإن الله لا يسأل عما يفعل، وقد يظهر للعباد بعض جوانب حكمة الله، وقد يخفى عليهم ذلك، لقصور علمهم.

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (١٩/٣، ٤٦٦/٨-٤٦٨، ١٣٠/١٦-١٣٣، ٢٩٦-٢٩٨، ٩٥/١٧، ٩٩-١٠٠)، و"مفتاح دار السعادة" (٢٢٧/١، ٢٨٣، ٣٦٣/٢، ٤٠٩-٤١١).

(٢) "ما لا بد منه" (ص ١٩).

(٣) " ما لا بد منه" (ص ٢٠).

(٤) " ما لا بد منه" (ص ٥).

(٥) انظر: "ما لا بد منه" (ص ٢٠).

الفصل الثالث

الإيمان ببقية أركان الإيمان

وفيه ستة مباحث، وتحتها مطالب:

المبحث الأول: الإيمان بالملائكة.

المبحث الثاني: الإيمان بالكتب.

المبحث الثالث: الإيمان بالرسل.

المبحث الرابع: الإيمان بنبوة محمد ﷺ .

المبحث الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

المبحث السادس: الإيمان بالقدر.

المبحث الأول: الإيمان بالملائكة.

المطلب الأول: معنى الإيمان بالملائكة.

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان الوارد ذكرها في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، كقوله تعالى: ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته ...**﴾(١) ومن الأحاديث حديث سؤال جبريل عن الإيمان السابق ذكره.

وقد تناول الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله تقرير الإيمان بالملائكة من خلال عدة مسائل، مقرراً قول السلف في ذلك، بما يتضمن الرد على منكري الملائكة من الفلاسفة وغيرهم من القائلين بأن الملائكة قوى عقلية لا وجود لها حقيقة، وسيأتي بيان ذلك في هذا المطلب وما يليه.

قال الشيخ أبو بكر رحمه الله في معنى الإيمان بالملائكة: ((اعتقاد وجودهم، وأنهم عباد مكرمون، منزهون عن الصفات البشرية، معصومون من المعاصي، مخلوقون من النور، كما في الصحيح(٢)، ولا يحصي عددهم إلا الله))(٣).

وقال في مسألة الإيمان بهم إجمالاً وتفصيلاً: ((يكفي الإيمان بهم إجمالاً من غير تفصيل، إلا من ورد تعيينه باسمه المخصوص، كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل(٤)، ومنكر ونكير، ورضوان، ومالك، ورقيب وعتيد(٥)، فيجب الإيمان بهم تفصيلاً، وكذا من

---

(١) سورة "البقرة"، آية رقم: (٢٨٥).

(٢) في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: (خُلقت الملائكة من نور ..)، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة (ح٢٩٩٦/٤/٢٢٩٤).

(٣) "ما لا بد منه" (ص ٢٦).

(٤) ما اشتهر من تسمية ملك الموت بعزرائيل لم يرد في حديث مرفوع، وإنما جاء عن وهب بن منبه عند أبي الشيخ في "العظمة" (ح٣٩٤/٣/٨٤٨، ح٤٤٣/٣/٩٠٩)، وانظر كلام ابن حجر في "الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع" (ص ١٠٨)، وانظر "شرح السيوطي لسنن النسائي" (١١٨/٤).

(٥) جاءت تسمية الملكين بذلك عن مجاهد، انظر: "الصمت" لابن أبي الدنيا (رقم٨١/ص٨٣)، وانظر: "عمدة القاري" (١٨٥/١٩).

ورد تعيين نوعه المخصوص، كحملة العرش، والحفظة، والكتبة، فهم علويون مقربون، وآخرون موكلون على كتابة الأعمال وحفظِ العبد عن المهالك والدعوة إلى الخير، ويلمون للعبد[١] بالخير كما تلم الشياطين بالشر، لكل واحد منهم مقام معلوم))[٢].

والإيمان بالملائكة من الغيب، وقد استهل الله صفات المؤمنين المذكورة في أول سورة البقرة بقوله ﴿**يؤمنون بالغيب**﴾[٣]، وقد يحتاج بعض الناس إلى توضيح معنى الإيمان بالملائكة وتقريبه، ويمكن ذلك من خلال ما ذكره الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله حيث قال: ((الملائكة عالم لا يرى، فهل يوجد له نظير في هذا العالم ؟)).

قال: ((لله عوالم كثرة لا ترى، فمنها: أجسام تطير بالجو لا ترى إلا بالنظارة، ومنها: عالم الجن وهم جنس مكلفون، يثاب مسلمهم ويعذب كافرهم، كما قال تعالى: ﴿**لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**﴾[٤]، ومنهم الشياطين يوسوسون للآدميين ويقصدون استزلالهم ويترصدون لهم، وإن الله يسلطهم على من يشاء، ويعصم من كيدهم ومكرهم من يشاء، وما يعلم جنود ربك إلا هو.

فله سبحانه وتعالى عوالم غيبية كالملائكة في عدم رؤيتها لكونها أجساماً لطيفة، وربما ظهر بعض الملائكة للرسول في صورة دحية الكلبي[٥]، وكما قال تعالى:

---

(١) إشارة إلى ما ورد في الحديث (... وللملك لمة بابن آدم)، أخرجه الترمذي، كتاب التفسير، باب: ومن سورة البقرة (ح ٢٩٨٨/٥/٢١٩)، وابن حبان (ح٩٩٧/٣/٣٧٩)، والنسائي في السنن الكبرى (ح١١٠٥١/٦/٣٠٥)، وقال الألباني: ضعيف، "ضعيف الجامع" (ح١٩٦٣).

واللمة: الهمة والخطرة تقع في القلب. انظر: "النهاية في غريب الحديث" (٢٧٣/٤).

(٢) انظر: "ما لا بد منه" (ص ٢٦،٢٧).

(٣) سورة "البقرة"، آية رقم: (٣).

(٤) سورة "السجدة"، آية رقم: (١٣).

(٥) جاء ذلك عند البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (ح٣٤٣٥/٣/١٣٣٠)، وعند مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل فاطمة (ح٢٤٥١/٤/١٩٠٦).

﴿فتمثل لها بشراً سوياً﴾[١]))[٢].

المطلب الثاني: المفاضلة بين صالحي البشر والملائكة:

مسألة المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر مما اختلف فيه، وبحثها بعض أهل العلم وناقشوا أدلة كل قول، وهي مع ذلك مما لا يترتب عليه كبير فائـدة، إلا مـا يكون من الرد على من ينتقص الملائكة ويجعلهم من جملة الخدم لبعض الأنبياء[٣].

وقد بين الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله أن أهل السنة يقولون بتفضيل صالحي البشر على الملائكة، فقال رحمه الله: ((مذهب أهل السنة أن صالح البشر أفضل مـن الملائكة، وقال بعضهم: النوع الإنساني أفضل منهم لخروجه عن جبلته تبعاً للتكاليف ...))[٤]، وهذا ما ذكره شارح الطحاوية رحمه الله من مذهب أهل السنة [٥].

وقد فصل شيخ الإسلام ابن تيمية في المسألة فقال بأن الملائكة أفضل في الحال، وصالحي البشر أفضل في المآل، وهذا القول هو نتيجة الجمع بـين الأدلـة المتعلقـة بالمسألة[٦].

وقد بين الشيخ أبو بكر خوقير أن الخلاف في هذه المسألة لا يترتب عليه كبير فائدة، فقال رحمه الله: ((وقال بعضهم: ليس في التفضيل كبير فائدة، لاختلاف نسبة الفضيلة في الجهة))[٧].

---

(١) سورة "مريم"، آية رقم: (١٧).

(٢) "ما لا بد منه" (ص ٢٧).

(٣) انظر: "شرح الطحاوية" (ص ٣٣٨).

(٤) "ما لا بد منه" (ص ٢٧، ٢٨).

(٥) انظر: "شرح الطحاوية" (ص ٣٣٧).

(٦) انظر: "مجموع الفتاوى" (٤/٣٤٣-٣٩٢)، (١٠/٣٠٠).

(٧) "ما لا بد منه" (ص ٢٧، ٢٨).

وهذا ما نبه إليه شارح الطحاوية رحمه الله بقوله: ((فإن الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبيين، وليس علينا أن نعتقد أي الفريقين أفضل، فإن هذا لو كان من الواجب لبين لنا نصاً، وقد قال تعالى: ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾[١]، ﴿**وما كان ربك نسياً**﴾ [٢]... وحاصل الكلام: أن هذه المسألة من فضول المسائل، ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول ...))[٣].

(١) سورة "المائدة"، آية رقم: (٣).

(٢) سورة "مريم"، آية رقم: (٦٤).

(٣) "شرح الطحاوية" (ص ٣٣٨-٣٤٨).

المبحث الثاني: الإيمان بالكتب.

الإيمان بالكتب أحد أركان الإيمان، وقد قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل**﴾[١]، فقد أمر سبحانه بالإيمان بالقرآن وبالكتب السابقة له، كما قال تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ...**﴾[٢].

وقد قرر الشيخ أبو بكر خوقير وجوب الإيمان بالكتب، وأنه أحد أركان الإيمان، فقال مبيناً معنى الإيمان بالكتب: ((الاعتراف بأن لله كتباً أنزلها على رسله، وهي من كلامه حقيقة، وهي كثيرة اختلفت الروايات في عددها، فيكفي الإيمان بها إجمالاً، إلا الكتب الأربعة: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.

فيجب الإيمان بها وبنزول كل واحد منها من الله، لا اعتقاد أنها موجودة كما أنزلت، إلا القرآن؛ فإنه المخصوص بمزية حفظه من التبديل والتحريف لقوله تعالى: ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**﴾[٣] وقوله: ﴿**وإنا له لحافظون**﴾[٤]، وقد أيده الواقع، كما خص بالإعجاز من وجوه شتى))[٥].

وقال رحمه الله في حكم النظر في تلك الكتب السابقة للقرآن: ((لا يجوز؛ لأنه صلى الله عليه وسلم غضب حينما رأى مع عمر صحيفة من التوراة[٦] ... أما من

---

(١) سورة "النساء"، آية رقم: (١٣٦).

(٢) سورة "المائدة"، آية رقم: (٤٨).

(٣) سورة "فصلت"، آية رقم: (٤٢).

(٤) سورة "الحجر"، آية رقم: (٩).

(٥) "ما لا بد منه" (ص ٢٨)، وانظر: "شرح الطحاوية" (ص ٣٥٠).

(٦) جاء ذلك في حديث عند أحمد (ح١٥٩٠٣/٣/٤٧٠)، والدارمي (ح٤٣٥/١/١٢٦)، وفي مصنف عبد الرزاق (ح١٩٢١٣/١٠/٣١٣)، (ح١٠١٦٤/٦/١١٣)، وحسنه الألباني في "الإرواء" (ح ١٥٨٩).

أراد الدخول في رد الشبهات فيجوز له النظر فيها للضرورة، إذا كان أهلاً لذلك))[١].

ومما يتعلق بالإيمان بالكتب مسائل صفة الكلام، وقد تقدم بحثها ضمن مسائل الصفات.

(١) "ما لا بد منه" (ص ٢٨).

المبحث الثالث: الإيمان بالرسل.

الإيمان بالرسل أحد أركان الإيمان، كما جاء في الآيات والأحاديث، ومنها حديث سؤال جبريل عن الإيمان، ولا يخفى أن إرسال الله رسله للناس من أعظم نعمه عليهم وأجلها، وخصوصاً نبيه محمد ﷺ ، قال تعالى: ﴿**لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾[٢].

والنبوة من النعم العظيمة التي يعلم بالعقل ثبوتها كما يعلم بالشرع، ومع ذلك فقد أنكرها الفلاسفة[٣]، وخالفوا بذلك أصلاً من أصول الإيمان.

وقد قرر الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله الإيمان بالرسل وفق منهج السلف، وتناول عدة مسائل في هذا الباب، يأتي بيانها في المطالب التالية.

---

(١) سورة "آل عمران"، آية رقم: (١٦٤).

(٢) سورة "الأنبياء"، آية رقم: (١٠٧)، وانظر "شرح الطحاوية" (ص ١٦٧،١٦٨).

(٣) انظر: "مجموع الفتاوى" (٨٦/٢)، (٤٩٨/١٦)، (٣٣٠/١٧).

المطلب الأول: معنى الإيمان بالرسل، والحكمة من إرسالهم:

قال الشيخ أبو بكر خوقير مبيناً معنى الإيمان بالرسل والحكمة من إرسالهم: ((اعتقاد أن لله رسلاً أرسلهم لإرشاد الخلق في معاشهم ومعادهم، اقتضت حكمة الحكيم العادل أن لا يهمل أشرف مخلوقاته بدون شريعة يتم بها نظام أمورهم ديناً ودنياً، فبعث إليهم الرسل بالقانون المقدس المبني على العدل والإنصاف وبيان ما يحتاجونه، إلى آخر ما اقتضت الحكمة بيانه، كما عمت عنايته جميع خلقه من أنواع الحيوانات، أعطاها ما يليق بها، وهداها إلى ما فيه بقاؤها وقوامها ...))[1].

وبين الشيخ أبو بكر أن من حكمة إرسال الرسل: إقامة الحجة على الناس، فقال رحمه الله: ((وقد أشار في القرآن إلى الحكمة المذكورة بقوله: ﴿**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾[2]))[3]، وقد بين سبحانه أنه لا يعذب أحداً من الخلق إلا بعد إقامة الحجة وإرسال الرسل، فقال تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿**كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ...**﴾[5].

---

(١) "ما لا بد منه" (ص ٢٨، ٢٩).

(٢) سورة "النساء"، آية رقم: (١٦٥).

(٣) "ما لا بد منه" (ص ٢٨، ٢٩).

(٤) سورة" الإسراء"، آية رقم: (١٥).

(٥) سورة "الملك"، الآيتان رقم: (٨، ٩). وانظر: "مجموع الفتاوى" (٢/٣)، (٨/٣٩٩)، (١١/١٨٦).

المطلب الثاني: الإيمان بالرسل إجمالاً وتفصيلاً، وأولو العزم من الرسل:

قال الشيخ أبو بكر خوقير في الإيمان بالرسل: ((يكفي الإيمان بأن لله رسلاً، هكذا بالإجمال، ولا يجب حفظ أسماء من جاء النص بذكرهم، ولكن إنكار نبوة أو رسالة واحد منهم كفر[١]))[٢].

وقال الشيخ في مسألة عدد الأنبياء: ((لا يُعلم عدد الأنبياء بيقين))[٣]، وقد جاء في حديث أن عددهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، ولكنه لا يحتج به[٤].

وقال الشيخ أبو بكرخوقير: ((أما عدد الرسل المذكورين في القرآن: فخمسة وعشرون، وهم: آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، أيوب، شعيب، موسى، هارون، ذو الكفل، داود، زكريا، سليمان،

---

(١) كما قال تعالى: ﴿ **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً . أولائك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً**﴾ سورة "النساء"، الآيتان: (١٥٠، ١٥١)، وانظر: "مجموع الفتاوى" (٩٣/٣، ٩٤)، و"شرح الطحاوية" (ص ٤١٦).

(٢) "ما لا بد منه" (ص ٣٠، ٣١).

(٣) "ما لا بد منه" (ص ٣٠، ٣١).

(٤) أخرجه ابن حبان (ح٣٦١/٢/٧٧) والحاكم في المستدرك (ح ٤١٦٦/٢/٦٥٢) والبيهقي في سننه (ح١٧٤٨٩/٩/٤)، من طريق يحيى بن سعيد السعدي أو السعيدي، قال البيهقي: تفرد به يحيى بن سعيد السعيدي، وقال ابن عدي: يعرف بهذا الحديث وهو منكر من هذا الطريق، وقال العقيلي: لا يتابع عليه، وقال ابن حبان: يروي المقلوبات والملزوقات، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد. انظر: لسان الميزان (رقم ٩٠٦/٦/٢٥٧).

وأخرجه أحمد من طريق آخر (ح٢٢٣٤٢/٥/٢٦٥)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف جداً. ومن هذا الطريق أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (ح٧٨٧١/٨/٢١٧).

إلياس، اليسع، يونس، يحيى، عيسى، محمد، عليهم الصلاة والسلام))[١].

وقال في أولي العزم منهم: ((خمسة: محمد، إبراهيم، موسى، عيسى، نوح، صلى الله عليهم وسلم))[٢].

قال شارح الطحاوية: ((وأما أولو العزم من الرسل، فقد قيل فيهم أقوال أحسنها: ما نقله البغوي وغيره عن ابن عباس وقتادة: أنهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم. قال: وهم المذكورون في قوله تعالى: **﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم﴾**[٣] وفي قوله تعالى: **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾**[٤]))[٥].

---

(١) "ما لا بد منه" (ص ٣٠، ٣١).

(٢) "ما لا بد منه" (ص ٣١).

(٣) سورة "الأحزاب"، آية رقم: (٧).

(٤) سورة "الشورى"، آية رقم: (١٣).

(٥) "شرح الطحاوية" (ص ٣٤٩)، وانظر "معالم التنزيل" (٧/٢٧٢).

المطلب الثالث: الفرق بين النبي والرسول:

هذه المسألة مما اختلف فيه أهل الغلم، فمنهم من لا يرى فرقاً بين النبي والرسول، ومنهم من يفرق، واختلفوا في الفرق بين النبي والرسول على أقوال[١].

قال الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله في الفرق بين النبي والرسول: ((النبي إنسان أوحي إليه بشرع ليعمل به في خاصة نفسه[٢] ولم يؤمر بتبليغه، إلا كونه نبياً ليحترم، والرسول إنسان أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، فكل رسول نبي، ولا عكس))[٣]، وهذا القول هو الذي استحسنه شارح الطحاوية[٤].

ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بين أن النبي يوصف بالإرسال المقيد، كما في قوله تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ...**﴾[٥]، وذهب رحمه الله إلى القول بأن النبي ((هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه، فهو رسول، وأما إذا كان يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالته، فهو نبي وليس برسول ...))[٦].

---

(١) انظر: " أعلام النبوة" لأبي الحسن الماوردي (ت ٤٢٩هـ)، دار الكتاب العربي. بيروت. ط١. (ص٧٠)، فصل: في الفرق بين الأنبياء والرسل.

(٢) قوله "في خاصة نفسه" محل نظر، إذ يفهم منه عدم الدعوة إلى شرع الله، وهذا من واجبات أتباع الرسل فضلاً عن الأنبياء. قال تعالى: ﴿**قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني**﴾ سورة "يوسف" آية رقم: (١٠٨).

(٣) "ما لا بد منه" (ص ٣٠).

(٤) "شرح الطحاوية" (ص١٦٧)، وينسبه بعض أهل العلم إلى الجمهور.

(٥) سورة "الحج"، آية رقم: (٥٢)، انظر: "مجموع الفتاوى" (٧/١٨).

(٦) "النبوات" (ص ١٨٤).

المطلب الرابع: عصمة الأنبياء.

الأنبياء والرسل هم صفوة الله من خلقه وأفضلهم وأكملهم، وهم قدوة البشر، وهم الهداة الذين أمر الله بالاقتداء بهم، كما قال تعالى: ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**﴾[١].

وقال الشيخ أبو بكر خوقير مبيناً منزلة الرسل: ((إن الله ميزهم بخصوصية فيهم، كما قال: ﴿**الله أعلم حيث يجعل رسالته**﴾[٢]، فانتخبهم من خلاصة خلقه ليكونوا واسطة بين جنابه الأقدس وبين بني جنسهم، فتكون لهم بذلك مناسبة ذات وجهين، فليست النبوة مكتسبة))[٣].

وقد بين الشيخ أبو بكر خوقير أن الأنبياء معصومون في تبليغهم عن الله، ومعصومون عن الكفر والكبائر، وعن الإصرار على الصغائر، فقال رحمه الله: ((يجب اعتقاد عصمتهم من الكفر والكبائر والإصرار على الصغائر ... وهي واجبة لهم في تبليغ ما أمروا به عن ربهم))[٤].

وقال فيما يجب من الصفات للرسل، وما يستحيل في حقهم[٥]: ((يجب لهم أربع صفات: الصدق، والأمانة، والتبليغ لما أمروا به، والفطانة)).

وقال فيما يستحيل في حقهم: ((يستحيل عليهم أضداد الصفات الواجبة لهم، وهي: الكذب والخيانة، والكتمان، والغفلة، والبلادة. وبالإجمال يجب اتصافهم

---

(١) سورة "الأنعام"، آية رقم: (٩٠).

(٢) سورة "الأنعام"، آية رقم: (١٢٤).

(٣) "ما لا بد منه" (ص ٢٩) باختصار يسير.

(٤) "ما لا بد منه" (ص ٣١،٣٢).

(٥) انظر: "لوامع الأنوار البهية" (٢/٣٠٣-٣١٠) فصل: ما يجب ويجوز ويستحيل في حق الأنبياء.

بصفات الكمال والعصمة والنزاهة عن كل ما ينفر طبعاً أو يعد عيباً عند الناس؛ لأن ذلك ينافي حكمة البعثة التي أشرنا إليها سابقاً))[١].

وما ذكره الشيخ أبو بكر خوقير في عصمة الأنبياء موافق لما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: ((الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته، باتفاق الأمة ... وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة ...

وأما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع ... والقول الذي عليه جمهور الناس، وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف، إثبات العصمة عن الإقرار على الذنوب مطلقاً))[٢].

وبين الشيخ أبو بكر أن العصمة لا تكون إلا للأنبياء، فقال: ((ولا عـــصمة لغير الأنبياء))[٣]، وفي هذا رد على من ادعى العصمة لغير الأنبياء، كالرافضة الذين يعتقدون عصمة الأئمة[٤]، وكالفلاسفة الذين يقولون بعصمة أئمتهم[٥].

وقال الشيخ أبو بكر خوقير في عصمة الأنبياء من المعاصي: ((ويعـــصمهم سبحانه بوجوه ثلاثة كما أفاده بعضهم:

أحدها: أن يخلقهم في سلامة من الفطرة وغاية اعتدال الأخلاق، فلا تكون لهم رغبة في المعاصي، بل ينفرون عنها.

---

(١) "ما لا بد منه" (ص ٣١).

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى" (١٠/٢٨٩-٢٩٣).

(٣) "ما لا بد منه" (ص ٣٢).

(٤) انظر: "منهاج السنة" (٣/٣٨٩)، و"دقائق التفسير" (٢/٢٠٨).

(٥) انظر: "الأصفهانية" (ص ١٢٥).

الثاني: أن يوحي إليهم أن المعاصي يعاقب عليها والطاعات يثاب عليها، فيكون ذلك رادعاً لهم.

الثالث: أن يحول الله تعالى بينهم وبين المعاصي بإحداث لطيفة غيبية، كما وقع في قصة يوسف عليه السلام ﴿ **لولا أن رأى برهان ربه**﴾[1]))[2].

وبين الشيخ أبو بكر أن الأنبياء تقع لهم الأعراض البشرية، فقال رحمه الله: ((يجوز في حقهم وقوع الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية، كالأكل والشرب والجماع والمرض غير المنفر، وكالتجارة والاحتراف بحرفة ليست دنيئة))[3].

---

(١) سورة "يوسف"، آية رقم: (٢٤).

(٢) "ما لا بد منه" (ص ٣٢،٣١).

(٣) "ما لا بد منه" (ص ٣١).

المطلب الخامس: ما يستدل به على صدق الرسول، والفرق بين المعجزة والكرامة:

جعل الله لرسله علامات يستدل بها على صدقهم، ومما يدل على ثبوت النبوة: المعجزات(١).

قال الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله فيما يستدل به على صدق الرسل: ((جعل الله المعجزة علامة على صدقهم في دعوى الرسالة، فهي في مترلة قوله تعالى: صدق عبدي فيما يدعي، مع انضمام المعجزة إلى أحوالهم الجليلة وصفاتهم الجميلة من سلامة فطرتهم وكمال أخلاقهم))(٢).

وقال رحمه الله مبيناً معنى المعجزة والفرق بينها وبين الكرامة: ((المعجزة هي أمر خارق للعادة، على يد داع للخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، على وجه التحدي(٣)، وهو طلبها منه علامة على صدق دعواه الرسالة، ولإقناع المنكرين وإعجازهم. والكرامة: أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة والتحدي(٤)، بل يقع عفواً من الله إكراماً للرجل الصالح من غير علم منه، فلا يقطع هو بكرامته لنفسه ولا يدعيها ولا يعلم من ظهرت منه – هو أو غيره – أنه ولي لله

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (١٤/١٨٨،١٨٩)، و"شرح الطحاوية" (ص ١٥٨).

(٢) "ما لا بد منه" (ص ٢٩).

(٣) تقع معجزات الرسل على غير وجه التحدي، كما في معجزة نبع الماء من بين أصابعه ﷺ الثابتة في الحديث المتفق عليه عن أنس ﷺ. أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب الوضوء من التور (١/٨٤/ح١٩٧)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ (٤/١٧٨٣/ح٢٢٧٩). وفي تقييد المعجزات بالتحدي إخراج لكثير من المعجزات عن تعريف المعجزة.

(٤) بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن من الكرامات ما يكون على سبيل التحدي، كفعل خالد بن الوليد في شربه للسم ليبين أن دين الإسلام حق. انظر: "النبوات" (ص ٥).

تعالى غالباً، ولا تدل على ولايته لجواز سلبها، أو كونها استدراجاً.

وقد قال ابن كثير في تفسيره: " لا يقطع أحد أنه ولي لله؛ لأن ذلك من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله"(١)))(٢).

المطلب السادس: درجة الأنبياء ودرجة الأولياء:

لا خلاف بين المسلمين أن الأنبياء أفضل البشر على الإطلاق، ولكن خالف جهلة المتصوفة فقالوا بأن مقام الولي فوق مقام الأنبياء، ولا شك أن هذا ضلال بين(٣).

قال الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله: ((أجمعوا على أن الولي لا يبلغ درجة النبي، ولا عبرة بمن شذ. وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين: أولو العزم، وأفضلهم نبينا محمد ﷺ .

وأولياؤه تعالى بينهم بقوله: ﴿**الذين آمنوا وكانوا يتقون**﴾(٤)، فعلامتهم التقوى بمتابعة السنة، وهم في جميع أصناف الأمة المحمدية، من تجار وصناع وزراع وغيرهم.

فنحسن الظن بمن كانت هذه صفته، ولا نقطع له بالولاية، كما لا نقطع له بالجنة، فلا يقطع أهل السنة لأحد بها إلا لمن بشره صلى الله عليه وسلم بها، لأن ذلك مغيب عنهم لا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان، ولا يدري أحد بما يختم له، ولكن يشهدون لمن مات على الإسلام أن عاقبته الجنة))(٥).

---

(١) بمعناه في تفسير الآية (٣٤) من سورة "البقرة"، انظر: "تفسير القرآن العظيم" (٧٩/١).

(٢) "ما لا بد منه" (ص ٣٠)، وانظر: "النبوات" (ص ٤، ٢٠٦-٢٣٣)، و"مجموع الفتاوى" (٣١١/١١،٣١٢)، و"شرح الطحاوية" (ص ٥٥٨)، و"تقريبه" (ص ٣٨٦).

(٣) انظر: "مجموع الفتاوى" (١٧١/٤)، (٢٢٦/١١)، و"شرح الطحاوية" (ص ٥٥٥-٥٥٨).

(٤) سورة "يونس"، آية رقم: (٦٣).

(٥) "ما لا بد منه" (ص ٣٢).

المبحث الرابع: الإيمان بنبوة محمد ﷺ.

الإيمان بنبوة نبينا محمد ﷺ من أصول الإيمان، فأول أركان الإيمان: الشهادتان، وأول ما يدخل به المرء في الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

وقد بين الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله معنى الشهادتين بقوله: ((الاعتراف بأن لا معبود حق إلا الله، وبرسالة نبيه ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وطاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر))، وقال: ((وعلامة صدق هذا الاعتراف بتلك الشهادة: أن لا يعمل صاحبه ما يخالفه قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً ...))[(١)].

كما يشمل الإيمان بنبوة محمد ﷺ الإيمان بما خصه الله به وما أكرمه به من أنواع التفضيل والمعجزات كالإسراء والمعراج. ويستلزم الإيمان به طاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر[(٢)].

وقد تناول الشيخ أبو بكر خوقير عدة جوانب فيما يتعلق بالإيمان بنبوة نبينا محمد ﷺ، كما سيأتي بيانه.

---

(١) "ما لا بد منه" (ص ٢٢).

(٢) انظر: "ترتيب وتقريب شرح الطحاوية" (ص ٧٦٠) وما بعدها.

المطلب الأول: معرفة النبي ﷺ:

من الواجب على كل مسلم أن يعرف نبيه محمداً ﷺ، وإن زيادة المعرفة به ﷺ وبسيرته ودعوته وجهاده تثمر زيادة الإيمان به، ومحبته، ومحبة الاقتداء به، فمن أعظم ما يدعو إلى التمسك بهديه ﷺ: معرفته والوقوف على أخباره وأحواله.

وقد قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: ((الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ثلاثة أصول، وهي: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه))(١).

وقد بين الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله ما يتوصل به إلى معرفته ﷺ، فقال: ((يصل الإنسان إلى معرفة النبي ﷺ بسؤال أهل العلم والنظر في كتب السير والشمائل ...))(٢).

وقد تعرض الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله إلى بيان الأمور الرئيسة في ما يتعلق بمعرفة النبي ﷺ، وهي: نسبه، وخصائصه، ومعجزاته، وحقوقه، كما سيأتي.

أولاً: نسبه ﷺ:

قال الشيخ أبو بكر رحمه الله: ((محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن النضر بن نزار بن معد بن عدنان(٣).

ولا خلاف أنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليهم، كما جاء في صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) "الأصول الثلاثة" ضمن "مجموعة التوحيد" (ص١٢).

(٢) "ما لا بد منه" (ص ٥٦).

(٣) انظر في ذلك: "الفصول في سيرة الرسول" للحافظ ابن كثير. مكتبة دار التراث. ط٦. (١٤١٣هـ). (ص٨٣-٨٥).

(إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)[١] ، وفي رواية: (فأنا خيار من خيار)[٢]))[٣].

ثانياً: مولده ومنشؤه:

قال الشيخ أبو بكر رحمه الله: ((ولد صلى الله عليه وسلم في عام الفيل، سنة (٥٧١) ميلادية[٤]، بمكة المشرفة، بالشعب المشهور[٥]، وكفله جده عبد المطلب، ثم عمه أبو طالب، ونشأ على الصدق والأمانة حتى لقبه الناس بالأمين، وزوجه عمه بخديجة بنت خويلد، بحضور بني هاشم ورؤساء مضر ... فتزوجها فبقيت عنده قبل الوحي خمس عشرة سنة، وماتت ولرسول الله ﷺ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر، وقبل موتها مات أبو طالب بثلاثة أيام، وقد نصراه كثيراً))[٦].

ثالثاً: مبعثه:

قال الشيخ أبو بكر رحمه الله: ((كان صلى الله عليه وسلم قبل البعثة مشتغلاً بالتجارة، ميالاً للانفراد عن الناس للتعبد في جبل حراء، حتى نزل عليه جبريل فيه

---

(١) رواه مسلم: كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ .. (ح٢٢٧٦/٤/١٧٨٢).

(٢) أخرجها ابن عدي في "الكامل" (٢/٢٤٨)، وهي بلفظ "من خيار إلى خيار" عند الطبراني في "المعجم الأوسط" (ح٦١٨٢/٦/١٩٩)، وفي "المعجم الكبير" (ح١٣٦٥٠/١٢/٤٥٥)، وفي "المستدرك" (ح٦٩٥٣/٤/٨٣). ولا تثبت هذه الزيادة، كما بينه ابن عدي "بالكامل" (٦/٢٠٣).

(٣) "ما لا بد منه" (ص ٥٧).

(٤) تفيد الدراسات الحديثة أن عام الفيل كان موافقاً للعام (٥٧٠) أو (٥٧١) ميلادي، انظر: "السيرة النبوية الصحيحة" د. أكرم ضياء العمري. مكتبة العلوم والحكم. المدينة المنورة. (ط٦). ١٤١٥هـ. (ص ٩٥،٩٦).

(٥) اختلف في مكان مولده ﷺ هل هو بمكة أو بالأبواء، والذين قالوا بمكة اختلفوا هل هو بالشعب أو بالمحصب. انظر: "مجلة العرب" عدد رمضان وشوال عام (١٤٠٢هـ).

(٦) "ما لا بد منه" (ص ٥٧،٥٨)، وانظر: "الفصول في سيرة الرسول" (ص٩١-٩٥،١٠٥).

بأول سورة العلق: ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقـــرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾[١]، وقد ارتاع مـــن رؤية الملك وكيفية الوحي، فجاء إلى خديجة رضي الله عنها فأخبرها بذلك وبما حصل له من الروع، فقالت له: والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكـــل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان شيخاً كبيراً ممن تنصر وكتب من الإنجيل، فقالت له: يابن عم، اسمع من ابن أخيك. فأخبره ﷺ بما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنـــزل الله على موسى، ياليتني كنت فيها جذعاً، يا ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقـــال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم ؟! قال: نعم ! لم يأت رجل قط بمثل ما جئت بـــه إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ... الحديث في البخاري[٢].

بعثه الله على رأس الأربعين بالرسالة إلى كافة العالمين بدين الفطرة التي فطـــر الناس عليها، بعبوديته وتحرير نفوسهم من غيره))[٣].

رابعاً: دعوته وهجرته ووفاته ﷺ.

قال الشيخ أبو بكر رحمه الله: ((أقام صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عـــشرة سنة يدعو الناس ويسير إلى البوادي ومواسم العرب لدعوة القبائل، ولقي في ســـبيل الدعوة أذى كبيراً ... فقد حاصرته قريش وأهله في الشعب ثلاث سنين، ثم قرروا في دار الندوة أن يقتله أنفار من قبائل شتى، فيكون دمه هدراً بين القبائل، فخـــرج مـــن

---

(١) سورة "العلق"، الآيات: (١-٥).

(٢) باب: كيف كان بدء الوحي .. (ح٣/١/٤)، وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان، بـــاب بـــدء الـــوحي.. (ح١٦٠/١/١٤١).

(٣) "ما لا بد منه" (ص ٥٨،٥٩) باختصار، وانظر في ذلك: "سيرة ابن هشام" (٢٥١/١،٢٥٢)، و"الفصول في سيرة الرسول" (ص ٩٥-٩٩).

الشعب من حيث لا يشعرون، فهاجر إلى المدينة المنورة، وقد سبقت مبايعة الأنصار من الأوس والخزرج له سراً على نصرته، بحضرة عمه العباس ... فلما وصل إليهم نصروه وبذلوا في سبيل نصرته نفوسهم وأموالهم مع المهاجرين[1].

أقام بالمدينة عشر سنين وهو يجهز السرايا وعددها خمس وثلاثون سرية، ويقود الغزوات، وهي تسع عشرة غزوة، وبعضهم يعدها سبعاً وعشرين، حتى فتح مكة المشرفة في السنة الثامنة من الهجرة، فكسر الأصنام التي كانت في الكعبة، وعددها كما قيل (٣٦٠) صنماً لجميع القبائل، وقطع جراثيم الوثنية من قلوبهم ومن عاداتهم بدعوته وعلو كلمته في تلك المدة[2].

وحج ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة حجة الوداع، فنزل عليه بعرفة قوله تعالى: ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾[3]، فخطب الناس وقال: هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم فاشهد[4]...

فعاد إلى المدينة المنورة وقد أكمل الله له الدين وقام بواجب التبليغ والتبيين، فاختار له ما عنده، فألحقه بأنبيائه ورسله، فتوفي يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول، من السنة الحادية عشر من الهجرة[5]))[6].

---

(١) انظر في ذلك: "الفصول في سيرة الرسول" (ص ٩٩-١٠٤،١٠٩-١١٦).

(٢) انظر في ذلك: "الفصول في سيرة الرسول" (ص١٢١-٢٠٢).

(٣) سورة "المائدة"، آية رقم: (٣)، والحديث أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه (ح٤٥/١/٢٥)، ومسلم، كتاب التفسير (ح٣٠١٧/٤/٢٣١٢).

(٤) جاء ذلك عند البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى (ح١٦٥٤/٢/٦٢٠)، وعند مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ (ح١٢١٨/٢/٨٩٠).

(٥) انظر: "الفصول في سيرة الرسول" (ص٢١٦-٢٢٠).

(٦) انظر: "ما لا بد منه" (ص ٥٩،٦٠).

المطلب الثاني: خصائصه ﷺ:

عد الشيخ أبو بكر خوقير عدة أمور من خصائص النبي ﷺ، وهي مما يجب اعتقاده والإيمان به، لأنها مما جاء به دليل الشرع، وقد ذكر مجملها أهل العلم في مصنفات العقيدة، وستأتي الإشارة إلى ذلك.

قال الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله: ((خصائصه عليه الصلاة والسلام هي ما خص الله به نبيه وميزه بها عن غيره، وبعضها من معجزاته. وهي كثيرة أفردها العلماء بالتصنيف، وأفردوا لها باباً في بعض كتب الفقه، وأدخلوا بعضها في كتب العقائد.

ونذكر منها ثمانية أشياء:

(١) رسالته إلى كافة الخلق من الإنس والجن[١] ... قال تعالى: ﴿**ليكون للعالمين نذيراً**﴾[٢]، وفي حديث مسلم: (بعثت إلى الخلق كافة)[٣].

(٢) كونه خاتم الأنبياء، فلا نبي بعده[٤]، ولا ينافي ذلك نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، لأنه يحكم بشريعة نبينا ﷺ الناسخة لجميع الشرائع، والكافلة بحاجات البشر ديناً ودنيا، ولذلك ختمت النبوة به.

---

(١) يدل على أنه ﷺ مبعوث إلى الجن قوله تعالى: ﴿**يا قومنا أجيبوا داعي الله**﴾ [الأحقاف:٣١]، انظر: "مجموع الفتاوى" (١٩/٩-١٢)، و"شرح الطحاوية" (ص ١٧٦-١٧٩) عند شرح قول الطحاوي: (وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى ...).

(٢) سورة "الفرقان"، آية رقم: (١).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ : كتاب المساجد ومواضع الصلاة (ح٥٢٣/١/٣٧١). وبمعناه عند البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كتاب التيمم، باب إذا لم يجد ماء ولا تراباً (ح٣٢٨/١/١٢٨).

(٤) كما قال تعالى: ﴿**ولكن رسول الله وخاتم النبيين**﴾ [الأحزاب:٤٠]، وانظر: "شرح الطحاوية" (ص ١٦٨).

(٣) أفضليته ﷺ على الخلق حتى الأنبياء[(١)]، وما ورد من النهي عن التفضيل بينه وبين الأنبياء فالمراد ما يؤدي إلى التنقيص[(٢)].

(٤) أن أمته أفضل الأمم، حيث كانت شهداء عليهم بتبليغ الرسل، ومعصومة من الاجتماع على ضلالة[(٣)]، كما أن أصحابه خير القرون، كما جاء في الحديث[(٤)].

(٥) حديثه ﷺ وما فيه من جوامع الكلم، أي الألفاظ القليلة المفيدة للمعاني الكثيرة، كما في حديث مسلم وغيره: (أعطيت جوامع الكلم، واختصر لي الكلام اختصاراً)[(٥)] وكما في الحديث الآخر: (أوتيت القرآن ومثله معه)[(٦)] أي السنة، فلها حكم القرآن في الطاعة والإيمان، فلا ينطق عن الهوى .

---

(١) يشهد لذلك قوله ﷺ: (أنا سيد الناس يوم القيامة ...)، متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ ، أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب: ذرية من حملنا مع نوح (ح ٤٤٣٥/٤/١٧٤٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة مترلة فيها (ح١٩٤/١/١٨٤).

(٢) انظر: "شرح الطحاوية" (ص ١٦٩-١٧٣).

(٣) كما قال ﷺ: (إن الله تعالى لا يجمع أمتي على ضلالة) رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم السنة (ح ٢١٦٧/٤/٤٤٦)، وصححه الألباني: "صحيح الجامع" (ح١٨٤٨/١/٣٧٨).

(٤) قال ﷺ: (خير الناس قرني ...) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ ، أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد (ح ٢٥٠٩/٢/٩٣٨)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ... (ح٢٥٣٣/٤/١٩٦٣).

(٥) بهذا اللفظ في سنن الدارقطني (ح٨/٤/١٤٤)، و"مصنف عبد الرزاق" (ح١٠١٦٣/٦/١١٣)، و"مصنف ابن أبي شيبة" (ح٣١٧٧٢/٦/٣٢٤).

وشطره الأول متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ ، أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ: نصرت بالرعب ... (ح٢٨١٥/٣/١٠٨٧)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة (ح٥٢٣/١/٣٧٠).

(٦) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة (ح٤٦٠٦/٤/٢٠٠)، والبيهقي (ح١٩٢٥٣/٩/٣٣٢)، وأحمد (ح١٧٢١٣/٤/١٣٠) وقال الأرنؤوط: " إسناده صحيح".

(٦) الشفاعة العظمى في موقف يوم القيامة، وهي المقام المحمود، لأنه يحمده فيه الأولون والآخرون[١] ...

(٧) زيارته ﷺ في حياته بالهجرة إليه لتلقي أمور الدين عنه والقيام بمصالحه والتوبة على يديه وطلب الاستغفار منه، أي دعائه للمذنبين بالمغفرة، كما قال تعالى: ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً** ﴾[٢]، وكانت الهجرة واجبة قبل الفتح من مكة[٣].

(٨) التوسل به ﷺ في حياته، كما في حالة الاستسقاء[٤] ...))[٥].

---

(١) يأتي ما يتعلق بالشفاعة في الباب الثالث من الرسالة.

(٢) سورة "النساء"، آية رقم: (٦٣).

(٣) كما جاء في الحديث المتفق عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما: (لا هجرة بعد الفتح)، رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد ... (ح ١٠٢٥/٣/٢٦٣١)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة ... (ح١٤٨٧/٣/١٣٥٣).

(٤) يأتي تفصيل مسائل التوسل في الباب الثالث إن شاء الله.

(٥) انظر: "ما لا بد منه" (ص ٦٠-٦٤).

المطلب الثالث: معجزاته ﷺ:

تقدم أن الله يؤيد أنبياءه بالمعجزات الدالة على صدقهم، وقد تكون هذه المعجزات حسية، وقد تكون معنوية، وقد قال ﷺ: (ما من الأنبياء نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)[١].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ((أي إن معجزتي التي تحديت بها الوحي الذي أنزل علي وهو القرآن، لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره))[٢].

وقد ذكر الشيخ أبو بكر خوقير بعض معجزات نبينا محمد ﷺ، فقال رحمه الله: ((أذكر عشرة أشياء من معجزاته ﷺ التي هي من خصائصه:

أولاً: القرآن العظيم، الذي هو المعجزة الباقية إلى يوم القيامة، المشتملة على جملة معجزات، فوجوه إعجازه كثيرة، أفردها بعض العلماء بالتأليف، وبحث فيها المفسرون وأتوا بالعجب العجاب، وعجائبه لا تنقضي.

وأذكر أحد عشر وجهاً من وجوه إعجازه، لتقوية الإيمان:

(١) البلاغة الخارقة لعادة العرب، حتى كان في الحد الأعلى، ليس من جنس كلامهم من الشعر والخطب والسجع[٣].

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ. أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي ... (ح٤٦٩٦/٤/١٩٠٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة (ح١٥٢/١/١٣٤).

(٢) "فتح الباري" (٦/٩).

(٣) انظر: "الجواب الصحيح" (٤٣٣/٥)، و"لوامع الأنوار البهية" (١٧٠/١-١٨١).

(٢) ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات مما سيقع ومما كان في ضمائر القلوب، وعن أمور غيبية ظهرت كما أخبر، ولا يمر عصر إلا ويظهر فيه شيء أخبر أنه سيكون، إذ ما يدرك بالعقل يعلمه من جاء بعد الأول بترقي العلم.

(٣) إخباره عن القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع المندثرة مما لا يكاد يعلم، مع أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، كما قال تعالى: ﴿**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمنك إذاً لارتاب المبطلون**﴾[1].

(٤) الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته ...

(٥) أن قارئه لا يمل ولو أعاده مراراً، مع أن الطباع جبلت على معاداة المعادات، فيسحر[2] القارئ ببلاغته وحلاوته، ويأخذ بمجامع قلبه من طلاوته.

(٦) جمعه لعلوم ومعارف لم تعرفها العرب ولا أحد من علماء أهل الكتاب وغيرهم من طرق الحجج العقلية ومناهج الحق.

(٧) تيسير حفظه لمتعلمه، كما قال تعالى: ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر**﴾[3] ولم يعرف في الأمم السابقة حفظ غيره من الكتب مثل حفظه.

(٨) كونه كافلاً بحاجات الدين والدنيا من المصالح والأخلاق والعبادات والمعاملات.

---

(١) سورة "العنكبوت"، آية رقم: (٤٨).

(٢) لا يليق هذا التعبير عند الحديث عن القرآن إلا إن قصد المعنى اللغوي بمعنى أنه يأخذ بالألباب، وقد جاء في الحديث: (إن من البيان لسحراً). أخرجه البخاري من حديث ابن عمر: كتاب الطب، باب إن من البيان سحراً (ح٥٤٣٤/٥/٢١٧٦)، ومسلم من حديث عمار: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (ح٨٦٩/٢/٥٩٤).

(٣) سورة "القمر"، آية رقم: (١٧).

(٩) التذكير بأحوال الأمم الماضية التي حادت عن طريق الحق والتوحيد، واستسلمت لحكم العادات والتقاليد.

(١٠) حفظه من التغيير والتحريف على تغير الأزمان وتحزب الأحزاب والعدوان إلى هذا العصر ...

(١١) عجز العرب جميعهم في عصره عن الإتيان بمثله، حتى سورة واحدة، وقد تحدى مصاقع الخطباء من قريش وقرع أسماعهم حتى أزهق نفوسهم[١]، فتآمروا على قتله، وقد صار عجز غيرهم ممن أتى بعدهم من باب أولى، وذلك أعظم برهان على إعجازه وأنه كلام الخالق الذي أنزله تصديقاً لنبيه ﷺ ...

ثانياً: المعراج:

وقد كان قبل الهجرة بسنة[٢]، أسري بالنبي ﷺ يقظة بالروح والجسد جميعاً إلى المسجد الأقصى، من بعد صلاة العشاء، وعرج به من بيت المقدس إلى السموات العلى، إلى سدرة المنتهى، ففرض الله عليه الصلاة ... ثم أصبح نبينا من ليلته تلك بمكة، كما في الحديث الصحيح[٣].

ثالثاً: انشقاق القمر:

كما نص القرآن والسنة الصحيحة الصريحة، فقد بلغت الأحاديث مبلغ التواتر، وأجمع عليه أهل الحق، وهو مثل معجزة موسى عليه السلام بانفلاق البحر، غير أن تلك في العالم العلوي ... وفيه دلالة على جواز انشقاق الفلك ، كما أخبرت

---

(١) بنحوه في "لوامع الأنوار البهية" (١/١٧١).

(٢) انظر الأقوال في ذلك: "فتح الباري" (٧/٢٠٣)، و"لوامع الأنوار البهية" (٢/٢٨٠).

(٣) من ذلك ما رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة .. (ح٣٠٣٥/٣/١١٧٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ (ح١٦٢/١/١٤٥)، وانظر"شرح الطحاوية"(ص٢٤٥-٢٤٩).

به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم [من انشقاق السموات] خلافاً للفلاسفة في زعمهم أن الفلك لا يقبل الخرق والالتئام، كما قاله شيخ الإسلام(١) ...

رابعاً: نبع الماء من بين أصابعه:

وذلك بركة من الله حلت في الماء بوضع أصابعه ﷺ فيه، فجعل يفور ويخرج من بين أصابعه في غزوة تبوك والحديبية، فشرب الجيش وقضى أوطاره، لا أنه يخرج من نفس اللحم والدم، كما ظنه بعض الجهال، قاله في "الهدي النبوي"(٢).

ومثله معجزة تكثير الطعام بركة من الله، حتى كفى أناساً كثيرين، كما وقع له ﷺ مراراً(٣).

خامساً: حنين الجذع إليه، وذلك عندما ترك الخطبة عليه(٤)، ومثله تكليم الحجر والشجر(٥) ...

سادساً: تأييده بملائكة السماء، كما في غزوة بدر(٦).

---

(١) "الجواب الصحيح" (١٨١،١٥٩/٦)، ونقل عنه في "لوامع الأنوار البهية" (٢٩٤،٢٩٣/٢).

(٢) "زاد المعاد" (٦٦٧/٣)، وانظر: باب علامات النبوة في الإسلام، كتاب المناقب من صحيح البخاري (ح١٣١٠/٣/٣٣٧٨) وما بعده.

(٣) انظر في ذلك: الأحاديث (ح٥٠٦٦، ٥٠٦٧) باب: من أكل حتى شبع، كتاب الأطعمة بصحيح البخاري (٢٠٥٨/٥)، والحديث (ح ١٧٢٩) باب: استحباب خلط الأزواد إذا قلت .. كتاب اللقطة من صحيح مسلم، (٢١٥/١٣) بشرح النووي.

(٤) الحديث أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر .. (ح٣٣١/١/٨٧٦).

(٥) تكليم الحجر كما في الحديث عند مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (ح١٧٨٢/٤/٢٢٧٧)، وتكليم الشجر كما في الحديث عند البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (ح ١٣١٤/٣/٣٣٩١).

(٦) انظر في هذه المعجزة إلى التاسعة: "لوامع الأنوار البهية" (٢٩٤/٢)، ويظهر أنه أخذها عن عناوين فصول من"الجواب الصحيح" (٢٩٦،٢٧٣،٢٤٧،٢٣١/٦).

سابعاً: كفاية الله له من أعدائه وعصمته من الناس.

ثامناً: إجابة دعائه ﷺ.

تاسعاً: إعلامه بالمغيبات الماضية والمستقبلة.

عاشراً: دلالة خَلْقه وخُلُقه على صدقه، فنفس صورته الباهرة[1] وهيئة طلعته الظاهرة وحسن سمته تدل على نبوته وانفراد مزيته، كما قال عبد الله بن سلام: (فلما رأيت وجهه، عرفت أنه ليس بوجه كذاب)[2]، وكما قال هرقل في حديث أبي سفيان: (ما كان ليترك الكذب على الناس ويكذب على الله)[3].

وكما ضرب الله له ﷺ مثلاً في قوله ﴿ **يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار**﴾[4] على ما قاله نفطويه، يقول: يكاد منظره يدل على نبوته، وإن لم يتل قرآناً، كما قال عبد الله ابن رواحة:

لو لم تكن فيه آيات مبينة   كانت بديهته تأتيك بالخبر[5]))[6].

---

(١) الأولى أن يقال: "فصورته الباهرة نفسها ...".

(٢) رواه: ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في قيام الليل (ح ١٣٣٤/١/٤٢٣)، والبيهقي (ح٤٤٢٢/٢/٥٠٢)، وأحمد (ح٢٣٨٣٥/٥/٤٥١)، وقال شعيب الأرنؤوط: " إسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين".

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام .. (ح٢٧٨٢/٣/١٠٧٤)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل .. (ح ١٧٧٣/٣/١٣٩٥).

(٤) سورة "النور"، آية رقم: (٣٥).

(٥) انظر فيما ذكره عن نفطويه وعن عبد الله بن رواحة: "الجواب الصحيح" (٦/٥٠٩، ٥١٠)، ونقل عنه في "لوامع الأنوار البهية" (٢/٢٩٤).

(٦) انظر: "ما لا بد منه" (ص ٦٥-٦٩).

المطلب الرابع: حقوقه ﷺ، وحقوق آل بيته وأصحابه:

المراد بهذه الحقوق بيان ما ينبغي للمسلم تجاهه ﷺ وتجاه آل بيته وأصحابه، مما دل عليه دليل الشرع وكان عليه سلف الأمة.

وقد فصل فيها بعض أهل العلم وصنفوا فيها مؤلفات خاصة، وقد يحصل لدى بعضهم مبالغة وإطراء منهي عنه، لذا نبه الشيخ أبو بكر خوقير إلى هذا الأمر، فقال رحمه الله: ((وربما خفي على بعض الناس بعض خصائصه وحقوقه ﷺ، ولم يميزها عن حقوقه تعالى ...))(١).

وقال منبهاً على أهمية توحيد الله ووجوب حماية جنابه: ((من تحقيق التوحيد أن تعلم أن الحقوق ثلاثة: حق لله، لا يشركه فيه مخلوق، وحق لرسوله ﷺ، وحق مشترك بينهما.

فحق الله وحده: هو كالعبادة والتوكل والخوف والخشية والتقوى والإنابة والرجاء والتسبيح والتكبير والتهليل.

والحق المشترك بين الله ورسوله: كالمحبة والإيمان والتصديق والطاعة.

والحق الخاص برسوله ﷺ فهو نحو سبع حقوق، ذكرها القاضي عياض وغيره(٢)...))(٣).

ثم شرع الشيخ أبو بكر في بيانها، فقال رحمه الله:

---

(١) "ما لا بد منه" (ص ٥٦).

(٢) الحقوق التي ذكرها القاضي عياض هي: ١- فرض الإيمان بالنبي ﷺ ٢- وجوب طاعته ٣- وجوب اتباعه ٤- لزوم محبته ٥- وجوب مناصحته ٦- تعظيم أمره وتوقيره وبره ٧- إعزاز وإكرام من له صلة به. انظر"الشفا بتعريف حقوق المصطفى" دار الفكر. بيروت. ط١. (١٤٢١هـ). (ص٢٦٣-٣١٥).

(٣) "ما لا بد منه" (ص ٦٩،٧٠).

(١) وجوب طاعته بالتزام سنته والتسليم لما جاء به والرضا لحكمه ، كما قال تعالى: ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾(١).

(٢) لزوم محبته، كما جاء في الحديث: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من [ولده و] والده والناس أجمعين)(٢).

وعلامة محبته ﷺ متابعته والرضا بما أمر به، وتقديمه على كل حال، كما قال تعالى: ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾(٣).

(٣) وجوب مناصحته ﷺ، كما جاء في الحديث: (الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله وأئمة المسلمين)(٤).

والنصيحة: كلمة جامعة لجملة إرادة الخير للمنصوح له، قال بعض السلف: النصيحة له ﷺ: موازرته ونصرته وحمايته حياً وميتاً، وإحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق بأخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة.

(٤) توقيره ﷺ ولكل ما يعزى إليه، والأدب معه حياً وميتاً، ومن ذلك عدم رفع الصوت فوق صوته، وندائه باسمه أو من وراء الحجرات، فينبغي خفض الصوت عند قبره الشريف(٥).

---

(١) سورة "النساء"، آية رقم: (٦٤).

(٢) متفق عليه من حديث أنس ﷺ ، رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (ح١٥/١/١٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب محبة الرسول (ح٤٤/١/٦٧).

(٣) سورة "آل عمران"، آية رقم: (٣١).

(٤) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (ح٥٥/١/٧٤).

(٥) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ((وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام؛ لأنه محترم حياً وفي قبره ﷺ دائماً)). "تفسير القرآن العظيم" (٤/٢٠٨)، في تفسير الآية رقم (٢) من سورة "الحجرات".

(٥) المودة لأقربائه ﷺ وبرهم، لمكانتهم وقرابتهم منه، ولو كانت القرابة بعيدة، كقبيلة قريش، حتى جنس العرب، كما قال تعالى: ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى** ﴾[١].

ومن أصول أهل السنة والجماعة محبة أهل البيت[٢]، فيتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ، حيث قال يوم غدير خم: (أذكركم الله في أهل بيتي)[٣] مرتين، وقال للعباس عمه حين اشتكى أن بعض قريش لا يلقونه بوجه طلق: (والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم، لله ولقرابتي)[٤].

ويدخل في ذلك أزواجه رضي الله عنهن، فيرون تعظيم قدرهن، والدعاء لهن، ومعرفة فضلهن والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين وأزواجه في الدنيا والآخرة، خصوصاً خديجة، فهي أول من آمن به من النساء، وأم أكثر أولاده، وعائشة الصديقة، ومن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله وكذب كتابه[٥].

فنتبرأ من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة، ومن طريقة الخوارج الذين

---

(١) سورة "الشورى"، آية رقم: (٢٣).

(٢) انظر في ذلك: "الواسطية" (ص٤٢،٤٣).

(٣) رواه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب (ح٢٤٠٨/٤/١٨٧٣).

(٤) جاء الحديث بعدة طرق كما عند أحمد (ح١٧٧٢، ح١٧٥٥١) والترمذي (ح٣٧٥٨) والحاكم (ح٦٩٦١) والطبراني في "الكبير" (ح١٢٢٢٨) و"الأوسط" (ح٤٦٤٧) و"الصغير" (ح٦٦٧، ح١٠٣٧)، وفي "فضائل الصحابة" (ح ١٧٩١): لكنها لا تصح، وقد ضعفه الألباني، "ضعيف الجامع" (ح٦١١٢/ص٨٨٢).

لكن جاء بإسناد صحيح عند ابن أبي شيبة بلفظ: (لن يصيبوا خيراً حتى يحبوكم، لله ولقرابتي) (ح٣٢٢١٣/٦/٣٨٢)، وكذا في "فضائل الصحابة" بلفظ: (لن ينالوا خيراً حتى يحبوكم، لله ولقرابتي) (ح١٧٥٦/٢/٩١٧).

وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في "الواسطية" (ص٤٢) باللفظ الذي أورده الشيخ أبو بكر هنا.

(٥) انظر في ذلك: "لمعة الاعتقاد" (ص ٣٣).

يؤذون أهل البيت بقول أو عمل[١].

والمقدم في أهل البيت هم أهل الكساء، وهم علي وفاطمة والحسن والحسين، جللهم عليه الصلاة والسلام بكساء عند نزول الآية الكريمة: ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾[٢]، وقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي، فطهرهم تطهيراً)[٣]، ودعاهم أيضاً عند نزول آية المباهلة، وقال: (اللهم هؤلاء أهلي)[٤].

(٦) مودة أصحابه وبرهم، خصوصاً أهل وده وصداقته وعيبة سرة، كالخلفاء الراشدين، وعلامة مودتهم توقيرهم والاقتداء بهم وذكر محاسنهم وترك الخوض فيما جرى بينهم، لحقوق صحبتهم وسبقهم وكثرة أياديهم، كما قال الله في أهل بدر: (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[٥] ...

فمن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم لأصحاب رسول الله ﷺ، وقد قال ﷺ: (لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)[٦].

ومن توقيرهم: معرفة حقهم وتمييز مراتبهم، كما قال ﷺ: (نزلوا الناس

---

(١) انظر في ذلك: "الواسطية" (ص ٤٣).

(٢) سورة "الأحزاب"، آية رقم: (٣٣).

(٣) رواه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ (ح٢٤٢٤/٤/١٨٨٣).

(٤) رواه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي .. (ح٢٤٠٤/١/١٨٧١).

(٥) متفق عليه من حديث علي ﷺ، رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس .. (ح٢٨٤٥/٣/١٠٩٥)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بدر (ح٢٤٩٤/٤/١٩٤١).

(٦) متفق عليه من حديث أبي سعيد ﷺ، رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي (لو كنت متخذاً خليلاً ..) (ح٣٤٧٠/٣/١٣٤٣)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة (ح٢٥٤١/٤/١٩٦٧).

منازلهم)[١]، فالسابقون لهم الفضل، كما شهد الله به، وأهل السنة يفضلون من أنفق من قبل الفتح — وهو صلح الحديبية — على من أنفق بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويفاضلون بين الخلفاء الراشدين على حسب ترتيبهم في الخلافة، كما جرى على ذلك السلف، فيسعنا ما وسعهم[٢] ...

(٧) الصلاة مع السلام عليه وعلى آله، قال تعالى: ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً** ﴾[٣]، وقد جاء في فضلها أحاديث كثيرة[٤].

وهي تستحب في مواضع، منها ليلة الجمعة ويومها[٥]، وعند ذكر اسمه[٦]، وتجب في مواضع، فهي عندنا ركن من أركان الصلاة في التشهد الأخير[٧]، وركن في الخطبة يوم الجمعة والعيدين[٨] ...))[٩].

وقال الشيخ أبو بكر في معنى الصلاة والسلام على النبي ﷺ: ((ومعنى الصلاة: من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن غيرهم التضرع والدعاء، هكذا اشتهر،

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم (ح٤٨٤٢/٤/٢٦١) وقال بأنه منقطع، ورواه أبو يعلى (ح٤٨٢٦/٨/٢٤٦). وقال الألباني: ضعيف، "ضعيف الجامع" (ح١٣٤٤).

(٢) انظر: "الواسطية" (ص ٤٠- ٤٢): "فصل ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ ...)).

(٣) سورة "الأحزاب"، آية رقم: (٥٦).

(٤) انظر: "جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام" لابن القيم. دار العروبة. الكويت. ط٢. (١٤٠٧هـ): الباب الأول: "ما جاء في الصلاة على رسول الله" (ص ٢٩-١٢٨).

(٥) انظر: "جلاء الأفهام" (ص ٤٠٤،٤٠٥).

(٦) السابق (ص ٣٨٢-٣٩٧).

(٧) انظر: "جلاء الأفهام" (ص ٣٢٧-٣٥٨).

(٨) السابق (ص ٣٦٨-٣٧٢).

(٩) "ما لا بد منه" (ص ٦٩-٧٣).

ورده ابن القيم في "جلاء الأفهام" من خمسة عشر وجهاً[١]، واختار أن صلاة الله عليه: ثناءه عليه وإرادة إكرامه برفع ذكره ومترلته وتقريبه، وأن صلاتنا نحن عليه: سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به[٢].

ومعنى السلام أي التحية أو السلامة من النقائص والرذائل))[٣].

وقال الشيخ أبو بكر في معنى "الآل" : ((والآل في الصلاة الإبراهيمية المأثورة هم أتباعه على دينه، نص عليه الإمام أحمد، وعليه أكثر الأصحاب، قال في "الإقناع": ((وآله أتباعه على دينه، والصواب عدم جواز إبداله بأهل. اهـ))[٤] أي: لأن أهل الرجل أقاربه وأزواجه، وصاحب "جلاء الأفهام" يميل إلى القول بأن المراد بالآل: أهله وأقاربه[٥]، كما يقتضيه سياق الآية وتفسيره له ﷺ في بعض الأحاديث.

وآل إبراهيم هم هنا الأنبياء، والمطلوب من الله سبحانه أن يصلي على رسوله ﷺ كما صلى على جميع الأنبياء من ذرية إبراهيم لا إبراهيم وحده، كما هو مصرح به في بعض الألفاظ من قوله: على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، كما قاله ابن القيم[٦]))[٧].

---

(١) "جلاء الأفهام" (ص ١٥٨–١٧١).

(٢) "السابق" (ص ١٦٢).

(٣) "ما لا بد منه" (ص ٧٣).

(٤) "كشاف القناع" (١/٣٥٨).

(٥) "جلاء الأفهام" (ص ٢٢٥)، وقد بحث الأقوال في معنى الآل (ص ٢٠٣–٢٢٨).

(٦) ذكر ابن القيم هذا القول ثم قال: ((وأحسن منه أن يقال: محمد هو من آل إبراهيم بل هو خير آل إبراهيم ... فإنه إذا دخل غيره من الأنبياء الذين هم من ذرية إبراهيم في آله فدخول رسول الله أولى، فيكون قولنا: كما صليت على آل إبراهيم متناولاً للصلاة عليه وعلى سائر النبيين من ذرية إبراهيم ...)) "جلاء الأفهام (ص ٢٨٩، ٢٩٠)، وانظر "شرح الطحاوية" (ص ٣٣٢).

(٧) انظر: "ما لا بد منه" (ص ٧٣، ٧٤).

وقال الشيخ أبو بكر في فوائد الصلاة على النبي ﷺ: ((كثيرة، أنهاها ابن القيم إلى أربعين فائدة ...))[1] ثم عددها، كما عدد المواضع التي تطلب فيها الصلاة على النبي ﷺ، ناقلاً عن ابن القيم[2].

(١) "ما لا بد منه" (ص ٧٤-٧٧)، وانظر: "جلاء الأفهام" (ص ٤٤٥-٤٥٥).

(٢) "ما لا بد منه" (ص ٧٧-٧٩)، وانظر: "جلاء الأفهام" (ص ٣٢٧-٤٤٤).

المبحث الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان، وقد قال الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله مبيناً معنى الإيمان باليوم الآخر: ((اعتقاد وجوده، من الموت إلى آخر ما يقع يوم القيامة، بجميع ما اشتمل عليه من سؤال الملكين ونعيم القبر وعذابه والجزاء والبعث والنشر والحشر والميزان والصراط والحوض والشفاعة ودخول المؤمنين الجنة والكافرين النار ورؤية الله للمؤمنين.

وفي حديث جبريل برواية البيهقي بلفظ: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان وتؤمن بالبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: فإذا فعلت هذا فأنا مؤمن؟ قال: نعم. قال: صدقت)[١]))[٢].

ثم فصل الشيخ في مسائل الإيمان باليوم الآخر، كما سيأتي بيانه في المطالب التالية.

---

(١) رواه بهذا اللفظ ابن حبان من حديث عمر ﷺ (ح١٧٣/١/٣٩٧)، وبنحوه عند أحمد من حديث ابن عباس ﷺ (ح٢٩٢٦/١/٣١٩) وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

وأصل الحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ ، رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ .. (ح٥٠/١/٢٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإسلام والإيمان والإحسان (ح٩/١/٣٩).

(٢) "ما لا بد منه" (ص٣٣).

المطلب الأول: الإيمان بأحوال البرزخ:

ما يكون بعد الموت إلى قيام الساعة يعرف بالبرزخ، لأنه ما بين الدنيا والآخرة، ونؤمن بأن الميت في ذلك يسأل ويمتحن، وينعم أو يعذب، كما جاءت بذلك نصوص الشرع[١].

قال الشيخ أبو بكر رحمه الله مبيناً سؤال الملكين ونعيم القبر وعذابه: ((الملكان: منكر ونكير، يسألان الميت في قبره: من ربك وما دينك ومن نبيك ... فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، وأما المرتاب فيقول: هاه، هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيعذب[٢].

وهذه فتنة القبر التي استعاذ منها ﷺ ومن عذابه، وأمر بالاستعاذة منها، كما روى البيهقي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن، يقول: (قولوا: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات)[٣]، وفي رواية عن أبي هريرة: (إذا فرغ أحدكم من صلاته فليدع بأربع، ثم ليدع بما شاء)[٤]، وقد استحبه فقهاؤنا في آخر التشهد الأخير، فيؤمن أهل الدين جميعهم بأن سؤال المكلين في القبر حق، وأن عذابه ونعيمه حق))[٥].

---

(١) انظر: "شرح الطحاوية" (ص ٤٤٧).

(٢) كما في حديث البراء بن عازب: (إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا ...)، أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر (ح٤٧٥٣/٤/٢٣٩)، وأحمد (ح١٨٥٥٨/٤/٢٨٨) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة (ح٥٩٠/١/٤١٣).

(٤) رواه النسائي: باب التعوذ في الصلاة (ح١٣١٠/٣/٥٨)، والبيهقي (ح١٢٣٣/١/٣٨٩)، وعند مسلم، دون قوله: (ثم ليدع بما شاء)، (ح٥٨٨/١/٤١٢).

(٥) "ما لا بد منه" (ص٣٣،٣٤).

وما يكون في القبر من سؤال ونعيم أو عذاب من الأمور الغيبية التي نؤمن بها وإن كنا لا نراها.

قال الشيخ أبو بكر مبيناً ذلك: ((يصير الميت من حين موته إلى عالم آخر فيه مستقر الأرواح، ويسمى بالبرزخ، لأنه ما بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ **ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون**﴾[١]، وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة، ومنه عذاب القبر ونعيمه، وهما على الأرواح، والأبدان تبع لها[٢].

وكيفية السؤال كما وردت، فحال الميت كحال النائم، وكل ما يقع عليه ليس من جنس المعهود في الدنيا، اقتضت حكمة الباري ستر ما يجري في البرزخ، لسعادة من يؤمن بالغيب وشقاوة من يكفر به، فلا مجال للعقل فيه، مع أنه لا يستحيل في العقل سائر المغيبات، وكيف يستحيل ذلك وقد وجد نظيره في الدنيا وهو النوم ؟!))[٣].

---

(١) سورة "المؤمنون"، آية رقم: (١٠١).

(٢) انظر في ذلك: "الروح" لابن القيم. دار كتاب العلمية. بيروت. (١٣٩٥هـ). (ص ٦٣،٧٣)، و"شرح الطحاوية" (ص ٤٥١).

(٣) "ما لا بد منه" (ص٣٤).

المطلب الثاني: أشراط الساعة:

من المباحث المهمة التي ينبغي معرفتها مبحث أشراط الساعة، وذلك يرجع إلى وجوب تصديق النبي ﷺ فيما أخبر به من ذلك، ووجوب الحذر مما حذر منه، كالدجال.

وقد بين الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله المراد بأشراط الساعة، بقوله: ((أي علامات قرب يوم القيامة))(١).

ثم بين الواجب في ذلك، فقال: ((نعتقد أن كل ما صح النقل فيه، فيما شاهدناه أو غاب عنا، نعتقده ونعلم أنه صدق وحق، سواء في ذلك ما عقلناه أو جهلناه و لم نطلع على حقيقة معناه.

ومن ذلك أشراط الساعة، مثل: خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، وما أشبه ذلك، كما قاله الموفق ابن قدامة(٢).

وعد السفاريني أشراط الساعة الكبرى عشرة، منها هذه الخمسة، والخمسة الباقية: خروج المهدي(٣)، هدم الحبشة للكعبة(٤)، رفع القرآن من الصدور، خروج

---

(١) "ما لا بد منه" (ص ٣٨).

(٢) "لمعة الاعتقاد" (ص ٢٥،٢٦)، وانظر" شرح الطحاوية" (ص ٥٦٤) وما بعدها.

(٣) وردت عدة أحاديث صحيحة في المهدي، منها قوله ﷺ: (المهدي من عترتي من ولد فاطمة) أخرجه أبو داود، كتاب المهدي (ح٤٢٨٤/٤/١٠٧) وابن ماجه، كتاب الفتن، باب خروج المهدي (ح٤٠٨٦/٢/١٣٦٨) والحاكم (ح٨٦٧٢/٤/٦٠١)، وصححه الألباني، "صحيح الجامع" (ح٦٧٣٤/ص١١٤٠).

(٤) ثبت ذلك في الحديث المتفق عليه، رواه البخاري، كتاب الحج، باب قوله تعالى: ﴿**وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا** ...﴾ (ح١٥١٤/٢/٥٧٧)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ... (ح٢٩٠٩/٤/٢٢٣٢).

الدخان، خروج النار من عدن، وأطال الكلام عليها في شرحه على الدرة))[1].

وقد جاء عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أنه قال: (اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: ما تذاكرون ؟ قالوا: نذكر الساعة، فقال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم)[2].

---

(١) "ما لا بد منه" (ص٣٨)، وانظر" لوامع الأنوار البهية" (٢/٧٠-١٤٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (ح٢٩٠١/٤/٢٢٢٥).

المطلب الثالث: الإيمان باليوم الآخر تفصيلاً:

تناول الشيخ أبو بكر خوقير الحديث عن ما يكون من مشاهد في عرصات القيامة، ومن ذلك: البعث والنشر، الحشر والحساب، الميزان، الصراط، الحوض.

فقال رحمه الله في بيان معنى البعث والنشر: ((هما مترادفان، بمعنى إعادة الأبدان وإدخال الأرواح فيها، فيؤمن أهل الدين بأن البعث بعد الموت حق، وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور ﴿ **فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون** ﴾[1].

وقد جاء في القرآن والسنة أمثال كثيرة لإثبات البعث، رداً على الدهريين، فهو من الممكنات، وكذا ما بعده من الحشر والحساب وغيرهما من أحوال يوم القيامة))[2].

وقال رحمه الله في بيان معنى الحشر والحساب: ((الحشر: سوق الناس جميعاً إلى الموقف بعد البعث بأبداهم وأرواحهم، حفاة عراة غرلاً ... مشاة وعلى وجوههم، فيقفون في موقف القيامة حتى يشفع فيهم نبينا ﷺ، فيحاسبهم الله تبارك وتعالى، وينصب الموازين، وينشر الدواوين، وتتطاير صحف الأعمال إلى الأيمان والشمائل، ﴿ **فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً. وينقلب إلى أهله مسروراً. وأما من أوتي كتابه وراء ظهره. فسوف يدعو ثبوراً. ويصلى سعيراً** ﴾[3]))[4].

---

(١) سورة "يس"، آية رقم: (٥١).

(٢) "ما لا بد منه" (ص ٣٥)، وانظر في الأدلة على إثبات البعث والحساب: "شرح الطحاوية" (ص٤٥٦-٤٦٣).

(٣) سورة "الانشقاق"، الآيات: (٧-١٢).

(٤) "ما لا بد منه" (ص٣٥،٣٦)، وانظر: "شرح الطحاوية" (ص ٤٦٤-٤٦٩).

وقال رحمه الله في الإيمان بالميزان: ((قال علماؤنا كغيرهم: نؤمن بأن الميـــزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق، قالوا: وله كفتـــان تـــوزن بـــه صـــحائف الأعمال[١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (توزن الحسنات في أحسن صورة، والسئات في أقبح صورة)[٢]، قال العلامة الشيخ مرعي في "بهجته" : ((الـــصحيح أن المـــراد بالميزان الميزان الحقيقي)) كذا في "شرح عقيدة السفاريني"[٣].

ومن المقرر أن أحوال البرزخ والآخرة لا تقاس على ما في الدنيا، وإن اتفقت الأسماء، فنؤمن به كما ورد، قال تعالى: ﴿ **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون. ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون** ﴾[٤]))[٥].

وقال رحمه الله في بيان الحكمة من الوزن مع أن الله عالم بكل شـــئ: ((قـــال الشيخ مرعي: الحكمة فيه إظهار العدل وبيان الفضل، حيث إنه يزن مثاقيل الذر مـــن خير أو شر ...))[٦].

---

(١) قال شارح الطحاوية: ((والذي دلت عليه السنة أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مـــشاهدتان)) ثم ساق الأدلة على ذلك. انظر: "شرح الطحاوية" (ص ٤٧٢-٤٧٥).

(٢) قال البيهقي في "شعب الإيمان" (١/٢٦٣): ((وقد روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قـــال: الميزان له لسان وكفتان، يوزن فيه الحسنات والسيئات، فيؤتى بالحسنات في أحسن صورة ... ويـــؤتى بالسيئات في أقبح صورة ...)). وهذا الإسناد من أوهى الأسانيد عن ابن عباس مطلقاً، انظر: "تدريب الراوي" (١/١٨١).

(٣) (٢/١٨٤).

(٤) سورة "المؤمنون"، الآيتان: (١٠٢،١٠٣).

(٥) "ما لا بد منه" (ص٣٦).

(٦) "ما لا بد منه" (ص٣٦)، والنقل عن "لوامع الأنوار البهية" (٢/١٨٨).

وقال الشيخ أبو بكر رحمه الله في الإيمان بالصراط: ((هو جسر ممدود على متن جهنم، يرده الأولون والآخرون، يجوزه الأبرار، ويزل عنه الفجار، وقد أطال العلماء في وصفه كما ورد في الآثار، فنؤمن به كما ورد))[١].

وقال رحمه الله في الإيمان بالحوض: ((هو حوض النبي ﷺ، الكوثر، ترده أمته المرحومة كما صح عنه: (ماؤه أشد بياضاً من اللبن، و أحلى من العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً)[٢]))[٣].

وقال الشيخ في مسألة هل الحوض قبل الصراط أو بعده: ((واختلف في كونه قبل الصراط أو بعده، وجمع بعضهم بين القولين باحتمال أن يقع الشرب قبل الصراط لقوم، وتأخيره بعده لآخرين، بحسب ما عليهم من الذنوب والأوزار حتى يهذبوا منها على الصراط[٤]...))[٥].

---

(١) "ما لا بد منه" (ص٣٦)، وانظر: "شرح الطحاوية" (ص ٤٦٩-٤٧٢).

(٢) بنحوه عند مسلم من حديث أبي ذر ﷺ : كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ .. (ح٢٣٠٠/٤/١٧٩٨)، وعند البخاري من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: كتاب الرقاق، باب في الحوض (ح٦٢٠٨/٥/٢٤٠٥)،

(٣) "ما لا بد منه" (ص٣٦،٣٧)، وانظر: "شرح الطحاوية" (ص ٢٥٠،٢٥١).

(٤) قال القرطبي رحمه الله: ((والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين: أحدهما في الموقف قبل الصراط، والثاني في الجنة، وكلاهما يسمى كوثراً ...)). "التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة" دار إحياء الكتب العربية. القاهرة. (ص ٢٩٧).

وقد اختلف في الحوض هل هو قبل الميزان أو بعده، واختار القرطبي أنه قبل، ونقل عنه شارح الطحاوية، انظر: "شرح الطحاوية" (ص ٢٥٢)، وانظر: "لوامع الأنوار البهية" (٢/١٩٥).

(٥) "ما لا بد منه" (ص٣٦،٣٧).

المطلب الرابع: الإيمان بالجنة والنار:

بين الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، وأنهما لا تفنيان، وأن أهل الجنة وأهل النار خالدون فيها، فقال رحمه الله: ((... وهما مخلوقتان، لا تفنيان، فالجنة مأوى أوليائه، والنار عقاب لأعدائه، وأهل الجنة فيها مخلدون، والمجرمون **﴿في عذاب جهنم خالدون.لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون﴾**[١]، ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة! خلود ولا موت، ويا أهل النار! خلود ولا موت[٢]))[٣].

وقال الشيخ أبو بكر في مسألة مكان الجنة والنار: ((لم يصرح نص بتعيين مكانهما، بل حيث شاء الله تعالى))[٤].

لكن قد ذهب بعض أهل العلم إلى القول بأن الجنة فوق السماء السابعة، استدلالاً بقوله تعالى: **﴿ ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى ﴾** [٥]، وببعض الآثار الواردة عن السلف، كما ذكروا عدة أقوال في مكان النار[٦].

---

(١) سورة "الزخرف"، الآيتان: (٧٤،٧٥).

(٢) جاء ذلك في الحديث المتفق عليه عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، رواه البخاري: كتاب التفسير، باب وأنذرهم يوم الحسرة (ح٤٤٥٣/٤/١٧٦٠)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون (ح٢٨٤٩/٤/٢١٨٨).

(٣) "ما لا بد منه" (ص٣٧)، وانظر: "شرح الطحاوية" (ص ٤٧٦-٤٨٠) عند شرح قول الطحاوي: ((والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان ...)).

(٤) "ما لا بد منه" (ص٣٧).

(٥) سورة "النجم"، الآيات: (١٣-١٥).

(٦) انظر: "حادي الأرواح"، الباب الثالث عشر: في مكان الجنة وأين هي (ص ٤٦،٤٧)، وانظر: "لوامع الأنوار البهية" (٢/٢٣٧-٢٣٩).

المطلب الخامس: رؤية المؤمنين ربهم في الجنة:

رؤية المؤمنين ربهم في الجنة هي أعلى نعيمها، وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وحُرمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مردودون.

وقد قال بثبوت الرؤية: الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة[١].

وقد قرر الشيخ أبو بكر خوقير إثبات الرؤية، فقال رحمه الله: ((... فنؤمن بما أخبر به هو ونبيه ﷺ من رؤيته تعالى، كما قال: ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة** ﴾[٢]، وقال ﷺ: (إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر)[٣]، والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئي))[٤].

وقال الشيخ رحمه الله بإثبات الرؤية مع عدم علمنا بالكيفية ((رؤيته تعالى بلا كيف، ولا تحديد في الرؤية والمرئي والرائي في حال بصره، فأحوال الآخرة لا تقاس على ما في الدنيا، وهو سبحانه ليس كمثله شيء))[٥].

وهذا ما قرره الإمام الطحاوي رحمه الله بقوله: ((والرؤية حق لأهل الجنة، بغير

---

(١)"شرح الطحاوية" (ص ٢٠٤) بتصرف يسير. وانظر الأدلة وأقوال السلف في إثبات الرؤية: "حادي الأرواح" الباب الخامس والستون: في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى (ص١٩٦-٢٤٠).

(٢) سورة "القيامة"، الآيتان: (٢٢،٢٣).

(٣) متفق عليه من حديث جرير ﷺ، رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر (ح٥٢٩/١/٢٠٣)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر (ح٦٣٣/١/٤٣٩).

(٤) "ما لا بد منه" (ص٣٨).

(٥) "ما لا بد منه" (ص٣٨).

إحاطة ولا كيفية ...))[١].

قال شارح الطحاوية: ((وقوله: " بغير إحاطة ولا كيفية": هذا لكمال عظمته وبهائه، سبحانه وتعالى، لا تدركه الأبصار ولا تحيط به، كما يُعلم ولا يحاط به علماً، قال تعالى: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**ولا يحيطون به علماً**﴾[٣]))[٤].

---

(١) "شرح الطحاوية" (ص ٢٠٣).

(٢) سورة "الأنعام"، آية رقم: (١٠٣).

(٣) سورة "طه" ، آية رقم: (١١٠).

(٤) "شرح الطحاوية" (ص ٢١٤).

المبحث السادس: الإيمان بالقدر.

الإيمان بالقدر من أركان الإيمان، فلا يتم إيمان العبد إلا به، والقدر سر الله في خلقه، وقد ضل فيه أقوام، فمنهم من عظم جانب القدر وأغفل جانب الشرع، فأدى بهم ذلك إلى القول بالجبر، وهؤلاء هم القدرية المشركية، وضل آخرون فعظموا جانب الشرع وأغفلوا جانب القدر، فنفوه أو نفوا بعضه، وهم القدرية المجوسية، وقسم آخر عارض بين الشرع والقدر وعد ذلك تناقضاً من الـرب، وهـؤلاء هـم القدريـة الإبليسية(١).

ويلاحظ أن الانحراف في مسائل القدر قد ظهر مبكراً في الأمة، فقد جاء عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، أنه قيل له: (إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفّرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف! قـال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريئ منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر)(٢).

وقد تناول الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله تقرير الإيمان بالقدر ومسائله وفـق منهج السلف، كما سيأتي بيانه في المطالب التالية.

---

(١) انظر: "التدمرية" (ص ٢٠٧،٢٠٨).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان (ح٨/١/٢٧). ومعنى: يتقفرون أي: يتطلبون. "النهاية في غريب الحـديث والأثر" (٩٠/٤).

المطلب الأول: معنى الإيمان بالقدر، وما يجب على المؤمن تجاهه.

قال الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله مبيناً معنى الإيمان بالقدر: ((اعتقاد أنه تعالى قدر الخير والشر قبل الخلق، من طاعة وعصيان ومحبوب ومكروه، وأنه خلق أفعالهم جميعها، لقوله تعالى: ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾[1]، وقوله: ﴿ **إنا كل شيء خلقناه بقدر**﴾[2]، فهي واقعة بإرادته وتقديره وعلمه وقدرته.

قال الإمام أحمد: من أنكر القدر فقد أنكر القدرة[3].

وقال الإمام الشافعي: القدرية إذا أقروا بالعلم خصموا[4]))[5].

ويلاحظ أن الشيخ ذكر مراتب القدر: العلم والإرادة والخلق، ولكنه لم يذكر الكتابة، وكان من المطلوب ذكرها[6].

وقال الشيخ أبو بكر رحمه الله في بيان ما يجب على المؤمن تجاه القدر: ((هل يجب الرضا بالقضاء والتسليم للقدر، وما معنى ذلك ؟)).

قال: ((معنى الرضا بالقضاء: هو أن لا يعترض على الحكم، ولا يتسخطه، ولو أحس بالألم والمكاره، وحكمه: الاستحباب في المصائب التي تصيب العبد، والوجوب

---

(١) سورة "الصافات"، آية رقم: (٩٦).

(٢) سورة "القمر"، آية رقم: (٤٩).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((ولهذا قال الإمام أحمد: القدر قدرة الله، يشير إلى أنه من أنكر القدر فقد أنكر قدرة الله ...)). "منهاج السنة" (٣/٢٥٤).

(٤) ذكره عنه شارح الطحاوية (ص ٣٠٢)، وكذا الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (٣/٣٤٧).

(٥) "ما لا بد منه" (ص٣٩).

(٦) انظر: "مجموع الفتاوى" (٣/١٤٨، ١٤٩).

في القضاء الديني الشرعي في الأمر والنهي، لقوله تعالى: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً**﴾[(١)]، وعدم الجواز في القضاء بالكفر والمعاصي، فإن الله نهى عن الرضا به وإن قدره، فهو لم يأمر به.

قال بعضهم: القضاء الذي هو صفة الله، فالرضى به واجب، ونظمه السفاريني بقوله:

وليس بواجب على العبد الرضا   بكل مقضي ولكن بالقضا))[(٢)].

وقال الشيخ رحمه الله: ((ليس للإنسان الخوض في معرفة أسرار القدر، وقد ورد النهي عن الخوض في القدر[(٣)]، ومنه ما لا يصل إليه العقل، من خرق عادة أو إيجاد شيء بلا سبب طبيعي ...

والأنبياء تأتي بما تدركه العقول وتتحير فيه، ولا تأتي بما تحيله العقول أبداً، فتأتي بمحارات العقول، ولا تأتي بمحالات العقول، كما قاله السفاريني وغيره))[(٤)].

---

(١) سورة "النساء"، آية رقم: (٦٤).

(٢) "ما لا بد منه" (ص٤١)، وانظر: "مجموع الفتاوى" (٨/٢٥٣)، و"مدارج السالكين" (٢/١٩٢،١٩٣)، و"لوامع الأنوار البهية" (١/٣٥٩-٣٦٣).

(٣) كما جاء أن النبي ﷺ خرج على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: (بهذا أمرتم ؟! أو: لهذا خلقتم ؟! تضربون القرآن بعضه ببعض! بهذا هلك من كان قبلكم). أخرجه ابن ماجه، باب في القدر (ح٨٥/١/٣٣)،وأحمد (ح٦٦٦٨/٢/١٧٨)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٤) انظر: "ما لا بد منه" (ص ٢٠،٢١) بتصرف يسير.

المطلب الثاني: حكم نسبة الشر إلى الله:

من الإيمان بالقدر الإيمان بأن الله خالق كل شيء من خير وشر، وما يخلقه الله من شر فهو: شر جزئي إضافي، فلا يخلق سبحانه شراً محضاً لا خير فيه[1].

قال الشيخ أبو بكر رحمه الله: ((لا يضاف إلى الله تعالى ما يتوهم منه نقص على الانفراد، بأن يقال: يا خالق القردة والخنازير، أو يا خالق الشر، ويا مقدر الشر، وإن كان هو الخالق لجميع الموجودات والمقدر للشر، قال ﷺ: (والشر ليس إليك)[2]، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿**وإذا مرضت فهو يشفين**﴾[3] فأضاف المرض إلى نفسه والشفاء إلى ربه، وإن كان الجميع منه، وقال الخضر: ﴿**فأردت أن أعيبها**﴾[4]، ﴿**فأراد ربك أن يبلغا أشدهما**﴾[5]))[6].

وقال شارح الطحاوية: ((ولهذا كان النبي ﷺ يقول في الاستفتاح: (والخير بيديك، والشر ليس إليك)[2]، أي: فإنك لا تخلق شراً محضاً، بل كل ما تخلقه ففيه حكمة، هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس، فهذا شر جزئي إضافي، فأما شر كلي، أو شر مطلق: فالرب سبحانه وتعالى متره عنه، وهذا هو الشر الذي ليس إليه))[7].

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (١٤/٢٦٦)، و"بدائع الفوائد" (٢/٤٣٦-٤٤٠).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (ح٧٧١/١/٥٣٥).

(٣) سورة "الشعراء"، آية رقم: (٨٠).

(٤) سورة "الكهف"، آية رقم: (٧٩).

(٥) سورة "الكهف"، آية رقم: (٨٢).

(٦) "ما لا بد منه" (ص ٤٠).

(٧) "شرح الطحاوية" (ص ٤١٢).

المطلب الثالث: العلاقة بين القدر واتخاذ الأسباب والدعاء:

قد يحصل لدى بعض الناس إشكال في التوفيق بين الإيمان بأن كل شيء مقدر، وبين الأمر بالعمل واتخاذ الأسباب، ونحو هذا ما سئل عنه رسول الله ﷺ، كما في الحديث: (جاء سراقة بن مالك بن جعشم، قال: يا رسول الله، بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيما العمل اليوم، أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما نستقبل؟ قال: لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير. قال: ففيم العمل؟ قال الراوي: ثم تكلم أبو الزبير بشيء لم أفهمه، فسألت ما قال، فقال: اعملوا فكل ميسر)[١].

وقد يخطئ بعضهم فيظن أن الأمور إذا كانت مقدرة فلا حاجة إلى الأسباب، وهذا فاسد كما بينه أهل العلم[٢].

قال الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله: ((هل يجوز الاتكال على القدر بترك الأخذ بالأسباب، كترك السعي في طلب الرزق ؟)).

قال: ((لا يجوز، فإن الله ربط الأسباب بالمسببات، وأمر بالسعي في طلبها وتعاطي كل سبب لجلب نفع ودفع ضر، وأوجب العقوبة على ترك الأخذ بالأسباب، وكل من قوي إيمانه قوي تعلقه بها[٣] ولم يهمل شيئاً منها، مع الاعتماد على ربه، كما جاء في الحديث: (اعقل وتوكل)[٤]، وكل من تقاعس عن شيء من الأسباب اتهم

---

(١) رواه مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي ... (ح٢٦٤٨/٤/٢٠٤٠).

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى" (٨/٥٢٦-٥٣٩)، و"شرح الطحاوية" (ص ٣٠١).

(٣) التعلق عمل القلب وهذا يجب أن يكون بالله تعالى، لكن كلما قوي إيمان العبد كثر تحقيقه للأسباب وتعلقه بمسبب الأسباب، فيجتهد في تحقيق عبودية القلب لله تعالى بحسن التوكل عليه، وتحقيق عبودية الجوارح بإتعابها في العمل بالأسباب. (تعليق المشرف على الرسالة د. عبد الله الدميجي حفظه الله).

(٤) رواه الترمذي من حديث أنس ﷺ، كتاب صفة القيامة والرقائق والأدب، باب (٥٩)، (ح٢٥١٧/٤/٦٦٨)، وابن حبان من حديث عمرو بن أمية (ح٧٣١/٢/٥٠٠)، وحسن الألباني حديث أنس في "صحيح الجامع" (ح١٠٦٨/١/٢٤٢).

بخلل في عقله وترتب عليه الإثم والعقاب ولوم الناس عليه وتبكيت الضمير ...))[١].

ومن أعظم الأسباب التي يلجأ إليها العبد: الدعاء، وقد أمر الله عباده به، كما في قوله: ﴿**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**﴾[٢]، ويخطئ بعض الناس، فيظن أن الدعاء لا تأثير له في حصول مطلوب ولا دفع مرهوب، وأنه عبادة محضة، وأن ما حصل به حصل بدونه، وظن آخرون أن ذلك مجرد علامة، والصواب الذي عليه السلف والأئمة والجمهور أن ذلك من أعظم الأسباب التي تنال بها سعادة الدنيا والآخرة[٣].

قال الشيخ أبو بكر خوقير: ((هل ينفع الدعاء ويعد من الأسباب ؟)).

قال رحمه الله: ((جاء في حديث ثوبان: (لا يرد القدر إلا الدعاء)[٤]، وفي معناه عن عائشة وابن عمر، فهو نافع، سيما مع الإلحاح فيه، ولكن لا يترك معه تعاطي الأسباب، فاليد تعمل، واللسان يدعو، والقلب يتوكل على ربه))[٥].

---

(١) انظر: "ما لا بد منه" (ص ٤١،٤٢).

(٢) سورة "غافر"، آية رقم: (٦٠).

(٣) "مجموع الفتاوى" (٨/٥٣٠،٥٣١).

(٤) رواه: الترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء (ح٢١٣٩/٤/٤٤٨)، وابن ماجه: باب في القدر (ح٩٠/١/٣٥)، وابن حبان (ح٨٧٢/٣/١٥٣)، والحاكم في المستدرك (ح١٨١٤/١/٦٧٠)، وحسنه الألباني، كما في الصحيحة (ح١٥٤).

(٥) "ما لا بد منه" (ص ٤٢)، وانظر: "مجموع الفتاوى" (١٠/٢١،٢٢)، و"شرح الطحاوية" (ص٥٢٠،٥٢١).

المطلب الرابع: مسألة الجبر:

ضلت طوائف من الناس في مسألة القدر، فظنوا أن تقدير الله لأفعال العباد يلزم منه أنهم مجبورون عليها، وأن العبد ليس له إرادة ولا اختيار، وهذا من فكر الإرجاء الذي تأثر به كثير من المسلمين[1].

وقد تعرض الشيخ أبو بكر خوقير لهذه المسألة، وبينها بقوله: ((هل يلزم من كون الله خالقاً لجميع أفعال خلقه أن يكونوا مجبورين، وغير مجدين للسعي في طلب الخير ودفع الشر، وغير مستحقين للثواب والعقاب ؟)).

قال رحمه الله: ((لا يلزم ذلك، فإن الله تعالى وهب للإنسان مدارك وقوى، وبين له طرق الخير والشر، وأمره بالسعي في طلب الأول وتجنب الثاني، وجعل العقل قائده، فهو يسعى في مصالحه بإرادته واختياره وقدرته وعقله، فيكسب ما أراده واختاره، والله يجازيه على سعيه وكسبه، وإن كانت قدرته تحيط بجميع الكائنات وهي مرجعها، فإذا حالت بين الإنسان وفعله، استمد المعونة من خالقه واستعان به و لم ييأس.

ولا يزال يسعى بجد واجتهاد وراء الخير، كما أمر به، ويكافح الشر ويخوض غماراً للموت معتقداً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ولو اجتهد الخلق أن ينفعوه بما لم يكتبه الله، لم يقدروا عليه، ولو اجتهدوا أن يضروه بما لم يقضه الله عليه، لم يقدروا ﴿ **وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله** ﴾[2].

ولا يخفى على العاقل أن هذه العقيدة تورث قوة وشجاعة وكياسة، وبها ساد المسلمون في الصدر الأول))[3].

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (١٤٨،١٤٧/٣٦) مسائل القدرية المجبرة.

(٢) سورة "يونس"، آية رقم: (١٠٧).

(٣) "ما لا بد منه" (ص٣٩ ، ٤٠).

المطلب الخامس: الاحتجاج بالقدر على المعاصي:

يحتج بعض العصاة على أفعالهم بالقدر، وهذا ناتج عن القول بالجبر[1]، والحق أن العبد مأمور باجتناب الذنوب والمعاصي، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب، ((فالمؤمن يصبر على المصائب، ويستغفر من الذنوب والمعايب، والمنافق بالعكس، لا يستغفر من ذنبه، بل يحتج بالقدر، ولا يصبر على ما أصابه، فلهذا يكون شقياً في الدنيا والآخرة، والمؤمن سعيداً في الدنيا والآخرة))[2].

قال الشيخ أبو بكر رحمه الله مبيناً حكم الاحتجاج بالقدر على المعاصي: ((لا يجوز، فقد نهى عنه النبي ﷺ [3]، وصار الاعتذار به معدوداً من الحماقة عند الناس، ولا

---

(١) كما قال ابن القيم رحمه الله في بيان مذهب الجهم، "شرح ابن عيسى على النونية" (١١١/١):

والجبر مذهبه الذي قرت به عين العصاة وشيعة الشيطان

كانوا على وجل من العصيان إذ هو فعلهم والذنب للإنسان

فأراحهم جهم وشيعته من اللـ ـوم العنيف وما قضوا بأمان

لكنهم حملوا ذنوبهم على رب العباد بعزة وأمان

وتبرؤوا منها وقالوا إنما أفعاله ما حيلة الإنسان

(٢) "مجموع الفتاوى" (٢٤١/٨)، وانظر: "شرح الطحاوية" (ص١٥٥).

(٣) لعله يعني حديث علي رضي الله عنه في الصحيح لما طرقه النبي ﷺ وفاطمة وهما نائمان، فقال: ألا تصليان؟ فقال علي: يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله إن شاء أن يمسكها وإن شاء أن يرسلها، فولى النبي ﷺ وهو يضرب بيده على فخذه وهو يقول: ﴿**وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً**﴾، أخرجه البخاري: أبواب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل ... (ح١٠٧٥/١/٣٧٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عقب إيراده الحديث: ((هذا الحديث نص في ذم من عارض الأمر بالقدر، فإن قوله: "إنما أنفسنا بيد الله" إلى آخره، استناد إلى القدر في ترك امتثال الأمر، وهي في نفسها كلمة حق، لكن لا تصلح لمعارضة الأمر، بل معارضة الأمر فيها من باب الجدل المذموم، الذي قال الله فيه: ﴿**وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً**﴾، وهؤلاء أحد أقسام القدرية، وقد وصفهم الله في غير هذا الموضع بالمجادلة الباطلة)). "مجموع الفتاوى" (٢٤٤/٨).

يرضى به إنسان في أحواله الخصوصية، لما هو راسخ في الطبيعة من اعتقاد الكسب[1] وترتيب الجزاء عليه ديناً ودنيا، كما تقدم بيانه.

ولله الحجة البالغة على عباده بإنزال الكتب وبعث الرسل، قال تعالى: ﴿**لـئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾[2] وهو تعالى لم يجبر أحداً على معصية، ولا اضطره إلى ترك طاعة، ولم يأمر ولم ينه إلا بما يستطاع من الفعل والترك، قال تعالى: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**﴾[3] وقال: ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾[4] وقال: ﴿**اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم**﴾[5].

فدل على أن للعبد كسباً يجزى على حسنه بالثواب وعلى سيئه بالعقاب، وهو راض بقضاء الله وقدره.

قال بعضهم: وبالضرورة إن لقدرة العبد وإرادته مدخلاً في بعض الأفعال

---

(١) الكسب: لفظ جاءت به نصوص الشريعة، كما في قوله تعالى: ﴿ **اليوم تجزى كل نفس بما كسبت** ﴾ [غافر: ١٧]، والكسب: هو الفعل الذي يعود على فاعله منه نفع أو ضرر، فلا فرق بين: كسَب وفعَل، انظر"شرح الطحاوية" (ص٥٠٢) و"مجموع الفتاوى" (١١٩/٨، ١٢٨).

لكن المحذور فهم الكسب على مصطلح المتكلمين، فالأشاعرة والماتريدية متفقون على أن الله هو الخالق لأفعال العبد، والعبد كاسب، بمعنى أنه متسبب بعزمه في أن يخلق الله الفعل ويجريه على يديه، لكن اختلفوا في هذا العزم، هل هو من عمل العبد أم من عمل الرب؟ بمعنى: هل العبد هو الذي يوجه إرادة نفسه مختاراً في هذا التوجيه؟ أم الله هو الذي يوجه إرادة العبد إلى الشيء أو ضده ولا يملك العبد لذلك نقضاً ولا تحويلاً؟ فقال بالأول الماتريدية، واقتربوا من منحى المعتزلة، وقال بالثاني الأشاعرة، واقتربوا من منحى الجبرية. انظر: "موقف ابن تيمية من الأشاعرة" (١٣٣٥/٣).

(٢) سورة "النساء"، آية رقم: (١٦٥).

(٣) سورة "البقرة"، آية رقم: (٢٨٦).

(٤) سورة "التغابن"، آية رقم: (١٦).

(٥) سورة "غافر"، آية رقم: (١٧).

كحركة البطش، دون البعض كحركة الارتعاش))[١].

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ((عن العبد هل يقدر أن يفعل الطاعة إذا أراد أم لا ؟ وإذا أراد أن يترك المعصية، يكون قادراً على تركها أم لا ؟

فأجاب: الحمد لله، نعم، إذا أراد العبد الطاعة التي أوجبها الله عليه إرادة جازمة، كان قادراً عليها، وكذلك إذا أراد ترك المعصية التي حُرمت عليه إرادة جازمة، كان قادراً على ذلك، وهذا مما اتفق عليه المسلمون وسائر أهل الملل حتى أئمة الجبرية، بل هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ...))[٢].

---

(١) "ما لا بد منه" (ص٤٠،٤١).

(٢) "مجموع الفتاوى" (٨/٤٣٧).

المطلب السادس: مسألة نفوذ الوعد والوعيد:

في مسألة نفوذ الوعيد يقول أهل السنة والجماعة بجواز عفو الله عن المذنبين من الموحدين، وأنهم تحت مشيئة الله، إن شاء عذبهم بعدله، وإن شاء عفا عنهم بفضله، والمخالف لأهل السنة في هذه المسألة هم الوعيدية من الخوارج والمعتزلة، الذين يقولون بوجوب وقوع العذاب على العصاة، وأن الله إن لم يعذبهم فقد كذب فيما توعدهم به من العذاب، تعالى الله عما يقولون، فالخوارج والمعتزلة يخرجون المسلم من الإيمان بارتكاب الكبيرة، ويحكمون عليه بالخلود في النار [(١)].

وقد بين الشيخ أبو بكر خوقير قول السلف في مسألة نفوذ الوعيد، فقال: ((... أما وعيده للعصاة الموحدين، فيجوز تخلفه بالنسبة للكرم وعفو الكريم الذي يُضرب به المثل عند العرب، ولا يلزم من ذلك الكذب في أقواله جل وعلا.

على أن نفوذ الوعيد صادق بواحد من كل صنف من طوائف العصاة الموحدين[(٢)]، على أن العفو يصدق بما بعد العذاب والتعذيب، وقد وعدهم به، ونفاه عن غير الموحدين في قوله : ﴿ **إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾[(٣)]))[(٤)].

وأما وعد الله للمؤمنين بالثواب فإنه لا يتخلف، وهذا ما بينه الشيخ أبو بكر بقوله: ((وعد الله حق لا يتخلف شرعاً قطعاً، لقوله تعالى: ﴿ **وَعْدَ اللهِ لاَ يُخْلِفُ اللهُ**

---

(١) انظر: "الواسطية" (ص ٣٩، ٤٠)، و"شرح الطحاوية" (ص ٣٥٥-٣٧٣).

(٢) قال شيخ الإسلام: ((السلف والأئمة متفقون على ما تواترت به النصوص من أنه لا بد أن يدخل النار قوم من أهل القبلة، ثم يخرجون منها)) "مجموع الفتاوى" (٧/٥٠١).

(٣) سورة "النساء"، آية رقم (٤٨).

(٤) " ما لا بد منه" (ص٤٣).

وَعْدَهُ ﴾[١]، ﴿ إِنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ المِيعَادَ ﴾[٢] ...))[٣].

وما قرره الشيخ أبو بكر في مسألة الوعد والوعيد هو قول أهل السنة، وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله: ((... والله تعالى لا يخلف وعده، وأما الوعيد فمذهب أهل السنة كلهم أن إخلافه كرم وعفو وتجاوز، يُمدح الرب تبارك وتعالى به ويثنى عليه به، فإنه حق له إن شاء تركه وإن شاء استوفاه، والكريم لا يستوفي حقه، فكيف بأكرم الأكرمين، وقد صرح سبحانه وتعالى في كتابه في غير موضع بأنه لا يخلف وعده، ولم يقل في موضع واحد: لا يخلف وعيده ...)).

ثم استشهد ابن القيم بمناظرة عمرو بن عبيد المعتزلي لأبي عمرو بن العلاء في هذه المسألة، إذ ((جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء فقال: يا أبا عمرو، يخلف الله ما وعده ؟ قال: لا، قال: أفرأيت من أوعده الله على عمله عقاباً، أيخلف الله وعده عليه؟ فقال أبو عمرو بن العلاء: من العجمة أتيت يا أبا عثمان؟! إن الوعد غير الوعيد، إن العرب لا تعد عاراً ولا خلفاً أن تعد شراً ثم لا تفعله، ترى ذلك كرماً وفضلاً، وإنما الخلف أن تعد خيراً ثم لا تفعله.

قال: فأوجدني هذا في كلام العرب. قال: نعم أما سمعت إلى قول الأول:

ولا يرهب ابن العم ما عشت سطوتي ... ولا اختشي من صولة المتهدد

وإني وإن واعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي))[٤].

---

(١) سورة "الروم"، آية رقم: (٦).

(٢) سورة "الرعد"، آية رقم: (٣١).

(٣) " ما لا بد منه" (ص٤٣).

(٤) "حادي الأرواح" (ص ٢٧١)، وانظر: "مدارج السالكين" (١/٣٩٦).

المطلب السابع: مسألة استحقاق الثواب والعقاب:

تقرر في المسألة السابقة أن وعد الله المؤمنين بالثواب لا يتخلف، وترتب على ذلك مسألة استحقاق الثواب، فهل يستحق العباد الثواب ؟ بمعنى أنه يجب على الله إثابة المطيع ؟

ومسألة: هل يجب على الله شيء، الناس فيها طرفان ووسط، ويتفرع عنها مسألة استحقاق العباد الثواب على الله، وقد بين ابن القيم رحمه الله اختلاف الناس في هذه المسألة، فقال: ((... فعليك بالفرقان في هذا الموضع الذي هو مفترق الطرق، والناس فيه ثلاث فرق: فرقة رأت أن العبد أقل وأعجز من أن يوجب على ربه حقاً، فقالت: لا يجب على الله شيء ألبتة، وأنكرت وجوب ما أوجب على نفسه.

وفرقة رأت أنه سبحانه أوجب على نفسه أموراً لعبده، فظنت أن العبد أوجبها عليه بأعماله، وأن أعماله كانت سبباً لهذا الإيجاب، والفرقتان غالطتان)).

ثم قال مبيناً القول الحق في المسألة:

((والفرقة الثالثة: أهل الهدى والصواب، قالت: لا يستوجب العبد على الله بسعيه نجاة ولا فلاحاً، ولا يُدخل أحداً عمله الجنة أبداً ولا ينجيه من النار، والله تعالى بفضله وكرمه ومحض جوده وإحسانه أكد إحسانه وجوده وبره بأن أوجب لعبده عليه سبحانه حقاً بمقتضى الوعد، فإن وعد الكريم إيجاب ولو بعسى ولعل، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: "عسى" من الله واجب ...))[1].

وقد تطرق الشيخ أبو بكر خوقير لمسألة استحقاق الثواب للعبد، وكذا العقاب، فقال رحمه الله: ((هل يستحق المؤمن المطيع ثواباً على عمله، والمؤمن العاصي عقاباً على ذنبه ؟)).

---

(١) "مدارج السالكين" (٣٣٨/٢، ٣٣٩)، وانظر: "بدائع الفوائد" (٣٨٩/٢، ٣٩٠)، "براءة الأئمة الأربعة" (ص ٤٧٠-٤٧٥).

قال: ((يثيب الله المطيع بفضله، ويعذب العاصي بعدله، فلا نقطع لطائع بجنة ونجاة لشخص معين، ولا لعاص بنار(١)، بل المؤمن بين الرجاء والخوف.

والله المالك المطلق، لا يسأل عما يفعل، فله العفو عن المذنب وإن لم يتب، وعن الكافر إذا أسلم، كما أن له إيلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم(٢)، وله تعجيل

---

(١) لا يظهر ترتب مسألة الحكم لمعين بجنة أو نار على مسألة استحقاق العباد الثواب على الله، فإدخال الله العباد الجنة برحمته لا باستحقاقهم الثواب مسألة، وعدم الحكم لمعين بجنة أو نار مسألة أخرى لا تترتب على الأولى، وكان الأولى بالشيخ أبي بكر أن يفرد كل مسألة على حدة.

(٢) لعل الشيخ أخذ هذا عن السفاريني إذ قال: ((وجاز على المولى يعذب الورى، من غير ما ذنب ولا جرم جرى)) "لوامع الأنوار البهية" (١/٣٢٠)، والقول بجواز تعذيب الخلق من غير ذنب هو قول الجبرية من الجهمية وتبعهم عليه الأشاعرة، ويمكن تلخيص رد قولهم من خلال ما يلي:

١- أنهم لم يجعلوا للأعمال ارتباطاً بالجزاء ألبتة، وهذا خلاف ما دلت عليه نصوص الشرع، كقوله تعالى في الحديث القدسي: (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ...). أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم (ح٢٥٧٧/٤/١٩٩٤).

٢- أنهم نفوا حكمة الله في جزائه، وقالوا إن الأمر يرجع إلى محض المشيئة، من غير تعليل ولا سبب ولا حكمة تقتضي تخصيص هذا بالثواب وهذا بالعقاب.

٣- أنهم سووا بين المطيع والعاصي، وجوزوا أن يعذب الله من أفنى عمره في طاعته وأن ينعم من أفنى عمره في معصيته، فكلاهما بالنسبة إليه سواء عندهم، والله يقول: ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون** ﴾ [الجاثية:٢١].

٤- قال تعالى: ﴿**ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً**﴾ [طه: ١١٤]، أي لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه ذنب غيره، ولا يهضم فينقص من حسناته، وهؤلاء جوزوا هضم أجره بل تعذيبه.

٥- وعد الله من آمن وعمل الصالحات أن يثيبه، كما قال تعالى: ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قيلاً** ﴾ [النساء: ١٢٢]، ووعد الله لا يخلف، وهؤلاء يجوزن إخلافه.

انظر: كلام ابن تيمية على حديث (إني حرمت الظلم على نفسي) "مجموع الفتاوى" (١٨/١٣٦-١٥٦)، و"منهاج السنة" (١/٤٤٨)، و"مدارج السالكين" (١/٩٢-٩٦)، و"شفاء العليل" ←

الثواب والعقاب وتأخيرهما))[١].

وقول الشيخ: "يثيب الله المطيع بفضله" حق، فإن عمل المطيع ليس ثمناً لثواب الله، كما جاء في الحديث: (لن يدخل أحداً عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمه)[٢]، ولكن العمل سبب لدخول الجنة، كما قال تعالى: ﴿ **ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون** ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ **كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية** ﴾[٤].

وإن طاعة المطيع مهما عظمت لا تستوفي شكر نعم الله، وكذلك فإن إعانة الله للمطيع وهدايته نعمة جليلة منَّ الله بها عليه، فيبقى الفضل لله أولاً وآخراً، وأما العاصي فإنه يستحق العقاب، وليس في هذا ظلم، فإن الله متره عنه، كما قال تعالى: ﴿**وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين** ﴾[٥] فتعذيبه العصاة بعدله سبحانه، وبظلمهم أنفسهم لا ظلمه لهم[٦].

لكن كلام الشيخ أبي بكر في المسألة لا يتفق مع تقرير سببية أعمال العباد في استحقاق الثواب والعقاب، وكان مما ينبغي تقرير ذلك.

(ص١٩٩)، و"شرح الطحاوية" (ص ٥٠٧-٥١١)، وتعليق الشيخين عبد الله بابطين وابن سحمان على كلام السفاريني وما أوردوه من نقول عن ابن القيم. "لوامع الأنوار البهية" (١/٣٢٠-٣٢٦) (حاشية).

(١) " ما لا بد منه" (ص٤٢، ٤٣).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ ، رواه البخاري: كتاب المرضى، باب نهي تمني المريض الموت (ح٥٣٤٩/٥/٢١٤٧) ومسلم: كتاب صفة القيامة... باب لن يدخل أحد الجنة... (ح٢٨١٦/٤/٢١٦٩).

(٣) سورة "الأعراف"، آية رقم: (٤٣).

(٤) سورة "الحاقة"، آية رقم: (٢٤).

(٥) سورة "الزخرف"، آية رقم: (٧٦).

(٦) انظر: "مدارج السالكين" (١/٩٢-٩٦)، و"طريق الهجرتين" (ص ٤٢٨-٤٣١)، و"شفاء العليل" (ص٥٧، ٥٨).

المطلب الثامن: مسألة وجوب فعل الصلاح والأصلح على الله:

يوجب المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة على الله فعل الصلاح والأصلح للعبد، ويقولون لو قدِر الله على هداية العبد ثم لم يهده لكان ظالماً له، فهم يقيسون الخالق على المخلوق، ويشبهون أفعال الله بأفعال العباد، فهم مشبهة الأفعال، وقد لزمهم من هذا القول عدة لوازم، عدها ابن القيم رحمه الله ثمانية عشر إلزاماً توضح مدى مخالفة قولهم هذا للشرع والعقل(١).

وقد تطرق الشيخ أبو بكر خوقير لهذه المسألة، فقال رحمه الله: ((هل يجب فعل الصلاح والأصلح على الله ؟)).

وبين أنه لا يجب على الله ذلك، لكنه عمم القول فنفى وجوب شيء على الله مطلقاً، والصواب التفصيل في المسألة.

قال الشيخ أبو بكر في جواب السؤال السابق: ((لا يجب عليه فعل شيء مطلقاً، وأفعاله صادرة عن علمه وإرادته، وذلك لازم لاختياره، فهو الفاعل المختار سبحانه، يفعل ما يشاء ويختار))(٢).

ومسألة وجوب شيء على الله: يراعى فيها إثبات ما أوجبه الله على نفسه وكذا ما حرمه على نفسه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((هل يوصف الله تعالى بأنه أوجب على نفسه وحرم على نفسه؟ أو لا معنى للوجوب إلا إخباره بوقوعه، ولا للتحريم إلا إخباره بعدم وقوعه؟ فقالت طائفة بالقول الثاني، وهو قول من يطلق أن الله لا يجب عليه شيء ولا يحرم عليه شيء.

وقالت طائفة: بل هو أوجب على نفسه وحرم عليه نفسه، كما نطق بذلك

---

(١) انظر: "مفتاح دار السعادة" (٢/٥٢-٥٥)، وانظر: "مجموع الفتاوى" (٨/٩٢).

(٢) "ما لا بد منه" (ص ٢٠).

الكتاب والسنة في مثل قوله تعالى: ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾[١]، وقوله ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾[٢]، وقوله في الحديث الإلهي الصحيح: (يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً ...)[٣]))[٤].

فبين شيخ الإسلام الصواب في المسألة وهو إثبات أن الله يوجب على نفسه بنفسه، ويحرم على نفسه بنفسه، وهذا من كماله سبحانه.

---

(١) سورة "الأنعام"، آية رقم: (٥٣).

(٢) سورة "الروم"، آية رقم: (٤٧).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم (ح٢٥٧٧/٤/١٩٩٤).

(٤) "منهاج السنة" (٤٥٢/١)، وانظر: "اقتضاء الصراط المستقيم" (٤٠٩-٤١٠)، و"شرح الطحاوية" (ص٥١٠).

الباب الثالث

جهود الشيخ في الرد على المخالفين لأهل السنة والجمـــاعة في مسألـــة التوســل وما تبعهـــا.

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: حياة الأنبياء في البرزخ.

الفصل الثاني: التوسل.

الفصل الثالث: صرف الدعاء لغير الله.

الفصل الرابع: الشفاعة.

الفصل الأول

حياة الأنبياء في البرزخ

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: بيان الخلاف في المسألة.

المبحث الثاني: شبهات المخالفين لأهل السنة والجماعة في المسألة، وجواب الشيخ عنها.

المطلب الأول: حديث (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون).

المطلب الثاني: حديث عرض الأعمال على النبي ﷺ.

المبحث الأول: بيان الخلاف في المسألة:

يقول أهل السنة والجماعة بإثبات حياة البرزخ، وأنها حياة مخالفة للحياة الدنيا وللحياة بعد البعث، ويقولون: إن الميت في نعيم أو عذاب.

وفيما يخص الأنبياء فإن الموت يقع عليهم كسائر البشر، ثم هم في حياة برزخية، ومستقر أرواحهم في أعلى عليين في الرفيق الأعلى، ولها اتصال بأجسادهم، وهذه الحياة لا تقطع عنهم اسم الموت، والموت لا يقطع عنهم اسم النبوة، وهم يتنعمون بأفضل ما يتنعم به المؤمنون، وأجسادهم في قبورهم لا تبلى، كما دلت على ذلك نصوص الشرع.

فمن الأدلة على وقوع الموت على جميع الناس، قوله تعالى: ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿**كل من عليها فان**﴾(٢).

وجاءت آيات تذكر موت بعض الأنبياء عليهم السلام، كما في قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿**والذي يميتني ثم يحيين**﴾(٣)، وقوله تعالى عن يعقوب: ﴿**أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت**﴾(٤)، وقوله تعالى عن يوسف: ﴿**ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً**﴾(٥)، وقال تعالى عن نبيه سليمان: ﴿**فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته**﴾(٦).

---

(١) سورة "آل عمران"، آية رقم: (١٨٥).

(٢) سورة "الرحمن"، آية رقم: (٢٦).

(٣) سورة "الشعراء"، آية رقم (٨١).

(٤) سورة "البقرة"، آية رقم (١٣٣).

(٥) سورة "غافر"، آية رقم: (٣٤).

(٦) سورة "سبأ"، آية رقم: (١٤).

وفيما يخص نبينا محمداً ﷺ، قال تعالى: ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾[١]، وقال تعالى: ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**﴾[٤].

ولما توفي نبينا محمد ﷺ اضطرب بعض الصحابة ولم يصدق بموته، حتى ثبتهم الله بالصديق أبي بكر، فصعد المنبر وقال: (أما بعد، من كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت. ثم تلا قوله تعالى: ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين**﴾[٥])[٦].

ومن إكرام الله لأنبيائه حفظه لأجسادهم فلا تبلى بعد موتهم، كما جاء في الحديث عنه ﷺ: (إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)[٧]، وهذا الأمر

---

(١) سورة "الزمر"، آية رقم: (٣٠).

(٢) سورة "الأنبياء"، آية رقم: (٣٤).

(٣) سورة "آل عمران"، آية رقم: (١٤٤).

(٤) سورة "الحجر"، آية رقم: (٩٩).

(٥) سورة "آل عمران"، آية رقم (١٤٤).

(٦) أخرجه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً ... (٣/١٣٤١/ح٣٤٦٧).

(٧) من حديث أوس بن أوس ﷺ، أخرجه أحمد (٤/٨/ح١٦٢٠٧)، وأبو داود: باب تفريع أبواب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة وليلتها (١/٣٧٥/ح١٠٤٧)، والنسائي: كتاب الجمعة، باب ذكر فضل يوم الجمعة (١/٥١٩/ح١٦٦٦)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة...، باب: فضل يوم الجمعة (١/٣٤٥/ح١٠٨٥)، وابن خزيمة (٣/١١٨/ح١٧٣٣)، وابن حبان (٣/١٠٩/ح٩١٠). وصححه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" (٢/٢٩٧/ح١٦٧٤).

ليس خاصاً بالأنبياء وحدهم، بل قد يشركهم فيه غيرهم، كما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه حين استخرج أباه بعد ستة أشهر من استشهاده بأحد، فقال: (فإذا هو كيوم وضعته هنية غير أذنه)(١).

وفيما يتعلق بمستقر أرواح الأنبياء، فقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه أخذ يقول عند موته: (بل الرفيق الأعلى)(٢)، وهذا يدل على أن مستقر أرواحهم في أعلى عليين.

قال ابن حزم رحمه الله: ((... وتُعجل أرواح الأنبياء عليهم السلام وأرواح الشهداء إلى الجنة.

وقد ذكر محمد بن نصر المروزي عن إسحاق بن راهويه أنه ذكر هذا القول الذي قلناه بعينه، وقال: على هذا أجمع أهل العلم. قال أبو محمد: وهو قول جميع أهل الإسلام ...)) (٣).

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: ((أما الأنبياء عليهم السلام فليس فيهم شك أن أرواحهم عند الله في أعلى عليين، وقد ثبت في الصحيح أن آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ عند موته: (اللهم الرفيق الأعلى)(٢)، وكررها حتى قبض، وقال رجل لابن مسعود: (قبض رسول الله ﷺ، فأين هو؟ قال: في الجنة)) (٤).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب الإذخر والحشيش في القبر، (١/٤٥٣/ح١٢٨٦).

(٢) أخرجه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ... (٤/١٦١٢/ح٤١٧٢).

(٣) "الفصل في الملل" (٤/٥٩).

(٤) " أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور". دار الكتب العلمية. بيروت. ط١. (١٤٠٥هـ). (ص٩٥). وانظر: "الروح" لابن القيم (ص١١٥).

ومع كون أرواحهم كذلك، إلا أن لها حركة وانتقالاً واتصالاً بأجسادهم، قال ابن رجب رحمه الله: ((... فإنه يسلم على قبور الأنبياء والشهداء، وأرواحهم في أعلى عليين، ولكن مع ذلك لها اتصال سريع في الجسد، ولا يعلم كنه ذلك وكيفيته على الحقيقة إلا الله عز وجل)) [١].

وقال ابن القيم رحمه الله: ((فإن للروح شأناً آخر، تكون في الرفيق الأعلى في أعلى عليين ولها اتصال بالبدن، بحيث إذا سلم المسلم على الميت رد الله عليه روحه فيرد عليه السلام وهي في الملأ الأعلى. وإنما يغلط أكثر الناس في هذا الموضع حيث يعتقد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التي إذا شغلت مكاناً لم يمكن أن تكون في غيره، وهذا غلط محض، بل الروح تكون فوق السموات في أعلى عليين وترد إلى القبر فترد السلام وتعلم بالمسلم وهي في مكانها هناك، وروح رسول الله في الرفيق الأعلى دائماً ويردها الله سبحانه إلى القبر فترد السلام على من سلم عليه ...)) [٢].

والخلاف في مسألة حياة الأنبياء في البرزخ ليس في أصل ثبوتها، ولكنه يظهر من خلال ما يلي:

الأمر الأول: صفة هذه الحياة، حيث ذهب بعض المتقدمين من أهل العلم إلى القول بأن الله يرد أرواح الأنبياء إليهم بعد موتهم، فهي لا تنفك عن أجسادهم[٣]، وقيل: بأن حياة النبي ﷺ في قبره كحياته قبل موته[٤].

---

(١) " أهوال القبور" (ص ١١٥، ١١٦).

(٢) "الروح" (ص١٠١).

(٣) كما قال البيهقي رحمه الله: ((والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعدما قبضوا ردت إليهم أرواحهم، فهم أحياء عند ربهم كالشهداء)) "الاعتقاد" (ص ٣٠٥)، ونقل عنه في "فيض القدير" (٥/٥٠١) أنه قال عن الأنبياء بعد موتهم: ((فيصيرون كسائر الأحياء))، وأورده عنه السيوطي في "شرح الصدور بشرح أحوال الموتى والقبور" دار المعرفة. لبنان. ط١. (١٤١٧هـ). (ص٢٠٢).

(٤) كما ذكره القرطبي في "المفهم" (٦/٢٣٣)، وممن قال بذلك السيوطي في كتابه "إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء"

وقد ذهب بعض المتكلمين إلى القول بأن النبوة عرض[(١)]، ويلزم من ذلك أنها تنتفي عن النبي ﷺ بموته، ففروا من هذا الإلزام بأن قالوا بأن الأنبياء في قبورهم أحياء كحياتهم في الدنيا[(٢)].

وجاءت أقوال في تفصيل صفة حياة النبي ﷺ في قبره، تثبت ما يخالف العقل ولا يستند إلى نقل صحيح، فمنهم من يقول بأنه ﷺ في قبره يتوضأ ويصلي الصلوات الخمس، ويصوم ويحج كل عام، وأنه يرى من يزور قبره، بل وخاطبه أحد [الأقطاب] الزائرين لقبره بقوله: "فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي" فمد يده الشريفة من الشباك، فقبلها![(٣)]

ضمن "الحاوي للفتاوي" (١٤٧/١) ، ومن أصرح ما نقله قول السبكي: ((حياة الأنبياء والشهداء في القبر كحياتهم في الدنيا))، وقد ذهب السيوطي إلى أبعد من هذا حتى قرر إمكان رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته والالتقاء به ومخاطبته لأرباب الأحوال، كما في كتابه "تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك" (٢٥٥/٢) ضمن "الحاوي للفتاوي".

(١) ذكر هذا القول الأشعري في "المقالات" (ص ٣٣٤) ولم ينسبه، ونسب ابن حزم هذا القول إلى الأشاعرة ورد عليهم، كما في "الفصل في الملل" (٧٥/١) وما بعدها حيث عقد فصلاً في "الرد على من زعم أن الأنبياء ليسوا أنبياءً اليوم ولا الرسل اليوم رسلاً"، وقد ثبت هذا القول عن الباقلاني، كما نسبه إليه في "الروح" (ص١١٠)، ونسب ابن تيمية هذا القول إلى أهل الكلام المحدث المبتدع، "مجموع الفتاوى" (٢٧٢/٩).

(٢) انظر: "اجتماع الجيوش الإسلامية" (ص ١١١)، و"الكافية الشافية" (١٠٧/١، ١٥٠/٢) وما بعدها، ومن هنا يظهر التلازم بين الأشعرية والصوفية في ما يترتب على هذا القول من فتح باب التوسل بأصحاب القبور.

(٣) انظر: "شواهد الحق في الاستغاثة بخير الخلق" ليوسف بن إسماعيل النبهاني (ت١٣٥٠هـ) مطبعة مصطفى البابي بمصر (١٤٠٨هـ). (ص ١٠٨) وغيرها. وقد أشار الشيخ أبو بكر خوقير إلى كتاب "شواهد الحق" في قوله في خاتمة كتابه "فصل المقال" : ((... وقد بينا بحمده تعالى الجواب عن تلك الشبه بياناً شافياً، وبسطنا القول عما يتعلق بها، فكان وافياً يستعين به من طالعه على دفع معظم ما أورده صاحب كتاب "شواهد الحق في الاستغاثة بخير الخلق" لبعض أهل العصر، فإنه لم يكبر حجمه إلا بالنقول المتكررة

الأمر الثاني -وهو نتيجة للأمر الأول- : مشروعية التوسل والاستغاثة وسؤال الحاجات والمطالب ممن مات من الأنبياء عليهم السلام، وأنه لا فرق في ذلك بين حياتهم وموتهم. وهذا الأمر هو الذي يجلي الفرق بين قول أهل السنة والجماعة وقول المخالفين في المسألة.

وأنقل هنا أبياتاً من قصيدة لابن حجر الهيتمي[1] بخصوص حياة النبي ﷺ البرزخية توضح جانباً من معتقد المخالفين في المسألة، قال:

تواترت الأدلة والنقول ... فما يحصي المصنف ما يقول
بأن المصطفى حي طري ... هلال ليس يطرقه أفول
وصوم ثم حج كل عام ... يجوز عليه بل لا يستحيل
ويطهر للصلاة بماء غيب ... ويقضيها بذا ورد الدليل
يصلي في الضريح صلاة خمس ... دواماً لا يمل ولا يميل
وفي القبر الشريف تراه حياً ... إلى كل البقاع له وصول
ولولا أنه حي حري ... بإدراك كما نقل الفحول
لما سعت الشموس إليه حقاً ... تسلم حين تطلع أو تزول
وما كان الحجيج إليه يسعى ... ويرجو أن يكون له قبول

المتكررة في معناها والمتضمنة للاستغاثة والأشعار التي فيها، وكان عليه أن يستوفي حقها وينقل ما فيها عن الشيخين ابن تيمية وابن القيم، ثم يرده حرفياً، فإن كتبهما انتشرت الآن في الآفاق، وأقبل عليها الحذاق، وعسى بعض إخواننا أن يكفينا المؤونة في رده، خدمة للحق والحقيقة ...)) (فصل المقال ص ٥٧). وقد رأيت في ذلك مناسبة لأن اقتبس الاستشهادات على موقف المخالفين من كتاب "شواهد الحق"، فعزوت أكثرها إليه.

(١) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، ولد بمصر سنة (٩٠٩هـ) وبرع في عدة علوم، وله عدة مؤلفات، كانت وفاته بمكة سنة (٩٧٥هـ). انظر: "أبجد العلوم" (١٦٤/٣).

ويلقـــاهم إذا وفـــدوا عليـــه ... وينظرهم إذا ازدحـــم القفـــول

ومـــن لم يعتقـــد هـــذا بطـــه ... يقيناً فهـــو زنـــديق جهـــول

عبيـــد هيتمـــي مـــستجير ... بمن حطت بساحته الحمـــول(١)

وأنقل أيضاً عبارة له توضح ما يفعل عند قبور الأنبياء والصالحين، علـــى رأي المخالفين، قال: ((ثم نرجع إلى ما كنا بسبيله من زيارة القبور فيما ذكر من الآداب، وهو في زيارة العلماء والصلحاء ومن يتبرك بهم.

وأما عظيم جناب الأنبياء والرسل، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فيأتي إليهم الزائر ويتعين عليه قصدهم من الأماكن البعيدة، فإذا جـــاء فليتـــصف بالـــذل والانكسار والمسكنة والفقر والحاجة والاضطرار والخضوع، ويحضر قلبـــه وخـــاطره إليهم وإلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره، لأنهم لا يبلون ولا يتغيرون.

ثم يثني على الله بما هو أهله، ثم يصلي عليهم ويترضى عن أصحابهم، ثم يترحم على التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثم يتوسل إلى الله تعالى بهم في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبـــه، ويـــستغيث بهـــم ويطلب حوائجه منهم، ويجزم بالإجابة ببركتهم، ويقوي حسن ظنه في ذلك، فـــإنهم باب الله المفتوح، وجرت سنته سبحانه وتعالى في قضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم.

ومن عجز عن الوصول إليهم فليرسل السلام عليهم، ويذكر ما يحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه وغير ذلك، فإنهم السادة الكـــرام، والكـــرام لا يردون من سألهم، ولا من توسل بهم، ولا من قصدهم، ولا من لجأ إليهم.

هذا الكلام في الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام عموماً.

---

(١) نقلاً عن "الذخائر المحمدية" لمحمد بن علوي المالكي. مطبعة حسان. القاهرة. (١٩٧٨م). (ص٤٣–٤٥).

وأما في زيارة سيد الأولين والآخرين، صلوات الله وسلامه عليه، فكل ما ذكر يزيد أضعافه، أعني في الانكسار والذل والمسكنة، لأنه الشافع المشفع الذي لا ترد شفاعته ولا يخيب من قصده، ولا من نزل بساحته، ولا من استعان أو استغاث به ... فمن توسل به أو استغاث به أو طلب حوائجه منه فلا يرد ولا يخيب، لما شهدت به المعاينة والآثار.

ويحتاج إلى الأدب الكامل في زيارته ﷺ، وقد قال علماؤنا: إن الزائر يشعر نفسه بأنه واقف بين يديه ﷺ كما هو في حياته، إذ لا فرق بين موته وحياته، أعني في مشاهدته ﷺ لأمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم، وذلك عنده جلي لا خفاء عليه ...)) [1].

فيتبين من النقل السابق مدى الانحراف فيما يعتقده المخالفون في مسألة حياة النبي ﷺ البرزخية، وما يتوصلون إليه بذلك من الإخلال بالتوحيد ومناقضته بصرف العبادة التي لا تنبغي إلا لله لغير الله، هادمين بذلك أصل الدين، ومخالفين شرع جميع المرسلين، عليهم الصلاة والسلام.

والواجب لتصحيح هذا الخطأ الرجوع إلى نصوص الشرع والوقوف عندها ولزومها، مع تحقيق الأصل الذي قام عليه الدين، وهو إخلاص العبودية لله وحده بإفراده بأنواع العبادة، ومن أجلها الدعاء والاستغاثة والاستعانة والاستجارة واللجوء والاضطرار والذل والفقر إليه سبحانه. كما ينبغي التأكيد على ما راعته الشريعة من سد الذرائع الموصلة إلى الشرك، ومن أهمها: الغلو في الأنبياء والصالحين، الذي هو سبب ظهور الشرك في بني آدم، وكذلك ما ورد من التحذير من الفتنة بالقبور [2].

---

(١) النقل عن كتاب "الجوهر المنظم في زيارة القبر النبوي الشريف المكرم" لابن حجر الهيتمي، نقلاً عن "شواهد الحق في الاستغاثة بخير الخلق" (ص ٨٧،٨٨).

(٢) سيأتي بيان ما قرره الشيخ أبو بكر خوقير بهذا الخصوص.

وقد قال الشيخ أبو بكر خوقير بإثبات حياة الأنبياء في قبورهم، مع بيان الفرق بينها وبين حياتهم قبل موتهم، فقال ما نصه: ((فإن حياة الأنبياء في قبورهم برزخية، فوق حياة الشهداء، لا تقتضي لوازم الحياة الدنيوية، من أعمال وتكليف وعبادة ونطق، وغير ذلك ...)) [١].

وأورد الشيخ أبو بكر خوقير نصوصاً من الكتاب والسنة تدل على إثبات وفاة جميع البشر، بما فيهم الأنبياء، وانقطاع أعمالهم بالموت، راداً بذلك على ما يزعمه بعض المخالفين من إثبات التصرف لهم بعد موتهم، وما يترتب عليه من التوسل بهم أو التوجه بالحاجات إليهم.

قال رحمه الله ناقلاً عن صنع الله الحنفي[٢]: ((وأما القول بالتصرف بعد الممات، فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة، قال جل ذكره: ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾[٣]، وقال: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت**﴾[٤] الآية، وقوله: ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾[٥]، ﴿**كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾[٦]، وفي الحديث: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ...)[٧] الحديث.

---

(١) "فصل المقال" (ص ٣٢).

(٢) الشيخ صنع الله بن صنع الله الحلبي المكي الحنفي، واعظ، فقيه، محدث، أديب، له بعض المؤلفات، كانت وفاته رحمه الله سنة (١١٢٠هـ). انظر: "إيضاح المكنون" (١/١١٥)، ومعجم المؤلفين (٥/٢٤)، و"فصل المقال". تحقيق أبي بكر الشهال (ص ٥٨).

(٣) سورة "الزمر"، آية رقم: (٣٠).

(٤) سورة "الزمر"، آية رقم: (٤٢).

(٥) سورة "العنكبوت"، آية رقم: (٥٧).

(٦) سورة "المدثر"، آية رقم: (٣٨).

(٧) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (٣/١٢٥٥/ح١٦٣١) ، وأخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (ص٢٨/ح٣٨).

وجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت، وأن أرواحهم ممسكة، وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان، فدل على أنه ليس للميت تصرف في ذاته فضلاً عن غيره، فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره؟! فإنه سبحانه يخبر أن الأرواح عنده، وهؤلاء الملحدون يقولون إن الأرواح مطلقة متصرفة! قل أأنتم أعلم أم الله ؟!))[(١)].

وبين الشيخ أبو بكر خوقير خطورة الغلو والتعظيم بغير حق وما يؤدي إليه، وتحذير النبي ﷺ أمته من ذلك أبلغ التحذير، فقال رحمه الله: ((... وحماية له وصيانة لحماه[(٢)]، حذر النبي ﷺ من إطرائه[(٣)] - روحي له الفداء - وسد ذرائع كثيرة من مظان الشرك، وأنذرنا بأنه أخفى من دبيب النمل[(٤)]، وقد بايع نفراً من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئاً، فكان أحدهم يسقط السوط من يده فلا يقول لأحد:

---

(١) "فصل المقال" (ص ١١)، والنقل باختصار عن كتاب "سيف الله على من كذب على أولياء الله" لصنع الله الحنفي. دار الوطن. الرياض. (١٤٢٠هـ). ط١. (ص ٣٢،٣٣)، ويظهر أن الشيخ أبا بكر نقل عن الشيخ أحمد بن عيسى من كتابه "الرد على شبهات المستغيثين بغير الله" (ص ٦٢٩) ضمن "الجامع الفريد"، وهو أخذ عن "تيسير العزيز الحميد" (ص١٩٤) وما بعدها، إذ لخص هناك كلام صنع الله، ومن جاء بعده نقل تلخيصه، ومنهم القنوجي في "الدين الخالص" (٢/١٩٩-٢٠١).

(٢) أي: التوحيد.

(٣) كما قال ﷺ: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله) أخرجه البخاري من حديث عمر ﷺ، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى **﴿واذكر في الكتاب مريم ...﴾** (٣/١٢٧١/ح٣٢٦١).

(٤) جاء ذلك في أحاديث، منها: حديث أبي بكر ﷺ، كما في "مسند أبي يعلى" (١/٦٠/ح٥٨)، وفي "مسند أبي بكر" لأحمد بن علي بن سعيد الأموي. المكتب الإسلامي. تحقيق شعيب الأرنؤوط (ص٦٣/ح١٧،١٨) وصححه الأرنؤوط. وجاء الحديث عن أبي موسى الأشعري ﷺ في مصنف ابن أبي شيبة (٦/٧٠/ح٢٩٥٤٧)، وعند الطبراني في الأوسط (٤/١٠/ح٣٤٧٩)، وقال الألباني حسن لغيره في "صحيح الترغيب والترهيب" (١/١٢١/ح٣٦). كما جاء عن عائشة رضي الله عنها عند الحاكم في "المستدرك" (٢/٣١٩/ح٣١٤٨) بلفظ: (الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء ...) وقال الحاكم: إسناده صحيح، وسكت عنه الذهبي. وجاء الحديث عن غيرهم.

ناولنيه[١]، ومنع من تعليق الأوتار والتمائم وأمر بقطعها، وبعث رسوله كما في السنن وغيرها وقال: (من تعلق شيئاً وكل إليه)[٢]، ونهى عن قول الرجل: "ما شاء الله وشئت" وقال لمن قال له ذلك: (أجعلتني لله نداً ؟!)[٣]، ومنع من التبرك بالأشجار والأحجار، وقال لأبي واقد الليثي وأصحابه من مسلمة الفتح لما قالوا له: "اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط": (قلتم والذي نفسي بيده كما قال بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة)[٤]، ونهى عن الصلاة عند القبور[٥]، وإن لم

---

(١) كما جاء عن ثوبان ﷺ: قال رسول الله ﷺ: (من يتقبل لي بواحدة أتقبل له بالجنة؟ قال قلت أنا يا رسول الله. قال: لا تسأل الناس شيئاً. قال: فربما سقط سوط ثوبان وهو على بعيره فما يسأل أحدا أن يناوله حتى ينزل إليه فيأخذه) أخرجه أحمد (٢٨١/٥/ح٢٢٤٧٦) وابن ماجه (٥٨٨/١/ح١٨٣٧)، والبيهقي (١٩٧/٤/ح٧٦٦٤). وصححه الألباني، "صحيح الجامع" (١١٢٣/٢/ح٦٦٠٣).

(٢) أخرجه أحمد (٣١٠/٤/ح١٨٨٠٣) والترمذي (٤٠٣/٤/ح٢٠٧٢) والبيهقي (٣٥١/٩/ح١٩٣٩٥) من حديث أبي معبد الجهني ﷺ، وهو قطعة من حديث لأبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه) أخرجه النسائي في "المجتبى" (١١٢/٧/ح٤٠٧٩) والبيهقي (٣٠٧/٢/ح٣٥٤٢). والحديث حسنه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد، وحسنه جاسم الدوسري في "النهج السديد" (ص٦١،٦٢).

(٣) أخرجه أحمد (٢٨٣/١/ح٢٥٦١) وقال الأرنؤوط: حسن لغيره، وأخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (ص٢٧٤/ح٧٨٣)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (ص٦١٧/ح٦٦٧)، والبيهقي (٢١٧/٣/ح٥٦٠٣)، وابن أبي شيبة (٣٤٠/٥/ح٢٦٦٩١)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٢٤٤/١٢/ح١٣٠٠٦)، وحسنه الألباني في "السلسة الصحيحة" (٢٦٦/١/ح١٣٩).

(٤) أخرجه أحمد (٣١٨/٥/ح٢١٩٤٧) وقال الأرنؤوط: ((إسناده صحيح على شرط الشيخين))، والترمذي كتاب الفتن، باب ما جاء في رفع الأمانة (٤٧٥/٤/ح٢١٨٠)، وعبد الرزاق (٣٦٩/١١/ح٢٠٧٦٣)، وابن أبي شيبة (٤٧٩/٧/ح٣٧٣٧٥)،والطبراني في الكبير (٢٤٣/٣/ح٣٢٩٠)، والبيهقي (٣٤٦/٦/ح١١١٨٥)، وصححه في "النهج السديد" (ص٦٤).

(٥) كما في قوله ﷺ: (لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها) أخرجه مسلم من حديث أبي مرثد الغنوي ﷺ، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة إليه (٦٨٨/٢/ح٩٧٢).

وعن أنس ﷺ (أن النبي ﷺ نهى عن الصلاة إلى القبور)، أخرجه ابن حبان (٩٢/٦/ح٢٣٢٣) وعن جندب بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال قبل موته بخمس: (... ألا وإن من كان قبلكم كانوا

يقصدها المصلي، ولعن من فعل ذلك(١)، وأخبر أنهم شرار الخلق عند الله(٢)، ونهى عن الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله(٣)، جسماً لمادة الشرك وقطعاً لوسائله وسداً

يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك) أخرجه مسلم: كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ... (١/٣٧٧/ح٥٣٢).

(١) كما جاء عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: (لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة ... (١/١٦٨/ح٤٢٥)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ... (١/٣٧٧/ح٥٣١).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (اللهم لا تجعل قبري وثناً، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) رواه أحمد (٢/٢٤٦/ح٧٣٥٢) وأبو يعلى (١٢/٣٢/ح٦٦٨١)، والحميدي في مسنده (٢/٤٤٥/ح١٠٢٥)، وصححه الألباني في "تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد" (ص١٨).

(٢) كما جاء عن عائشة رضي الله عنها: (أن أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله، فقال رسول الله ﷺ: إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ... (١/١٦٥/ح٤١٧)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ... (١/٣٧٥/ح٥٢٨).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد) أخرجه ابن حبان (١٥/٢٦١/ح٦٨٤٧)، وابن أبي شيبة (٣/٣٠/ح١١٨١٦)، وأحمد (١/٤٠٥/ح٣٨٤٤)، والطبراني في الكبير (١٠/١٨٨/ح١٠٤١٣)، والبزار (٥/١٨٥/ح١٧٨١)، وأبو يعلى في مسنده (٩/٢١٦/٥٣١٦).

وبنحوه عن علي ﷺ، أخرجه عبد الرزاق (١١/٤٠٢/ح٢٠٨٤٨)، والبزار (٣/٧٧/ح٨٤٢). وبنحوه عن أبي عبيدة بن الجراح ﷺ، أخرجه أحمد (١/١٩٥/ح١٦٩٤) وأبو بكر الشيباني في "الآحاد والمثاني" (١/١٨٥/ح٢٣٥) وصححه الألباني في "تحذير الساجد" (ص١٦).

والحديث صححه ابن تيمية كما في "شرح العمدة" (٤/٤٢٨) و"اقتضاء الصراط المستقيم" (ص٣٣٠)، وصححه الألباني في "تحذير الساجد" (ص١٩).

(٣) كما جاء في الحديث أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: (إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة، فقال النبي ﷺ: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا، قال: هل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا، قال رسول

لذرائعه وحماية للتوحيد وصيانة لجنابه.

وبيان ذلك هو أن التعظيم مما يستدرج صاحبه إلى الغلو بطبيعته، ويجري فيه مجرى الدم، ويسري في عروقه من حيث لا يدري، والطبع العامي نزاع إلى المحسوسات، نافر عن المعقول الذي يعقله العالمون الموصوفون في كل زمان ومكان بالقلة، ولسكونه إلى المثال عدل [من عدل] من أهل الملل إلى التصوير في الكتب والهياكل، كاليهود والنصارى ثم المنانية(١) خاصة.

وناهيك شاهداً على ما قلته أنك لو أبديت صورة النبي ﷺ (٢) أو مكة والكعبة

الله ﷺ: أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك بن آدم).

أخرجه أبو داود: كتاب الأيمان والنذور، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر (٢٣٨/٣/ح٣٣١٣)، والبيهقي (٨٣/١٠/ح١٩٩٢٦)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٧٥/٢/ح١٣٤١) من حديث ثابت بن الضحاك ﷺ.

ومن حديث ابن عباس ﷺ: أخرجه ابن ماجه: كتاب الكفارات، باب الوفاء بالنذر (٦٨٨/١/ح٢١٣٠)، والبيهقي (٨٤/١٠/ح١٩٩٢٨)، والطبراني في "المعجم الكبير" (١٢٣٥٦/٢٢/١٢).

ومن حديث ميمونة بنت كردم اليسارية أخرجه ابن ماجه: في الموضع السابق (ح٢١٣١)، وأحمد (٢٧١١/٢٦٦/٦)، وابن أبي شيبة (٩٦/٣/ح١٢٤٣٨)، والطبراني في "المعجم الكبير" (١٨٩/١٩/ح٤٢٦، ح٤٢٧)، (٣٩/٢٥).

والحديث صححه الألباني في "صحيح الجامع" (٤٩٩/١/ح٢٥٥١).

(١) المنانية: هم المانوية، نسبة لزعيمهم ماني بن فاتك الحكيم، أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية، وله اعتقادات فلسفية فاسدة. انظر: "الفرق بين الفرق" (ص ١١٧، ٣٣٢، ٢٥٤) "الملل والنحل" (٢٤٤/١)، "الفصل في الملل" (٨٤/١)، "اعتقادات فرق المسلمين والمشركين" (ص ٨٨).

(٢) من هذا الباب الصورة التي أوردها بعضهم لمثال النعل النبوي، ثم دبجها يوسف النبهاني بأبيات جاء فيها:

ولما رأيت الدهر قد حارب الورى ... جعلت لنفسي نعل سيده حصناً !

تحصنت منه في بديع مثالها ... بسور منيع نلت في ظله الأمنا !

انظر: "الذخائر المحمدية" (ص ٢٦٦). وبلغني وجود صورة مزعومة للنبي ﷺ على أحد مواقع الإنترنت.

لعامي أو لامرأة، لوجدت من نتيجة الاستبشار فيه دواعي التقبيل وتعفير الخدين والتمرغ، كأنه شاهد المصور، وقضى بذلك مناسك الحج والعمرة.

وهذا هو السبب الباعث على إيجاد الأصنام بأسامي الأشخاص المعظمة، من الأنبياء والعلماء والملائكة، مذكرة أمرهم عند الغيبة والموت، مبقية آثار تعظيمهم في القلوب لدى الفوت، إلى أن طال العهد بعامليها، ودارت القرون والأحقاب عليها ونسيت أسبابها ودواعيها...))(١) فعبدت الأوثان من دون الله.

وبين الشيخ أبو بكر خوقير الفرق بين سؤال الأنبياء في حياتهم وسؤالهم بعد موتهم، فإنهم في حياتهم لا يتركون أحداً يشرك بهم، ويسدون كل ذريعة تؤدي إلى الإخلال بالتوحيد، ومن ذلك النهي عن الغلو والتعظيم بغير حق.

قال رحمه الله ناقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وهذا - أي ما قصده النبي ﷺ من حسم مادة الشرك وتحقيق التوحيد وإخلاص الدين لله رب العالمين - ما يُظهر الفرق بين سؤال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والرجل الصالح في حياته وبين سؤاله بعد موته وفي مغيبه، وذلك أنه في حياته لا يعبده أحد بحضوره، فإذا كان الأنبياء صلوات الله عليهم والصالحون أحياءً لا يتركون أحداً يشرك بهم بحضورهم، بل ينهونهم عن ذلك ويعاقبونهم عليه.

ولهذا قال المسيح عليه السلام: ﴿**ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد**﴾(٢)، وقال رجل للنبي ﷺ: "ما شاء الله وشئت". فقال:

---

(١) " فصل المقال" (ص ٥،٦).

(٢) سورة "المائدة"، الأيتان: (١١٦، ١١٧).

(أجعلتني لله نداً ؟! ما شاء الله وحده)[1]، وقال: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد)[2]، ولما قالت الجويرية: وفينا رسول الله يعلم ما في غد. قال: (دعي هذا وقولي بالذي كنت تقولين)[3]، وقال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله)[4]، ولما صفوا خلفه قياماً قال: (لا تعظموني كما تعظم الأعاجم بعضهم بعضاً)[5]، وقال أنس: (لم يكن

---

(١) تقدم تخريجه (ص٣٢٧).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ من حديث حذيفة: ابن ماجه: كتاب الكفارات، باب النهي أن يقال: ما شاء الله وشئت (١/٦٨٥/ح٢١١٨)، وأحمد (٥/٣٩٣/ح٢٣٣٨٧)، والبزار (٧/٢٥١/ح٢٨٣٠) ثم قال: ((هكذا قال ابن عيينة: عن عبد الملك عن ربعي عن حذيفة. وقال شعبة وأبو عوانة: عن عبد الملك عن ربعي بن حراش عن الطفيل أخي عائشة لأمها، وقال معمر: عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة، والصواب: حديث عبد الملك عن ربعي عن الطفيل أخي عائشة)).

قال الألباني: ((وهذا هو الصواب: عن ربعي عن الطفيل، ليس عن حذيفة، لاتفاق هؤلاء الثلاثة: حماد بن سلمة وأبو عوانة وشعبة عليه، فهو شاهد صحيح لحديث حذيفة ...)) "السلسلة الصحيحة" (١/٢٦٥/ح١٣٨،١٣٧)، وكذلك تابع أولئك الثلاثة: عبيد الله بن عمرو، عند الحاكم في المستدرك (٣/٥٢٣/ح٥٩٤)، ورواية شعبة أخرجها الدارمي (٢/٣٨٢/ح٢٦٩٩)، ورواية أبي عوانة أخرجها ابن ماجه عقب الرواية السابقة، ورواية حماد بن سلمة أخرجها أحمد (٥/٧٢/ح٢٠٧١٣) وأبو بكر الشيباني في "الآحاد والمثاني" (٥/٢١٤/ح٢٧٤٣).

وحديث حذيفة جاء بلفظ: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب لا يقول خبثت نفسي (٤/٢٩٥/ح٤٩٨٠)، وابن أبي شيبة (٥/٣٤٠/ح٢٦٦٩٠)، وأحمد (٥/٣٨٤/ح٢٣٣١٣)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (ص٦١٦/ح٦٦٦)، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (١/٢٦٤/ح١٣٧).

(٣) رواه البخاري من حديث الربيع بنت معوذ رضي الله عنها، كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع (٥/١٩٧٦/ح٤٨٥٢).

(٤) تقدم تخريجه(ص٣٢٦) والإطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه."النهاية في غريب الحديث"(٣/١٢٣).

(٥) لم أقف على هذا اللفظ، وبمعناه ما جاء عن أبي أمامة ﷺ قال: (خرج علينا رسول الله متوكئاً على عصا، فقمنا إليه فقال: لا تقوموا كما تقوم الأعاجم، يعظم بعضها بعضاً). رواه أحمد (٥/٢٥٣/ح٢٢٢٣٥)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب في قيام الرجل للرجل (٤/٣٥٨/ح٥٢٣٠)، وابن ماجه: كتاب الدعاء،

شئ أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له، لما يعلمون من كراهته لذلك)[(١)]، ولما سجد له معاذ نهاه، وقال: (إنه لا يصلح السجود إلا لله، ولو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها)[(٢)]، ولما أتي علي بالزنادقة الذين غلوا فيه واعتقدوا فيه الإلهية أمر بتحريقهم بالنار[(٣)].

فهذا شأن أنبياء الله وأوليائه، وإنما يقر على الغلو فيه وتعظيمه بغير حق من يريد علواً في الأرض وفساداً، كفرعون ونحوه ومشايخ الضلال الذين غرضهم العلو في الأرض والفساد.

باب دعاء رسول الله ﷺ (١٢٦١/٢/ح٣٨٣٦)، وابن أبي شيبة (٢٣٣/٥/ح٢٥٥٨١).

وهذا الحديث ضعيف لما فيه من الاضطراب وجهالة بعض الرواة ،كما بينه الألباني في "السلسلة الضعيفة" (٥٢١/١/ح٣٤٦)، وكذا حكم عليه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد. لكن معناه صحيح، يشهد له حديث أنس الذي يليه.

(١) أخرجه أحمد (١٣٢/٣/ح١٢٣٦٧)، والبخاري في "الأدب المفرد" (ص٢٣٦/ح٩٤٦)، والترمذي: كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل (٩٠/٥/ح٢٧٥٤)، وابن أبي شيبة (٢٣٤/٥/ح٢٥٥٨٣)، وأبو يعلى (٤١٧/٦/ح٣٧٨٤). وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم. "السلسة الصحيحة" (٦٩٨/١/ح٣٥٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢٨١/٤/ح١٩٤٢٢) وقال الأرنؤوط: "حديث جيد، وهذا إسناد ضعيف لاضطرابه"، وأخرجه ابن ماجه: كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة (٥٩٥/١/ح١٨٥٣)، وابن حبان (٤٧٩/٩/ح٤١٧١)، والحاكم (١٩٠/٤/ح٧٣٢٥) وصححه، والبيهقي (٢٩٢/٧/ح١٤٤٨٨)، وعبد الرزاق (٣٠١/١١/ح٢٠٥٩٦)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٢٠٨/٥/ح٥١١٦). والحديث صححه الألباني، كما في "صحيح الجامع" (٩٣٧/٢/ح٥٢٩٤).

(٣) روى البخاري أن علياً ﷺ أُتي بزنادقة فأحرقهم، (٢٠٣٧/٦/ح٦٥٢٤) وأورد ابن حجر في شرحه خبر تحريق علي لقوم غلوا فيه وادعوا أنه إلههم، وحسن إسناد الخبر، "فتح الباري" (٢٧٠/١٢). وانظر في هذه الحادثة: "التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع" (ص ٢٩)، "الفصل في الملل" (١٤٢/٤)، "الفرق بين الفرق" (ص٢٢٣)، "اعتقادات فرق المسلمين والمشركين" (ص ٥٧)، "التمهيد" (٣١٧/٥، ٣١٨)، "عبد الله بن سبأ" لسليمان بن حمد العودة. ط٤. (١٤٢٠هـ). دار طيبة. (ص٢١٤-٢١٦).

والفتنة بالأنبياء والصالحين واتخاذهم أرباباً والإشراك بهم مما يحصل في مغيبهم وفي مماتهم، كما أشرك بالمسيح وعزير، فهذا مما يبين الفرق بين سؤال النبي ﷺ والصالح في حياته وحضوره، وبين سؤاله في مماته ومغيبه.

ولم يكن أحد من سلف الأمة في عصر الصحابة ولا التابعين ولا تابعي التابعين يتحرون الصلاة والدعاء عند قبور الأنبياء ويسألونهم ولا يستغيثون بهم لا في مغيبهم ولا عند قبورهم وكذلك العكوف ...)) (١).

وقد تعرض الشيخ أبو بكر للإجابة على بعض الشبهات التي أوردها المخالفون بخصوص مسألة حياة الأنبياء البرزخية، كما سيأتي في المبحث التالي.

---

(١) "فصل المقال" (ص ٢٤-٢٦)، والنقل عن شيخ الإسلام من رسالة "زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور" نشر الإدارة العامة للطبع والترجمة. الرياض. (١٤١٠هـ). ط١. (ص٣٢)، وانظر: "مجموع الفتاوى" (١٧٩/١).

المبحث الثاني: شبهات المخالفين لأهل السنة والجماعة، وجواب الشيخ عنها.

يورد المخالفون بعض الشبهات في مسألة حياة الأنبياء، ومرادهم من ذلك التوصل إلى مشروعية التوسل والاستغاثة بهم، ومن أهم السبل التي يعتمدون عليها في ذلك: التسوية بين الأموات والأحياء، فيقررون أنه لا فرق بين حياتهم وموتهم في مشروعية التوسل والاستغاثة بهم.

ومن ذلك قول بعضهم: ((إن الاستغاثة والتوسل، إن كان المصحح لطلبها هو الحياة، كما يقولون، فالأنبياء أحياء في قبورهم وغيرهم من عباد الله المرضيين، ولو لم يكن للفقيه من الدليل على صحة التوسل والاستغاثة به ﷺ إلا قياسه على التوسل والاستغاثة به في حياته الدنيا لكفى، فإنه حي الدارين، دائم العناية بأمته، متصرف بإذن الله في شؤونها، خبير بأحوالها ...)) [1].

فالمخالفون يتعلقون بما ورد من إثبات حياة الأنبياء البرزخية، ويأخذون من ذلك مشروعية عبادتهم من دون الله، بدعائهم والاستغاثة بهم وسؤالهم المطالب والحاجات.

وأما أهل السنة والجماعة فإنهم يثبتون تلك الحياة البرزخية على ماجاءت به النصوص، ويقتدون بهدي السلف الصالح وفهمهم لتلك النصوص، فإن الصحابة ومن تبعهم لم يأخذوا منها مشروعية سؤال النبي ﷺ الحاجات، وهو مدفون بالقرب منهم، بل عدلوا بعد موته إلى المشروع من التوسل بالأحياء، مع عظيم حاجتهم.

---

(١) "مفاهيم يجب أن تصحح" لمحمد بن علوي المالكي. ط٤. (١٤١٠هـ) دولة الإمارات. وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف. (ص ١٧٢)، وهذا النقل مأخوذ عن "البراهين الساطعة في الرد على بعض البدع الشائعة" للعزامي، سلامة هندي القضاعي الصوفي (ت١٣٧٦هـ) (ص٤٢١). انظر: "الدعاء للعروسي" (ص٨٥٠).

كما أنهم لم يرجعوا إليه في مسائل العلم التي اختلفوا فيها، ومن ذلك ما جاء عن عمر ﷺ أنه قال: (إنه قد نزل تحريم الخمر وهي من خمسة أشياء العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل والخمر ما خامر العقل، وثلاث وددت أن رسول الله ﷺ لم يفارقنا حتى يعهد إلينا عهداً: الجَد والكلالة وأبواب من أبواب الربا)[١]، ولو كان النبي ﷺ حياً في قبره كحياته الأولى لما كان ليترك أصحابه يختلفون في مسائل العلم دون أن يبين لهم، وكذا فيما وقع بعد أصحابه من اختلاف الأئمة.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يرجعون فيما أشكل عليهم من أحاديث النبي ﷺ إلى من هم أعلم بها، ومن ذلك ما جاء عن أبي موسى ﷺ أنه قال: (ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً)[٢]، فلو كان سؤال النبي ﷺ ممكناً لما تركوه، هذا وهم بالقرب من قبره في حجرة عائشة رضي الله عنها.

وقد احتج العلامة ابن القيم بهذه الحجج وغيرها على القائلين بأن النبي ﷺ حي في قبره كحياته فوق الأرض، فكان مما قاله رحمه الله[٣]:

ولأجل هذا رام ناصر قولكم ... ترقيعه يا كثرة الخلقان
قال الرسول بقبره حي كما ... قد كان فوق الأرض والرجمان
لو كان حياً في الضريح حياته ... قبل الممات بغير ما فرقان
ما كان تحت الأرض بل من فوقها ... والله هذي سنة الرحمن
أتراه تحت الأرض حياً ثم لا ... يفتيهم بشرائع الإيمان
أم كان حياً عاجزاً عن نطقه ... وعن الجواب لسائل لهفان

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأشربة، باب ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من الشراب (٥/٢١٢٢/ح٥٢٦٦)، ومسلم: كتاب التفسير، باب نزول تحريم الخمر (٤/٢٣٢٢/ح٣٠٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، باب فضل عائشة رضي الله عنها (٥/٧٠٥/ح٣٨٨٣).

(٣) مما ذكره في فصل: الكلام في حياة الأنبياء في قبورهم. "الكافية الشافية" (٢/١٥٤-١٥٧).

وعن الحراك فما الحياة اللات قد ... أثبتموهـــا أوضـــحوا ببيـــان
هـــذا ولم لا جـــاءه أصـــحابه ... يشكون بأس الفاجر الفتـــان[1]
إذ كان ذلك دأبهـــم ونبـــيهم ... حي يشاهدهم شـــهود عيـــان
هل جاءكم أثر بـــأن صـــحابه ... سألوه فتيا وهـــو في الأكفـــان
فأجابهم بجواب حـــي نـــاطق ... وأتـــوا إذاً بـــالحق والبرهـــان
هلا أجـــابهم جوابـــاً شـــافياً ... إن كان حيـــاً ناطقـــاً بلـــسان
مع شدة الحرص العظيم له على ... إرشـــادهم بطرائـــق التبيـــان
أتراه يشهد رأيهـــم وخلافهـــم ... ويكـــون للتبيـــان ذا كتمـــان
إن قلتم سبق البيـــان صـــدقتم ... قد كان بـــالتكرار ذا إحـــسان
هذا وما شدت ركائبه عن الـــ ... حجرات للقاصي من البلـــدان
هذا وكم من أمر أشكل بعـــده ... أعيا على علماء كـــل زمـــان
أو ما ترى الفـــاروق ود بأنـــه ... قد كان منه العهـــد ذا تبيـــان
بالجـــد في ميراثـــه وكلالـــة ... وببعض أبواب الربـــا الفتـــان
قد قصر الفاروق عند فـــريقكم ... إذ لم يسله وهـــو في الأكفـــان
أتراهم يأتون حـــول ضـــريحه ... لسؤال أمهـــم أعـــز حَـــصان
ونبيهم حي يشاهدهم ويـــســـ ... معهم ولا يـــأتي لهـــم ببيـــان
أفكان يعجز أن يجيـــب بقولـــه ... إن كان حيـــاً داخـــل البنيـــان
يا قومنا استحيوا من العقلاء والـــ ... مبعـــوث بـــالقرآن والـــرحمن

---

(١) يشير إلى وقعة الحرة، لما قاتلهم مسلم بن عقبة المري، وقتل من أهل المدينة من شاء الله، واستباح المدينـــة المنورة ثلاثة أيام، وذلك بأمر يزيد بن معاوية. انظر: "شرح ابن عيسى" (١٥٦/٢).

المطلب الأول: حديث (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون).

جاء عن أنس بن مالك رضي الله عن النبي ﷺ أنه قال: (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون)(١)، وهذا الحديث يدل على إثبات أمر غيبي مما يكرم الله به أنبياءه بعد وفاتهم، لكن يستدل به بعض المخالفين على التسوية بين الحياة البرزخية والحياة الدنيا، وعلى مشروعية التوسل بالأنبياء بعد موتهم وسؤالهم الدعاء أو دعائهم أنفسهم من دون الله.

وقد تعرض الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله للجواب عن استدلال المخالف بهذا الحديث، فقال:

((... وكيف سوى بين حاله ﷺ في الدنيا وحاله بعد انتقاله عنها بحديث: (الأنبياء أحياء يصلون في قبورهم) ؟ فهل يقول: إنهما متساويان في كل شيء ؟ أظنه لا يقول ذلك، لما يترتب عليه من الأحكام الكثيرة، كما لا يخفى على من له أدنى بصيرة، فإن حياة الأنبياء في قبورهم برزخية، فوق حياة الشهداء، لا تقتضي لوازم

---

(١) أخرجه البزار "كشف الأستار" (١٠١/٣)، والبيهقي في "حياة الأنبياء" (ص ٧٠) ، وأبو يعلى في مسنده (١٤٧/٦/ح٣٤٢٥)، وتمام الرازي في "الفوائد" (٣٣/١/ح٥٨)، وابن عدي في "الكامل" (٣٢٧/٢)، وأبو نعيم في "تاريخ أصبهان" (٤٤/٢)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٣٢٥/١٣).

وقد أعل الذهبي الحديث بعلتين: الأولى: تفرد الحسن بن قتيبة عن المستلم بن سعيد، "ميزان الاعتدال" (٢٧٠/٢)، لكنه قد تابعه يحيى بن أبي بكير، وهو ثقة من رجال الشيخين، وأخرج الحديث من طريقه أبو يعلى، وأبو نعيم. وأخرجه البيهقي من طريق أبي يعلى.

الثانية: ظنه ضعف راويه الحجاج بن الأسود، "ميزان الاعتدال" (٢٠٠/٢)، وتعقبه الحافظ ابن حجر فبين أنه ثقة، كما في "لسان الميزان" (١٧٥/٢). وانظر في ذلك: "السلسة الصحيحة" (١٨٧/٢-١٩٠/ح٦٢١).

والحديث صححه البيهقي، كما نقله عنه في "فتح الباري" (٤٨٧/٦) وفي شرح الزرقاني (٣٥٧/٤)، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير وصححه المناوي في "فيض القدير" (١٨٤/٣)، وصححه الألباني في "السلسة الصحيحة" (١٧٨/٢).

الحياة الدنيوية، من أعمال وتكليف وعبادة ونطق، وغير ذلك.

وتلك الصلاة ليست بحكم التكليف، بل بحكم الإكرام لهم والتشريف، من قبيل الأحوال البرزخية، كسؤال الملكين، ونعيم الميت وعذابه مما لا يرى وإن كان الميت مرئياً، فأحوال البرزخ لا تقاس على أحوال الدنيا.

وحيث قد ظهر الفرق للمؤمن المتشرع بين حياته ﷺ الدنيوية وحياته البرزخية، فإنه يمنع من الطلب منه ﷺ ومن غيره ممن كان في البرزخ؛ لأنه عبادة لا تليق لمن اتصف بالعبودية، ولا يتوسل به ﷺ ولا بغيره، اقتداء به وبصحابته من بعده، بل يتوسل بالإيمان به وبمحبته ومتابعته ...)) [1].

وأشار الشيخ أبو بكر إلى ما جاء بالحديث من أنه ﷺ مر بموسى فرآه يصلي[2]، وبين رحمه الله أن هذا أمر خارق للعادة[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((وأما كونه ﷺ رأى موسى قائماً يصلي في قبره، ورآه في السماء أيضاً، فلا منافاة بينهما، فإن أمر الأرواح من جنس أمر الملائكة، في اللحظة الواحدة تصعد وتهبط كالملك ليست في ذلك كالبدن))[4].

وما جاء من النصوص في إثبات صلاة الأنبياء عليهم السلام في قبورهم يثبته أهل السنة والجماعة، ويؤمنون به، وهم مع ذلك يقفون عند النص، فلا يأخذون منه ما يخالف نصوص الشرع المحكمة المتضافرة الآمرة بإخلاص الدين لله، وإفراده بأنواع العبادة، ومن أجلها: الدعاء والاستغاثة.

---

(١) "فصل المقال" (ص٣٢،٣٣).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أنس ﷺ، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام (١٨٤٥/٤ح٢٣٧٥).

(٣) "فصل المقال" (ص٣٢).

(٤) "مجموع الفتاوى" (٣٢٩/٤) بتصرف يسير، وانظر: "كشف شبهات المخالفين" لفضيلة الشيخ سمير بن خليل المالكي (ص١٠١،١٠٢).

المطلب الثاني: حديث: عرض الأعمال على النبي ﷺ.

تعرض الشيخ أبو بكر خوقير للرد على استدلال المخالفين بحديث عرض الأعمال على النبي ﷺ، وهو ما روي عنه بلفظ: (حياتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم، ما رأيت من خير حمدت الله، وما رأيت من شر استغفرت لكم) ، حيث يستدلون به على مشروعية طلب الاستغفار من النبي ﷺ بعد موته(١).

وهذا الحديث ضعيف لا يثبت عن النبي ﷺ ولا يحتج به(٢)، فقد رواه البزار في مسنده، قال حدثنا يوسف بن موسى ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: (إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام). قال: وقال رسول الله ﷺ: (حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم، يعرض عليَّ أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم).

قال البزار عقبه: "لا نعلمه يروى عن عبد الله إلا بهذا الإسناد"(٣)، وقال الهيثمي: "رجاله رجال الصحيح"(٤).

وبدراسة إسناد الحديث يتبين ضعفه، فعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد -وإن أخرج له مسلم- فإن فيه ضعفاً، فلا يحتمل تفرده، وهذا ما يظهر من أقوال النقاد فيه.

---

(١) انظر: "فصل المقال" (ص ٤٨)، واستدلال أحمد دحلان بهذا الحديث، في "خلاصة الكلام"، ونقله عنه في "شواهد الحق" (ص ١٦١).

(٢) انظر: "كشف شبهات المخالفين" (ص ٢٩٣-٢٩٧).

(٣) "مسند البزار" (٥/٢٠٨/ح١٩٢٥).

(٤) "مجمع الزوائد" (٩/٢٤).

قال الذهبي في "ميزان الاعتدال"[(١)]: ((صدوق مرجىء كأبيه، وثقه الإمام يحيى ابن معين وغيره، وقال أبو داود: ثقة داعية إلى الإرجاء. وقال ابن حبان: يستحق الترك، منكر الحديث جداً، يقلب الأخبار، ويروي المناكير عن المشاهير. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، يكتب حديثه. وقال الدارقطني: لا يحتج به، ويعتبر به. وقال ابن معين: ثقة يروي عن قوم ضعفاء، قال: وكان أعلم الناس بحديث ابن جريج، وكان يعلن الإرجاء. وقال البخاري: كان الحميدي يتكلم فيه، وقال أيضاً: في حديثه بعض الاختلاف، ولا يعرف له خمسة أحاديث صحاح. وقال أحمد: لا بأس به، وفيه غلو في الإرجاء)).

وساق له ابن عدي عدة أحاديث، ثم قال ((وكل هذه الأحاديث غير محفوظة، على أنه يتثبت في حديث ابن جريج، وله عن ابن جريج أحاديث غير محفوظة، وعامة ما أنكر عليه الإرجاء))[(٢)].

وقال أبو داود: ((سمعت أحمد قيل له: عبد المجيد بن عبد العزيز؟ قال: كان عالماً بابن جريج ولم يكن يبالي عمن حدث وله عند أهل مكة قدر. فقيل لأحمد: هو موضع للرواية؟ قال لا أدري. قال: وسمعت أحمد حدث عنه))[(٣)].

وقال ابن رجب في عبد المجيد بن عبد العزيز: "قال ابن عدي: هو ثبت في ابن جريج خاصة، يعني أنه في غيره ليس بذاك، وقد ضعفه بعضهم مطلقاً"[(٤)].

---

(١) (٦٤٨/٢)، باختصار. وانظر في ترجمته: "المجروحين" (١٦٠/٢)، "ضعفاء البخاري" (ص ٧٨)، "الضعفاء الكبير" (٩٦/٣)، "الجرح والتعديل" (٦٤/٦)، "تهذيب التهذيب" (٣٣٩/٦)، "تقريب التهذيب" (رقم ٤١٦٠)، "طبقات المدلسين" (ص ٤١).

(٢) "الكامل" (٣٤٥/٥).

(٣) "سؤالات أبي داود" (ص ٢٣٦).

(٤) "شرح علل الترمذي" (٨٠٧/٢).

ومسلم إنما أخرج حديث عبد المجيد بن عبد العزيز مقروناً بغيره، وذلك من روايته عن ابن جريج، قال الإمام مسلم: (حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا هشام بن سليمان المخزومي وعبد المجيد عن ابن جريج ...)، ولم يخرج الحديث أصلاً في بابه، وإنما آخر أربع متابعات أوردها لحديث: (إني لبدت رأسي ...)، ولم يخرج مسلم لعبد المجيد هذا في غير هذا الموضع[1].

فتبين من ترجمته أنه ليس بالمتقن، إلا في حديث ابن جريج خاصة، وأما في غيره فهو لا بأس به إذا توبع، ولا يحتمل تفرده، خاصة إذا تفرد بالرواية عن الثقات المكثرين ولم يتابعه أحد من خواصهم.

وههنا قد تفرد عن سفيان الثوري، وهو من المكثرين، وقد روى الثقات من أصحاب سفيان هذا الحديث عنه، واقتصروا على الجملة الأولى منه، وهي قوله: (إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام).

هكذا رواه وكيع وعبد الرزاق ومعاذ بن معاذ عند النسائي[2]، ووكيع وابن مهدي عند أحمد[3] وابن نمير عنده أيضاً[4] ويحيى القطان عند إسماعيل القاضي في

---

(١) (ح ١٢٢٩/٢/٢/٩٠٢)، وقد أخرج مسلم عن هشام بن سليمان المخزومي منفرداً عن ابن جريج، كما في: (ح١٥٥٩، ح١٥١٩). وابن أبي عمر: محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، وقد ينسب إلى جده. "تهذيب التهذيب" (٤٥٧/٩).

وجاء التصريح باسم عبد المجيد في رواية الطبراني لهذا الحديث من الطريق الذي أورده مسلم، فجاء عنده: (...ح حدثنا أحمد بن عمرو الخلال، ثنا محمد بن أبي عمر العدني، حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد وهشام بن سليمان عن ابن جريج...) "المعجم الكبير" (٢٣/١٩٠/ح٣١٢).

(٢) "سنن النسائي" (٤٣/٣).

(٣) "مسند أحمد" (٤٤١/١).

(٤) "مسند أحمد" (٣٨٧/١).

"فضل الصلاة على النبي"[١]، وأبو نعيم عند البغوي[٢]، والفضيل بن عياض عند الطبراني[٣] وأبو إسحق الفزاري عند الحاكم[٤]، ولم يذكروا الزيادة، وهي قوله: (حياتي خير لكم ...) إلخ، فدل ذلك على نكارتها.

وقد قال الذهبي رحمه الله: "وإن تفرد الثقة المتقن يعد صحيحاً غريباً، وإن تفرد الصدوق ومن دونه يعد منكراً"[٥].

ويدل على نكارتها أيضاً، أن الأعمش تابع سفيان عن عبد الله بن السائب في هذا الحديث، ولم يذكر الزيادة.

ورواية الأعمش رواها الحاكم[٦] مقرونة برواية سفيان، ورواها الطبراني[٧].

وذكر الدارقطني في "العلل"[٨] متابعة الحسين الخلقاني[٩] والعوام بن حوشب وشعبة وغيرهم لسفيان عن عبد الله بن السائب، في رواية هذا الحديث دون الزيادة المنكرة.

---

(١) "فضل الصلاة على النبي" لإسماعيل بن إسحاق الجهضمي (ت٢٨٢هـ). المكتب الإسلامي. بيروت. ط٣. (١٣٩٧هـ). (ص٣٦/ح٢١).

(٢) "شرح السنة" (١٩٧/٣).

(٣) "المعجم الكبير" (٢٢٠/١٠)

(٤) "المستدرك" (٤٢١/٢).

(٥) "ميزان الاعتدال" (١٧٠/٥).

(٦) "المستدرك" (٤٢١/٢).

(٧) "المعجم الكبير" (٢١٩/١٠).

(٨) (٢٠٦/٣).

(٩) رواية الحسين الخلقاني عند الخطيب في تاريخه (١٠٤/٩).

هذا، وقد وردت هذه الزيادة من طريق آخر مرسل، رواه ابن سعد في "الطبقات"[١]، وإسماعيل القاضي في "فضل الصلاة على النبي"[٢]، والحارث بن أبي أسامه في "مسنده"[٣]، كلهم من طريق بكر بن عبد الله المزني عن رسول الله ﷺ.

وهذا مرسل، فإن بكر المزني من ثقات التابعين[٤]، وقد بين ذلك ابن عبد الهادي في "الصارم المنكي"[٥] في جوابه على الاستدلال بهذا الحديث.

ولا يقال إن هذا المرسل يقوى بالإسناد السابق، لأنه غلط من راويه عبد المجيد، وروايته له منكرة، ومثل هذا لا يصلح للاستشهاد أو الاعتضاد، والله أعلم.

ويدل على ضعف الحديث أيضاً، قوله تعالى ﴿ **يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُوْلُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوْا لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الغُيُوْبِ** ﴾[٦].

وهذه الآية عمت جميع الرسل عليهم السلام، ومنهم نبينا محمد ﷺ، فنفى سبحانه علمهم بما فعلته أقوامهم، فلو كانت الأعمال تعرض عليه ﷺ لعلم ما تفعله أمته.

وأصرح من ذلك في حق نبينا ﷺ، ما أخبر به في الحديث الصحيح: (وإنه

---

(١) (١٩٤/٢).

(٢) (ص٣٨،٣٩/ ح٢٦،٢٥).

(٣) مسند الحارث بن أبي أسامة نور الدين الهيثمي (ت ٢٨٢هـ). نشر مركز خدمة السنة. المدينة النبوية. ط١. (١٤١٣هـ). (٨٨٤/٢/ح٩٥٣).

(٤) انظر في ترجمته: "التاريخ الكبير" (٩٠/٢)، "الجرح والتعديل" (٣٨٨/٢)، "تهذيب التهذيب" (٤٢٤/١)، "تقريب التهذيب" رقم (٧٤٣).

(٥) (ص ١٩٣،١٩٤)، ونقله عنه بشير السهسواني في "صيانة الإنسان" (ص ٢٥٠،٢٥١).

(٦) سورة المائدة، آية رقم: (١٠٩).

سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول يا رب أصيحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[١]. قال: فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم ...)[٢].

وعلى فرض ثبوت الحديث، وأن النبي ﷺ يستغفر لأمته، فليس في ذلك دليل على مشروعية سؤاله الاستغفار وقضاء الحاجات، وهذا ما بينه الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله بقوله: ((فإن قيل : قد ورد عنه ﷺ: (حياتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم ، تعرض علي أعمالكم، ما رأيت من خير حمدت الله، وما رأيت من شر استغفرت لكم).

فالجواب: أن حال الوفاة لا تقاس على حال الحياة، وأنه لا يعلم حال البرزخ إلا الله، ولا نزيد على ما شرع لنا، ولم يشرع لنا طلب الاستغفار منه بعد وفاته، ولو كان مشروعاً لبادر إليه الصحابة والتابعون وتابعوهم، ولم ينقل عنهم من ذلك حرف واحد، ومن لا يسعه ما وسعهم فلا وسع الله عليه!))[٣].

ويقال أيضاً في الجواب: إنه قد جاء أن بعض المخلوقات تستغفر للمؤمنين، مثل ما جاء عن الملائكة[٤]، وجاء أن العلماء يستغفر لهم من في السموات والأرض

---

(١) سورة "المائدة"، الآيتان: (١١٧، ١١٨).

(٢) متفق عليه من حديث ابن عباس ﷺ، أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿**وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ...**﴾ (١٦٩١/٤/ح٤٣٤٩)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (٢١٩٤/٤/ح٢٨٦٠). وانظر: "مصباح الظلام" (ص٢٩٢، ٢٢٥).

(٣) "فصل المقال" (ص ٤٨).

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿**الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا**﴾. سورة "غافر"، آية رقم: (٤).

حتى الحيتان في الماء[1]، ومع ذلك لا يقول أحد إنه يشرع سؤالهم الاستغفار، ولا يتصور أن عالماً يسأل الحيتان أن تستغفر له، وهذا أمر لا يخفى على عاقل.

(١) كما في حديث البراء ﷺ، أخرجه: أحمد (١٩٦/٥/ح٢١٧٦٣)، وأبو داود: كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (٣١٧/٣/ح٣٦٤١)، والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٤٨/٥/ح٢٦٨٢)، وابن ماجه: باب فضل العلماء ... (٨١/١/ح٢٢٣)، وابن حبان (٢٨٩/١/ح٨٨)، والحديث حسنه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" (١٣٧/١/ح٧٠)، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد: صحيح بطرقه وشواهده.

الفصل الثاني

التوســـــــل

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التوسل الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنة.

المبحث الثاني: التوسل بالذوات.

المبحث الثالث: شبهات المخالفين، وجواب الشيخ عنها.

وتحته مطالب:

المطلب الأول: استسقاء عمر بالعباس.

المطلب الثاني: خبر توسل آدم بالنبي ﷺ.

المطلب الثالث: حكاية الإمام مالك مع أبي جعفر.

المطلب الرابع: حديث (أسألك بحق السائلين ...).

المطلب الخامس: حديث توسل الأعمى بالنبي ﷺ.

المطلب السادس: خبر فتح الكوة فوق القبر النبوي.

المطلب السابع: قصة مجيء الأعرابي إلى قبر النبي ﷺ.

المطلب الثامن: الاستدلال بآية ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم...﴾.

المطلب التاسع: أن المراد من التوسل بالأنبيـــاء هــو التوســل باجتباء الله لهم ...

المبحث الأول: التوسل الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنة.

لقد أمر الله بالرجوع إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ عند التنازع، فقال سبحانه: **﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾**(١)، وبين سبحانه أنه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له، صواباً على هدي رسوله ﷺ، فقال تعالى: **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾**(٢)، وقال ابن كثير في قوله تعالى: **﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾**: ((ولا يكون العمل حسناً حتى يكون خالصاً لله عز وجل على شريعة رسول الله، فمتى فقد العمل واحداً من هذين الشرطين حبط وبطل)) (٣).

وأمر التوسل كغيره من أمور الدين، المرجع فيه إلى اتباع الأدلة الشرعية وهدي سلف الأمة، وهذا الأصل هو ما نبه إليه الشيخ أبو بكر خوقير وأرشد إليه، فقال رحمه الله:

((اعلم أن مبنى العبادة على الأمر والاتباع، لا على الهوى والابتداع، والتوسل الذي جاءت به السنة وتواتر في الأحاديث هو التوسل والتوجه إلى الله بالأسماء والصفات، وبالأعمال الصالحات، كالأدعية الواردة في السنة، كقولهم: (اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت ...)(٤)، وكالتوسل بدعاء الأنبياء

---

(١) سورة "النساء"، آية رقم: (٥٩).

(٢) سورة "الكهف"، آية رقم: (١١٠).

(٣) "تفسير القرآن العظيم" (٤٣٩/٢).

(٤) أخرجه أبو داود من حديث أنس رضي الله عنه كتاب الصلاة، باب الدعاء (٧٩/٢/ح١٤٩٥)، والنسائي: كتاب صفة الصلاة، باب الدعاء بعد الذكر (٣٨٦/١/ح١٢٢٣)، وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم (١٢٦٨/٢/ح٣٨٦٨)، والحاكم في المستدرك وصححه (٦٨٣/١/ح١٨٥٦)، وابن حبان في صحيحه (١٧٥/٣/ح٨٩٣).

وشفاعتهم في حياتهم، كتوسل الصحابة بالنبي ﷺ في الاستسقاء[١]، وتوسلهم بالعباس[٢]، وبيزيد بن الأسود[٣]، وتوسل الأعمى بدعاء النبي وشفاعته له[٤]، وكما ثبت في الصحيحين من قصة الثلاثة الذين آووا إلى الغار فانطبقت عليهم الصخرة، فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم[٥]، فهذا مما لا نزاع فيه، بل هو من الأمور المشروعة، وهو من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة**﴾[٦] ...))[٧].

---

(١) كما جاء في حديث أنس ﷺ أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً فقال: يا رسول الله! هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا. قال فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: اللهم اسقنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا ... الحديث) أخرجه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، ومسلم: كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء (٦١٢/٢/ح٨٩٧).

(٢) كما جاء عن أنس ﷺ (أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال فيسقون) أخرجه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء (٣٤٢/١/ح٩٦٤).

(٣) جاء ذكر هذه الحادثة في: "الطبقات الكبرى" لابن سعد (٤٤٤/٧)، و"كرامات الأولياء" للالكائي (ص١٩٠/رقم١٥٠)، و"تاريخ دمشق" (١١٢/٦٥)، و"سير أعلام النبلاء" (١٣٧/٤)، و"التلخيص الحبير" (١٠١/٢).

وقد صحح الألباني أثر استسقاء معاوية بيزيد بن الأسود، انظر: "التوسل وأنواعه" (ص٤١)، و"إرواء الغليل" (١٣٩/٣).

(٤) يأتي ذكر الحديث وتخريجه (ص٣٨٤).

(٥) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أخرجه البخاري: كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيراً فترك أجره ... (٧٩٣/٢/ح٢١٥٢)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء ... باب: قصة أصحاب الغار والتوسل بصالح الأعمال (٢٠٩٩/٤/ح٢٧٤٦).

(٦) سورة "المائدة"، آية رقم: (٣٤).

(٧) "فصل المقال" (ص ٢٠).

فبين الشيخ رحمه الله أن المشروع في التوسل: ما دل عليه الدليل، وعدد أنواعه: التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، والتوسل إليه بالأعمال الصالحة التي للداعي، والتوسل بدعاء الصالحين والأنبياء في حياتهم(١).

وقال الشيخ أبو بكر مؤكداً هذا المعنى، ومبيناً أهمية الاتباع والرجوع إلى هدي السلف وفهمهم لمسألة التوسل: ((إنا لم ننكر التوسل الوارد في السنة، بل نقتصر على ما ورد في الأحاديث الصحيحة، ولا نخرج عن طريق السلف الصالح في ذلك وفي جميع ما صح عنهم.

فنتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وبالأعمال الصالحة التي لنا، وبخيارنا الصالحين من الأحياء بطلب الدعاء منهم، والتأمين على دعائهم، كما نفعل في الاستسقاء، وكما جرت على ذلك عادة السلف والخلف، كما سيأتي تفصيل ذلك، [و] أنه لا دليل على جواز التوسل بالأنبياء والصالحين بعد مماتهم، وما ذكره المجوزون من الأحاديث إما أن يكون ضعيفاً لا يصلح للاستدلال، أو أنه دليل عليهم لا لهم، كحديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما)) (٢).

وبين الشيخ أبو بكر خوقير أن المشروع في التوسل بالأنبياء والصالحين هو التوسل بدعائهم وشفاعتهم في حياتهم، واستدل على ذلك بفعل الصحابة رضوان الله عليهم، فقال: ((... فظهر لك مما قررناه وما نقلناه أن المشروع في التوسل بالأنبياء والصالحين إنما هو في حياتهم بدعائهم، كما نقول للرجل الصالح: ادع الله لنا، وكما حصل في استسقاء الصحابة بالنبي ﷺ في حياته، ثم من بعده بعمه العباس، ثم بالخيار

---

(١) وعدها بعضهم أكثر من هذه لكن مرجعها إلى هذه الثلاثة. انظر: "البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية" (ص ٢٢-٢٥)، نقلاً عن "دعاوى المناوئين" (ص ٢٥٧). وليست العبرة بالعدد وإنما بما ورد به الدليل.

(٢) " فصل المقال" (ص ١٦).

من الناس في كل زمان ومكان إلى يومنا هذا، وأما الميت فلا يطلب منه دعاء ولا غيره، ولا يتوسل به في دعاء ولا غيره ...)) [1].

وهذا المذهب الذي قرره الشيخ في ما يشرع من التوسل هو الذي تشهد له نصوص الشرع، وهو عبادة الله بما شرع، وبه يتم تحقيق الاتباع، وسد باب الابتداع في الدين.

---

(١) "فصل المقال" (ص ٢٦).

المبحث الثاني: التوسل بالذوات:

التوسل بالذوات يراد به جعل ذواتهم وسيلة للقرب من الله وحصول المطلوب، وأكثر ما يقع فيه البحث مسألة التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته.

والتوسل به ﷺ لفظ فيه إجمال يراد به أكثر من معنى، فالصحابة رضوان الله عليهم كانوا يطلقون لفظ التوسل به ﷺ والتوجه به ويريدون منه: التوسل بدعائه وشفاعته.

وفي عرف كثير من المتأخرين يعنون بالتوسل به ﷺ: سؤال الله به، أو الإقسام على الله به، وهناك فرق بين السؤال والقسم، فإن السائل متضرع ذليل يسأل بسبب يناسب الإجابة، والمقسم أعلى من هذا، فإنه طالب مؤكد طلبه بالقسم[١].

وقد بحث الشيخ أبو بكر خوقير مسألة التوسل إلى الله بمخلوقاته، وأشار إلى الخلاف في المسألة، ورجح جانب المنع، مستشهداً على ذلك بفعل السلف، وناقلاً من كلام المتقدمين.

قال رحمه الله: ((وأما التوسل بذوات المخلوقين فلا دليل عليه، ولا قاله أحد من الصحابة والتابعين، و لم ينقل عن السلف إلا ما يناقض ذلك ...)) [٢].

واستشهد الشيخ على المنع من هذا التوسل بما جاء عن الإمام أبي حنيفة، رحمه الله، وأصحابه في ذلك، فقال: ((وقد ذكر الحنفية في متوهم في باب الحظر والإباحة أن قول الداعي المتوسل: "بحق الأنبياء والأولياء وبحق البيت والمشعر الحرام": مكروه كراهة تحريم[٣] ...)) [١٦].

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (٢٠١/١، ٢٢٢، ٢٢٣).

(٢) انظر: "فصل المقال" (ص٢٠، ٢١).

(٣) انظر من كتب الأحناف في إنكار التوسل بذوات المخلوقين:

- "بدائع الصنائع" للكاساني(ت٥٨٧هـ)دار الكتاب العربي.بيروت.ط٢.(١٩٨٢م) (١٢٦/٥) ←

وقال الشيخ أبو بكر ناقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية: ((ذكر القدوري[١] في شرح الكرخي[٢] عن أبي حنيفة وأبي يوسف: لا يجوز أن يسأل الله إلا به[٣]))[٤].

- "بداية المبتدئ" لعلي بن أبي بكر الميرغناني (ت٥٩٣هـ). مطبعة محمد علي صبيح. القاهرة. ط١. (١٣٥٥هـ). (ص٢٢٤)، و"الهداية شرح البداية" له. المكتبة الإسلامية. بيروت. (٩٦/٤).
- "تحفة الملوك" لمحمد بن أبي بكر الرازي (ت٦٦٦هـ). دار البشائر الإسلامية. بيروت. ط١. (ص٢٣٦،٢٣٧).
- "الاختيار في سير تعليل المختار" لأبي الفضل عبد الله بن محمود الموصلي (ت٦٨٣هـ). مطبعة مصطفى البابي (١٣٥٥هـ). (١١٨/٢،١١٩).
- "الكافي شرح الوافي" لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي (ت٧١٠هـ). (ق٥١٠).
- "شرح مجمع البحرين" لعبد اللطيف بن عبد العزيز المعروف بابن ملك. (ت٨٠١هـ). (ق٢٦٩ب)
- "رمز الحقائق شرح كنز الدقائق" لمحمود بن أحمد العيني (ت٨٥٥هـ). المطبعة الميمنية بمصر (١٣٢٠هـ). (٢١٤/٢).
- "البحر الرائق شرح كنز الدقائق" لزين الدين بن إبراهيم بن محمد (ت٩٧٠هـ). دار المعرفة. بيروت. ط١. (٢٣٥/٨).
- "الدر المختار" و"حاشية رد المحتار على الدر المختار" دار الفكر. ط٢. (١٣٨٦هـ). لزين الدين بن عابدين الحنفي (ت٩٧٠هـ) (٣٩٦/٦،٣٩٧).
- "منح الغفار شرح تنوير الأبصار" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله التمرتاشي (ت١٠٠٤هـ). (ق١٧٢أ). وانظر للمزيد من مصادر الأحناف في المسألة: "الدعاء" للعروسي (ص٦٤٧) حاشية (١).

(١) أحمد بن محمد بن أحمد القدوري الحنفي، ولد سنة (٣٦٢هـ)، انتهت إليه رياسة الحنفية بالعراق، وله عدة مصنفات، توفي سنة (٤٢٨هـ). انظر: "تاريخ بغداد" (٣٧٧/٤)، و"سير أعلام النبلاء" (٥٧٤/١٧).

(٢) عبد الله بن الحسين بن دلال الكرخي المتوفى سنة (٣٤٠هـ). انظر "كشف الظنون" (١٦٤٣/٢).

(٣) قال في "حاشية ابن عابدين" (٣٩٦/٦): ((قوله: إلا به، أي: بذاته وصفاته وأسمائه)).

(٤) "فصل المقال" (ص٢١)، وعزا النقل إلى "الرد على البكري" لابن تيمية، وهذا النص من الجزء الساقط من المطبوع (تحقيق عبد الله السهلي)، وقد أورد الآلوسي في "جلاء العينين" (ص٥٣١-٥٥٥) مقطعاً من مواضع متفرقة من كتاب "الاستغاثة"، واعتمد على مخطوط أتم مما اعتمد عليه محقق "الاستغاثة" وبعض أجزاء هذا المقطع ذُكرت في "تلخيص الاستغاثة" لابن كثير، وعدها محقق "الاستغاثة" مما سقط من

وقال الشيخ أبو بكر ناقلاً عن ابن القيم[(١)] رحمه الله، قال: ((قال القدوري: قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف قال: قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقال: بمعاقد العز من عرشك، أو يقول بحق خلقك، [وهو قول لأبي يوسف][(٢)].

قال أبو يوسف: بمعقد العز من عرشك: هو الله، فلا أكره ذلك[(٣)]، وأكره بحق

الأصل، وستأتي الإشارة إلى ذلك في ما نقله الشيخ أبو بكر (ص٣٦١).

وهذا النقل أورده باختصار الشيخ أحمد بن عيسى في "الرد على شبهات المستغيثين بغير الله" (ص ٦٤٢) ضمن "المجموع الفريد"، ويظهر أن الشيخ أبا بكر نقل عنه.

(١) كما في "إغاثة اللهفان" (٢٤٤/١،٢٤٥) بنحوه، وهو عند شيخ الإسلام ابن تيمية بنحوه في "مجموع الفتاوى" (٢٠٢/١،٣٤٥ ، ٣٣٦/٢٤).

(٢) عند الشيخ أبي بكر خوقير : "وهو قول أبي يوسف" وهذه الجملة ليست في "إغاثة اللهفان" ولم ينسب هناك هذا القول لأبي يوسف، لكن جاء ذلك "بمجموع الفتاوى" (٢٠٢/١، ٣٤٥/١، ٣٣٦/٢٤)، وقال في "اقتضاء الصراط المستقيم" (٤٠٧،٤٠٨): "وهو قول لأبي يوسف" وهذا ما يناسب ما بعده. قال صاحب "بدائع الصنائع" (١٢٦/٥) ((قوله: بمعقد العز من عرشك، لا بأس به، روي عن أبي يوسف)) ونحوه في "الدر المختار" (٣٩٦/٦)، مما يفيد أن لأبي يوسف قولان في المسألة.

(٣) قال الزبيدي في "شرح الإحياء" (٢٨٥/٢): ((كره أبو حنيفة ومحمد أن يقول الداعي: اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك، وأجازه أبو يوسف لما بلغه الأثر فيه)). والمراد ما روي (اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك) رواه ابن الجوزي في "الموضوعات" (٦٣/٣) وقال: ((هذا حديث موضوع بلا شك)) وأقره الحافظ الزيلعي في "نصب الراية" (٢٧٢/٤).

قال الشيخ الألباني: ((الأثر المشار إليه باطل لا يصح، ، وإن كان قول القائل: "أسألك بمعاقد العز من عرشك" يعود إلى التوسل بصفة من صفات الله عز وجل، فهو توسل مشروع بأدلة أخرى، تغني عن هذا الحديث الموضوع، قال ابن الأثير رحمه الله في "النهاية" (٢٧٠/٣): ((أسألك بمعاقد العز من عرشك، أي بالخصال التي استحق بها العرش العز، أو بمواضع انعقادها منه، وحقيقة معناه: بعز عرشك، وأصحاب أبي حنيفة يكرهون هذا اللفظ من الدعاء)) فعلى الوجه الأول من هذا الشرح، وهو الخصال التي استحق بها العرش العز، يكون توسلاً بصفة من صفات الله تعالى، فيكون جائزاً، وأما على الوجه الثاني الذي هو مواضع انعقاد العز من العرش، فهو توسل بمخلوق، فيكون غير جائز، وعلى كل فالحديث لا يستحق زيادة في البحث والتأويل لعدم ثبوته ...)) انتهى كلام الألباني. انظر "التوسل وأنواعه" (ص٤٨،٤٩).

فلان أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت والمشعر الحرام.

قال القدوري: المسألة [بخلقه][(١)] لا تجوز، لأنه لا حق للمخلوق على الخالق، فلا تجوز، يعني وفاقاً.

قال البلدجي في شرح [المختار]: "ويكره أن يدعو الله إلا به، فلا يقول أسألك بفلان أو بملائكتك، أو أنبيائك، أو نحو ذلك لأنه لا حق للمخلوق على الخالق"[(٢)]))[(٣)].

وقال الشيخ أبو بكر خوقير: ((وذكر العلائي في شرح التنوير عن التتارخانية عن أبي حنيفة أنه قال: ((لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، والدعاء المأذون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى: **﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾**))[(٤)].

فهذه النقول عن المتقدمين كالإمام أبي حنيفة وأصحابه تبين عدم جواز سؤال الله بمخلوق، لا من الأنبياء ولا غيرهم من الصالحين، ولا بحقهم.

وقد بين الشيخ أبو بكر خوقير موافقة الإمام مالك لما جاء عن الأحناف من المنع من ذلك التوسل، فقال: ((وروي عن مالك الكراهة، كما أفاده الشيخ زروق[(٥)]

---

(١) عند الشيخ أبي بكر خوقير : "بحقه"، والتصحيح من "مجموع الفتاوى" (٢٠٣/١، ٣٤٥/١، ٣٣٦/٢٤)، وفي "إغاثة اللهفان": ((المسألة بغير الله فمنكرة)) (٢٤٤/١).

(٢) انظر: "الدر المختار" (٣٩٦/٦).

(٣) نهاية نقل الشيخ أبي بكر خوقير عن ابن القيم من "إغاثة اللهفان" (٢٤٤/١،٢٤٥).

(٤) "فصل المقال" (ص٢١)، وذكره الآلوسي في "جلاء العينين" (ص ٥١٦).

(٥) الشيخ زروق: أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي المالكي، الشهير بأحمد زروق، له عدة مؤلفات في الأخلاق والتصوف، كانت وفاته عام (٨٩٩هـ). انظر: "كشف الظنون" (٦٦١/١، ١٣٥٨/٢)، "فيض القدير" (٤١٧/٢)، "الأعلام" (٩١/١).

في "قواعد التصوف")) [١].

وهذا ما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام مالك، قال: ((وهذا التوسل بالأنبياء بمعنى السؤال بهم — وهو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه وغيرهم إنه لا يجوز- ليس في المعروف من مذهب مالك ما يناقض ذلك، فضلاً أن يجعل هذا من مسائل السب، فمن نقل عن مذهب مالك أنه جوز التوسل به، بمعنى الإقسام به أو السؤال به، فليس معه في ذلك نقل عن مالك وأصحابه، فضلاً أن يقول مالك: إن هذا سب للرسول أو تنقص له. بل المعروف عن مالك أنه كره للداعي أن يقول: يا سيدي [يا] سيدي! وقال: قل كما قالت الأنبياء: يا رب يا رب يا كريم![٢] ...

فإن كان مالك يكره مثل هذا الدعاء، إذ لم يكن مشروعاً عنده، فكيف يجوز عنده أن يسأل الله بمخلوق نبياً كان أو غيره، وهو يعلم أن الصحابة لما أجدبوا عام الرمادة لم يسألوا الله بمخلوق، لا نبي ولا غيره ؟! ...))[٣].

وتعرض الشيخ أبو بكر خوقير لذكر الخلاف في مسألة التوسل بالذوات مع ترجيحه المنع، فقال: ((... وقد نص غير واحد من العلماء على أن هذا لا يجوز، ونقل عن بعضهم الجواز، فذكر الحنابلة في باب الاستسقاء أنه يباح التوسل

---

(١) "فصل المقال" (ص ٢٠)، والنقل عن كتاب "قواعد التصوف" لأحمد زروق. المطبعة العلمية بمصر. (١٣١٨هـ). (ص ٥٤). وقال فيه: ((وقد روي عن مالك: لا يتوسل بمخلوق أصلاً)).

(٢) جاء عن الإمام مالك كراهة ذلك، كما في "العتبية مع البيان والتحصيل" (٤٥٦/١)، (٤٢٣/١٧)، نقلاً عن "الدعاء" للعروسي (ص ٥٤٧). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وقد كره مالك وابن أبي عمران من أصحاب أبي حنيفة وغيرهما أن يقول الداعي: يا سيدي! يا سيدي!، وقالوا: قل كما قالت الأنبياء: رب! رب!)) "مجموع الفتاوى" (٢٠٧/١)، (٣٣٣/٢).

(٣) "مجموع الفتاوى" (٢٢٤/١).

بالأنبياء والصالحين[١]، ونقل عنهم الكراهة [٢]، وروي عن الإمام أحمد جوازه بالنبي ﷺ ...)) [٣].

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام أحمد القول بجواز التوسل بالنبي ﷺ، في منسكه الذي كتبه للمروزي صاحبه: "إنه يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه"، وناقش ابن تيمية ذلك، بإمكان جعله كمسألة اليمين إذا حلف بالنبي ﷺ ، على القول بجواز ذلك، على إحدى الروايتين عن الإمام أحمد.

وجزم في موضع آخر بأن مسألة التوسل بذات النبي ﷺ عند الإمام أحمد كمسألة الحلف به، فقال في التوسل بذات النبي ﷺ: ((... ولكن غير أحمد قال: إن هذا إقسام على الله به، ولا يقسم على الله بمخلوق، وأحمد في إحدى الروايتين قد جوز القسم به، فلذلك جوز التوسل به، ولكن الرواية الأخرى عنه هي قول جمهور العلماء: أنه لا يقسم به، فلا يقسم على الله به كسائر الملائكة والأنبياء، فإنا لا نعلم أحداً من السلف والأئمة قال: إنه يقسم به على الله، كما لم يقولوا: إنه يقسم بهم مطلقاً ...))[٤].

---

(١) انظر: "المبدع" لإبراهيم بن محمد بن مفلح (ت٨٨٤هـ). المكتب الإسلامي. بيروت. (١٤٠٠هـ). (٢٠٤/٢)، و"دليل الطالب" لمرعي بن يوسف الكرمي (ت١٠٣٢هـ). المكتب الإسلامي. بيروت. (١٣٨٩هـ). ط٢. (ص٥٦)، و"كشاف القناع" لمنصور البهوتي (ت ١٠٥١هـ). دار الفكر. بيروت. (١٤٠٢هـ). (٦٩،٧٣/٢)، و"الروض المربع" له. مكتبة الرياض الحديثة. (١٣٩٠هـ). (٣١٧/١).

(٢) انظر: "الفروع" لمحمد بن مفلح (ت ٧٦٣هـ). دار الكتاب العلمي. بيروت.(١٤١٨هـ). ط١. (١٢٧/٢)، (٢١٤/٢)، و"الإنصاف" للمرداوي (ت٨٨٥هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت. (٢٥٦/٢).

(٣) "فصل المقال" (ص ٢٠).

(٤) "مجموع الفتاوى" (١٤٠/١، ١٤١)، وانظر: (٣٤٧/١) و"تلخيص الاستغاثة" (٤٧٦/٢، ٤٧٧) مكتبة الغرباء الأثرية. المدينة. ط١. (١٤١٧هـ)، وقد نقل في "الفروع" (١٢٧/٢) وفي "الإنصاف" (٢٥٦/٢) توجيه ابن تيمية لما جاء عن الإمام أحمد من سؤال الله بنبيه، ووافقاه على المنع من التوسل

وذكر الشيخ أبو بكر خوقير عن العز بن عبد السلام أنه قال: ((لا يجوز التوسل بغير النبي ﷺ)) ، ونقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: ((وما زلت أبحث وأكشف ما أمكنني من كلام السلف والأئمة والعلماء، هل جوز أحد منهم التوسل بالصالحين في الدعاء أو فعل ذلك أحد منهم؟ فما وجدته.

ثم وقفت على فتيا للفقيه أبي محمد ابن عبد السلام أفتى بأنه لا يجوز بغير النبي ﷺ، وأما النبي فجوز التوسل به إن صح الحديث في ذلك ...)) [١].

وقد جاء عن العز ابن عبد السلام أنه جوز التوسل بالنبي ﷺ وحده، وعلق ذلك على صحة حديث الضرير[٢].

وهذا ما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: ((ورأيت في فتاوى الفقيه أبي محمد ابن عبد السلام قال: "لا يجوز أن يتوسل إلى الله بأحد من خلقه إلا برسول الله ﷺ، إن صح حديث الأعمى"، فلم يعرف صحته ... وقد تقدم أن هذا الحديث لا يدل إلا على التوسل بدعائه، ليس من باب الإقسام بالمخلوق على الله تعالى، ولا من باب السؤال بذات الرسول ...))[٣].

وقال أيضاً: ((أفتى أبو محمد ابن عبد السلام أنه لا يقسم على الله بأحد من الملائكة والأنبياء وغيرهم، لكن ذُكر له أنه روي عن النبي ﷺ حديث في الإقسام به، فقال: "إن صح الحديث كان خاصاً به"، والحديث المذكور لا يدل على الإقسام به،

بالذوات. ويمكن توجيه بعض ما جاء عن الحنابلة من جواز التوسل بالصالحين على المشروع من التوسل بدعائهم، كما قال في "منار السبيل": ((والتوسل بالصالحين بتقديمهم يدعون ويؤمن الناس على دعائهم، لفعل عمر بالعباس ومعاوية بيزيد بن الأسود ...)) مكتبة المعارف. الرياض. (١٤٠٥هـ). (١/١٥٤).

(١) "فصل المقال" (ص٢١)، وعزا النقل إلى "الرد على البكري" وسبق التنبيه عليه (ص٣٥٢) حاشية (٤).

(٢) انظر: "فتاوى العز ابن عبد السلام". مؤسسة الرسالة. بيروت. ط١. (١٤١٦هـ). (ص١٩٧-١٩٩).

(٣) "مجموع الفتاوى" (١/٣٤٧) باختصار، وسيأتي الكلام على حديث الأعمى (ص٣٨٤).

وقد قال النبي ﷺ: (من كان حالفاً فليحلف بالله وإلا فليصمت)[١]، وقال: (من حلف بغير الله فقد أشرك)[٢]، والدعاء عبادة، والعبادة مبناها على التوقيف والاتباع، لا على الهوى والابتداع))[٣].

وقال الشيخ أبو بكر خوقير عن سؤال الله بالأنبياء والصالحين: ((فإذا علمت أن أمر العبادة بالتوقيف والاتباع، كما سبق، فالوقوف عند المأثور والعمل به نور وجلاء لما في الصدور، وفي الأدعية الواردة الكفاية، فما أحسن الوقوف عندها، والدعاء بما لا خلاف فيه أفضل بالإجماع، ومن أسباب قبوله.

وكيف نتوسل بالأنبياء والصالحين ولم نتابعهم؟! فقد خالفناهم بهذا التوسل المبتدع الذي لم يشرع، وكيف ندعي حبهم ولم نتابعهم ؟! والله يقول: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني**﴾[٤]، فلم يكن بيننا وبينهم هذا السبب الذي يربطنا بهم ويسوغ الوسيلة.

ومجرد سؤال الله بهم وبجاههم من غير اتباع لما جاء به الرسول لا ينفعنا، فسؤال الله بأحد من خلقه: مكروه كراهة تحريم، على الأصح[٥]، كما قال به جمهور

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب: كيف يستحلف ... (٢/٩٥١/ح٢٥٣٣)، ومسلم: كتاب الأيمان، باب: النهي عن الحلف بغير الله (٣/١٢٦٧/ح١٦٤٦).

(٢) أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (١/٤٧/ح٣٢٩)، وأبو داود: كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء (٣/٢٢٣/ح٣٢٥١)، والترمذي: كتاب النذور والأيمان، باب: كراهية الحلف بغير الله (٤/١١٠/ح١٥٣٥)، والحاكم وصححه (١/٦٥/ح٤٥)، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (٢/١٠٦٧/ح٦٢٠٤).

(٣) "مجموع الفتاوى" (١/١٤١)، وانظر: "تلخيص الاستغاثة" (١/١٦٩).

(٤) سورة "آل عمران"، آية رقم: (٣١).

(٥) انظر: "حاشية ابن عابدين" (٦/٣٩٦).

العلماء، لما فيه من الإقسام على الله بخلقه، وهو تعالى لا يقسم عليه بشيء من المخلوقات، فشأنه عظيم سبحانه وتعالى.

وأما ما ثبت في الصحيح عنه ﷺ من أنه قال: (رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره)[١]، فهذا من باب الحلف بالله سبحانه ليفعلن هذا الأمر، فهذا إقسام عليه تعالى به، ليس إقساماً عليه بمخلوق ...)) [٢].

واحتج الشيخ أبو بكر على المنع من هذا التوسل بفعل سلف الأمة في صدر الإسلام، فقال رحمه الله عن التوسل بالأنبياء: ((... ولو كان محبوباً عند الله، لكان محبوباً عند رسوله وأصحابه والتابعين وتابعيهم، ولكثر في كلامهم وكان شائعاً في تلك القرون الفاضلة، ولتوفرت الدواعي على نقله واستفاض استفاضة لم يحتج معها إلى إيراد حديث معلول شاذ أو ما في معناه احتمال ...)) [٣].

وبين الشيخ أبو بكر خوقير موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من التوسل بذوات الأنبياء والصالحين، وبين نوع السببية الصحيحة للتوسل، وما يتوصل به منها إلى المطلوب، وما لا يتحقق به المطلوب، فقال رحمه الله:

((وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن التوسل بمجرد ذوات الأنبياء والصالحين غير مشروع، وأنه سؤال بسبب لا يقتضي حصول المطلوب، بخلاف من كان طالباً بالسبب المقتضي لحصول المطلوب، كالطالب منه سبحانه بدعاء الصالحين، وأعمال السائلين الصالحة، فلا بد من سبب بين السائل وبينهم يوجب مقصوده، وذلك بأمرين: إما بطاعته واتباعه لهم، وإما بدعائهم له وشفاعتهم له، فمجرد سؤاله في

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ بلفظ: (رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره)، كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الضعفاء والخاملين (٤/٢٠٢٤/ح٢٦٢٢).

(٢) " فصل المقال" (ص ٥٩، ٦٠).

(٣) "فصل المقال" (ص ٣١)، وانظر في ذلك: "مجموع الفتاوى" (١/٢٠٢، ٣١٨، ٣١٩).

دعائه بهم من غير طاعته واتباعه لهم، ولا دعاء ولا شفاعة منهم له، فلا ينفعه، وإن عظم جاه أحدهم عند الله تعالى من المنازل والدرجات، فإنه أمر يعود نفعه إليهم.

ولزيادة الإيضاح في هذا المقام، ننقل ما كتبه شيخ الإسلام في كتاب الاستغاثة في الرد على ابن [البكري][1]، قال رحمه الله:

وأما قول القائل: إن المتوسل إنما هو سائل الله تعالى، راج له، عالم أن النفع والضر بيده لا شريك له، وإنما توسل إليه بمن يحبه الله تعالى لشرف مترلته عنده، ليكون أقرب إلى الإجابة وحصول المراد، كطلب الدعاء من الرجل الصالح.

فيقال: توسل العبد إلى الله تعالى بما يحب لفظ مجمل، فإن أريد: بما يحب الله تعالى أن يتوسل به إليه، فهذا حق، [والله تعالى يحب أن يتوسل إليه بالإيمان والعمل الصالح والصلاة والسلام على نبيه صلى الله عليه وسلم ومحبته وطاعته وموالاته، فهذه ونحوها هي من الأمور التي يحب الله تعالى أن يتوسل بها إليه.

وإن أريد أنه يتوسل إليه بما يحب ذاته، وإن لم يكن هناك ما يحب الله تعال أن يتوسل به، فهذا باطل عقلاً وشرعاً.

أما عقلاً: فلأنه ليس في كون الشخص المعين محبوباً له ما يوجب كون حاجتي تقضى بالتوسل بذاته، إذا لم يكن مني ولا منه سبب تقضى به حاجتي، فإن كان منه دعاء لي، أو كان مني إيمان به وطاعة له، فلا ريب أن هذه وسيلة، وأما نفس ذاته المحبوبة لله تعالى فأي وسيلة لي فيها إذا لم يحصل لي السبب الذي أمرت به فيها، ولهذا لو توسل به من كفر به لم ينفعه، والمؤمن به ينفعه الإيمان به وهو أعظم الوسائل.

فتبين أن الوسيلة بين العباد وبين ربهم عز وجل: الإيمان بالرسل وطاعتهم،

---

(١) عند الشيخ أبي بكر خوقير: "السبكي"، لكن كتاب الاستغاثة لابن تيمية يرد فيه على البكري، والشيخ أبو بكر خوقير ينقل هنا عن "جلاء العينين" (ص ٥٣١-٥٣٣)، وقد نقل عبارة الآلوسي كما هي.

وقول القائل للرجل: "ادع لي"، توسل بدعاء الصالحين، وهو من جملة الأسباب النافعة، كشفاعة النبي ﷺ.

وأما المشروع، فيقال: إن العبادات مبناها الاتباع لا الابتداع، وليس لأحد أن يشرع من الدين ما لم يأذن به الله، ألا ترى أنه ليس لأحد أن يصلي إلى قبره ﷺ ويقول: هو أحق بالصلاة إليه من الكعبة! وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام في الصحيح أنه قال: (لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها)[(١)]][(٢)].

ومن لم يعتصم بالكتاب والسنة ضل وأضل، وليس في قوة كل أحد أن يفهم أسرار العبادات ومنافعها ومضار ما ينهى عنه من ذلك، فعليه أن يسلم للشريعة ويعلم أنها جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإذا رأى من العبادات التي يظنها حسنة ونافعة ما ليس بمشروع، علم أن ذلك لضرر فيها راجح على نفعها، ومفسدة راجحة على مصلحتها، إذ الشارع حكيم لا يهمل المصالح.

فإن قال: أنا إذا توسلت بذاته إنما [توسلت][(٣)] بعملي المعلق به، وذلك أنه لحبي له وتعظيمي إياه توسلت به، وهذا مما يحبه الله تعالى مني.

قيل: حبك وتعظيمك له، الذي هو من الإيمان به، وهو يدعوك إلى زيادة الإيمان به وطاعته وهو الذي يحبه الله تعالى منك، وأما حبك وتعظيمك الذي لا تقصد به إلا قضاء حاجتك الدنيوية، فهذا لا يحبه الله تعالى منك.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي مرثد الغنوي ﷺ ، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة إليه (٢/٦٨٨/ح٩٧٢).

(٢) ما بين المعكوفتين أورده ابن كثير في "تلخيص الاستغاثة" (ص ١/١٦٤-١٦٦) وهذا النص أورده محقق "الاستغاثة" (ص ١/١٤٦) ضمن الموضوعات التي سقطت من الأصل ووردت في التلخيص، وهذا يدل على أن نسخة الآلوسي أتم من النسخ المعتمدة في التحقيق.

(٣) التصحيح من "جلاء العينين" (ص ٥٣٢).

فإذا كان الداعي لم يؤمن به و لم يطعه، بل سأل الله تعالى به وتوسل به وأحبه وعظمه ليقضي حاجته بالتوسل به: لم يكن ذلك مما يحبه الله عز وجل بالضرورة، و لم يأمر الله تعالى بذلك، بل لم يأمر الله تعالى إلا بالإيمان به والطاعة، وهذا إذا حصل كان أعظم الوسائل للعبد عند الله عز وجل، وإن لم يحصل فلا وسيلة للعبد عند الله تعالى)) [1].

وتعرض الشيخ أبو بكر خوقير إلى نقد كلام الشوكاني في جواز التوسل بالذوات، فقال: ((وجنح الشوكاني إلى رأي المجوزين، قائلاً: ((إن التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة، إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله، فإذا قال القائل: اللهم إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني، فهو باعتبار ما قام به من العلم))[2]، وليته اقتصر على النص كما هي عادته، رضي الله عنه، فإن المقام خطر جداً ، فكم تولد من ذلك من البدع والخروج إلى الإشراك، وأما قوله: "إنه توسل بأعمالهم الصالحة" إلخ، ففيه نظر، فإن نفعها لهم، كما أنه لا بد من سبب حاضر ظاهر بين السائل والمسئول به، فتأمل.

قال بعض فضلاء الهند[3] بعد سياق كلام الشوكاني: "وأحوط الأقوال وأصح الأفعال: القصر على الوارد إن صح، لأن أكثر الخلق لا يعلمون ما يدخل في هذا من الشرك، كيف والشرك أخفى من دبيب النمل، كما ورد بذلك الحديث")) [4].

وقال الشيخ أبو بكر خوقير مؤكداً ما سبق في مسألة التوسل بذوات الأنبياء

---

(١) "فصل المقال" (ص ٢٣-٢٤).

(٢) "الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد" دار الندوة الجديدة. بيروت. (١٩٩٣م). ط١. (ص ٢٨).

(٣) هو صديق حسن خان القنوجي في كتابه "الدين الخالص" (١٣٥/٢)، وقد أورد بشير السهسواني كلام الشوكاني وانتقده من أربعة أوجه. انظر: "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" (ص ٢٠١-٢٠٣).

(٤) "فصل المقال" (ص٢٢) باختصار يسير.

والصالحين: ((وأما قياسهم على الأعمال أو حال الحياة فمردود؛ لوجود الفارق، وهو مظنة الفتنة والاستدراج في الغلو بالتعظيم، مع أن العبادة بالتوقيف من الشارع، ولا بد من سبب بين السائل والمسئول به، ومجرد ذوات الأنبياء والصالحين ومحبة الله لهم وحصول الجاه لهم عنده ليس بها ما يوجب حصول مقصود السائل ...)) (١).

ونقل الشيخ أبو بكر عن الآلوسي(٢) رحمه الله قوله: ((وأنت تعلم أن الأدعية المأثورة عن أهل البيت الطاهرين وغيرهم من الأئمة ليس فيها التوسل بالذات المكرمة ﷺ، ولو فرضنا وجود ما ظاهره ذلك فمؤول بتقدير مضاف، أي : بدعاء أو شفاعة نبيك ...)) (٣).

وفي ختام هذا المبحث أنقل كلاماً جامعاً لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، قال: ((والذي قاله أبو حنيفة وأصحابه وغيرهم من العلماء من أنه لا يجوز أن يسأل الله تعالى بمخلوق، لا بحق الأنبياء ولا غير ذلك، يتضمن شيئين:

أحدهما: الإقسام على الله سبحانه وتعالى به، وهذا منهي عنه عند جماهير العلماء، كما ينهى أن يقسم على الله بالكعبة والمشعر، باتفاق العلماء.

والثاني: السؤال به، فهذا يجوزه طائفة من الناس، ونُقل في ذلك آثار عن بعض السلف، وهو موجود في دعاء كثير من الناس، لكن ما روي عن النبي ﷺ في ذلك كله ضعيف بل موضوع، وليس عنه حديث ثابت قد يظن أن لهم فيه حجة، إلا حديث الأعمى الذي علمه أن يقول: (أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة)، وحديث الأعمى لا حجة لهم فيه ، فإنه صريح في أنه إنما توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته ...))(٤).

---

(١) " فصل المقال" (ص ٥٨).

(٢) نعمان خير الدين الآلوسي، والنقل عنه من"جلاء العينين" (ص ٥٦٨).

(٣) "فصل المقال" (ص ٢٢).

(٤) "مجموع الفتاوى" (٢٢٢/١) باختصار يسير.

فتبين مما سبق موقف الشيخ أبي بكر خوقير من مسألة التوسل بالأنبياء والصالحين، وأنه متبع في ذلك للدليل وما كان عليه السلف، فالمشروع من التوسل بهم إنما هو بدعائهم وشفاعتهم في حياقم، أو التوسل بالإيمان بهم ومحبتهم واتباعهم، الذي هو عمل صالح للمتوسل، وأما التوسل بذواقم: فإنه أمر لم يكن عليه جمهور سلف الأمة ولم يعرف عن النبي ﷺ ولا الصحابة ولا تابعيهم، بل قد تركوه وعدلوا إلى التوسل المشروع بدعاء الصالحين الأحياء، فمجرد سؤال الله بهم ليس سبباً لحصول المطلوب، إذ لا بد من وجود مناسبة بين السائل والمسئول به.

وقد بين رحمه الله أن التوسل بالذوات لو كان محبوباً عند الله لفعله السلف في صدر الإسلام ولشاع بينهم وتضافر نقله، والحال على العكس من ذلك، كما استشهد الشيخ بالنقل عن المتقدمين كأبي حنيفة وأصحابه وغيرهم ممن منع من هذا التوسل، وأشار إلى الخلاف في المسألة وأنه نُقل عن الإمام أحمد جوازه، على أنه يمكن تخريجه على ما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية، ليوافق عموم الأدلة.

المبحث الثالث: شبهات المخالفين، وجواب الشيخ عنها:

يتمسك المخالفون في مسألة التوسل بالذوات ببعض الأدلة أو الشبه ليثبتوا مشروعية ذلك التوسل، وهي في مجملها أدلة لا تقوم بها حجة، إما لعدم ثبوتها، أو لأنها لا تدل على ما أرادوه.

وقد تعرض الشيخ أبو بكر خوقير لذكر أبرز تلك الشبهات وأجاب عنها، وبين ما فيها من خطأ في الثبوت أو الدلالة.

وبعد ما سبق للشيخ بيانه من المشروع من التوسل، وبحثه مسألة التوسل بالذوات، كما تقدم، أشار إلى أصل مهم تنبغي مراعاته، ألا وهو التمسك بالنصوص المحكمة ورد المتشابه إليها، فقال رحمه الله: ((... ولو سُلّم أن هناك دليلاً يشم منه رائحة التوسل بذات المخلوقين فلا يصار إليه، ولا يقاس عليه، ويجاب عنه بأنه على حذف مضاف، أو أنه مؤول، أو يؤتى به كما ورد ويكون من المتشابه، فإن السنة كالقرآن فيها المتشابه والمحكم، فيرد متشابهها إلى المحكم، فكلام النبي ﷺ لا يتناقض، ولا يضرب بعضه بعضاً، ويوافق القرآن ولا يناقضه، وهذا أصل عظيم تجب مراعاته، ومن أهمله وقع في أمر عظيم وهو لا يدري، فقهنا الله وإياكم في الدين وجعلنا من عباده المخلصين، ممن يعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال، ويميز القائل بالمقال لا المقال بالقائل ...)) [1].

وفيما يلي بيان تلك الشبهات التي تناولها الشيخ.

---

(١) "فصل المقال" (ص ٢٦).

المطلب الأول: استسقاء عمر بالعباس، رضي الله عنهم.

يستدل بعض المخالفين في مسألة التوسل بما جاء عن عمر من استسقائه بدعاء العباس، فيزعمون أن التوسل إنما كان بذات العباس لا بدعائه، وهذا فهم خاطيء للحديث، فإن ذاك التوسل لو كان بالذات أو بالجاه لما عدل الصحابة عن التوسل بالنبي ﷺ إلى العباس، خاصة مع شدة ما كانوا يمرون به وضيق حالهم، كما أنه ورد في بعض الروايات ذكر الدعاء الذي دعا به العباس، وورد عن بعض الصحابة توسلهم في الاستسقاء بدعاء بعض الصالحين.

قال الشيخ أبو بكر خوقير بشأن توسل عمر بالعباس: ((فإن قال(١): هذا الحديث يدل على التوسل بالذات. قلنا: نعم، لكن مع الدعاء في الاستسقاء، كما كان في حياته ﷺ يتوسل أصحابه بدعائه وشفاعته لهم، فيدعو ويدعون معه، ويؤمنون على دعائه(٢)، ثم استسقوا من بعده بعمه العباس، كما روى البخاري عن أنس رضي الله عنه: أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا(٣) استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا)، فيسقون(٤).

وقد بين الزبير بن بكار(٥) صفة ما دعا به العباس، فأخرج بإسناده أن العباس

---

(١) يعني المخالف.

(٢) تقدم ذكر حديث في ذلك (ص٣٤٨) حاشية (١).

(٣) قوله: "كان إذا قحطوا" يفيد تكرار ذلك منهم، وهذا يدل على أن ما درج عليه الصحابة من التوسل، هو التوسل بدعاء الصالحين، ولو كان التوسل بالنبي ﷺ بعد موته جائزاً لما تركوه. انظر: "التوسل وأنواعه" (ص٦٢،٦٥).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء (٣٤٢/١/ح٩٦٤).

(٥) الزبير بن بكار: أبو عبد الله بن أبي بكر القرشي، الحافظ النسابة قاضي مكة، له كتاب في أنساب قريش، كانت وفاته سنة (٢٥٦هـ). انظر: "الثقات" (٢٥٧/٨)، "سير أعلام النبلاء" (٣١٢/١٢).

لما استسقى به عمر قال: (اللهم إنه ما نزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه بي القوم إليك لمكانتي من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث)، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس، كما في "الفتح" [1]...)) [2].

وقول عمر: "كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا" يبين معناه رواية الإسماعيلي في مستخرجه لهذا الحديث بلفظ: (كانوا إذا قحطوا على عهد النبي ﷺ استسقوا به، فيستسقي لهم، فيسقون)[3]، فهذا صريح في دعاء النبي ﷺ لهم بالسقيا، ومثله توسلهم بالعباس، فإنما هو بدعائه.

---

(١) "فتح الباري" (٢/٤٩٧)، وقد صحح الألباني هذه الرواية، كما في "التوسل وأنواعه" (ص٦٢) ولم يبين مستنده في تصحيحها، وقد ذكرها الحافظ ابن حجر بقوله: "أخرج الزبير بن بكار بإسناده عن العباس ..." فلم يذكر إسنادها ولم يصححه. وقد ذكر هذه الرواية العيني في "عمدة القاري" (٧/٣٢) فقال: "وفي حديث أبي صالح ..." فذكره. وفي "تاريخ دمشق" (٢٦/٣٥٨) ذكرها بإسناده عن الكلبي عن أبي صالح عن العباس، فإن كان هذا إسنادها فهو ضعيف.

وجاء لفظ آخر لدعاء العباس، فيما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣/٩٢/ح٤٩١٣) لكن في إسناده إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، وهو متروك، كما في "التقريب" (رقم ٢٤١)، وانظر: "الضعفاء للعقيلي" (١/٦٢)، "الكامل" (١/٢١٧)، "المجروحين" (١/١٠٥)، "الكاشف" (١/٢٢٢).

وقد تعددت الروايات في ذكر استسقاء عمر بالعباس وأن الله سقاهم بدعائه، انظر في ذلك: "الاستيعاب" (٢/٨١٤-٨١٦)، "تاريخ دمشق" (٢٦/٣٥٥-٣٦٤) "عمدة القاري" (٧/٣٢)، وعُد ذلك منقبة للعباس، ومما قيل في ذلك ما ذكره في "تاريخ دمشق" (٢٦/٢٦٠) عن الزبير بن بكار، قال: ويروى لابن عفيف النصري في الاستسقاء بالعباس:

ما زال عباس بني شيبة غاية ... للناس عند تنكب الأيام
رجل تفتحت السماء لصوته ... لما دعا بدعاوة الإسلام
فتحت له أبوابها لما دعا ... فيها بجند معلمين كرام

(٢) "فصل المقال" (ص ٥١،٥٢).

(٣) انظر: "فتح الباري" (٢/٤٩٥).

ونبه الشيخ أبو بكر إلى عدول الصحابة عن التوسل بالنبي ﷺ إلى العباس، وما يستفاد من ذلك، فقال: ((... فلو كان التوسل به ﷺ بعد انتقاله من هذه الدار جائزاً لما عدل عنه الفاروق إلى التوسل بعمه العباس بحضور الصحابة رضي الله عنهم، وهم في أمر مهم، فعدولهم هذا دليل واضح على أن المشروع ما سلكوه ...)) (١).

كما استدل الشيخ أبو بكر بفعل معاوية ومن معه في توسلهم للاستسقاء، فقال رحمه الله: ((وقد توسل معاوية لما قحط أهل الشام بدعاء يزيد بن الأسود الجرشي التابعي الشهير، لما اعتقد فيه الصلاح وقبول الدعوة، قال: اللهم إنا نستشفع إليك بخيارنا يزيد بن الأسود، يا يزيد ارفع يديك إلى الله، فرفع يديه ودعا ودعوا، فسقوا(٢).

وما زالت هذه السنة جارية إلى هذا العهد في جميع البلاد الإسلامية في الاستسقاء، كما أنه لا يزال طلب الناس الدعاء من الخيار ومن بعضهم بعضاً، كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يطلبون منه الدعاء في حياته ﷺ، بل قال لعمر لما خرج معتمراً: (لا تنسانا يا أخي من دعائك)(٣)، ومن هذا الباب استغاثة الناس يوم القيامة بالأنبياء، ثم ينتهون إليه صلوات الله وسلامه عليه وعليهم، فإنما هي طلبهم من الأنبياء أن يدعوا الله تعالى أن يفصل بين العباد بالحساب ...)) (٤).

فبين الشيخ أبو بكر أن ما جاء من توسل عمر بالعباس ،رضي الله عنهما، يبين

---

(١) "فصل المقال" (ص ٥٢).

(٢) تقدم تخريجه (ص٣٤٨).

(٣) أخرجه أحمد (١/٢٩/ح١٩٥)، وأبو داود: تفريع أبواب الوتر، باب الدعاء (٢/٨٠/ح١٤٩٨)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب ١١٠ (٥/٥٥٩/ح٣٥٦٢)، وابن ماجه: كتاب المناسك، باب فضل دعاء الحاج (٢/٩٦٦/ح٢٨٩٤)، والبيهقي (٥/٢٥١/ح١٠٠٩٥)، والحديث ضعفه الألباني في "ضعيف الجامع" (ص٩٠٦/ح٦٢٧٨)، وشعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد، لضعف عاصم بن عبيد الله.

(٤) "فصل المقال" (ص ٥٢).

المشروع من التوسل، وأنه من باب التوسل بسؤال الرجل الصالح الدعاء، وفي هـذا حجة على المخالفين، لا لهم، كما قال الشيخ أبو بكر: ((أنطق الله الحق على لسان عمر، فحصل به فصل الخطاب عند أولي الألباب ...))[1].

(١) "فصل المقال" (ص ٥١).

المطلب الثاني: خبر توسل آدم بالنبي ﷺ.

من الشبهات التي يتمسك بها المخالفون ما روي أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة توسل إلى الله بنبينا محمد ﷺ ليغفر الله له، فغفر له بذلك التوسل، فكان هذا عندهم دليلاً على مشروعية التوسل بالنبي ﷺ حتى قبل ولادته، وقاسوا عليه ما بعد موته(١).

والحديث روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم، كيف عرفت محمداً و لم أخلقه؟ قال: يا رب، إنك لما خلقتني رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك. فقال الله تعالى: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي، وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك)(٢).

وقد تناول الشيخ أبو بكر الجواب على هذه الشبهة من عدة جوانب، فبين أن هذا الحديث لا يثبت، لضعف راويه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال الشيخ رحمه الله: ((قال [المدراسي] في "كشف الأحوال في نقد الرجال" (٣) إن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاق ...

قال العلامة أحمد بن ناصر التميمي(٤) في جوابه على رسالة الفاضل اليمني

---

(١) انظر: "خلاصة الكلام في بيان أمراء بيت الله الحرام" لأحمد بن زيني دحلان (ص٢٤٢)، ونقله عنه صاحب "شواهد الحق" (ص١٥٦، ١٥٨).

(٢) أخرجه الحاكم من حديث عمر رضي الله عنه (٢/٦٧٢/ح٤٢٢٨)، والطبراني في "المعجم الأوسط" (٦/٣١٣/ح٦٥٠٢)، وفي "المعجم الصغير" (٢/١٨٢/ح٩٩٢) والبيهقي في "دلائل النبوة" (٥/٤٨٨)، ومن طريقه أخرجه في "تاريخ دمشق" (٧/٤٣٦). والحديث ضعيف كما هو مفصل في المتن.

(٣) لعبد الوهاب بن مولوي محمد غوث المدراسي. المطبعة العلوية. (١٣٠٣هـ). (ص ٦٦)

(٤) أحمد (أو حمد) بن ناصر بن عثمان بن معمر، أحد علماء نجد، ولي القضاء بالدرعية وبمكة، كانت وفاته سنة (١٢٢٥هـ). انظر: "عنوان المجد" (١/١٥٢)، "الأعلام" (١/٢٦٣).

محمد بن أحمد الحفظي[1] سنة (١٢١٧) ما نصه:

((وأما قول القائل: فقد أخرج الحاكم في مستدركه وصححه أن آدم توسل بالنبي ﷺ ، فهو من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال أحمد بن حنبل: ضعيف، وقال ابن معين: ليس حديثه بشيء، وضعفه ابن المديني جداً، وقال أبو داود: أولاد زيد بن أسلم كلهم ضعيف، وقال النسائي: ضعيف، وقال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: ذكر رجل لمالك حديثاً فقال: من حدثك؟ فذكر إسناداً له منقطعاً. فقال: اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح عليه السلام، وقال أبو زرعة: ضعيف، وقال أبو حاتم: ليس بقوي في الحديث، كان في نفسه صالحاً وفي الحديث واهياً، وقال ابن حبان: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم، حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف، فاستحق الترك، وقال ابن سعد: كان كثير الحديث ضعيفاً جداً، وقال ابن خزيمة: ليس هو مما يحتج أهل العلم بحديثه، وقال الحاكم وأبو نعيم: روى عن أبيه أحاديث موضوعة، وقال ابن الجوزي: أجمعوا على ضعفه)) فهذا الحديث الذي استدل به تفرد به عبد الرحمن بن زيد، وهو كما تسمع))[2].

وقد رد جماعة من الحفاظ هذا الحديث وضعفوه، فقال البيهقي: "تفرد به

---

(١) محمد بن أحمد بن عبد القادر الحفظي العجيلي العسيري، لما ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مال إليها وحث الناس على اتباعها. كانت وفاته سنة (١٢٣٧هـ). انظر: "نيل الوطر" (٢/٢٢٥).

والرسالة المذكورة طبعت بعنوان: "النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين"، والنقل عنها من (ص١٠٧-١٠٩). انظر: "فصل المقال" تحقيق أبي بكر الشهال (ص٨٩).

(٢) "فصل المقال" (ص ٢٨، ٢٩). وانظر فيما أورده الشيخ أبو بكر خوقير من ترجمة عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: "التاريخ الكبير" (٥/٢٨٤)، "الضعفاء الكبير" (٢/٣٣١)، "المجروحين" (١/٢٠٣، ٢/٥٧)، "الكامل في الضعفاء" (٤/٢٦٩)، "الموضوعات" (١/٢٣٦)، "تهذيب التهذيب" (٦/١٦١)، "تقريب التهذيب" (١/٣٤١).

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف"[١]، وقال الذهبي: "موضوع"[٢]، وحكم ببطلانه ووافقه على ذلك ابن حجر[٣]، وقال ابن تيمية: "لا أصل له"[٤]، وحكم بوضعه الشوكاني[٥]، والألباني[٦].

ومن أوجه رد هذا الحديث ما جاء في تفسير الكلمات التي تلقاها آدم بأنها قوله: ﴿**ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾[٧]، وهذا ما أورده الشيخ أبو بكر خوقير عن ابن جرير الطبري في تفسير الكلمات[٨].

وأشار الشيخ أبو بكر إلى ترك أئمة التفسير إيراد الحديث لضعفه عندهم، وذكر منهم الطبري والبغوي وابن كثير، وقال: ((فلو كان ذلك الحديث صحيحاً لقدمه جميع المفسرين على جميع الأقوال في تفسير تلك الكلمات، ولو كانت للصحابة، و لم يهمل ذكره أئمة التفسير المعول عليهم، ولكنهم رأوه من الإسرائيليات، وأجمعوا على ضعف راويه، فتركوه ورموه ظهرياً ...

(١) "دلائل النبوة" (٤٨٨/٥)، وأقره على ذلك ابن كثير في "البداية والنهاية" (٣٢٢/٢).

(٢) "تلخيص المستدرك" (٦٧٢/٢).

(٣) قال الذهبي في ترجمة عبد الله بن مسلم الفهري: روى خبراً باطلاً عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فيه: "لولا آدم ما خلقتك". "ميزان الاعتدال" (١٩٩/٤)، ووافقه ابن حجر كما في "لسان الميزان" (٣٥٩/٣).

(٤) "تلخيص الاستغاثة" (٦٨/١)، وانظر: "مجموع الفتاوى" (٢٥٤/١، ٢٥٥).

(٥) "الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة" المكتب الإسلامي. ط٣. (١٤٠١هـ). (٣٩٤/١ح١٢٣).

(٦) "سلسلة الأحاديث الضعيفة" (٨٨/١ح٢٥).

(٧) سورة "الأعراف"، آية رقم: (٢٣).

(٨) "فصل المقال" (ص ١٣)، وانظر في هذا الوجه من الجواب: "تلخيص الاستغاثة" (٦٩/١)، و"منهاج السنة" (١٣٢/٧).

ثم إن الحافظ السيوطي لم يلتزم الصحة في تفسيره "الدر المنثور"[(١)] وقد اشتهر بالإكثار، وقلما سلم مهذار، حتى قال فيه بعضهم: إنه كحاطب ليل، ربما كانت الأفعى في حطبه ...)) [(٢)].

ونقل الشيخ أبو بكر كلاماً لابن تيمية بخصوص توسل آدم والأنبياء بنبينا محمد عليهم الصلاة والسلام، فقال: ((قال الشيخ تقي الدين في رده على ابن البكري[(٣)]: ((وأما قول القائل: قد توسل به الأنبياء آدم وإدريس ونوح وأيوب، كما هو مذكور في كتب التفسير وغيرها.

فيقال: مثل هذه القصص لا يجوز الاحتجاج بها بإجماع المسلمين، فإن الناس لهم في شرع من قبلنا قولان:

أحدهما: ليس بحجة.

الثاني: أنه حجة ما لم يأت شرعنا بخلافه، بشرط أن يثبت ذلك بنقل معلوم، كإخبار النبي ﷺ، فأما الاعتماد على نقل أهل الكتاب أو نقل من نقل عنهم فلا يجوز باتفاق المسلمين، لأن في الصحيح عن النبي أنه قال: (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم)[(٤)].

---

(١) (١٤٢/١) وذكر الحديث.

(٢) انظر: "فصل المقال" (ص١٤، ٢٦، ٢٧).

(٣) هذا النقل بلفظه في "تلخيص الاستغاثة" (ص ١٥٨-١٦١)، وليس في "الاستغاثة" المطبوع، وقد ذكر محققه ضمن الموضوعات الساقطة من الأصل: استدلال البكري بحديث آدم ... (ص ١/١٣٣-١٣٦) لكنه نقل عن موضع آخر من التلخيص، وأشار إلى هذا الموضع (ص ١٤٠) حاشية (٧)، ولعل الشيخ أبا بكر خوقير نقل عن تلخيص الاستغاثة.

(٤) أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ... (٢٦٧٩/٦/ح٦٩٢٨).

والحديث الذي أورده الشيخ أبو بكر أخرجه أحمد من حديث أبي نملة الأنصاري ﷺ

وهذه القصص التي فيها ذكر توسل الأنبياء بذاته ليست في شيء من كتب الحديث المعتمدة، ولا لها إسناد معروف عن أحد الصحابة، وإنما تذكر مرسلة، كما تذكر الإسرائيليات التي تروى عمن لا يعرف. وقد بسطنا الكلام في غير هذا [الموضع][1] على ما نقل في ذلك عن النبي ﷺ ، وتكلمنا عليه وبينا بطلانه.

ولو نقل ذلك عن كعب ووهب ومالك بن دينار ونحوهم ممن ينقل عن أهل الكتاب لم يجز أن يحتج به، لأن الواحد من هؤلاء وإن كان ثقة فغاية ما عنده من كتاب من كتب أهل الكتاب، أو يسمعه من بعضهم، فإنه بينه وبين الأنبياء دهر طويل، والمرسل عن المجهول من أهل الكتاب الذي لا يعرف علمه وصدقه لا يقبل باتفاق المسلمين. ومراسيل أهل زماننا عن نبينا ﷺ لا تقبل عند العلماء مع كون ديننا محفوظاً محروساً، فكيف بمن يرسل عن آدم وإدريس ونوح وأيوب عليهم السلام؟! والقرآن قد أخبر بأدعية الأنبياء وتوباتهم واستغفارهم، وليس فيها شيء من هذا.

وقد نقل أبو نعيم في "الحلية" أن داود عليه السلام قال: يا رب! أسألك بحق آبائي عليك، إبراهيم وإسحاق ويعقوب. فقال: يا داود! أي حق لآبائك علي[2].

(١٣٦/٤/ح١٧٢٦٤) وأبو داود: كتاب الأقضية باب رواية حديث أهل الكتاب (٣١٨/٣/ح٣٦٤٤) وابن حبان (١٥١/١٤/ح٦٢٥٧) والبيهقي (١٠/٢/ح٢٠٧١) والطبراني في الكبير (٣٤٩/٢٢) وعبد الرزاق (١١١/٦/ح١٠١٦٠)، وقد ضعفه الألباني في "ضعيف الجامع" (ص٧٣٠/ح٥٠٥٢).

(١) في "فصل المقال": [الموضوع]، والتصحيح من "تلخيص الاستغاثة" (ص ١٦٠).

(٢) ذكر ابن كثير في تلخيص الاستغاثة (ص٨٢) نحو هذا عن يوسف عليه السلام، وعزاه إلى الحلية، وهو في المطبوع (٩/١٠)، أما الأثر عن داود فلم أجده فيه.

وقد روى البزار من حديث العباس ﷺ مرفوعاً: (قال داود ﷺ : أسألك بحق آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب. فقال: أما إبراهيم فألقي في النار، فصبر من أجلي، وتلك بلية لم تنلك، وأما إسحاق فبذل نفسه للذبح، فصبر من أجلي، وتلك بلية لم تنلك، وأما يعقوب فغاب يوسف عنه وتلك بلية لم تنلك). "مسند البزار" (١٣٣/٤/ح١٣٠٧) وأشار إلى ضعفه، وضعفه الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٨/٤)، والألباني في "الضعيفة" (٥٠٩/١/ح٣٣٥)، وقال: ((وذكر ابن تيمية في "القاعدة الجليلة" أنه من الإسرائيليات، وهو الأشبه بالصواب)). وكلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (٣٤٣/١).

فإن كانت الإسرائيليات حجة فهذا يدل على أنه لا يسأل بحق الأنبياء، وإن لم تكن حجة لم يجز الاحتجاج بتلك الإسرائيليات. انتهى[١].

فبين رحمه الله أنه لم يصح في هذا شيء عن النبي ﷺ ، وأن جميع ما روي في ذلك باطل لا أصل له)) [٢].

(١) انتهى نقل الشيخ أبي بكر عن ابن تيمية.

(٢) "فصل المقال" (ص ٢٩،٣٠).

المطلب الثالث: حكاية الإمام مالك مع أبي جعفر.

ومما استدل به المخالفون على مشروعية التوسل بالنبي ﷺ بعد موته، القصة المنسوبة إلى الإمام مالك رحمه الله، وقد أوردها الشيخ أبو بكر رحمه الله، فقال: ((وأما ما رواه ابن حميد الرازي من الحكاية المنسوبة إلى مالك رحمه الله مع أبي جعفر المنصور، وفيها أنه سأل مالكاً فقال: (يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ ؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة ؟! بل استقبله واستشفع به) ...))[1].

وهذه القصة رواها القاضي عياض في "الشفا"[2] عن الإمام مالك، وقد انتقدت سنداً ومتناً، فأما من حيث الإسناد، فقد قال الشيخ أبو بكر خوقير عقب إيرادها: ((رد الحفاظ على ابن حميد هذه الحكاية، وذكروا أن إسنادها مظلم منقطع مشتمل على من يتهم بالكذب.

وقالوا: ابن حميد كثير المناكير، ولم يسمع من مالك شيئاً، بل روايته عنه منقطعة.

ومحمد بن حميد الرازي هذا تكلم فيه غير واحد من الأئمة، ونسبه بعضهم إلى الكذب.

فقال يعقوب بن شيبة السدوسي: محمد بن حميد الرازي كثير المناكير. وقال: حديثه فيه نظر. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال الجوزجاني: رديء المذهب غير ثقة. وقال الرازي: عندي عنه خمسون ألف حديث، لا أحدث عنه بحرف. وقال ابن الأزهري: سمعت إسحاق بن منصور يقول: أشهد على محمد بن حميد وعبيد بن إسحاق العطار بين

---

(١) "فصل المقال" (ص ٣٠).

(٢) (ص٤٠١)، وممن احتج بها: دحلان في "خلاصة الكلام" (ص٢٤٢) ونقل عنه في "شواهد الحق" (ص ١٥٦).

يدي الله أنهما كذابان. وتكلم فيه غير واحد من هؤلاء الحفاظ)) [1].

فتبين مما نقله الشيخ في ترجمة محمد بن حميد الرازي أنه لا تقوم به حجة.

وقد أشار الشيخ إلى الانقطاع بينه وبين الإمام مالك، ويدل على هذا أمور:

أن مولده كان في حدود ستين ومائة[2]، ولم يخرج من بلده لطلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه[3]، وقد كانت وفاة مالك عام (١٧٩هـ).

وقد حج أبو جعفر المنصور عدة مرات، في عام: (١٤٠هـ) و(١٤٤) و(١٤٧) و(١٥٢)[4]، وهذه الأعوام التي يمكن أن يجتمع فيها بمالك في المدينة، ولا يمكن لابن حميد أن يحضر هذه القصة لأن ولادته كانت في حدود الستين ومائة.

وقد حكم الألباني على هذه القصة بأنها موضوعة باطلة[5].

ومن حيث معنى الرواية ومتنها فهي معارضة بما روي عن الإمام مالك، فقد جاء عنه أنه قال: "لا أرى أن يقف عند قبر النبي يدعو، ولكن يسلم ويمضي"[6]، وقال: "لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج أن يقف على قبر النبي ﷺ ويدعو له ولأبي بكر وعمر، فقيل له: إن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون

---

(١) "فصل المقال" (ص ٣٠،٣١)، وقد اعتمد الشيخ أبو بكر خوقير على كلام الحافظ ابن عبد الهادي، انظر: "الصارم المنكي" (٢٥٥،٢٥٦).

وانظر فيما أورده الشيخ أبو بكر خوقير من ترجمة محمد بن حميد الرازي: "التاريخ الكبير" (١/١٦٦)، "الضعفاء الكبير" (٤/٦١)، "الجرح والتعديل" (٧/٢٣٢)، "الكامل" (٦/٢٧٤)، "المجروحين" (٢/٣٠٣)، "تاريخ بغداد" (٢/٢٥٩)، "تهذيب التهذيب" (٩/١١١)، "لسان الميزان" (٧/٤٩٢).

(٢) "سير أعلام النبلاء" (١١/٥٠٣).

(٣) "مجموع الفتاوى" (١/٢٢٨).

(٤) انظر: "البداية والنهاية" (١٠/٧٥،٨٠،١٠٤،١٢٢)، و"الدعاء للعروسي" (ص٨٣١).

(٥) "السلسلة الضعيفة" (١/٩٣).

(٦) "المنتقى" لأبي الوليد الباجي (ت٤٩٤هـ). مطبعة السعادة. مصر. ط١. (١٣٣١هـ). (١/٢٩٦) ناقلاً عن "المبسوط". وقد ذكرها القاضي عياض عن مالك في "الشفا" (ص٤٤٦) وعزاها إلى المبسوط.

ذلك في اليوم مرة أو أكثر عند القبر، فيسلمون ويدعون ساعة؟ فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه، ولا يصلح هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده"(١).

وقد ورد عن بعض السلف النهي عن الدعاء عند قبر النبي ﷺ، والإمام مالك موافق لهم في ذلك، فقد جاء عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أنه (رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فدعاه فقال ألا أحدثك بحديث سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ ؟ قال: لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم)(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تعليقه على هذا الخبر: ((ثم إن أفضل التابعين من أهل بيته علي بن الحسين رضي الله عنه نهى ذلك الرجل أن يتحرى الدعاء عند قبره ﷺ واستدل بالحديث – وهو راوي الحديث – الذي سمعه من أبيه الحسين عن جده علي، وهو أعلم بمعناه من غيره، فتبين أن قصد قبره للدعاء ونحوه: اتخاذ له عيداً ...))(٣).

---

(١) انظر: "جلاء العينين" (ص٥٢٥) ناقلاً عن المبسوط، وقال في "المنتقى" (٢٩٦/١): ((فإنَّ من دخل المسجد وخرج لم يلزمه أن يقف بالقبر، قال مالك في المبسوط: وإنما ذلك على الغرباء إذا دخلوا وخرجوا، وليس عليهم فيما بين ذلك، وليس ذلك على أهل المدينة)).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٥٠/٢/ح٧٥٤٢) وعنه أبو يعلى الموصلي في مسنده (٣٦١/١/ح٤٦٩)، ومن طريقه الضياء في "المختارة" (٤٩/٢/ح٤٢٨). وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٣/٤) : ((فيه [جعفر] ابن إبراهيم الجعفري، ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً، وبقية رجاله ثقات))، وقال الحافظ ابن حجر في جعفر بن إبراهيم: ((قال ابن حبان: "يعتبر بحديثه من غير روايته عن أبيه". ثم أورد له هذا الحديث، ونقل توثيق ابن أبي طي له)) "لسان الميزان" (١٠٦/٢)، وهذا الخبر ليس من رواية جعفر عن أبيه، وبقية رجاله وثقوا، فهو صالح للاحتجاج.

(٣) "اقتضاء الصراط المستقيم" (ص٣٢٤).

وقال شيخ الإسلام بخصوص حكاية مالك مع أبي جعفر: ((...كما أن القاضي عياض لم يذكر هذه الرواية في باب زيارة قبره ﷺ ، بل ذكر هناك ما هو معروف عن مالك وأصحابه[1]، وإنما ذكرها في سياق أن حرمة النبي ﷺ بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته ...))[2].

وقال ابن حجر الهيتمي: ((ورأيت مما نسب للشيخ تقي الدين ابن تيمية في منسكه: ولا يدعو هناك مستقبل الحجرة، ولا يصلي إليها ولا يقبلها، فإن هذا كله منهي عنه باتفاق الأئمة، ومالك من أعظم الأئمة كراهية لذلك، والحكاية المروية عنه أنه أمر المنصور أن يستقبل القبر وقت الدعاء كذب على مالك. كذا قال والله أعلم))[3].

فتبين من ذلك بطلان هذه القصة المنسوبة إلى الإمام مالك، ومخالفتها لما هو معروف عنه من النهي عن الدعاء عند قبر النبي ﷺ.

---

(١) كما تقدم بيانه (ص ٣٥٤) وما بعدها.

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى" (١/٢٢٨-٢٣٣)، و"تلخيص الاستغاثة" (١/٨٥-٨٨)، و"الصارم المنكي" (٢٥٩،٢٦٠).

(٣) "المواهب اللدنية". أحمد بن حجر الهيتمي دار الكتب العلمية. عن طبعة المطبعة الشرفية (١٣٢٦هـ) (٢/٣٩٠،٣٩١).

المطلب الرابع: حديث (أسألك بحق السائلين ...).

ومما استدل به المخالفون في مسألة التوسل الحديث المروي عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: (من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة...)[١] الحديث، فزعموا أن قوله: "أسألك بحق السائلين" توسل بكل عبد مؤمن، وأنه يشمل الأحياء والأموات[٢].

والجواب على هذا الاستدلال من جهتين: من حيث إسناد الحديث، فقد أعل من عدة أوجه[٣]: إذ في إسناده عطية بن سعد العوفي، وفيه فضيل بن مرزوق، وقد وقع اضطراب في رفع الحديث ووقفه.

وقد أشار الشيخ أبو بكر خوقير إلى ضعف الحديث بقوله: ((وأما قوله ﷺ في حديث الخارج إلى الصلاة: (أسألك بحق السائلين، وبحق ممشاي ... إلخ) فرواه عطية العوفي، وفيه وهن. قال الحافظ ابن حجر: "ضعيف الحفظ مشهور بالتدليس القبيح"[٤]))[٥].

---

(١) أخرجه أحمد من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ (٣/٢١/ح١١١٧٢)، وابن ماجه: كتاب المساجد والجماعات، باب: المشي إلى الصلاة (١/٢٥٦/ح٧٧٨)، وابن الجعد في مسنده (١/٢٩٩/ح٢٠٣١)، وابن أبي شيبة (٦/٢٥/ح٢٩٢٠٢)، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (١/٧٦/ح٨٥). وإسناده ضعيف كما هو مفصل أعلاه.

(٢) انظر: "خلاصة الكلام" لأحمد دحلان (ص٢٤٠،٢٤١)، ونقل عنه في "شواهد الحق" (ص١٥٣)، وانظر: "شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد" لمحمد بن علوي المالكي. طبع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات. ط١. (١٤١١هـ). (ص١٦٢) ، وما نقله الألباني عن بعض المخالفين، "السلسلة الضعيفة" (٩٨/١).

(٣) انظر: "صيانة الإنسان" (ص٩٦-١٢٥)، و"السلسلة الضعيفة" (١/٨٢/ح٢٤).

(٤) "طبقات المدلسين" (ص٥٠).

(٥) "فصل المقال" (ص٣١).

وقد ضعف عطية العوفي كل من ابن معين، في رواية، والثوري وأحمد وأبو حاتم وأبو زرعة والنسائي وابن عدي وابن حبان والدارقطني والبيهقي والذهبي والمنذري وابن القيم وابن حجر، وغيرهم[١].

وأما فضيل بن مرزوق فقد اختلف فيه، فوثقه الثوري وابن عيينة، وابن معين في رواية، وفي رواية أخرى قال: صالح الحديث إلا أنه شديد التشيع، وضعفه في أخرى، وقال ابن عدي: إذا وافق الثقات يحتج به، وقال أبو حاتم: صالح الحديث صدوق يهم كثيراً يكتب حديثه، وقال: لا يحتج به، وضعفه النسائي وابن حبان وقال: منكر الحديث جداً، كان يخطئ على الثقات ويروي عن عطية الموضوعات[٢].

قال بشير السهسواني: والقول الراجح فيه ما قاله ابن عدي من أنه إذا وافق الثقات يحتج به، وفي روايته هذا الحديث لا يعلم أحد تابعه[٣].

والعلة الثالثة: الاضطراب في رفعه ووقفه، فقد قال الراوي عن فضيل بن مرزوق: "فقلت لفضيل: رفعه؟ قال: أحسبه قد رفعه"[٤]. وقال أبو حاتم: "وقفه أشبه"[٥].

---

(١) انظر: "الضعفاء الكبير" (٣/٣٥٩)، "المجروحين" (٢/١٧٦)، "الكامل" (٥/٣٦٩)، "الجرح والتعديل" (٦/٣٨٢)، "سنن الدارقطني" (٤/٣٩)، "تهذيب الكمال" (٢٠/١٤٨)، "تهذيب التهذيب" (٧/٢٠٠)، "الكاشف" (٢/٢٧)، "زاد المعاد" (١/٤٣٨)، "التلخيص الحبير" (٣/٢٥)، وانظر"صيانة الإنسان" (ص٩٦-١٠٣)، و"السلسة الضعيفة" (١/١١) وقد عد (٢٦) ناقداً ممن ضعف عطية العوفي !

(٢) انظر: "المجروحين" (٢/٢٠٩)، "الكامل" (٦/١٩)، "معرفة الثقات" (٢/٢٨)، "تهذيب التهذيب" (٨/٢٦٨).

(٣) "صيانة الإنسان" (ص١٢٠،١٢١).

(٤) "مسند أحمد" (٣/٢١/ح١١١٧٢)، "مسند ابن الجعد" (١/٢٩٩/ح٢٠٣١).

(٥) انظر: "علل الحديث" (٢/١٨٤/ح٢٠٤٨)، "ميزان الاعتدال" (٤/١٢٧).

وللحديث شاهد من حديث بلال ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال: (بسم الله، آمنت بالله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا؛ فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة، خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك، أسألك أن تعيذني من النار وتدخلني الجنة)(١).

لكن في إسناده الوازع بن نافع العقيلي الجزري، ((قال يحيى بن معين: ليس بثقة. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال النسائي: متروك. وقال أحمد: ليس ثقة))(٢)، وقال أبو حاتم: ((كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات على قلة روايته ويشبه أنه لم يكن المتعمد لذلك بل وقع ذلك في روايته لكثرة وهمه فبطل الاحتجاج به لما انفرد عن الثقات بما ليس من أحاديثهم))(٣).

فتبين من ذلك ضعف الحديث، وأنه لا يصلح للاستشهاد.

وحتى مع ضعف الحديث فإنه لا يدل على ما ذهبوا إليه من التوسل بالذوات، بل هو من التوسل إلى الله بما شرع، قال الشيخ أبو بكر خوقير: ((وعلى تقدير ثبوته، فهو من باب التوسل بأسماء الله وصفاته، فإن حق السائلين عليه سبحانه أن يجيبهم، وحق المطيعين له أن يثيبهم، وحق الأنبياء أن يقربهم ويتفضل بما يخصهم.

فالسؤال له والطاعة سبب لحصول إجابته وإثابته، فهو من التوسل به والتوجه به والتسبب به، وذلك من أفعال الله. فالمراد بهذا الحق: ما أوجبه الله تعالى على نفسه، كما قال: ﴿**وكان حقاً علينا نصر المؤمنين**﴾(٤) وكما في حديث معاذ: (حق الله على

---

(١) أخرجه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" (١/٧٥،٧٦/ح٨٤).

(٢) "لسان الميزان" (٦/٢١٣).

(٣) "المجروحين" (٣/٨٤).

(٤) سورة "الروم"، آية رقم: (٤٧).

العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذبهم)[١]، ولا يصلح أن يجعل ما في هذا الحديث من باب التوسل بالأعمال، إلا قوله: (وأسألك بحق ممشاي) لأن الممشى إلى الطاعة امتثال ممن عمل الطاعة، وهو سبب في حق السائل))[٢].

وبهذا يتبين ضعف الحديث، وعدم دلالته على التوسل المبتدع بذوات الأشخاص الأحياء والأموات.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار (٣/١٠٤٩/ح٢٧٠١)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (١/٥٨/ح٣٠).

(٢) "فصل المقال" (ص ٣١،٣٢)، وانظر في ذلك "مجموع الفتاوى" (١/٢٨٨،٣٤٠).

المطلب الخامس: حديث توسل الأعمى بالنبي ﷺ.

من الأحاديث المتعلقة بمسألة التوسل الحديث المشهور في توسل الأعمى بالنبي ﷺ، وهو الحديث المروي عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه: (أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني. قال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك. قال: فادعه. قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في)(١).

وقد تعددت طرق الحديث، وجاء في بعضها زيادات في بعضها كلام، لكن أصل الحديث ثابت، وقد حكم بصحته الترمذي ومن المعاصرين الألباني وغيرهم(٢).

ويرى بعض المخالفين في مسألة التوسل أن هذا الحديث من باب التوسل بذات النبي ﷺ، أو بجاهه، والحق أن الحديث لا يدل على ما ذهبوا إليه، بل هو متفق مع غيره من الأدلة الصحيحة الدالة على أنواع التوسل المشروع، ومنها التوسل بدعاء الصالحين.

قال الشيخ أبو بكر خوقير في هذا الحديث أنه ((من باب التوسل بدعاء النبي ﷺ، كما في الاستسقاء، فإن قوله: "أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد": على حذف مضاف، أي: بدعائه وشفاعته، كما يقتضيه السياق)) (٣).

---

(١) أخرجه أحمد (١٣٨/٤/ح١٧٢٧٩)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب ١١٩ (٥٦٩/٥/ح٣٥٧٨)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في صلاة الحاجة (٤٤١/١/ح١٣٨٥)، والنسائي في السنن الكبرى (١٦٨/٦/ح١٠٤٩٤)، وابن خزيمة (٢٢٥/٢/ح١٢١٩)، والحاكم (٤٥٨/١/ح١١٨٠)، وغيرهم. وانظر الدعاء للعروسي (٧٣٧/٢-٧٤٧).

(٢) انظر: "تلخيص الاستغاثة" (٢٦٩/١)، و"التوسل أنواعه" (ص٦٨،٦٩).

(٣) "فصل المقال" (ص٣٤)، وانظر في ذلك: "الاستغاثة" (ص٣٩٧).

ثم نقل الشيخ عن ابن تيمية مبيناً أن هذا الحديث إنما هو في التوسل بدعاء النبي ﷺ ، وأنه دعا للرجل وعلمه دعاء يسأل الله فيه قبول شفاعة نبيه ﷺ فيه لرد بصره.

قال الشيخ أبو بكر: ((قال في "اقتضاء الصراط المستقيم"[1]: ((فعلم أن ذلك التوسل الذي ذكروه هو مما يفعل بالأحياء دون الأموات، وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم، فإن الحي يطلب منه ذلك، والميت لا يطلب منه شيء، لا دعاء ولا غيره.

وكذلك حديث الأعمى، فإنه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له ليرد عليه بصره، فعلمه النبي ﷺ دعاءً أمره فيه أن يسأل الله قبول شفاعة نبيه فيه، فهذا يدل على أن النبي شفع فيه، وأمره أن يسأل الله قبول شفاعته، وأن قوله : "أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة": أي بدعائه وشفاعته، كما قال عمر: "كنا نتوسل إليك بنبينا..." ، فلفظ التوجه والتوسل في الحديثين بمعنى واحد.

ثم قال : "يا محمد، يا رسول الله، إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضيها، اللهم فشفعه فيّ"، فطلب من الله أن يشفع فيه نبيه ...)) [2].

كما استشهد الشيخ أبو بكر بكلام المناوي رحمه الله، قال: ((سأل الله أولاً أن يأذن لنبيه أن يشفع، ثم أقبل على النبي ﷺ ملتمساً شفاعته له، ثم كر مقبلاً على ربه أن يقبل شفاعته)) [3].

ونبه الشيخ أبو بكر على ما جاء في بعض ألفاظ الحديث من قوله: "يا محمد"[4] بأنه ليس من باب الاستغاثة بالنبي ﷺ ، وإنما هو من باب استحضار المنادى

---

(١) (ص ٤١٥).

(٢) "فصل المقال" (ص٣٤،٣٥).

(٣) "فصل المقال" (ص ٣٤)، والنقل عن المناوي من "فيض القدير" المكتبة التجارية. مصر. ط١. (١٣٥٦هـ). (١٣٤/٢)، وقد نقله عنه في "جلاء العينين" (ص٥٢١).

(٤) كما عند أحمد (١٣٨/٤)، وابن ماجه (٤٤١/١)، وابن خزيمة (٢٢٥/٢) وغيرهم، وهو لفظ ثابت.

وإن لم يقصد إسماعه.

قال رحمه الله ناقلاً عن ابن تيمية: ((وقوله: "يا محمد يا نبي الله"، هذا وأمثاله نداء ويطلب به استحضار المنادى، فيخاطب المشهود بالقلب، كما يقول المصلي: "السلام عليك أيها النبي ورحمه الله وبركاته"، والإنسان يفعل مثل هذا كثيراً يخاطب من يتصوره في نفسه وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب))[١].

ويضاف إلى ذلك أن الرجل إنما سأل النبي ﷺ أن يدعو له، و لم يأت ليستغيث به، كما أن النبي ﷺ علمه هذا الدعاء، ولا يعقل أنه أمره أن يذهب ويستغيث به من بعيد وقد جاءه وكلمه من قريب[٢].

(١) "فصل المقال" (ص٣٥)، والنقل عن "اقتضاء الصراط المستقيم" (ص ٤١٦).

(٢) انظر: "كشف شبهات المخالفين" (ص ٢٧٩،٢٨٠)، وانظر كلام ابن تيمية على هذا الحديث في "تلخيص الاستغاثة" (١/١٦٤-١٦٩).

المطلب السادس: خبر فتح الكوة فوق القبر النبوي.

وهو ما أخرجه الدارمي في السنن قال: حدثنا أبو النعمان، ثنا سعيد بن زيد، ثنا عمرو بن مالك النكري، حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله، قال: (قحط أهل المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة، فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوى إلى السماء، حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا، فمطروا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل، حتى تفتقت من الشحم، فسمي عام الفتق)[١].

وهذا الحديث لا يثبت عن عائشة رضي الله عنها، لعدة أمور:

الأول: أن فيه أبا النعمان محمد بن الفضل، يعرف بعارم، وهو وإن كان ثقة فقد اختلط في آخر عمره. قال ابن حبان: ((اختلط في آخر عمره وتغير حتى كان لا يدري ما يحدث به، فوقع المناكير الكثيرة في روايته ... وإذا لم يعلم التمييز بين سماع المتقدمين والمتأخرين منه، يترك الكل ولا يحتج بشيء منه))[٢].

ولكن قال الدارقطني: ((ما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر)) وانتصر الذهبي لكلام الدارقطني[٣].

وقد ذكروا بعض من روى عنه قبل الاختلاط، ولم يذكروا الدارمي فيمن سمع منه قبل الاختلاط، فلا يدرى هل سمعه منه قبل أو بعد، وقد أعل الشيخ الألباني

---

(١) رواه الدارمي في سننه (١/٤٣/رقم ٩٣)، وممن احتج به: أحمد دحلان، في "خلاصة الكلام" (ص٢٤٦) ونقله عنه في "شواهد الحق" (ص ١٦٠،١٦١)، ولا يصح هذا الأثر.

(٢) "المجروحين" (٢/٢٩٤،٢٩٥)، وانظر: "التاريخ الكبير" (١/٢٠٨)، "الجرح والتعديل" (٨/٥٨)، "الضعفاء للعقيلي" (٤/١٢١).

(٣) انظر: "الكاشف" (٢/٢١٠)، "تذكرة الحفاظ" (١/٤١٠)، "تهذيب الكمال" (٢٦/٢٨٨)، "تهذيب التهذيب" (٩/٣٥٨)، "الكواكب النيرات" (١/٧٤).

هذا الحديث بذلك(١).

الثاني: أن في إسناده سعيد بن زيد بن درهم الأزدي، وقد ضعفه غير واحد، قال يحيى بن سعيد: ضعيف. وقال السعدي: ليس بحجة، يضعفون حديثه. وقال النسائي وغيره: ليس بالقوي. وقال أحمد: ليس به بأس، كان يحيى بن سعيد لا يستمرئه.

وقد وثقه ابن معين وابن سعد والعجلي وسليمان بن حرب(٢).

ومثله لا يحتج به إذا انفرد، كما قال عنه ابن حبان: ((كان صدوقاً حافظاً ممن كان يخطئ في الأخبار ويهم في الآثار، حتى لا يحتج به إذا انفرد))(٣)، وقد أعل به الألباني هذا الحديث(٤).

الثالث: أن في إسناده عمرو بن مالك النكري، وقد ضعفه البخاري(٥)، وقال ابن عدي: ((منكر الحديث عن الثقات ويسرق الحديث، سمعت أبا يعلى يقول: عمرو ابن مالك النكري كان ضعيفاً))(٦)، وقال في ترجمة أبي الجوزاء: ((حدث عنه عمرو بن مالك قدر عشرة أحاديث غير محفوظة))(٧).

---

(١) "التوسل وأنواعه" (ص ١٢٧).

(٢) انظر: "الضعفاء للنسائي" (٥٣/١)، "الضعفاء للعقيلي" (١٠٥/٢)، "الجرح والتعديل" (٢١/٤)، "ميزان الاعتدال" (٢٠٣/٣)، "الكاشف" (٤٣٦/١)، "تهذيب التهذيب" (٢٩/٤).

(٣) "المجروحين" (٣٢٠/١)، وانظر: "كشف شبهات المخالفين" (ص ٢٥٨).

(٤) انظر: "التوسل أنواعه وأحكامه" (ص ١٢٦).

(٥) "تهذيب التهذيب" (٣٣٥/١) في ترجمة أبي الجوزاء.

(٦) "الكامل" (١٥٠/٥).

(٧) "الكامل" (٤١١/١).

وقال ابن حبان في ترجمة ابنه: يحيى بن عمرو بن مالك: ((كان منكر الرواية عن أبيه ... ويحتمل أن يكون السبب في ذلك منه أو من أبيه أو منهما معاً ... فيكون هو وأبوه جميعاً متروكين من غير أن يطلق وضعه على أحدهما))[١].

وترجم ابن حبان لعمرو بن مالك في "ثقاته"[٢] وقال: ((يعتبر حديثه من غير رواية ابنه عنه، وقال في موضع آخر: يغرب ويخطئ)).

وقد وثقه يحيى بن معين[٣]، وقال فيه الذهبي: "وثق"[٤]، وقال الحافظ في "التقريب"[٥]: ((صدوق له أوهام)).

وقول من ضعفه مقدم هنا، لأنه يروي عن أبي الجوزاء، والجرح المفسر مقدم على التعديل[٦].

الرابع: الانقطاع بين أبي الجوزاء وعائشة رضي الله عنها، فقد قال البخاري في أبي الجوزاء: "في إسناده نظر"، وحمل ابن عدي كلام البخاري فيه على أنه لم يسمع من مثل ابن مسعود وعائشة، لا أنه ضعيف عنده[٧].

وقال ابن عبد البر: ((لم يسمع من عائشة، وحديثه عنها مرسل))[٨].

---

(١) "المجروحين" (١١٤/٣).

(٢) (٢٢٨/٧) و(٤٨٧/٨)، وانظر: "تهذيب التهذيب" (٤٨/٨).

(٣) "سؤالات ابن الجيد ليحيى بن معين" (ص٤٤٥) نقلاً عن "الدعاء للعروسي" (ص٨٢٦).

(٤) "الكاشف" (٨٧/٢).

(٥) (ص٤٢٦) رقم (٥١٠٤).

(٦) انظر: "الدعاء للعروسي" (ص٨٢٦)، و"كشف شبهات المخالفين" (ص ٢٥٧).

(٧) انظر: "التاريخ الكبير" (١٦/٢)، "الكامل" (٤١١/١)، "تهذيب التهذيب" (٣٣٩/١).

(٨) "التمهيد" (٢٠٥/٢٠)، وقد نقله عنه في "تهذيب التهذيب" (٣٣٩/١).

ومع اجتماع هذه العلل في إسناد الحديث يتبين ضعفه، وأنه لا يثبت عن أم المؤمنين رضي الله عنها.

ومما يبين عدم صحة هذه القصة أن الكوة لم تكن في عهد عائشة رضي الله عنها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وما روي عن عائشة رضي الله عنها من فتح الكوة من قبره إلى السماء لينزل المطر، فليس بصحيح ولا يثبت إسناده، و إنما نقل ذلك من هو معروف بالكذب.

ومما يبين كذب هذا أنه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كوة، بل كان بعضه باقياً كما كان على عهد النبي ﷺ ، بعضه مسقوف وبعضه مكشوف، وكانت الشمس تنزل فيه كما ثبت في الصحيحين عن عائشة أن النبي ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها لم يظهر الفيء بعد[1].

و لم تزل الحجرة كذلك حتى زاد الوليد بن عبد الملك في المسجد في إمارته لما زاد الحُجر في مسجد الرسول ﷺ ، وكان نائبه على المدينة ابن عمه عمر بن عبد العزيز، وكانت حجر أزواج النبي ﷺ شرقي المسجد وقبليه فأمره أن يشتريها من ملاكها ورثة أزواج النبي ﷺ ، فاشتراها وأدخلها في المسجد، فزاد في قبلي المسجد وشرقيه.

ومن حينئذ دخلت الحجرة النبوية في المسجد، وإلا فهي قبل ذلك كانت خارجة عن المسجد في حياة النبي ﷺ وبعد موته، ثم إنه بنى حول حجرة عائشة التي فيها القبر جدار عال، وبعد ذلك جعلت الكوة لينزل منها من ينزل إذا احتيج إلى ذلك، لأجل كنس أو تنظيف، وأما وجود الكوة في حياة عائشة فكذب بين ...))[2].

---

(١) متفق عليه من حديث عروة بن الزبير، أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة ... (١/١٩٥/ح٤٩٩)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب أوقات الصلوات الخمس (١/٤٢٦/ح٦١١).

(٢) "تلخيص الاستغاثة" (ص ١٦٣).

وقد أجاب الشيخ أبو بكر خوقير على هذه القصة بأنها مخالفة لما عرف من هدي الصحابة في الاستسقاء، فقال عن هذا الخبر:

((... فهذا من مشكل الآثار المتشابهة التي لا يحتج بها، فإن الاستسقاء المأثور جار بالمدينة المنورة من عهده ﷺ إلى هذا العهد، مع أن عائشة كانت في الحجرة، ويدخل إليها من الباب، وبعد ذلك بني الحائط الآخر، و لم يذهب أحد من الصحابة إلى القبر النبوي يستسقي عنده ولا به، ولو كان لنقل واستفاض، و لم نحتج إلى حديث واحد فيه ما فيه ...))(١).

وقال الشيخ أبو بكر خوقير في جوابه على هذه الشبهة ناقلاً عن "اقتضاء الصراط المستقيم": ((وأصحاب رسول الله ﷺ قد أجدبوا مرات، ودهتهم نوائب غير ذلك، فهلا جاءوا فاستسقوا واستغاثوا عند قبر النبي ﷺ ، بل خرج عمر بالعباس فاستسقى به، و لم يستسق عند قبر النبي ﷺ ، بل قد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها كشفت عن قبر النبي ﷺ ليترل المطر، فإنه رحمة تترل على قبره، و لم تستسق عنده، ولا استغاثت هناك ...)) (٢).

وقال الشيخ أبو بكر خوقير: ((رأيت في "تتمة منهاج التأسيس" للعلامة محمود شكري الآلوسي ما نصه – بعد ذكر خبر عائشة- : والجواب أن يقال: لا دليل في هذه الحكاية على ما قصده العراقي من جواز نداء غير الله تعالى، لأنه لا نداء فيها، بل فيها أن الله رحم أهل الأرض لما كشفت عن مرقده ﷺ بحيث يصله القطر من المطر، كما أن من خواص أجسام الأنبياء جميعاً إذا كشفت نزول المطر عليها(٣)،

---

(١) "فصل المقال" (ص ٣٨).

(٢) "فصل المقال" (ص ٤٠)، والنقل عن "اقتضاء الصراط المستقيم" (ص ٣٣٨).

(٣) هذا يحتاج إلى دليل، ويبعد ذلك، فإنه ﷺ كان في حياته يستسقي ويدعو، و لم يكتف هو ولا الصحابة بوجود جسده على الأرض مكشوفاً ليس بينه وبين السماء حجاب.

ولا يقتضي مثل ذلك نداءهم ودعاءهم في الشدائد، كما أن من خواصها عدم أكل الأرض إياها، ولا يقتضي أيضاً دعاءها، ولو جاز استسقاؤه ﷺ في هذه الحالة لما عدل عمر إلى العباس، كما سبق قريباً، هذا كله لو سلمنا صحة مثل هذه الحكاية، وإذا لم تصح فالمنع أظهر والجواب أحق)) [1].

وأورد الشيخ أبو بكر قصة فتح الصحابة لتستر وأنهم وجدوا سريراً عليه رجل ميت، وجاء فيها: ((... حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كان بالليل دفناه، وساوينا القبور كلها مع الأرض لنعميه على الناس لا ينبشونه، فقلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون ...)) [2].

ثم قال الشيخ أبو بكر: ((فلو كان الاستسقاء بقبور الأنبياء ثم بمن يليهم جائزاً أو فضيلة، لنصب عليه علماً أولئك المهاجرون والأنصار، ولم يعموا قبره لئلا يفتتن الناس به، لما علموا من استسقائهم به، ولكنهم كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلائف التي خلفت بعدهم، فما زالت الصحابة تسد الذرائع كما في هذه القصة، وكما فعل عمر ﷺ من قطع الشجرة التي بويع تحتها رسول الله ﷺ ، وكذلك التابعون لهم بإحسان درجوا على سبيلهم، فقد كان عندهم من قبور الصحابة عدد كثير في الأمصار، فما منهم من استغاث بها، ولا دعا عندها ولا استسقى بها ولا استنصر، ولو كان لتوفرت الدواعي على نقله ...)) [3].

---

(١) "فصل المقال" (ص ٣٩، ٤٠)، والنقل عن "تتمة منهاج التأسيس" طبعة بمبي. (١٣٠٩هـ). (ص٢٥، ٢٦).

(٢) أوردها الواقدي في مغازيه (ص٤٣، ٤٤)، وابن كثير في "البداية والنهاية" (٢/ ٤٠) وقال: "إسنادها صحيح إلى أبي العالية".

(٣) "فصل المقال" (ص ٣٨، ٣٩)، وانظر في ذلك: "اقتضاء الصراط المستقيم" (ص٣٣٩)، و"إغاثة اللفهان" (١/ ٢٠٣، ٢٠٤) وكلام الشيخ أبي بكر هنا عنه.

ويقال أيضاً في الجواب عن هذه القصة المنسوبة إلى أم المؤمنين، أن النبي ﷺ كان وهو حي يمشي على الأرض وليس بينه وبين السماء سقف، وكان يصيبهم القحط والجدب، فلو كان مجرد كشف الحجاب بين جسده الشريف والسماء سبباً لنزول الغيث، لما احتيج إلى الدعاء والاستسقاء، ولكانت السماء ممطرة على الدوام أو في أكثر الأحيان(١).

(١) انظر: "كشف شبهات المخالفين" (ص٢٥٩).

المطلب السابع: قصة مجيء الأعرابي إلى قبر النبي ﷺ ...

أورد الشيخ أبو بكر خوقير القصة المنسوبة إلى أحد الأعراب في مجيئه إلى قبر النبي ﷺ وسؤاله النبي ﷺ أن يستغفر له، فقال: ((قال الهندي[1]: روى الحافظ أبو سعد السمعاني عن علي رضي الله عنه أن أعرابياً جاء إلى قبر النبي ﷺ بعد وفاته بثلاثة أيام فبكى بكاء شديداً حتى خر، ثم أخذ تربة من قبر النبي ﷺ فجعله على رأسه، وقال: يا رسول الله! أطعنا ما بلغتنا من كلام الله وحفظناه، وفيه ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً**﴾[2] وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي ، فنودي من القبر: إنه قد غفر لك!)) [3].

وقد أورد ابن عبد الهادي نحو هذه القصة، فقال: ((روى أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الكرخي، عن علي بن محمد بن علي، حدثنا أحمد ابن محمد بن الهيثم الطائي، قال: حدثني أبي عن سلمة بن كهيل، عن أبي صادق، عن علي رضي الله عنه ...))[4].

قال الشيخ أبو بكر خوقير: ((قال الحافظ ابن عبد الهادي: إن هذا خبر منكر موضوع، وأثر مختلق مصنوع، لا يصلح الاعتماد عليه، ولا يحسن المصير إليه، وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض ...)) [5].

---

(١) هو أحمد بن حسن الجالندري، الذي يرد عليه الشيخ في كتابه "فصل المقال". انظر: (ص٣) منه. وقد أورد الهيتمي هذه القصة في "الجوهر المنظم" (ص٦٢)، وأوردها دحلان في "خلاصة الكلام" (ص٢٤٧)، ونقلها عنه في "شواهد الحق" (ص١٦١).

(٢) سورة "النساء"، آية رقم: (٦٤).

(٣) "فصل المقال" (ص٤٣).

(٤) "الصارم المنكي" (ص ٣٢٣).

(٥) "فصل المقال" (ص ٤٤)، والنقل عن "الصارم المنكي" (ص ٣٢٣).

وأبو صادق: اسمه مسلم بن نذير أو مسلم بن يزيد، وقيل اسمه عبد الله بن ناجذ، وروايته عن علي مرسلة [1].

وهذا يبين انقطاع هذه الرواية.

وسلمة بن كهيل: الحضرمي أبو يحيى الكوفي: ثقة[2].

وأما باقي الإسناد فلم أجد له ترجمة.

ثم قال الشيخ أبو بكر: ((وهذه الحكاية يرويها بعضهم عن العتبي بلا إسناد بزيادة بيتين، ويرويها بعضهم عن غيره بألفاظ مختلفة.

قال الحافظ المذكور[3]: وفي الجملة ليست هذه الحكاية المذكورة مما تقوم بها حجة، وإسنادها مظلم مختلق، ولفظها مختلق أيضاً، ولو كانت ثابتة لم يكن فيها حجة على المطلوب[4]، ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية ولا الاعتماد على مثلها عند أهل العلم ...)) [5].

وراوية العتبي ذكرها ابن كثير في تفسيره، فقال: ((وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه "الشامل" الحكاية المشهورة عن العتبي، قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ ، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول**

---

(١) انظر: "تهذيب الكمال" (٤١٢/٣٣)، "تهذيب التهذيب" (١٤٣/١٢)، "لسان الميزان" (٤٦٩/٧)، "تقريب التهذيب" (رقم ٨١٦٧).

(٢) انظر: "التاريخ الكبير" (٧٤/٤)، "تهذيب التهذيب" (١٣٧/٤)، "تقريب التهذيب" (رقم ٢٥٠٨).

(٣) ابن عبد الهادي، والنقل عن "الصارم المنكي" (ص ٢٤٧).

(٤) [على مطلوب المعترض] كما في "الصارم المنكي" (ص ٢٤٧).

(٥) "فصل المقال" (ص ٤٤).

لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي ﷺ في النوم، فقال: يا عتبي، الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له!))[١].

وهذه القصة لا تثبت، فالشيخ أبو نصر بن الصباغ، شيخ الشافعية، ولد سنة أربعمائة للهجرة[٢]، وتوفي العتبي، وهو محمد بن عبيد الله بن عمر العتبي، سنة ثمان وعشرين ومائتين للهجرة[٣].

فبينهما مفاوز تنقطع دونها أعناق المطي، حتى إذا بلغته إذا هي بأعرابي ورؤيا منام! فأي حجة في ذلك؟![٤]

ونقل الشيخ أبو بكر خوقير عن الحافظ ابن عبد الهادي قوله: ((وأما حكاية العتبي، فإنها حكاية ذكرها بعض الفقهاء والمحدثين، وليست بصحيحة ولا ثابتة إلى العتبي، وقد رويت عن غيره بإسناد مظلم، وهي في الجملة حكاية لا يثبت بها حكم شرعي، لا سيما في مثل هذا الأمر الذي لو كان مندوباً لكان الصحابة والتابعون أعلم به وأعمل به من غيرهم ...)) [٥].

---

(١) "تفسير القرآن العظيم" (٥٢٠/١،٥٢١)، وذكرها ابن قدامة في "المغني" (٢٩٨/٣)، ودحلان في "خلاصة الكلام" (ص٢٤٧).

(٢) "سير أعلام النبلاء" (٤٦٤/١٨).

(٣) "تاريخ بغداد" (٣٢٤/٢)، "سير أعلام النبلاء" (٩٦/١١)، "مولد العلماء ووفياتهم" (٥٠٥/٢).

(٤) انظر: "كشف شبهات المخالفين" (ص٢٦٨).

(٥) "فصل المقال" (ص ٤٨) باختصار يسير، والنقل عن "الصارم المنكي" (ص ٣٢٣).

وقد أشار ابن عبد الهادي إلى إيراد البيهقي نحو هذه القصة عن أحد الأعراب، فقال: ((وقد ذكرها البيهقي في كتاب "شعب الإيمان"[(١)] بإسناد مظلم عن محمد بن روح بن يزيد البصري، حدثني أبو حرب الهلالي، قال: حج أعرابي، فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله ﷺ أناخ راحلته فعقلها، ثم دخل المسجد حتى أتى القبر ...))[(٢)].

وبين الشيخ أبو بكر خوقير أنه حتى على فرض وقوع مثل هذه القصص فإنه لا حجة في ذلك على مشروعية ما فعله أصحابها، فليس كل عمل تحقق بسببه المطلوب يكون مشروعاً، بل قد يتحقق المطلوب بعمل غير مشروع.

قال الشيخ أبو بكر ناقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية: ((قال في "اقتضاء الصراط المستقيم"[(٣)] — بعد ذكر حكاية العتبي، واستحباب طائفة من متأخري الفقهاء مثل ذلك — ما نصه: واحتجوا بهذه الحكاية التي لا يثبت بها حكم شرعي لا سيما في مثل هذا الأمر، بل قضاء الله تعالى حاجة مثل هذا الأعرابي له أسباب قد بسطت في محلها، وليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي أن يكون مشروعاً مأموراً به، فقد كان عليه الصلاة والسلام يسأل في حياته المسألة فيعطيها، وتكون محرمة في حق السائل، حتى قال: (إني لأعطي أحدهم العطية فيخرج بها يتأبطها ناراً !) قالوا: يا رسول الله: فلم تعطيهم؟! قال: (يأبون إلا أن يسألوني، ويأبى الله تعالى لي البخل)[(٤)].

وقد يفعل الرجل العمل الذي يعتقده صالحاً ولا يكون عالماً أنه منهي عنه

---

(١) (٣/٤٩٦/ح٤١٧٨)، وقد ذكرها عنه السيوطي في "الدر المنثور" (١/٥٧٠،٥٧١).

(٢) "الصارم المنكي" (ص ٢٤٦) والبيهقي يرويها عن أبي علي الروذباري، وهو ضعيف. انظر ترجمته: "لسان الميزان" (١/٢٣١)، "تاريخ بغداد" (١/٣٢٩).

(٣) (ص ٣٩٧،٣٩٨).

(٤) أخرجه أحمد من حديث عمر ﷺ (٣/٤/ح١١٠١٧) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري، وأخرجه الحاكم وصححه (١/١٠٩/ح١٤٣)، وابن حبان في صحيحه (٨/٢٠٣/ح٣٤١٤).

فيثاب على حسن قصده ويعفى عنه لعدم علمه، وهذا باب واسع، وعامة العبادات المبتدعة المنهي عنها قد يفعلها بعض الناس ويحصل بها نوع من الفائدة، وذلك لا يدل على أنها مشروعة، [بل][1] لو لم تكن مفسدتها أعظم من مصلحتها لما نُهي عنها، ثم الفاعل قد يكون متأولاً أو مخطئاً مجتهداً أو مقلداً ، فيغفر له خطؤه، ويثاب على ما يفعله من الخير المشروع المقرون بغير المشروع ، كالمجتهد المخطئ ...)) [2].

ثم تناول الشيخ بعض المسائل المتعلقة بالآية المذكورة في قصة العتبي، كما سيأتي في المطلب التالي.

---

(١) الاستدراك من "اقتضاء الصراط المستقيم" (ص ٣٩٧)، ونقل الشيخ أبي بكر خوقير فيه اختصار يسير.

(٢) "فصل المقال" (ص ٤٤،٤٥)، والنقل عن"اقتضاء الصراط المستقيم" (ص ٣٩٧،٣٩٨)، وانظر: "قاعدة في المحبة" (١/١٩١).

المطلب الثامن: الاستدلال بآية ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توباً رحيماً﴾[١].

يستدل بعض المخالفين بهذه الآية على مشروعية زيارة قبره ﷺ والتوسل به[٢]، ومنهم من يذكر مشروعية تلاوتها عند قبره ﷺ تأسياً بالأعرابي؛ لأن العلماء استحسنوا ذلك! [٣]

وقد بين الشيخ أبو بكر خوقير عدم دلالة الآية على ما أرادوه، واحتج بفهم السلف والصحابة للآية بأنها خاصة بالمجيء إليه في حياته ﷺ، وتفريقهم في العمل بها فيما بين حال حياته وموته.

قال الشيخ أبو بكر في ذلك: ((وأما الآية الشريفة، فقال الحافظ ابن عبد الهادي[٤]: ((لم يفهم أحد من السلف ولا الخلف إلا المجيء إليه في حياته ليستغفر لهم، وقد ذم تعالى من تخلف عن هذا المجيء إذا ظلم نفسه وأخبر أنه من المنافقين، فقال تعالى: ﴿**وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون**﴾[٥]، وكذلك هذه الآية، إنما هي في المنافق الذي رضي بحكم كعب ابن الأشرف وغيره من الطواغيت دون حكم رسول الله ﷺ[٦]، فظلم نفسه بهذا أعظم ظلم، ثم لم يجيء إلى رسول الله ﷺ ليستغفر له، فإن المجيء إليه ليستغفر له توبة وتنصل من الذنب.

---

(١) "سورة النساء"، آية رقم: (٦٤).

(٢) انظر: "الصارم المنكي" (ص٣١٦).

(٣) انظر: "خلاصة الكلام" (ص٢٤٧،٢٤٨) ونقله عنه في "شواهد الحق" (ص١٦١).

(٤) في "الصارم المنكي" (ص ٣١٩-٣٢١).

(٥) سورة "المنافقون"، آية رقم: (٥).

(٦) انظر في ذلك: "تفسير الطبري" (٥/١٥٤).

وهذه كانت عادة الصحابة معه ﷺ ، أن أحدهم متى صدر منه ما يقتضي التوبة جاء إليه، فقال: يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي، وكان هذا فرقاناً بينهم وبين المنافقين.

فلما استأثر الله عز وجل بنبيه ﷺ ونقله من بين أظهرهم إلى دار كرامته لم يكن أحد منهم قط يأتي إلى قبره ويقول: يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي، ومن يقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت!

[أفترى عطل الصحابة والتابعون] (١) - وهم خير القرون على الإطلاق- هذا الواجب الذي ذم الله سبحانه وتعالى من تخلف عنه وجعل التخلف عنه من أمارات النفاق، ووفق له من لا توبة له من الناس ولا يعد في أهل العلم ؟!

وكيف أغفل هذا الأمر أئمة الإسلام وهداة الأنام من أهل الحديث والفقه والتفسير ومن لهم لسان صدق في الأمة، فلم يدعوا إليه، ولم يحضوا عليه، ولم يرشدوا إليه، ولم يفعله أحد منهم البتة ؟! بل المنقول الثابت عنهم ما قد عرف، مما يسوء الغلاةَ فيما يكرهه وينهى عنه من الغلو والشرك، الجفاةَ عما يحبه ويأمر به من التوحيد والعبودية.

ولما كان هذا المنقول شجىً في حلوق البغاة وقذى في عيونهم وريبة في قلوبهم، قابلوه بالتكذيب والطعن في الناقل، ومن استحيى منهم، من أهل العلم بالآثار، قابله بالتحريف والتبديل، ويأبى الله إلا أن يعلي منار الحق ويظهر أدلته، ليهتدي المسترشد وتقوم الحجة على المعاند، فيعلي الله بالحق من يشاء، ويضع بردّه وبطره وغمط أهله من يشاء.

ويا لله العجب! أكان ظلم الأمة لأنفسها ونبيها حي بين أظهرها موجود وقد

---

(١) في "فصل المقال": [وافترى على الصحابة والتابعين]، والتصحيح من "الصارم المنكي" (ص ٣٢٠).

دعيت فيه إلى المجيء إليه ليستغفر لها وذم من تخلف عن هذا المجيء، فلما توفي ﷺ ارتفع ظلمها لأنفسها بحيث لا يحتاج أحد منهم إلى المجيء إليه ليستغفر له ؟!

وهذا يبين أن هذا التأويل الذي تأول عليه المعترض هذه الآية تأويل باطل قطعاً، ولو كان حقاً لسبقونا إليه، علماً وعملاً وإرشاداً و ونصيحة، ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه، واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر، فكيف إذا كان التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه؟! وبطلان هذا التأويل أظهر من أن يطنب في رده، وإنما ننبه عليه بعض التنبيه.

ومما يدل على بطلان تأويله قطعاً أنه لا يشك مسلم أن من دعي إلى رسول الله ﷺ في حياته وقد ظلم نفسه ليستغفر له فأعرض عن المجيء وأباه مع قدرته عليه كان مذموماً غاية الذم، مغموصاً بالنفاق، و[ليس](١) كذلك من دعي إلى قبره ليستغفر له، ومن [سوّى] (٢)بين الأمرين وبين المدعوين وبين الدعوتين فقد جاهر بالباطل وقال على الله ورسوله وأمناء دينه غير الحق.

وأما دلالة الآية على خلاف تأويله، فهو أنه سبحانه صدرها بقوله: **﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك ﴾**(٣) وهذا يدل على أن مجيئهم إليه ليستغفروا إذ ظلموا أنفسهم طاعة له، ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة، ولم يقل مسلم: إن على من ظلم نفسه بعد موته ﷺ أن يذهب إلى قبره ويسأله أن يستغفر له، ولو كان هذا طاعة له لكان خير القرون عصوا هذه الطاعة

---

(١) في "فصل المقال": "لا"، والتصحيح من "الصارم المنكي".

(٢) أشير بحاشية الصفحة في "فصل المقال" (ص٤٧) إلى وجود سقط هنا، كلمة (ساوى) أو نحوها، وهي مثبتة في "الصارم المنكي" (ص٣٢١).

(٣) سورة "النساء"، آية رقم: (٦٤).

وعطلوها، ووفق لها هؤلاء الغلاة العصاة، وهذا بخلاف قوله: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم**﴾[١] فإنه نفى الإيمان عمن لم يحكمه، وتحكيمه هو تحكيم ما جاء به حياً وميتاً، ففي حياته كان هو الحاكم بينهم بالوحي، وبعد وفاته نوابه وخلفاؤه، يوضح ذلك أنه قال: (لا تجعلوا قبري عيداً)[٢] ولو كان يشرع لكل مذنب أن يأتي إلى قبره ليستغفر له، لكان القبر أعظم أعياد المذنبين! وهذه مضادة صريحة لدينه وما جاء به ...)) [٣].

وفيما نقله الشيخ أبو بكر عن ابن عبد الهادي بخصوص هذه الآية ما يكفي لفهمها على وجهها، وبيان خطأ تأويل المخالفين لها لتوافق التوسل المبتدع الذي قالوا به.

---

(١) سورة "النساء"، آية رقم: (٦٥).

(٢) أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة ﷺ (٢/٣٦٧/ح٨٧٩٠)، وأبو داود: كتاب المناسك، باب زيارة القبور (٢/٢١٨/ح٢٠٤٢)، والطبراني في الأوسط (٨/٨١/ح٨٠٣٠)، وصححه الألباني، "صحيح الجامع" (٢/١٢١١/ح٧٢٢٦).

(٣) "فصل المقال" (ص ٤٥-٤٧)، وانظر في الجواب على استدلال المخالفين بهذه الآية: "صيانة الإنسان" (ص٢٨-٤٧) حيث ذكر أكثر من عشرة أوجه في ذلك.

المطلب التاسع: أن المراد من التوسل بالأنبياء هو التوسل باجتباء الله لهم ...

تعرض الشيخ أبو بكر رحمه الله لذكر هذه الشبهة وجوابها، فقال: ((وأما قول الشيخ عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار المكي[1] في فتواه بعد مقدمة: "فمن قال: اللهم إني أتوسل إليك برسلك وأنبيائك ونحو ذلك، فإنما يريد: باجتبائك وارتضائك واصطفائك واختصاصك إياهم بالرسالة والنبوة، ونحو ذلك، وهكذا صفات أفعاله تعالى، فالتوسل بها ليس توسلاً بغيره تعالى، وحينئذ فلا فرق بين النبي ﷺ وغيره من الأنبياء والأولياء، ولا بين كونهم أحياء وأمواتاً اهـ.

فالجواب عنه من وجهين:

الأول: أنه ليس كل قائل ذلك يعتبر هذا الاعتبار وأن الكلام على حذف مضاف، بل لا بد أن يلحظ معه بقلبه توسطهم في قضاء حاجته، وأنهم يشفعون له عند ربه ويقربونه إليه، وهذا ما نحاذره، فإن تخصيصهم بالذكر مظنة الفتنة، كمن يخص قبر وليه بالنحر عنده، قائلاً: "إن هذه صدقة عني، أو عن روح هذا الولي". فلم خص النحر بهذا الموضع؟ ولم خصص هذا الولي دون غيره؟ فإن لسان الحال يقول: وفي النفس حاجات وفيك فطانة!

الوجه الثاني: أن ذلك إن جاز في التوسل بالأولياء هكذا إجمالاً بغير تعيينهم، فلا يجوز في المعين بدعوى أنه ولي، لأنه لا يجوز الحكم على أحد أنه ولي، فإنه من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، كما في تفسير الحافظ ابن كثير[2] ...)) [3].

---

(١) عمر بن عبد الكريم بن عبد رب الرسول العطار المكي الشافعي، محدث مسند من أشهر علماء مكة في عصره، كانت وفاته سنة (١٢٤٧هـ). انظر: "سير وتراجم" (ص ٦٢) حاشية، "أعلام المكيين" (ص١١٨).

(٢) أشار إلى ذلك في تفسير الآية (٣٤) من سورة "البقرة"، "تفسير القرآن العظيم" (١/٧٩) .

(٣) " فصل المقال" (ص ٥٨،٥٩).

وفي ختام هذا الفصل يحسن نقل كلام الشيخ أبي بكر خوقير في خاتمة كتابه "فصل المقال"، حيث قال رحمه الله: ((قد ظهر مما قررنا أن السنة في التوسل بأسمائه تعالى وصفاته، والأعمال الصالحة للداعي المتوسل، وبدعاء الصالحين، كما في الاستسقاء، وقد تبين لك عذر المانعين من التوسل بالأنبياء والصالحين بعد الممات، وأنهم لم يقصدوا إلا سد الذريعة والوقوف عند نصوص الشريعة، وأن القائلين بالتوسل بالذوات ليس لهم دليل إلا ما ورد من أن عمر استسقى بالعباس رضي الله عنهما، وقال: كنا نتوسل إليك بنبينا ... إلخ، وقد علمت أن ذلك في حياتهما، وأنه من قبيل طلب الدعاء من الأخيار، ومثل ذلك حديث الأعمى وحديث الشفاعة، وليس محل التراع، إنما هو بعد موت الذوات ...)) [1].

وبهذا يتبين تقريره رحمه الله لقول أهل السنة والجماعة في مسألة التوسل، ودفاعه عن هذه العقيدة، ورده لشبهات المخالفين في هذا الباب.

---

(١) " فصل المقال" (ص ٥٨).

الفصل الثالث

صرف الدعــاء لغير الله

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

* تمهيد: التدرج من التوسل بالأنبياء إلى دعائهم من دون الله.

* **المبحث الأول:** الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم في المنع من دعاء غير الله.

* **المبحث الثاني:** التفصيل في حكم نداء النبي ﷺ بعد وفاته.

* **المبحث الثالث:** شبهات المخالفين، وجواب الشيخ عنها، وتحته مطالب:

المطلب الأول: ما روي مرفوعاً: (إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة، فليناد: ياعباد الله احبسوا...).

المطلب الثاني: ما روي أن عثمان بن حنيف ﷺ علّم الدعاء (يا محمد، إني توجهت بك إلى ربي ...) لمن كانت له حاجة عند عثمان ﷺ زمن إمارته.

المطلب الثالث: خبر مالك الدار في مجيء رجل إلى قبر النبي ﷺ وقوله: يا رسول الله استسق لأمتك ...

المطلب الرابع: ما حصل من الإجابة لبعض من استغاث بالنبي ﷺ.

المطلب الخامس: أن إجابة المدعوين من قبل ما خصهم الله به من الكرامات.

المطلب السادس: كثرة النقول التي تضمنت الاستغاثة بالنبي ﷺ.

تمهيد

التدرج من التوسل بالأنبياء والأولياء إلى دعائهم من دون الله.

لقد حذر الله عباده المؤمنين من اتباع خطوات الشيطان، فقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر**﴾(١)، وهذا يبين أن للشيطان خطوات ومسالك يضل بها العباد، وله درجات ومراتب يزينها للناس ويتلطف في دعوتهم إليها، درجة تلو أخرى، حتى يستزلهم في الدركات، ويوغل بهم في التهلكات، ومقصوده الأعظم الإفضاء إلى أكبر الكبائر وهو الإشراك بالله.

يقول ابن القيم رحمه الله: ((والشيطان له تلطف في الدعوة، فيدعو أولاً إلى الدعاء عند القبر، فيدعو العبد عنده بحرقة وانكسار وذلة، فيجيب الله دعوته لما قام بقلبه لا لأجل القبر، فيظن الجاهل أن للقبر تأثيراً في إجابة الدعوة، وأن الدعاء عنده أرجح منه في بيته ومسجده وأوقات الأسحار، فإذا تقرر ذلك عنده نقله درجة أخرى، من الدعاء عنده إلى الدعاء به والإقسام على الله به، وهذا أعظم من الذي قبله، فإذا قرر الشيطان عنده أن ذلك أبلغ في تعظيمه واحترامه وأنجع في قضاء حاجته، نقله درجة أخرى إلى دعائه نفسه من دون الله، ثم ينقله بعد ذلك درجة أخرى إلى أن يتخذ قبره وثناً يعكف عليه، ثم ينقله درجة أخرى إلى دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيداً ومنسكاً وأن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم))(٢).

وقد حذر الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله من التساهل في فتح باب التوسل بالأنبياء والصالحين بعد موتهم؛ لأنه يترتب عليه شر عظيم، ويتعدى الأمر ذلك من مجرد سؤال الله بهم إلى سؤالهم أنفسهم من دون الله.

---

(١) سورة "النور"، آية رقم: (٢١).

(٢) "إغاثة اللهفان" (١/٢٤٣-٢٤٥) باختصار .

فبين الشيخ أنه ترتب على تجويز التوسل بذوات الأنبياء والصالحين ((فتح باب الفتنة والبدع الجمة، وإدخال ما ليس من التوسل في بابه، من كل طامة مما ينافي التوحيد على خط مستقيم، حتى صار الشرك الصراح يسمى توسلاً عند كثير من رؤساء الجهال من المشايخ المتصوفين، ومن نحا نحوهم من المدلسين، أو من أخذته العزة بالإثم عن قول الحق من المكابرين[1] ...

فليت الجهال اقتصروا في التوسل على كل ما يفيد الوساطة، مع توجيه الطلب إلى الله سبحانه، ولكنهم نسوا الله وتوجهوا إلى الأموات، وطلبوا منهم قضاء الحاجات، وهتفوا بأسمائهم عند الملمات والإشراف على التهلكات، فزادوا في الطنبور نغمة على كفار قريش، معتقدين فيهم النفع والضر، مملوءة قلوبهم تعظيماً وحباً لهم وخوفاً ورجاءً، ونذروا لهم النذور وقربوا لهم الذبائح، ولاذوا بالقبور ووقفوا عندها خاضعين منكسي الرؤوس، واضعين الأكف على الأكف خاشعين، ولا يعتبرون بمن وقف معهم في ذلك المقام من الوثنيين المعروفين عندهم من المجوس في الهند.

فقد صرفوا جملة عبادات لغير الله، مع دعائه الذي هو مخ العبادة ...

ولقد بلغ التعظيم للأموات في قلوب الجهال فوق الغلو إلى حد نسوا الله فيه، يحلف أحدهم بالله كاذباً، ولا يحلف بالولي الذي يعتقده، خوفاً من العطب، حتى أدى هذا الحال عند بعض المتأخرين من القضاة تحليف من طلب منه اليمين فوق قبر الولي الذي يعتقده، فيمسكون المصحف فوق التابوت ويحلفونه به.

---

(١) كما يظهر ذلك من تسويتهم بين التوسل والاستغاثة، قال ابن حجر الهيتمي: ((ولا فرق بين ذكر التوسل والاستغاثة والتشفع والتوجه به ﷺ أو بغيره من الأنبياء، وكذا الأولياء)) "الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم" لابن حجر الهيتمي. المطبعة الميمنية بمصر (١٣٠٩هـ). (ص٧٧)، ونقله عنه دحلان في "خلاصة الكلام" (ص٢٥٣)، ونقله النبهاني في "شواهد الحق" (ص ١٦٧،١٦٨). وانظر: "دعاوى المناوئين" (ص٢٤٦-٢٥٣) في ذكر أقوال المخالفين في التسوية بين التوسل والاستغاثة.

فليت أولئك القوم يقولون بكراهة الطلب من الميت فيما لا يقدر عليه، بدلاً عن تصريحهم أن ذلك توسل وقربة، وليتهم ينصحون العامة بترك التغالي في ذلك، وليتهم يكتبون رسائل في تقبيح ذلك، أو ليتهم يسكتون ويستحيون ولا يكابرون، ويتركون التأليف في تحسين ذلك والحث عليه والدفاع عنه والتشويق إليه بمدائح شعرية ومقامات شيوخية، كأنهم يرون أن الدين لا يتم إلا به، وأن تعظيم الأنبياء والصالحين لا يكون إلا بذلك، وكأنهم يرون أن العامة تحتاج إلى زيارة إرشاد إليه وحث عليه، وكأنهم لا يشعرون إلى الآن بما حل بالأمة من جراء ذلك من الانحطاط في النفوس والعقول والدين والدنيا.

ألا ينظرون إلى ما يكتبه خطباؤنا الأذكياء في المجلات العلمية، كأنهم يضربون في حديد بارد، فإلى الله المشتكى!

ولو ترك بعض أولئك الرؤساء العناد وتنازلوا قليلاً عن الغلو الذي هم فيه، لوجدوا أمامهم في كتب الفقه عبارات كثيرة تمنع من ذلك ...)) [(١)].

وأضاف الشيخ أبو بكر خوقير مؤكداً هذا المعنى بقوله رحمه الله: ((على أن الأمر في التوسل بالأنبياء والصالحين سهل إذا لم يتجاوزه إلى غيره [(٢)]، فإن أصل وضعه هكذا: أتوسل إليك يا الله بجاه الأنبياء أو بحقهم أو ما أشبه ذلك، مع توجيه الطلب إلى الله منه سبحانه.

ولكن القول بذلك استدرج الناس إلى الخروج عن هذا الحد وأدى إلى العكوف حول القبور ودعاء أصحابها لجلب الفوائد وكشف الشدائد وأخذ تربتها تبركاً وإسراجها وتخليقها وغير ذلك، كما قال اليماني:

---

(١) "فصل المقال" (ص ٨،٧) باختصار يسير.

(٢) يعني عند مقارنته بتوجيه الدعاء لغير الله، كما يفهم من سياق الكلام، وإن كان أمر البدع لا يتساهل فيه مطلقاً، فالخير كله في الاتباع، والابتداع شر كله.

أعادوا بها معنى ســـواع ومثلـــه يغوث وود بئس ذلك مـــن ود

وقد هتفوا عند الشدائد باسمهـــا كما يهتف المضطر بالصمد الفرد

وكم نحروا في سوحها من بحيرة أهلت لغير الله جهلاً على عمد

وكم طائف عند القبور مقـــبلاً ويلتمس الأركان منهن بالأيد(١)

فترى أحدهم قد اتخذ اسم وليه ذكراً على لسانه من دون الله، إن قام وإن قعد وإن عثر، ويزعم بأنه باب حاجته إلى الله ووسيلته إليه، وهكذا كان عباد الأصـــنام، اتخذوا تماثيل الأنبياء والملائكة وسائل ووسائط يدعونها ويرجونها لتشفع لهم عند الله في قضاء حوائجهم، وتقربهم منه زلفى، ولم يعتقدوا فيها الضر ولا كشفه ولا إمـــساك الرحمة عنهم ...)) (٢).

وقال الشيخ أبو بكر: ((... فكل من عمل عملاً لم تجر عليه الصحابة فهـــو مردود على صاحبه، وبئست البدعة تتولد عنها بدع، ويتسع الخرق على الراقع، فانظر ماذا تولد من القول بجواز التوسل بالأنبياء والصالحين بعد مماتهم، وماذا حـــدث مـــن تشييد القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام، كما قال الـــشوكاني: " منـــها اعتقاد الجهلة كاعتقاد الكفار بالأصنام، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر، فجعلوها مقاصد لطلب قضاء الحوائج والمطالب، وسألوا منـــها مـــسألة العباد من ربهم، وشدوا إليها الرحال، واستغاثوا بها، وبالجملة لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) الأبيات للشيخ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت١٢٥٠هـ)، وقد أوردها في رسالته "تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد" (ص٥٧٥) ضمن "المجموع الفريد"، وهي من قصيدة مدح فيها الإمام محمـــد بـــن عبد الوهاب، وقد أوردها صديق حسن خان في "إتحاف النبلاء"، على ما ذكـــره صـــاحب "صـــيانة الإنسان" (ص٤٧٣).

(٢) "فصل المقال" (ص ٦٠).

ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع، لا نجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف، لا عالماً ولا متعلماً ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يُشك معه أن كثيراً من القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه، حلف بالله فاجراً، فإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني، تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة.

فيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين! أي رزء للإسلام أشد من الكفر؟! وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله ؟! وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ؟! وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجباً ؟!" (١))) (٢).

---

(١) "نيل الأوطار". دار الجيل. بيروت. (١٩٧٣م). (١٣١/٤).

(٢) "فصل المقال" (ص ٥٤،٥٥).

المبحث الأول: الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم في المنع من دعاء غير الله.

لقد عظم اهتمام الشرع بأمر الدعاء، وتعددت أساليبه في معالجة أمر هذه العبادة العظيمة ووجوب إخلاصها لله، والتحذير من صرفها لغيره.

فقد حذر سبحانه في القرآن من دعاء غيره تحذيراً بليغاً، وتنوعت أساليب القرآن في ذلك، وتكررت في مناسبات شتى ومواضع متعددة وبعبارات متنوعة؛ وذلك لخطورة دعاء غير الله، وكونه من أعظم الظلم وأكبر الكبائر، ولكونه أكثر وقوعاً من غيره، وأكثر انتشاراً بين الناس.

ولهذا أبدى الله في كتابه التحذير منه وأعاد، ونوع الأساليب كما نوع الأدلة والبراهين على قبح ذلك في الفطر والعقول السليمة[١].

وجاءت السنة عن النبي ﷺ من قوله وفعله وتقريره موافقة للقرآن في التأكيد على أهمية إخلاص الدعاء لله، والتحذير من صرفه لغيره تعالى، وعلى ذلك جاءت نصوص العلماء والأئمة من سلف الأمة وخلفها، ومرجعهم في ذلك إلى الكتاب والسنة.

وقد استدل الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله على وجوب إفراد الله بأنواع العبادة – ومنها الدعاء – بأدلة الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم.

فقال رحمه الله في الاستدلال على وجوب إخلاص العبادة لله[٢] : ((قال الله

---

(١) انظر في ذلك: "تيسير العزيز الحميد" (ص١٥٦-١٥٨)، و"دعوة التوحيد" للهراس (ص٣٥-٤٠)، و"الدعاء" للعروسي (ص ٤١٤-٤٢٣).

(٢) ناقلاً عن رسالة محمد طيب المكي في التوحيد، وقد تقدمت ترجمته (ص٩٤).

تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾[١]، ﴿أمر ألا تعبدوا إلا إياه﴾[٢])) [٣].

وقال في الاستدلال على وجوب إخلاص الدعاء لله وحده: ((﴿فلا تدعوا مع الله أحداً﴾[٤]، وقال: ﴿إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين﴾[٥].

وقال: ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات﴾[٦].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله)[٧].

فمن دعا غير الله مستعيناً به أو طالباً منه، كمن قال: "يا شيخي فلان أغثني" على سبيل الاستمداد، منه فقد دعا غير الله، وهذا الدعاء منع منه الشارع إذ لا يستعان إلا بالله ﴿إياك نستعين﴾ ...)) [٨].

---

(١) سورة "النساء"، آية رقم: (٣٦).

(٢) سورة "يوسف"، آية رقم: (٤٠).

(٣) "فصل المقال" (ص ٦٨).

(٤) سورة "الجن"، آية رقم: (١٨)، وفي الآية النهي عن دعاء غير الله أياً كان هذا المدعو، سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً أو غيرهم، لأن النكرة "أحداً" في سياق النهي تفيد العموم.

(٥) سورة "الأعراف"، آية رقم: (١٩٩)، وفي الآية بيان عجز المدعوين من دون الله عن إجابة الداعين، وعدم استحقاقهم الدعاء وعدم أهليتهم لذلك.

(٦) سورة "الأحقاف"، آية رقم: (٤).

(٧) أخرجه أحمد من حديث ابن عباس (١/٢٩٣/ح٢٦٦٩)، والترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٥٩)، (٤/٦٦٧/ح٢٥١٦)، والحاكم (٣/٦٢٣/ح٦٣٠٣) وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (٢/١٣١٧/ح٧٩٥٧).

(٨) انظر: "فصل المقال" (ص ٦٨).

وقال الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله: ((فالطامة الكبرى هي دعاء غير الله، الذي يسميه علماء السوء توسلاً واستغاثة، فإن الدعاء عبادة خاصة به تعالى، لا يجوز صرفه لغيره، كالسجود والذبح وغيرهما، ولم يرد في نوع من أنواع الكفر والردة من النصوص مثل ما ورد في دعاء غير الله: بالنهي عنه، والتحذير من فعله، والوعيد عليه، فكم فيه من آيات صريحة.

قال تعالى: ﴿**وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار**﴾(١)، وقال تعالى: ﴿**والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير. إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير**﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿**فلا تدع مع الله إلهاً آخر**﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿**له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال**﴾(٤).

ولو لم يكن في القرآن إلا مجرد طلبه من خلقه لكان ذلك كافياً في كونه عباده، فكيف إذا انضم إلى ذلك النهي عن دعاء غيره تعالى ؟!

وقد توعد خلقه على الاستكبار عن الدعاء، كما جعل جزاءه الإجابة لما

---

(١) سورة "غافر"، آية رقم: (٨)، وفي الآية وصف من دعا غير الله بالكفر.

(٢) سورة "فاطر"، الآيتان رقم: (١٣،١٤)، والآية تبين عجز المدعوين عن الإجابة وتبرئهم من الداعين يوم القيامة.

(٣) سورة "الشعراء"، آية رقم: (٢١٣)، وفي الآية النهي عن دعاء غير الله بتوجيه الخطاب إلى نبيه ﷺ، وهذا أبلغ ما يكون من النهي والتحذير، فإذا كان النبي المعصوم ﷺ يحذره ربه من ذلك، فتحذير الأمة بعده من باب أولى.

(٤) سورة "الرعد"، آية رقم: (١٤).

أمرهم، فقال: ﴿**ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**﴾(١)، والاستكبار هو تركه، لأن الدعاء هو اعتراف بالعبودية والذلة والمسكنة، فكأن تاركه إنما تركه لأجل أن يستكبر عن العبودية.

ولا يتحقق الدعاء إلا إذا كان الداعي معولاً بقلبه على تحصيل مطلوبه، فمن دعا الله وفي قلبه ذرة من الاعتماد على ماله أو جاهه أو أقاربه أو أصدقائه أو جِده أو اجتهاده أو وليه فهو في الحقيقة ما دعا الله إلا بلسانه، أما بالقلب فهو معول على حصول ذلك المطلوب على غير الله تعالى، فهذا العبد ما دعا الله، كما قال ذلك بعض المفسرين.

فلا شك أن الدعاء من أجل الطاعات وأعظم العبادات بجميع معاني العبادة الاصطلاحية واللغوية، فإنها نهاية الخضوع والتذلل ...

وفي الترمذي عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: (الدعاء مخ العبادة)(٢)، وللترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الدعاء هو العبادة) ثم قرأ: ﴿**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**﴾، قال الترمذي: حديث حسن صحيح(٣).

قال الشارح: "معنى قوله ﷺ: "الدعاء هو العبادة" أي: خالصها؛ لأن الداعي إنما

---

(١) سورة "غافر"، آية رقم: (٦٠).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء (٥/٤٥٦/ح٣٣٧١)، الطبراني في "الأوسط" (٣/٢٩٣/ح٣١٩٦)، والحديث ضعفه الألباني في "ضعيف الجامع" (ص٤٤١/ح٣٠٠٣).

(٣) أخرجه أحمد (٤/٢٦٧/ح١٨٣٧٨)، والبخاري في "الأدب المفرد" (ص٢٤٩/ح٧١٤)، وأبو داود: أبواب قراءة القرآن وتحزيبه، باب الدعاء (٢/٧٦/ح١٤٧٩)، الترمذي: كتاب القراءات، باب ومن سورة البقرة ... (٥/٢١١/ح٢٩٦٩)، والنسائي في "السنن الكبرى" (٦/٤٥٠/ح١١٤٦٤)، وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء (٢/١٢٥٨/٣٨٢٨)، والحاكم وصححه (١/٦٦٧/ح١٨٠٢)، والحديث صححه الألباني في "صحيح الجامع" (رقم ٣٤٠٧).

يدعو الله عند انقطاع أمله مما سواه، وذلك تحقيق التوحيد والإخلاص" [١].

فمن صرف هذه العبادة لغير الله، بأن دعا ميتاً أو غائباً طالباً منه ما لا يقدر عليه إلا الله، من قضاء حاجة أو تفريج كربة، فقد أشرك)) [٢].

وقال الشيخ أبو بكر خوقير في التعليق على قولهم "مدد يا شيخ": ((... وأكثر ما يستعمل هذا اللفظ في جانب المشايخ المعظمين فيقال: "استمداد منهم"، ويقال: "مدد يا شيخ"، وأظنه لم يسر إلى الناس إلا من الهند، فإنهم يقولون للمعاون لرجل من رجال الحكومة: "مدد كار"، فيخرج هذا وأمثاله من التوسل إلى الاستمداد، ومن الاستغاثة بالغير إلى الاستغاثة من الغير، وبالجملة فإنهم يطلبون من غير الله من الأموات، ويسمون ذلك الطلب توسلاً واستغاثة ...)) [٣].

وبين الشيخ أبو بكر أن الاستغاثة بالمخلوق تجوز فيما يقدر عليه من الأسباب الظاهرة، كما جاء عن موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه**﴾[٤]، وفي هذا دليل على جواز الاستغاثة بالمخلوق لكن وفقاً لما جاء به النص، فإن استغاثة الرجل بموسى فيها أمور يجب تحققها للحكم بجواز الاستغاثة بالمخلوق:

الأول: أن الرجل استغاث بموسى عليه السلام في حال كونه حياً الحياة الدنيا، فلم يستغث به بعد موته وانتقاله إلى حياة البرزخ.

الثاني: أن موسى كان حاضراً شاهداً، فلم يكن غائباً، و لم يكن بعيداً.

---

(١) "تحفة الأحوذي" (٩/٢١٩).

(٢) "فصل المقال" (ص ٦١،٦٢).

(٣) "فصل المقال" (ص٣٣).

(٤) سورة "القصص"، آية رقم: (١٥).

الثالث: أن الرجل طلب من موسى أمراً مقدوراً عليه بعادة البشر، وهو دفع اعتداء خصمه عنه، فلم يطلب منه أمراً لا يقدر عليه إلا الله، مثل أن يحفظ غائباً.

الرابع: أن موسى كان قادراً على العون والإغاثة بمحض قوته البشرية الجسدية، لا بقوة غيبية مؤثرة.

فالمخلوق يطلب منه من إزالة الشدة ومن النصر والعون ما يقدر عليه، قال تعالى: ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾(١)، وكما في قصة موسى(٢).

قال الشيخ أبو بكر خوقير: ((والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال عدو أو إدراك سبع ونحوه، كقولهم: يا آل زيد، يا للمسلمين، بحسب الأفعال الظاهرة بالفعل.

وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير أو في الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه: فمن خصائص الله لا يطلب فيها غيره))(٣).

وقد نقل الشيخ أبو بكر الإجماع على كفر من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، فقال: ((قال في الإقناع وشرحه من كتب الحنابلة: "من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر إجماعاً؛ لأن هذا كفعل عابدي الأصنام قائلين: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى"(٤)))(٥).

---

(١) سورة "الأنفال"، آية رقم: (٧٢).

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى" (١/١٠٣،١٠٤)، و"الدين الخالص". محمد صديق حسن خان. دار الكتب العلمية. بيروت. (٢/٢٠١).

(٣) "فصل المقال" (ص ١٢) ناقلاً عن "سيف الله على من كذب على أولياء الله" لصنع الله الحنفي (ص ٤٠).

(٤) انظر: "الإقناع" (٤/٢٩٧)، و"كشف القناع عن متن الإقناع" (٦/١٦٨).

(٥) "فصل المقال" (ص٦٠).

وهذا الإجماع حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية[١]، ونقله غير واحد، منهم: ابن مفلح في "الفروع"[٢]، والمرداوي في "الإنصاف"[٣]، ونقله مقرراً له ابن حجر الهيتمي في "الإعلام بقواطع الإسلام"[٤] عن ابن مفلح، ونقله غيرهم[٥].

وقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية الإجماع على المنع من الاستغاثة بالأنبياء والصالحين بعد موتهم، فقال: ((فإن ما نفي عنه ﷺ وعن غيره من الأنبياء والمؤمنين، وهو أنه لا يطلب منهم بعد الموت شيء، ولا يطلب منهم في الغيبة شيء، لا بلفظ الاستغاثة ولا الاستعاذة ولا غير ذلك، ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله: حكم ثابت بالنص وإجماع علماء الأمة، مع دلالة العقل على ذلك ...))[٦].

وقد نقل الشيخ أبو بكر خوقير أقوالاً لعدد من العلماء في مسألة دعاء غير الله، تبين حكمها ومنزلتها من الدين.

فنقل عن بعض علماء الحنفية منعهم من دعاء غير الله، فقال: ((قال في "طوالع الأنوار شرح تنوير الأبصار مع الدر المختار" للشيخ محمد عابد السندي الحنفي[٧]: "ولا يقول: يا صاحب القبر يا فلان اقض حاجتي أو سلها من الله أو كن لي شفيعاً

---

(١) "مجموع الفتاوى" (١/١٢٤).

(٢) (٦/١٦٥).

(٣) (١٠/٣٢٧).

(٤) "الإعلام بقواطع الإسلام" ضمن "الجامع في ألفاظ الكفر" د.محمد بن عبد الرحمن الخميس. دار إيلاف. ط١. (١٤٢٠هـ). فصل: المكفرات عند الحنابلة (ص٢٩٩).

(٥) انظر: "تيسير العزيز الحميد" (ص١٩٤)، و"الدعاء" للعروسي (ص ٥٣٤)، ورسالة "بيان الشرك ووسائله عند علماء الحنابلة" د. محمد يوسف الخميس (ص٢٤)، ورسالته: "بيان الشرك ووسائله عند علماء الشافعية" (ص٤٤).

(٦) "الاستغاثة" (ص٦١٩).

(٧) توفي (١٢٥٧هـ)، وقد تقدمت ترجمته (ص٥٣).

عند الله، بل يقول: يا من لا يشرك في حكمه أحداً اقض لي حاجتي هذه وحيداً كما خلقتني".

وقال في "الفتاوى البزازية": "من قال إن أرواح المشايخ حاضرة تعلم، يكفر"[١] ...))[٢].

والاعتقاد بحضور أرواح المشايخ وعلمها لازم لمن يستغيث بهم بعد موتهم أو في مغيبهم، وإلا لم يتفوه بذلك و لم يقدم عليه، فإنه إنما رجاهم لدفع ضر أو جلب نفع.

وقال الشيخ أبو بكر رحمه الله: ((قال أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي[٣]: "لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم، إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم.

قال: وهم عندي كفار بهذه الأوضاع؛ مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع، من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها، وخطاب الموتى للحوائج، وكتب الرقاع فيها: يا مولاي! افعل بي كذا وكذا، أو أخذ تربتها تبركاً وإفاضة الطيب على القبور، وشد الرحال إليها، وإلقاء الخرق على الشجر، اقتداءً بمن عبد اللات والعزى"))[٤].

وقال الشيخ أبو بكر خوقير: ((قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "رسالته السنية"

---

(١) "الفتاوى البزازية"، بهامش "الفتاوى الهندية" (٣٢٦/٦)، والفتاوى البزازية: لمحمد بن محمد بن شهاب الكردي الحنفي، (ت٨٢٧هـ). انظر: "كشف الظنون" (٢٤٢/١). ونقل هذا عن الفتاوى البزازية ابن نجيم في "البحر الرائق" (١٣٤/٥). وانظر: "الدعاء" للعروسي (ص ٥٣٦).

(٢) "فصل المقال" (ص ٩).

(٣) علي بن عقيل بن محمد البغدادي الظفري، يعرف بابن عقيل، عالم العراق وشيخ الحنابلة في وقته، توفي سنة (٥١٣هـ). انظر: "سير أعلام النبلاء" (٤٤٣/١٩).

(٤) "فصل المقال" (ص ٩)، وقد أورد هذا النقل عن ابن عقيل: ابن الجوزي، في "تلبيس إبليس" دار الكتاب العربي. بيروت. ط١. (١٤٠٥هـ). (ص٤٨٣)، وابن القيم في "إغاثة اللهفان" (١٩٥/١)، ونسبه الشوكاني إلى كتاب "الفنون" لابن عقيل، كما في "الدر النضيد" (ص ٧٥).

لما تكلم على حديث الخوارج: ((فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه [ممن] انتسب إلى الإسلام من قد مرق من الدين مع عبادته العظيمة، فليعلم أن المنتسب في هذا الزمان قد يمرق أيضاً، وذلك بأمور، منها: الغلو الذي ذمه الله، كالغلو في بعض المشايخ، كالشيخ عدي[١]، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح.

فكل من غلا في نبي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية بمثل أن يدعوه من دون الله، بأن يقول: يا سيدي فلان أغثني! أو أنا في حسبك، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل، فإن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ولا يجعل معه إله آخر.

والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى مثل الملائكة والمسيح وعزير والصالحين أو قبورهم لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق أو ترزق، وإنما كانوا يدعونهم ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، فبعث الله الرسل تنهى أن يدعى من دون الله أحداً، لا دعاء عبادة، ولا دعاء استغاثة)) اهـ[٢]...))[٣].

وقال الشيخ أبو بكر خوقير: ((قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "ومن أنواعه

---

(١) هو: عدي بن مسافر بن إسماعيل الهكاري. تنسب إليه الطائفة العدوية من الصوفية. (ت: ٥٥٧هـ). انظر: "السير" (٣٤٢/٢٠).

(٢) "الرسالة السنية" لابن تيمية هي المسماة "الوصية الكبرى": رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أتباع عدي ابن مسافر الأموي. مطبوعة بتحقيق الشيخين: محمد بن عبد الله النمر والدكتور عثمان جمعة ضميرية. وهذا النص المنقول عنها ورد في "مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب" (ص ٦٧،١٧٧) بلفظ أتم من هذا، وأورد الشوكاني جزءاً منه في "الدر النضيد" (ص٧٧)، ونقل عن موضع آخر من "الرسالة السنية"، وجاء ذكر هذا النقل مختصراً في "تيسير العزيز الحميد" (ص١٩٣)، وأورده الشيخ أحمد بن عيسى في "الرد على شبهات المستغيثين بغير الله" ضمن "الجامع الفريد" (ص٦٢٧)، ثم نقل عنه الشيخ أبو بكر خوقير، كما يظهر من نقله عبارته: "قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته السنية لما تكلم على حديث الخوارج ..."، ويوجد "بمجموع الفتاوى" (٣٩٥/٣) كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية بهذا المعنى.

(٣) "فصل المقال" (ص٦٠-٦٣).

- أي الشرك[١]- طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم، و هـذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عمن استغاث به أو سأله أن يشفع له إلى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده")) [٢].

وقال الشيخ أبو بكر خوقير: ((قال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي[٣] في كتابه "سيف الله على من كذب على أولياء الله": ((هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ويستغاث بهم في الشدائد والبليات، وبهم تكشف المهمات، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات.

وقالوا: منهم أبدال ونقباء وأوتاد ونجباء وسبعون وسبعة وأربعون وأربعة، والقطب هو الغوث للناس، وعليه المدار بلا التباس، وجوزوا لهم الذبائح والنذور، وأثبتوا لهم فيها الأجور.

قال: وهذا الكلام فيه تفريط وإفراط، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي، لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادرة الكتاب العزيز المصدق، ومخالف لعقائد الأئمة وما أجمعت عليه الأمة، وفي التتريل: **﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾**[٤].

قال: وأما قولهم: "فيستغاث بهم في الشدائد" فهذا أقبح مما قبله وأبدع، لمصادرته قوله جل ذكره: **﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم**

---

(١) ليست في "مدارج السالكين".

(٢) "فصل المقال" (ص ٣٥،٣٦)، والنقل عن "مدارج السالكين" (١/٣٤٦).

(٣) (ت١١٢٠هـ) وقد تقدمت ترجمته (ص٣٢٥).

(٤) سورة "النساء"، آية رقم: (١١٥).

خلفاء الأرض ءإله مع الله﴾[1]، **﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر﴾**[2]، وذكر الآيات في هذا المعنى.

ثم قال: فإنه جل ذكره كرر أن الكاشف للضر لا غيره، وأنه المنفرد بإجابة المضطر، وأنه المستغاث به لذلك كله، وأنه القادر على إيصال الخير، فهو المنفرد بذلك، فإذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من ملك ونبي وولي.

قال: وأما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجهال وينادونهم ويستنجدون بهم: فهذا من المنكرات.

فمن اعتقد أن لغير الله من نبي أو ولي أو روح أو غير ذلك في كشف كربة أو قضاء حاجة تأثيراً، فقد وقع في وادي جهل خطير، فهو على شفا جرف من السعير.

قال: وأما ما قالوه: إن منهم أبدالاً ونقباء وأوتاداً ونجباء وسبعين وسبعة وأربعين وأربعة والقطب هو الغوث للناس فهذا من موضوعات إفكهم...)) انتهى باختصار))[3].

وقال الشيخ أبو بكر خوقير: ((قال الإمام الشوكاني في "الدر النضيد في التوحيد": "وإذا عرفت هذا، فاعلم أن الرزية كل الرزية والبلية كل البلية أمر غير ما ذكرنا من التوسل المجرد والتشفع بمن له الشفاعة، وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء، من أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله عز وجل، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم، فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالاً، ويصرخون بأسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع،

---

(١) سورة "النمل"، آية رقم: (٦٢).

(٢) سورة "الأنعام"، آية رقم: (٦٣).

(٣) " فصل المقال" (ص ١٠-١٢)، والنقل عن مواضع من كتاب "سيف الله على من كذب على أولياء الله": (ص١٥،١٦،٢٩،٣٠،٣٢،٣٧،٣٨).

ويخضعون لهم خضوعاً زائدا على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء، وهذا إذا لم يكن شركاً فلا ندري ما هو الشرك، إذا لم يكن كفراً فليس في الدنيا كفر ..."))[1].

وقال الشيخ أبو بكر خوقير ناقلاً عن الشيخ عبد الخالق [المزجاجي] الزبيدي[2] قوله: ((وقد قال تعالى في إثر سماء: (أصبح من عبادي مؤمن وكافر، أما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب)[3]، وقد ذهب العامة هذا المذهب في الأولياء، فإن مرضوا قالوا: هذا من فلان، و إن شفوا قالوا: بركة سيدي فلان!

فلما اعتقدوا ضرهم ونفعهم حلفوا بهم من دون الله، ونذروا لهم من دون الله، واستسقوا بهم من دون الله. فإن أجرى الله تعالى الوادي قالوا: "شيء لله يا فلان"، وإن قبض عنهم المطر قالوا: "حمقة فلان"، والله سبحانه القابض الباسط المحيي المميت وكل شيء بيده من ملك وملكوت. ولو ذهبنا نتكلم في الكتاب والسنة من التحذير من ذلك، لكان الناس يرى أنهم قد هلكوا ...))[4].

فظهر مما سبق حكم من دعا غير الله من الأنبياء والصالحين بعد موتهم أو في مغيبهم، وأن ذلك من الشرك بالله، ومن الكفر بدينه.

---

(١) "فصل المقال" (ص ٩، ١٠)، والنقل عن "الدر النضيد" (ص ٣٠، ٣١).

(٢) لعله: عبد الخالق بن أبي بكر بن الزين بن الصديق بن محمد المزجاجي، حافظ محدث مقريء، ولد في زبيد سنة (١١٠٣هـ) وتوفي بمكة سنة (١١٨٠هـ).انظر: "هجر العلم ومعاقله في اليمن" (ص ٢٠٣٦). وفي "فصل المقال": الزجاجي بدلاً من المزجاجي.

(٣) متفق عليه من حديث زيد بن خالد الجهني ﷺ ، أخرجه البخاري: كتاب صفة الصلاة، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم (١/٢٩٠/ح٨١٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء (١/٨٣/ح٧١).

(٤) "فصل المقال" (ص ٦٥، ٦٦).

المبحث الثاني: التفصيل في حكم نداء النبي ﷺ بعد وفاته.

تقدم تقرير الشيخ أبو بكر أن الطلب من النبي ﷺ بعد موته شرك، واستدلاله على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة، ونقله الإجماع على كفر من دعا غير الله، وما أورده من أقوال أهل العلم في ذلك.

وكون هذا الفعل كفراً لا يعني أن فاعله المعين كافراً، فليس كل من وقع في شيء من أمور الكفر الظاهرة يكفر بمجرد قوله أو فعله، بل لا بد من استيفاء شروط التكفير وانتفاء موانعه، ما لم يدل ظاهر ما وقع فيه دلالة قطعية على كفره، كسب الله ورسوله(١).

ومن الأدلة على هذا التفصيل ما جاء في الحديث المتفق عليه عن النبي ﷺ أنه قال: (كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال يا رب خشيتك، فغفر له)(٢).

قال ابن الوزير في معنى الحديث: ((وإنما أدركته الرحمة لجهله وإيمانه بالله والمعاد، لذلك خاف العقاب، وأما جهله بقدرة الله تعالى على ما ظنه محالاً فلا يكون كفراً إلا لو علم أن الأنبياء جاءوا بذلك وأنه ممكن مقدور ثم كذبهم أو أحداً منهم،

---

(١) انظر: "الفصل في الملل" (٣/١٣٩)، و"مجموع الفتاوى" (٧/٦١٩)، و"شرح الطحاوية" (ص٣٥٨)، و"ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة" د.عبد الله بن محمد القرني. دار عالم الفوائد. ط٢. (١٤٢٠هـ). (ص ٢٩١، ٣٠٦، ٣٠٧).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب حديث الغار (٣/١٢٨٣/ح٣٢٩٤)، ومسلم: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى ... (٤/٢١٠٩/ح٢٧٥٦).

لقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾(١) ...))(٢).

وقال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله: ((الجاهل والمخطئ من هذه الأمة ولو عمل من الكفر والشرك ما يكون صاحبه مشركاً أو كافراً، فإنه يعذر بالجهل والخطأ، حتى تتبين له الحجة التي يكفر تاركها بياناً واضحاً ما يلتبس على مثله، وينكر ما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام، مما أجمعوا عليه إجماعاً قطعياً، يعرفه كل المسلمين من غير نظر وتأمل))(٣).

ومن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عن بعض معاصريه، في قوله: ((نعلم بالضرورة أنه لم يشرع لأمته أن يدعو أحداً من الأموات لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيره، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور ، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله.

لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه!

ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل الدين إلا تفطن، وقال: هذا أصل دين الإسلام، وكان بعض الأكابر من الشيوخ والعارفين من أصحابنا يقول: هذا أعظم ما بينته لنا، لعلمه بأن هذا أصل الدين. وكان هذا وأمثاله في ناحية أخرى يدعون الأموات ويسألونهم ويستجيرون بهم ويتضرعون إليهم، وربما كان ما يفعلونه

---

(١) سورة "الإسراء"، آية رقم: (١٥).

(٢) "إيثار الحق على الخلق" لابن الوزير: محمد بن إبراهيم بن علي القاسمي (ت ٨٤٠). دار الكتب العلمية. بيروت. ط٢. (ص ٣٩٤).

(٣) انظر: "محاسن التأويل" محمد جمال الدين القاسمي. دار إحياء الكتب العربية. (١٣٧٦هـ). (٥/١٣٠٧).

بالأموات أعظم؛ لأنهم إنما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم، فيدعونه دعاء المضطر، راجين قضاء حاجاتهم بدعائه أو الدعاء به أو الدعاء عند قبره، بخلاف عبادتهم لله ودعائهم إياه؛ فإنهم يفعلونه في كثير من الأوقات على وجه العادة والتكلف، حتى إن العدو الخارج عن شريعة الإسلام لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم، وقال بعض الشعراء:

يا خائفين من التتر ... لوذوا بقبر أبي عمر

أو قال:

لوذوا بقبر أبي عمر ... ينجيكم من [ذا] الضرر))[1]

ونحو ذلك قول الإمام محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله: ((وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر أحمد البدوي؛ لأجل جهلهم وعدم وجود من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ...))[2].

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله: ((من بلغته دعوة الرسل إلى توحيد الله ووجوب الإسلام له، وفقه أن الرسل جاءت بهذا لم يكن له عذر في مخالفتهم وترك عبادة الله.

وهذا هو الذي يجزم بتكفيره إذا عبد غير الله وجعل معه الأنداد والآلهة. والشيخ[3] وغيره من المسلمين لا يتوقفون في هذا، وشيخنا رحمه الله قد قرر هذا وبينه

---

(١) "الاستغاثة" (ص ٦٢٩-٦٣١)، وانظر: "تلخيص الاستغاثة" (ص٧٣١-٧٣٣)، وتصحيح إنشاد البيت من "جلاء العينين" (ص ٥٥٥).

(٢) "مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام" لعبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ. دار الهداية. الرياض. (ص ٣٤).

(٣) يعني: ابن تيمية.

وفاقاً لعلماء الأمة واقتداءً بهم، و لم يكفر إلا بعد قيام الحجة وظهور الدليل، حتى إنه رحمه الله توقف في تكفير الجاهل من عباد القبور إذا لم يتيسر له من ينبهه))(١).

وقال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ: ((وشيخنا لم يكفر الأمة وعلماءها، حتى صاحب البردة! وإنما تكلم فيما دل عليه كلامه واقتضاه نظمه وخطابه ...))(٢).

وقال فيمن روى البردة واستحسنها: ((مع أن الشيخ لم يتكلم فيهم، ولا بحث في حال من رواها وقررها، وإنما الكلام في نفس القول الذي اشتمل على الغلو والإطراء، و لم يتجاوز شيخنا هذا، و لم يبلغنا عنه حرف في تضليل من قرأها ...))(٣).

فهذه النقول لا تعني إعذار من عبد غير الله مطلقاً، ولكنها تفيد أن من تلبس

---

(١) "مصباح الظلام" (ص ٣٢٤،٣٢٥) وانظر: (ص ١٠٤،١١٨،٣٣٧)، وانظر: "ضوابط التكفير" (ص٣١٨) حيث أورد نقولاً بهذا المعنى عن الإمام محمد بن عبد الوهاب وبعض أئمة الدعوة.

(٢) "مصباح الظلام" (ص ٣٠٠).

(٣) "السابق" (ص ٢٤٦)، وقد بين الشيخ عبد اللطيف ما في البردة من الشرك بالله (ص١٩٨) وما بعدها، كما في قول البوصيري:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... إذا الكريم تجلى باسم منتقم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

وقوله في النبي ﷺ:

لو ناسبت قدرَه آياته عظماً ... أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

وممن بين أن ما في البردة شرك بالله: الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ في "شرح كتاب التوحيد" (ص١٨٧)، والشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" (٣٩/٢)، ووصف ما فيها بالغلو: الشيخ محمد بن عبد الوهاب في "مجموعة رسائله" (ص ٤٧)، والشوكاني في "الدر النضيد" (ص ٥٧). ونقلت الأبيات من رسالة بعنوان: "البوصيري، مادح الرسول الأعظم ﷺ" لعبد العال الحمامصي. مكتبة الهداية. بيروت. ط١. (١٤١٣هـ). (ص٥٠،٥٨).

بشيء من مظاهر الشرك لم يلزم تكفيره حتى تقام عليه الحجة الرسالية؛ لإمكان أن يكون جاهلاً لم تبلغه الحجة، أو متأولاً له شبهة يعذر بها. وهذا فيما يتعلق بالحكم على الناس في الظاهر.

ومن عبد غير الله فهو كافر مطلقاً، ولكن ذلك لا يعلم بمجرد الفعل الظاهر، ولهذا يشترط إقامة الحجة حتى يتوصل إلى الحكم بتكفيرهم، بأن يُبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالف ما هم عليه، وينتفي ما قد يعرض لهم من الشبه في ذلك.

فدعاء غير الله كفر، والاستغاثة بمن مات من الأنبياء شرك بالله، لكن قد يقوم بمن فعل ذلك ما يمنع من كفره، وإن كان ظاهره الكفر، وأما حقيقته وعاقبته في الآخرة فعلمها عند الله، ولا تُجرى عليه أحكام الكفر في الدنيا إلا بعد إقامة الحجة.

وقد أورد الشيخ أبو بكر خوقير كلاماً في التفصيل في حكم من قال: "يا رسول الله"، أورده على سبيل التترل مع المخالفين في المسألة، كما يظهر من سياق كلامه.

قال رحمه الله: ((... فعلى هذا، من يعتقد فيمن يدعوه النفع، وأنه له قدرة على إجابة المضطر وإغاثة الملهوف وقضاء حوائج السائلين، يكون أشركه في الربوبية، وذاك لم يبلغه شرك المشركين الذين يرون لآلهتهم تصرفاً وتدبيراً.

فإلى الله المشتكى من أناس يُدخلون في التوسل دعاء غير الله، مما يجري على ألسنة العامة، ويدافعون بالمكابرة ويكذبون الوجدان والمحسوس، ويخدعون أنفسهم ويغررون بخلق الله.

و لم أر من أولئك المدافعين من تنازل إلى القول بتحريم ذلك، إلا القليل، منهم علامة ثغرنا الشيخ علي باصبرين[1] الشافعي الحضرمي نزيل جدة، قال رحمه الله في

---

(١) الشيخ علي بن أحمد بن سعيد باصبرين الشافعي، أحد علماء جدة، عاش في القرن الثالث عشر، له بعض

كتابه "إرشاد كمل العبيد لخالص التوحيد" ما نصه: ...)) [(١)]، ثم أورد كلامه، وفيما يلي نقله باختصار.

قال الشيخ أبو بكر ناقلاً عن الشيخ علي باصبرين: ((والذي أراه أن من قال: "يا رسول الله" مثلاً، وهو يعلم أن المدعو ليس له شرك في الملك ولا التأثير ولا التدبير ولا في إعانة على تحصيل شيء من المنافع ولا دفع شيء من المضار، ولا تحصل شفاعة عند الله إلا بإذنه، ولا يملك لنفسه –يعني المدعو- ولا يدفع عنها، فضلاً عن غيره، موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا نفعاً ولا ضراً ولا عزاً ولا ذلاً ولا غنى ولا فقراً ولا نصراً ولا قهراً ... ولا يرى أن المدعو أرحم أو أرأف أو أجود أو أكرم أو أستر أو أسمع من الله تعالى لدعائه ولا مثله، [فحكم هذا أنه:] لا يكفر ولا يشرك الكفر والشرك الجليين المخرجين له من دائرة الإسلام.

لأن مجرد دعاء غير الله لا يوجب الكفر الجلي[(٢)] ...

وإن كان [المدعو به] مما لا دخل فيه لغير الله، كأن يقول: يا فلان وفقني، أو اغفر لي ذنوبي، أو اشتر أبي لئلا يموت، فهذا كله: مما يحرم التفوه به مطلقاً، وهو الشرك الخفي[(٣)]، ولا يخرج عن الدين، ويزجر ويعزر مرتكبه، هذا مع سلامة عقيدته

المخطوطات بمكتبة الحرم المكي، وله كتاب بعنوان: "القول المؤيد الصحيح بالكتاب والسنة لرد دعوى المفتري مرزا غلام بأنه المسيح". المطبعة الإصلاحية. جدة. (١٣٢٧هـ). وله كتاب بعنوان "إثمد العينين في بعض اختلاف الشيخين ابن حجر الهيتمي وشمس الدين الرملي" مطبوع بهامش "بغية المسترشدين" لعبد الرحمن بن محمد باعلوي. طبع مكتبة أحمد بن سعد نبهان وأولاده. سربايا – أندونيسيا.

وذكر صاحب "نظم الدرر" (ق١٩٤) المترجم في شيوخ عبد الحميد بخش الهندي، وانظر: "معجم مؤلفي مخطوطات مكتبة الحرم المكي". عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي. (١٤١٦هـ). (رقم ١٨٣).

(١) "فصل المقال" (ص٦٣).

(٢) يعني: الكفر الأكبر المخرج من الملة.

(٣) يعني به: الشرك الأصغر، الذي لا يخرج من الملة، كما يظهر من سياق كلامه. والشرك الأصغر يخفى أمره

الباطنة، وإلا فهو كافر مطلقاً.

ولا فرق أن يكون المدعو حاضراً أو غائباً، حياً أو ميتاً، رسولاً أو نبياً، لما في تلك الألفاظ من إيهام...)).

وقال: ((إطلاق اللفظ الموهم مع صحة العقيدة حرام، وهو الشرك الخفي، وليس ذلك شركاً جلياً مخرجاً عن الإيمان، كقوله: شيء لله يا عامودي، أو يسأل من النبي ﷺ أو غيره ما لا دخل لغير الله في تدبيره، كقوله: اهدني، اغفر لي، اشفني، أمطرنا ... فإن هذه ألفاظ موهمة في ظاهرها، فإن أضيف إلى ذلك فساد العقيدة فهو الكفر الجلي، وإن سلمت سلم من الكفر الجلي، وبقي عليه إثم الإتيان باللفظ الموهم المعبر عنه بالشرك الخفي)) (١).

ويلاحظ أنه فرق في حكم القائل: "يا رسول الله" بناءً على اعتقاد القائل، فإذا قال ذلك – مع سلامة عقيدته – فهو عنده شرك أصغر(٢)، وإذا قاله مع فساد عقيدته كان شركاً أكبر مخرجاً من الملة.

على كثير من الناس، كما جاء في الأثر عن ابن عباس: (الأنداد هو الشرك، أخفى دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص ...) رواه ابن أبي حاتم. وإسناده حسن. انظر: "النهج السديد" (ص ٢٢١،٢٢٢/رقم ٤٦٢).

وجاء أن الشرك الأصغر هو الرياء كما في الحديث عنه ﷺ أنه قال: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء ...) رواه أحمد من حديث محمود بن لبيد (٤٢٩/٥/ح٢٣٦٨٦) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح. وانظر: "مدارج السالكين" (٢٨٢/١)، و"إعلام الموقعين" (٣٩٩/٤).

(١) انظر: "فصل المقال" (ص ٦٤،٦٥)، وقد أثنى الشيخ أبو بكر على كلام باصبرين بقوله عقبه: ((فانظر إلى تلك العقيدة الصحيحة التي أشار إليها في أول كلامه، وانظر إلى حال من تصدر منهم تلك الألفاظ ...)).

(٢) بمعنى أنه لا يخرج من الملة.

ويمكن أن يحمل كلامه فيمن قال: "يا رسول الله" مع سلامة عقيدته، على من قال ذلك بحكم العادة والإلف، من غير أن يعتقد اعتقاداً مكفراً، مثل اعتقاد أن النبي ﷺ يعلم الغيب، أو أن سمعه يسع أصوات العباد كسمع الله، أو يعتقد أن سؤاله للنبي ﷺ أنفع من سؤاله لله، أو يسأل النبي ﷺ ليقربه إلى الله زلفى، والمعنى أنه لم يقصد العبادة والتقرب لغير الله[١].

وعلى ذلك، فباعتبار النية والقصد: يمكن أن لا يكون الداعي لغير الله مشركاً خارجاً عن ملة الإسلام، كما أنه باعتبار النية والقصد يمكن أن يصير الشرك الأصغر شركاً أكبراً، فمن صدر منه الحلف بغير الله، وهو لا يقصد تعظيم المحلوف به كتعظيم الله، فهذا كفر أصغر لا يخرج عن الملة، لكن لو اعتقد تعظيم المحلوف به كتعظيم الله أو أكثر، كأن يحلف بالله كاذباً، ولا يحلف بمن يعظمه من ولي أو شيخ إلا صادقاً، فهذا شرك أكبر مخرج عن الملة[٢].

فليس كل من تلفظ بدعاء غير الله يكون كافراً خارجاً عن ملة الإسلام -هذا فيما يتعلق بحكمه عند الله- وأما الحكم على ظاهره في أحكام الدنيا، فإنه إذا قامت عليه الحجة، ثم أصر عليه فإنه يكفّر.

ولعل اعتبار أمر النية فيمن تلفظ بدعاء غير الله يشبه مسألة من تلفظ بالطلاق وهو لا ينوي الطلاق، ومن صور المسألة من قال لامرأته: طلقتك، وهو إنما أراد أن يقول لها: طلبتك، فنيته الباطنة تنفعه عند الله، فلا تطلق امرأته، لكن في الأحكام الظاهرة ليس الأمر كذلك، فمن الفقهاء من يأخذ بظاهره ولا يلتفت إلى باطنه،

---

(١) انظر: "ضوابط التكفير" (ص ٣١٣،٣١٤)، ومبحث: "اعتبار المقاصد في نواقض الإيمان" من كتاب "نواقض الإيمان القولية والعملية" د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف. دار الوطن. ط٢. (١٤١٥هـ). (ص٨٥-٩٢).

(٢) انظر: "تيسير العزيز الحميد" باب قول الله: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ (ص ٥٢٩).

ومنهم من يأخذ بالباطن بشرط وجود قرينة، ومنهم من يديّنه فيما بينه وبين الله[1]، وفي المسألة خلاف، والمقصود أن نيته لها أثراً في الحكم الباطن على وجه الخصوص، ولها أثر في الحكم الظاهر.

فمن قال "يا رسول الله" ومراده أن للنبي ﷺ جاهاً عند الله، ونظر لنفسه أنه عبد مذنب كثير الخطأ، فيسأل النبي ﷺ ويتوجه إليه لأنه أقرب إلى الله، وسؤاله إياه أرجى لحصول مطلوبه، فهذا اعتقاد المشركين الأولين سواء بسواء: ﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾[2]، ﴿**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾[3].

وأما من قال "يا رسول الله" ولم يخطر بباله أن ذلك أقرب لحصول مطلوبه، وإنما قاله لسبق لسانه وعادته، ولو نبه إلى وجوب دعاء الله وحده لرجع وتنبه، فإن هذا ليس كالأول، على أن الأمر جد خطير، فإن القلوب تتقلب، والنفوس شديدة التعلق بما تظن فيه قضاء حاجتها وكشف كربتها، والشيطان أحرص ما يكون على إغواء العباد، وأعظم ما يدعو إليه الشرك، فالواجب الحذر كل الحذر من هذه الألفاظ الشركية والبعد عنها، والتمسك بما يحبه الله ويأمر به من إفراده بالدعاء واللجوء والاضطرار إليه سبحانه، كما قال تعالى: ﴿**ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون . فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿**ولقد أخذناهم**

---

(١) انظر: "المغني" (٢٩٥/٧)، "روضة الطالبين" (٥٣/٨)، "حواشي الشرواني" (٢٧/٨)، "فتح الوهاب" (١٢٩/٢)، "الأشباه والنظائر" (٣٢/١).

(٢) سورة "الزمر"، آية رقم: (٣).

(٣) سورة "يونس"، آية رقم: (١٨).

(٤) سورة "الأنعام"، الآيتين رقم: (٤٢،٤٣).

بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾[١]، وقال: **﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾**[٢].

وإن التلفظ بدعاء غير الله أمر في غاية الخطورة، فإن العبد قد يكفر بالكلمة يقولها ولا يتبين فيها، ولا يلقي لها بالاً، كما كان من الذين تنقصوا الرسول ﷺ والصحابة بقولهم: (ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء)[٣] فقال تعالى فيهم: **﴿ولئن سألتهم ليقولون إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون . لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾**[٤].

وقد أخبر سبحانه عن المشركين بقوله: **﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون . ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾**[٥]، ولعله يدخل في ذلك بعض من قصر في السؤال وأعرض عن التعلم.

وقد يكون قال ما قاله وهو يظن أنه يقربه إلى الله، وأنه مما يحبه الله، كما قال تعالى: **﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾**[٦]، وقال

---

(١) سورة "المؤمنون"، آية رقم: (٧٦).

(٢) سورة "النمل"، آية رقم: (٦٢).

(٣) أخرجه الطبري عن ابن عمر رضي الله عنهما: (١٤/٣٣٣/رقم ١٦٩١٢) وقال محمود شاكر: إسناده صحيح، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٨٢٩/رقم ١٠٠٤٧)، وقال في النهج السديد: إسناد ابن أبي حاتم حسن. (ص٢٣٥/رقم ٤٩٣).

(٤) سورة "التوبة"، الآيتين رقم: (٦٥،٦٦).

(٥) سورة "الأنعام"، الآيتين رقم: (٢٢،٢٣).

(٦) سورة "الأنعام"، آية رقم: (١٠٨).

تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾(١)، وقال: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون﴾(٢).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد بيانه حقيقة الشرك: ((إذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب، وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ الآية، وعرفت دين الله الذي بعث به الرسل من أولهم إلى آخرهم، الذي لا يقبل الله من أحد سواه، وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا، أفادك فائدتين:

الأولى: الفرح بفضل الله ورحمته، كما قال تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾(٣)، وأفادك أيضاً الخوف العظيم، فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل، فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله، كما ظن المشركون، فحينئذٍ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله))(٤).

وقد يكون الداعي لغير الله مقلداً لآبائه وكبراء قومه، ولا يعذره ذلك عند الله، كما قال تعالى: ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين . قال الذين

---

(١) سورة "الكهف"، الآيتين رقم: (١٠٣،١٠٤).

(٢) سورة "فاطر"، آية رقم: (٨).

(٣) سورة "يونس"، آية رقم: (٥٨).

(٤) "كشف الشبهات" ضمن "مجموعة التوحيد" (ص ٦٠،٦١) باختصار يسير.

استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين. وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾[١]، وقال تعالى مخبراً عن أهل النار: ﴿**وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**إنهم ألفوا آباءهم ضالين . فهم على آثارهم يهرعون**﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿**وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار . قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد**﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿**وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص**﴾[٥].

وقد يكون المقلد معذوراً، في حالة عجزه عن السؤال والتعلم، فهو كالجاهل الذي لا بصيرة له، وهو معذور بجهله[٦].

ومن المناسب نقل فتوى للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالديار السعودية

---

(١) سورة "سبأ"، الآيات رقم: (٣١-٣٣).

(٢) سورة "الأحزاب"، الآيتين رقم: (٦٧،٦٨).

(٣) سورة "الصافات"، الآيتين رقم: (٦٩،٧٠).

(٤) سورة "غافر"، الآيتين رقم: (٤٧،٤٨).

(٥) سورة "إبراهيم"، آية رقم: (٢١).

(٦) انظر: "نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف". د. محمد بن عبد الله الوهيبي. دار المسلم. ط١. (١٤١٦هـ). (٢/٤٩-٥١).

بخصوص العذر بالجهل لمن يستغيث بأصحاب القبور، جاء فيها: ((يختلف الحكم على الإنسان بأنه يعذر بالجهل في المسائل الدينية أو لا يعذر، باختلاف البلاغ وعدمه، وباختلاف المسألة نفسها وضوحاً وخفاء، وتفاوت مدارك الناس قوة وضعفاً، فمن استغاث بأصحاب القبور دفعاً للضر أو كشفاً للكرب، بين له أن ذلك شرك، وأقيمت عليه الحجة أداء لواجب البلاغ، فإن أصر بعد البيان فهو مشرك، يعامل في الدنيا معاملة الكافرين، واستحق العذاب الأليم في الآخرة إذا مات على ذلك ...))[1].

وسئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: هل يعذر المسلم إذا فعل شيئاً من الشرك كالذبح والنذر لغير الله جاهلاً ؟

فأجاب: ((الأمور قسمان: قسم يعذر فيه بالجهل، وقسم لا يعذر فيه بالجهل.

فإذا كان من أتى ذلك بين المسلمين وأتى الشرك بالله وعبد غير الله، فإنه لا يعذر! لأنه مقصر لم يسأل، ولم يتبصر في دينه، فيكون غير معذور في عبادته غير الله من أموات أو أشجار أو أحجار أو أصنام، لإعراضه وغفلته عن دينه، كما قال سبحانه: ﴿**والذين كفروا عما أنذروا معرضون**﴾[2]، ولأن النبي ﷺ لما استأذن ربه أن يستغفر لأمه لأنها ماتت في الجاهلية لم يؤذن له ليستغفر لها؛ لأنها ماتت على دين قومها عباد الأوثان، ولأنه ﷺ قال لشخص سأله عن أبيه: "هو في النار"، فلما رأى ما في وجهه قال: (إن أبي وأباك في النار)[3]، لأنه مات على الشرك بالله، وعلى عبادة غيره سبحانه وتعالى.

---

(١) "فتاوى اللجنة الدائمة" (٩٦/٢، ٩٩) ط/ أولي النهى، فتوى رقم (١١٠٤٣). نقلاً عن "عارض الجهل وأثره على أحكام الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة" لأبي العلا بن راشد الراشد. ط١. (١٤٢٣هـ). مكتبة الرشد. (ص٤٦٤).

(٢) سورة "الأحقاف"، آية رقم: (٣).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أنس ﷺ : كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ... (١٩١/١/ح٢٠٣).

فكيف بالذي بين المسلمين وهو يعبد البدوي أو يعبد الحسين أو يعبد الشيخ عبد القادر الجيلاني أو يعبد الرسول محمداً ﷺ أو يعبد علياً أو غيرهم ؟! فهؤلاء وأشباههم لا يعذرون من باب أولى، لأنهم أتوا الشرك الأكبر وهم بين المسلمين، والقرآن بين أيديهم، وهكذا سنة رسول الله ﷺ موجودة بينهم، ولكنهم عن ذلك معرضون.

والقسم الثاني: من يعذر بالجهل، كالذي ينشأ في بلاد بعيدة عن الإسلام في أطراف الدنيا، أو لأسباب أخرى، كأهل الفترة ونحوهم ممن لم تبلغهم الرسالة، فهؤلاء معذورون بجهلهم وأمرهم إلى الله عز وجل ...))[1].

---

(١) "مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز" (٢/٥٢٨-٥٣٠) ط/ دار الوطن. نقلاً عن "عارض الجهل" (ص٤٧٦،٤٧٧).

المبحث الثالث: شبهات المخالفين، وجواب الشيخ عنها:

تعرض الشيخ أبو بكر خوقير إلى ذكر أبرز شبهات المخالفين لأهل السنة والجماعة في مسألة دعاء من مات من الأنبياء وغيرهم، وقام بالإجابة عنها رحمه الله.

وفيما بيان ذلك.

المطلب الأول: ما روي مرفوعاً: (إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة، فليناد: يا عباد الله احبسوا...).

أشار الشيخ أبو بكر خوقير إلى هذا الحديث بقوله: ((بقي هنا حديث آخر يحتج به المغررون للجهال على جواز دعاء الميت والغائب، وهو الوارد في أذكار السفر: (إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا، فإن لله حاضراً سيحبسه)[1]))[2].

ثم بين الشيخ ضعف الحديث فقال: ((يجاب عنه بأنه حديث ضعيف، وذكر بعض العلماء أنه حديث منكر، فإنه من رواية معروف بن حسان، وهو منكر الحديث، كما قاله ابن عدي[3])).

ونقل المناوي عن ابن حجر قوله: ((حديث غريب، ومعروف قالوا: منكر الحديث، وقد تفرد به، وفيه انقطاع بين أبي بريدة وابن مسعود))، ونقل عن الهيثمي

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٩/١٧٧/ح٥٢٦٩)، والطبراني في "المعجم الكبير" (١٠/٢١٧/ح١٠٥١٨)، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (١/٤٥٦/ح٥٠٨) كلهم من طريق معروف بن حسان عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن عبد الله بن بريدة عن ابن مسعود مرفوعاً. وهو حديث ضعيف كما هو مبين أعلاه.

(٢) "فصل المقال" (ص٣٧).

(٣) معروف بن حسان السمرقندي أبو ذر، قال عنه ابن عدي: منكر الحديث، وقال عنه ابن أبي حاتم عن أبيه: مجهول. انظر: "الكامل" لابن عدي (٦/٣٢٥)، "الجرح والتعديل" (٨/٣٢٢)، "لسان الميزان" (٦/٦١).

قوله: ((فيه معروف بن حسان وهو ضعيف))[(١)].

وقال سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب عن هذا الحديث: ((قال السيوطي: حديث ضعيف. وأقول: بل هو باطل، إذ كيف يكون عند سعيد عن قتاده ثم يغيب عن أصحاب سعيد الحفاظ الأثبات مثل يحيى القطان وإسماعيل بن علية وأبي أسامة وخالد بن الحارث وأبي خالد الأحمر وسفيان وشعبة وعبد الوارث وابن المبارك والأنصاري وغندر وابن أبي عدي ونحوهم، حتى يأتي به هذا الشيخ المجهول المنكر الحديث، فهذا من أقوى الأدلة على وضعه))[(٢)].

وبين الشيخ أبو بكر أنه حتى على فرض ثبوت الحديث فإنه لا يدل على جواز دعاء غير الله، قال رحمه الله بعد بيانه ضعف الحديث: ((ومع ذلك، فهو لا يدل على دعاء الميت والغائب، لأنه قال فيه: "إن لله حاضراً سيحبسه"، فالمنادى حاضر حي، وكله الله بهذا الأمر، وهو من عباده الذين لا نعلمهم، وما يعلم جنود ربك إلا هو.

وكل عاقل يتيقن أنه ﷺ لا يأمر بمناداة من لا يسمع ولا يعين من ناداه، فلا يعارض هذا الحديث الكتاب والسنة المانعين من صرف الدعاء لغيره تعالى، ولا يعرف عن أحد من أهل العلم والإيمان الذين لهم لسان صدق في الأمة، ولم تأت به شريعة من الشرائع، بل المنقول عن جميع الأنبياء ما يرده ويبطله، كما في الكتاب العزيز ...))[(٣)].

---

(١) "فيض القدير" (١/٣٠٧)، وكلام الهيثمي في "المجمع" (١٠/١٣٢).

(٢) "تيسير العزيز الحميد" (ص٢١١)، وممن ضعف الحديث: محمد بن درويش البيروتي الشافعي (ت١٢٧٧هـ) في كتابه: "أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب" دار الكتب العلمية. ط١. (١٤١٨هـ). (ص ١/٣٩) وقال: ((فيه معروف ابن حسان، منكر الحديث)). وممن ضعفه: الشيخ أحمد ابن عيسى، في "الرد على شبهات المستعينين بغير الله" (ص٦٤١) ضمن "المجموع الفريد".

(٣) "فصل المقال" (ص ٣٧)، وانظر نحو هذا في "تيسير العزيز الحميد" (ص٢١١)، وفي "الرد على شبهات المستعينين بغير الله" (ص ٦٤١،٦٤٢) ضمن "المجموع الفريد".

المطلب الثاني: ما روي أن عثمان بن حنيف ﷺ علّم الدعاء: (يا محمد، إني توجهت بك إلى ربي...) لمن كانت له حاجة عند عثمان ﷺ زمن إمارته.

تقدم ذكر الحديث في مجيء الأعمى إلى النبي ﷺ وسؤاله أن يدعو له، وما علمه النبي ﷺ من الدعاء، غير أنه جاءت رواية للحديث عن راويه عثمان بن حنيف ﷺ جاء فيها أنه علم ذلك الدعاء لمن كانت له حاجة عند عثمان بن عفان ﷺ زمن إمارته.

وهذه الرواية الموقوفة لا تصح بل هي منكرة، لما فيها تفرد بعض الرواة، ومخالفتهم للروايات المحفوظة، ويظهر ذلك من دراسة إسناد الحديث[(١)]:

فالحديث من رواية عثمان بن حنيف، رضي الله عنه.

ورواه عنه ثقتان، هما: عمارة بن خزيمة[(٢)]، وأبو أمامة سهل بن حنيف ﷺ[(٣)].

ورواه عنهما: أبو جعفر الخطمي[(٤)]، وهو ثقة تفرد بالحديث.

ثم رواه عن الخطمي أربعة ثقات:

فمن طريق عمارة بن خزيمة، رواه عن الخطمي: شعبة[(٥)] وحماد بن

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (١/٢٦٥-٢٧٨)، و"النهج السديد" (ص٨٨-٩١)، و"الدعاء" للعروسي (ص٧٣٧-٧٤٣) و"كشف شبهات المخالفين" (ص٢٧٣-٢٧٦).

(٢) انظر في ترجمته: "معرفة الثقات" (٢/١٦٢)، "الثقات" (٥/٢٤٠)، "تقريب التهذيب" (رقم ٤٨٤٤).

(٣) انظر في ترجمته: "معرفة الثقات" (٢/٣٨٤).

(٤) انظر في ترجمته: "معرفة الثقات" (٢/١٩٢)، "الثقات" (٧/٢٧٢)، "تقريب التهذيب" (رقم ٥١٩٠).

(٥) أخرج الحديث من طريقه: الترمذي، كتاب الدعوات، باب (١١٩)، (٥/٥٦٩/ح٣٥٧٨)، والنسائي في "عمل اليوم الليلة" (ص ٤١٧/ح٦٥٩)، وأحمد في المسند (٤/١٣٨/ح١٧٢٧٩)، وابن ماجه، كتاب

سلمة[1].

ومن طريق سهل بن حنيف، رواه عن الخطمي: هشام الدستوائي[2] وروح بن القاسم[3].

واقتصر شعبة وحماد وهشام على الرواية المرفوعة، ولم تأت الرواية الموقوفة إلا عن روح بن القاسم من طريق شبيب بن سعيد الحبطي.

فقد رواه عن روح بن القاسم راويان: عون بن عمارة البصري، واقتصر على المرفوع[4]، والثاني: شبيب بن سعيد الحبطي، واختلف الرواة عنه في ذكر القصة الموقوفة.

وشبيب هذا لا بأس بحديثه، وفي حفظه ضعف، إلا أنه حجة في رواية ابنه أحمد عنه، عن يونس بن يزيد، لأنه كانت عنده نسخة صحيحة عن يونس[5].

إقامة الصلاة .. ، باب ما جاء في صلاة الحاجة (٤٤١/١/ح١٣٨٥)، وابن خزيمة في صحيحه، باب صلاة الترغيب والترهيب (٢٢٥/٢/ح١٢١٩)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (١٦٩/٦/ح١٠٤٩٥)، وغيرهم.

(١) أخرجه من طريقه: أحمد في المسند (١٣٨/٤/ح١٧٢٨١)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (ص٤١٧/ح٦٥٨)، وغيرهم.

(٢) أخرجه من طريقه: النسائي في "عمل اليوم والليلة" (ص٤١٨/ح٦٦٠).

(٣) انظر في ترجمته: "الثقات" (٣٠٥/٦)، "تذكرة الحفاظ" (١٨٨/١)، "تقريب التهذيب" (رقم١٩٧٠).

(٤) أخرجها عنه الحاكم في "المستدرك" (٧٠٧/١/ح١٩٢٩)، وعون بن عمارة ضعيف لكنه وافق الثقات في الاقتصار على المرفوع، وهو ممن يعتد به في المتابعات والشواهد. انظر في ترجمته: "الضعفاء الكبير" (٣٢٨/٣)، "الجرح والتعديل" (٣٨٨/٦)، "الكامل" (٣٨٣/٥)، "تقريب التهذيب" (رقم ٥٢٢٤).

(٥) انظر: "الجرح والتعديل" (٣٥٩/٤)، "الكامل" (٣٠/٤)، "التعديل والتجريح" (١١٥٩/١)، "ميزان الاعتدال" (٣٦١/٣)، "التوسل وأنواعه" (ص٨٤،٨٥).

وقد روى عن شبيب ثلاثة:

١- عبد الله بن وهب، وقد روى الموقوفة(١)، لكن روايته عن شبيب منكرة(٢).

٢- إسماعيل بن شبيب(٣)، ولم أجد له ترجمة، ولم يذكر في الرواة عن أبيه(٤).

٣- أحمد بن شبيب، قال في "التقريب": "صدوق، وروايته عن أبيه عن يونس بن يزيد صحيحة". لكنه هنا يروي عن أبيه عن غير يونس(٥).

وقد روى عن أحمد بن شبيب أربعة، ثلاثة منهم اقتصروا على الرواية المرفوعة، وهم: العباس بن الفرج الرياشي، والحسين بن يحيى الثوري(٦)، ومحمد بن علي الصائغ(٧)، وخالفهم يعقوب بن سفيان الفسوي، فزاد القصة الموقوفة(٨).

---

(١) أخرجها الطبراني في "الدعاء" (١/٣٢٠/ح١٠٥٠)، وفي "المعجم الصغير" (١/٣٠٦/ح٥٠٨)، وفي "المعجم الكبير" (٩/٣٠/ح٨٣١١).

(٢) انظر: "التعديل والتجريح" (١/٣٣٧)، "الكامل" (٤/٣٠).

(٣) أخرجها البيهقي في "الدلائل" (٦/١٦٧).

(٤) كذا قال الألباني: "التوسل وأنواعه" (ص ٨٤).

(٥) انظر في ترجمته: "الجرح والتعديل" (٢/٥٤)، "تهذيب التهذيب" (١/٣١)، "تقريب التهذيب" (رقم ٤٦).

(٦) أخرجه من طريقهما ابن السني في "عمل اليوم والليلة" (ص ٥٨١/ ح٦٢٨). والعباس بن الفرج الرياشي: ثقة، انظر ترجمته في: "سير أعلام النبلاء" (١٢/٣٧٢)، "تقريب التهذيب" (رقم ٣١٨١). والحسين بن يحيى الثوري: لم أجد له ترجمة.

(٧) أخرجه من طريقه الحاكم في "المستدرك" (١/٧٠٧/ح١٩٣٠)، ومن طريق الحاكم أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" (٦/١٦٧). ومحمد بن علي الصائغ: ثقة، انظر ترجمته في: "سير أعلام النبلاء" (١٣/٤٢٨)، وذكره ابن حبان في "الثقات" (٩/١٥٢).

(٨) أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" (٦/١٦٨)، ومن طريقه عبد الغني المقدسي في "الترغيب في الدعاء والحث عليه" (ص١٠٥-١٠٩/ح٦٢). ويعقوب بن سفيان الفسوي: ثقة. انظر ترجمته في: "تذكرة الحفاظ" (٢/٥٨٢)، "تقريب التهذيب" (رقم٧٨١٧).

فتبين أن زيادة القصة الموقوفة إنما جاءت من طريق شبيب عن روح بن القاسم عن الخطمي، خلافاً لسائر الثقات الذين رووا عن الخطمي وهم: شعبة وحماد بن سلمة وهشام الدستوائي، واقتصروا على المرفوع.

وقد ضعف شيخ الإسلام ابن تيمية هذه القصة، فقال: ((فهذه الزيادة فيها عدة علل: انفراد هذا[١] بها عن من هو أكبر وأحفظ منه، وإعراض أهل السنن عنها، واضطراب لفظها، وأن راويها عرف له عن روح هذا أحاديث مناكير))[٢].

كما أن شبيباً خالف عون بن عمارة في الرواية عن روح، فقد اقتصر عون على المرفوع دون الموقوف، كما تقدم.

ثم إن الرواة عن شبيب لم يتفقوا، فروى عنه ابن وهب القصة الموقوفة لكن روايته عن شبيب منكرة، وروى عنه ابنه إسماعيل وهو مجهول لم تذكر له ترجمة ولم يذكر في الرواة عن والده، وروى عن شبيب ابنه أحمد، لكن اختلف الرواة عن أحمد: فثلاثة منهم اقتصروا على المرفوع، وانفرد واحد بذكر القصة الموقوفة.

وخلاصة القول في هذه القصة بينها الألباني، رحمه الله، بقوله: ((وخلاصة القول: أن هذه القصة ضعيفة منكرة، لأمور ثلاثة: ضعف المتفرد بها[٣]، والاختلاف عليه فيها، ومخالفته للثقات الذين لم يذكروها في الحديث، وأمر واحد من هذه الأمور كاف لإسقاط هذه القصة، فكيف بها مجتمعة ؟!))[٤].

---

(١) يعني شبيب بن سعيد.

(٢) "مجموع الفتاوى" (٢٧٨/١)، وقد نقل عن "الكامل" من ترجمة شبيب، وأورد ما ذكره ابن عدي مما أنكر على شبيب من روايته عن روح بن القاسم، انظر: "الكامل" (٣١،٣٠/٤).

(٣) يعني شبيب بن سعيد، ومن ذلك ضعف حفظه، كما بينه الذهبي في ترجمته بقوله: "صدوق يغرب"، "ميزان الاعتدال" (٣٦١/٣).

(٤) "التوسل وأنواعه" (ص ٨٦).

وعلى فرض وقوع مثل هذه القصة، فإنها لا تدل على ما ذهبوا إليه من جواز دعاء النبي ﷺ بعد موته، وهذا ما بينه الشيخ أبو بكر خوقير بقوله: ((وأما ما رُوي من أن عثمان بن حنيف راوي هذا الحديث علّم هذا الدعاء لمن كان له حاجة عند عثمان زمن إمارته بعده ﷺ وعسر عليه قضاؤها، وفعله فقضاها: فذلك رأي من عثمان بن حنيف، قصداً للتبرك بألفاظ النبي ﷺ من غير قصد استغاثة في الشفاعة، إن صحت تلك الرواية، فإن في سنده مقالاً ، بل قال بعضهم: إن أمارات الوضع لائحة عليها[1].

وقد علمت أن الحديث إذا شذ عن قواعد الشرع لا يعمل به، ولو رواه العدل الضابط عن مثله، ومن احتج به على دعاء الميت والغائب فقد خالف نصوص الكتاب والسنة وعمل الصحابة ومن بعدهم، مع أنه ليس فيه دعاء، بل هو توسل بنداء الحاضر[2]، والدعاء أخص من النداء، فليس كل نداء دعاء، إذ الدعاء نداء عبادة متضمن للسؤال والطلب من المنادى لجلب نفع أو دفع ضر، ولو بقرينة المقام، كأن يقول من أشرف على هلاك كالغرق مثلاً: يا الله! فهذا دعاء المضطر، فكيف يدعو المضطر غير الله فيقول: يا فلان! في ذلك المقام، والله يقول: ﴿**أمن يجيب المضطر إذا دعاه**﴾[3].

وكيف يحتج العالم[4] بذلك الحديث على جوازه وقد سمعت ما قررناه، وكيف

---

(١) ومن ذلك ما جاء في القصة أن الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه كان لا ينظر في حاجة ذلك الرجل، ولا يلتفت إليه! وهذا لا يتفق مع ما صح عن النبي ﷺ أن الملائكة تستحيي من عثمان، ومع ما عرف عنه من رفقه بالناس ولينه معهم، وهذا مما يجعل وقوع مثل تلك القصة أمراً مستبعداً. انظر: "التوسل وأنواعه" (ص٨٩).

(٢) يعني أصل الحديث المرفوع.

(٣) سورة "النمل"، آية رقم: (٦٢).

(٤) يعني به : أحمد دحلان، في قوله: ((وليس لابن عبد الوهاب أن يقول: إن هذا إنما كان في حياة النبي ﷺ لأن الدعاء استعملته أيضاً الصحابة والتابعون بعد وفاته ﷺ لقضاء حوائجهم)) ثم ذكر الرواية الموقوفة على عثمان بن حنيف. "خلاصة الكلام" (ص٢٤١)، ونقله عنه في "شواهد الحق" (ص ١٥٥)، وسيأتي نقل الشيخ أبي بكر لبعض كلام أحمد دحلان بلفظه (ص٤٤٨).

يكابر بأن هذا القائل لا يعتقد النفع والضرر فيمن ناداه[١]، وهو يعتقد بأنه يسمع صوته، ولو كان في الشرق والمنادي بالغرب، وأنه يعلم ما نزل به من الشدة وما حل به من الكربة، أفلا يكون نافعاً لمن يعتقد فيه أنه يعلم علم الغيب ؟! ﴿**ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير**﴾[٢]...

ونبينا مع كونه سيد ولد آدم ، وحياً في قبره، لا يعلم الغيب، وهو لا يعلم الغيب في الدنيا، فكيفما بعد وفاته ؟!

فكيف يقول هذا العالم إن ذلك مجاز إسنادي وأن قرينته الإسلام[٣]، وهو لا يمكنه إنكار ما سبق، ثم يقرأ كل يوم في الكتب الفقهية ويقرر في باب الردة ألفاظاً يكفر الناطق بها بمجرد التلفظ بها من غير اعتبار المجاز وتلك القرينة التي صارت له قرينة، فهو إما جاهل أو متجاهل بما صرف القائل: "يا فلان" من العبادات الخاصة به تعالى إلى غيره، والحال ما ذكر.

فوالله إن العامي الذكي ليدرك ذلك بفطرته السليمة لو رجع إليها وخلي بينه وبينها، فقد حكي أن شامياً من العوام كان في سفينة لعبت بها الأمواج، وأشرفت على الغرق، فقام الناس يصيحون وينادون من أعماق قلوبهم: يا رفاعي! يا جيلاني! يا

---

(١) كما في قول دحلان: ((فإن المؤمنين ما اتخذوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الأولياء آلهة وجعلوهم شركاء لله، بل هم يعتقدون أنهم عبيد لله مخلوقون له، ولا يعتقدون استحقاقهم العبادة ولا أنهم يخلقون شيئاً ولا أنهم يملكون نفعاً أو ضراً ...)) "خلاصة الكلام" (ص٢٣٩) ونقله في "شواهد الحق" (ص١٥٢).

(٢) سورة "الأعراف"، آية رقم: (١٨٨).

(٣) كما في قول دحلان: ((فإذا قلت: أغثني يا الله، تريد الإسناد الحقيقي، باعتبار الخلق والإيجاد، وإذا قلت: أغثني يا رسول الله، تريد الإسناد المجازي باعتبار الكسب والتوسط والتسبب بالشفاعة ... وقال العلماء: إن صدور ذلك الإسناد من موحد كاف في جعله إسناداً مجازياً ...)) "خلاصة الكلام" (ص٢٥٤،٢٥٥) ونقله في "شواهد الحق" (ص ١٦٨،١٧٠)، ومناقشة ذلك والجواب عنه في "صيانة الإنسان" (ص٢٢١،٢٣٨،٢٣٧،٢٢٢)، و"الدعاء" للعروسي (٩١٢-٩٣٠).

بدوي! فرفع ذلك الشامي طرفه إلى السماء، وقال: يا سيدي![1] غرق غرق الناس نسيوك! يا سيدي! غرق غرق الناس ما بيعرفوك!

وقد قص الله عن كفار قريش أنهم إذا كانوا في الفلك وهاج عليهم البحر دعوا الله مخلصين له الدين، وإذا نجاهم إلى البر أشركوا، على عكس القصة السابقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((من جوز أن يطلب من المخلوق كما يطلب من الخالق من كشف الشدائد فكفره شر من كفر عباد الأصنام، فإنهم لا يطلبون منها كما يطلب من الله، كما قال: ﴿**قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين. بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون**﴾[2] فبين سبحانه أنه إذا جاء عذاب الله أو أتت الساعة لا يطلبون إلا الله في كشف الشدائد وجلب الفوائد، وقال: ﴿**وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه**﴾[3]، قال: وقد وقع في كثير من ذلك من وقع من العامة وغيرهم))[4].

---

(١) تقدم التعليق على الدعاء بهذا اللفظ (ص٣٥٥).

(٢) سورة "الأنعام"، الآيتين: (٤٠،٤١).

(٣) سورة "الإسراء"، آية رقم: (٦٧).

(٤) "فصل المقال" (ص ٣٥-٣٧)، و لم أقف على كلام ابن تيمية.

المطلب الثالث: خبر مالك الدار في مجيء رجل إلى قبر النبي ﷺ وقوله: يا رسول الله، استسق لأمتك ...

ذكر الشيخ أبو بكر هذه القصة عن مالك الدار[١] أنه قال: ((أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب ﷺ ، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! استسق لأمتك، فإنهم قد هلكوا. فأتاه رسول الله ﷺ ، فقال: ائت عمر، فأقرئه السلام، فأخبره أنهم يسقون، وقل: عليك الكيس الكيس ...)) [٢].

وهذه القصة أخرجها ابن أبي شيبة في "مصنفه"[٣] بإسناده عن مالك الدار، وصحح الحافظ ابن حجر إسنادها[٤]، وأوردها الحافظ ابن كثير عن البيهقي بإسناده إلى مالك الدار، وقال: ((وهذا إسناد صحيح))[٥].

وهذه القصة يستدل بها بعض المخالفين على جواز المجيء إلى قبر النبي ﷺ ونداءه وسؤاله الدعاء[٦].

وهذه القصة لا تصلح للاحتجاج بها، لأنها من فعل رجل مجهول، ولمخالفتها

---

(١) مالك بن عياض الدار، من التابعين، مولى عمر، روى عن أبي بكر وعمر، وكان خازناً لعمر. ترجم له ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين، "الطبقات الكبرى" (١٢/٥)، وأورده ابن حبان في "الثقات" (٣٨٤/٥)، وذكره البخاري في "التاريخ الكبير" (٣٠٤/٧)، وابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (٢١٣/٨) ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وترجم له ابن حجر في "الإصابة" (٢٧٤/٦).

(٢) "فصل المقال" (ص ٤١).

(٣) (٣٥٦/٦/ح٣٢٠٠٢).

(٤) "فتح الباري" (٤٩٥/٢).

(٥) "البداية والنهاية" (٩١/٧، ٩٢).

(٦) منهم أحمد دحلان، في "خلاصة الكلام" (ص ٢٤٢) ونقله في "شواهد الحق" (ص ١٥٥)، وانظر: "الدعاء للعروسي" (ص٨١٦).

ما عرف عن الصحابة من الاستسقاء والدعاء، وعدم المجيء إلى قبر النبي ﷺ في ذلك، وعلى تقدير ثبوتها فلا دلالة فيها.

قال الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله: ((أما ما روي عن البيهقي وابن أبي شيبة فهو فعل رجل مجهول لا يعرف اسمه فضلاً عن حاله، والمدينة في ذلك الزمان يردها أهل الآفاق من العرب والعجم والحاضرة والبادية، وفعله مخالف لما عليه الصحابة رضي الله عنهم، ولو كان هنا غير هذا الرجل المجهول لأورده هذا وأمثاله ممن كلفوا أنفسهم الانتصار للقبوريين ...)).

وقال: ((في هذه الرؤيا المنامية حجة على هذا الرجل وأمثاله، فإنه ﷺ لم يقل: أنا أستسقي لكم، بل أمر عمر أن يستسقي بالناس...)) [(١)].

ثم بين الشيخ أبو بكر تلبيس بعض المخالفين بنسبة هذه الرؤيا إلى الصحابي بلال بن الحارث المزني ﷺ .

قال الشيخ أبو بكر: ((لكن قال بعضهم: "إن الذي رأي هذا ا لمنام بلال بن الحارث"، فأتى به بعض المدلسين في الحديث بدل رجل، ناسباً له إلى البيهقي وابن أبي شيبة[(٢)]، ثم قال: ((وليس الاستدلال بالرؤيا للنبي ﷺ، فإن رؤياه وإن كانت حقاً لكن لا تثبت بها الأحكام، لإمكان اشتباه الكلام على الرائي، وإنما الاستدلال بفعل بلال ابن الحارث في اليقظة، فإنه من أصحاب النبي ﷺ، فإتيانه لقبر النبي ﷺ ونداؤه له وطلبه أن يستسقي لأمته دليل على أن ذلك جائز))[(٣)])) [(٤)].

---

(١) "فصل المقال" (ص ٤٢).

(٢) كما قال أحمد دحلان: ((وروى البيهقي وابن أبي شيبة بإسناد صحيح أن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه فجاء بلال بن الحارث ﷺ إلى قبر النبي ﷺ وقال: يا رسول الله استسق لأمتك ...))، والشيخ أبو بكر يشير إلى أحمد دحلان، كما يظهر من نقله كلامه فيما يلي.

(٣) هذا كلام دحلان، من كتابه "خلاصة الكلام" (ص٢٤٢) ونقله عنه في "شواهد الحق" (ص ١٥٥).

(٤) "فصل المقال" (ص٤١).

وقد أشار الحافظ ابن حجر إلى نسبة هذه الرؤيا للصحابي بلال بن الحارث ﷺ بقوله: ((وقد روى سيف في "الفتوح" أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة))(١).

فتبين أن عزو هذه القصة إلى البيهقي وابن أبي شيبة إنما هو من التلبيس وإضلال الناس.

وأما رواية سيف بن عمر الضبي فلا تقوم بها حجة لشدة ضعفه.

جاء في ترجمته في "التهذيب": ((قال ابن معين: ضعيف الحديث، وقال مرة: فليس خير منه. وقال أبو حاتم: متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي. وقال أبو داود: ليس بشيء. وقال النسائي والدارقطني: ضعيف. وقال ابن عدي: بعض أحاديثه مشهورة وعامتها منكرة لم يتابع عليها. وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات، قال: وقالوا إنه كان يضع الحديث. قلت: بقية كلام بن حبان اتهم بالزندقة. وقال البرقاني عن الدارقطني: متروك الحديث. وقال الحاكم: اتهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط))(٢).

كما أنه جاءت رواية عن سيف بن عمر تبين أن بلال بن الحارث ﷺ إنما رأى النبي ﷺ في المنام يأمره بأن يذكر عمر بالاستسقاء، وليس فيها أنه جاء إلى القبر(٣).

وعلى فرض ثبوت مجيء بلال بن الحارث ﷺ إلى القبر، فلا حجة في ذلك، فإنه مخالف لإجماع الصحابة وسنتهم في الاستسقاء.

---

(١) "فتح الباري" (٤٩٦/٢).

(٢) "تهذيب التهذيب" (٢٥٩/٤)، وانظر: "الضعفاء الكبير" (١٧٥/٢)، "الجرح والتعديل" (٢٧٨/٤)، "الكامل" (٤٣٥/٣)، "المجروحين" (٣٤٥/١)، "تقريب التهذيب" (رقم ٢٧٢٤).

(٣) أخرجها الطبري، "تاريخ الأمم والملوك" (٥٠٨/٢)، وأوردها ابن كثير في "البداية والنهاية" (٩١/٧).

قال الشيخ أبو بكر معلقاً على أثر بلال بن الحارث - على فرض ثبوته- :

((فيا لله العجب! كيف انفرد هذا الصحابي بعمله هذا عن سائر الصحابة، ولِمَ لم يتواردوا على قبره ﷺ ويلتجئوا إليه في جميع ما نزل بهم من المصائب؟! فعلى هذا البعض(١) إثبات نسبة ذلك إلى بلال بن الحارث بالسند الصحيح، ولئن صح فلنا فيه كلام ...)) (٢).

ثم نقل الشيخ أبو بكر خوقير عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: ((وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم، فلم يشرع لنا أن نقول: ادع لنا، ولا: اسأل لنا ربك، و لم يفعل هذا أحد من الصحابة والتابعين، ولا أمر به أحد من الأئمة، ولا ورد فيه حديث، بل الذي ثبت في الصحيح أنهم لما أجدبوا زمن عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس، وقال: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا [فتسقينا]، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، فيسقون، و لم يجيئوا إلى قبر النبي ﷺ قائلين : يا رسول الله ادع لنا، واستسق لنا، ونحن نشتكي إليك مما أصابنا، ونحو ذلك، لم يفعل ذلك أحد من الصحابة قط، بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ...)) (٣).

وقد يستدل البعض برؤيا الرجل للنبي ﷺ في المنام يأمره أن يأتي عمر على مشروعية فعل الرجل بمجيئه إلى قبر النبي ﷺ وسؤاله الاستسقاء، وأن النبي ﷺ يكون قد أقره على فعله.

فبين الشيخ أبو بكر أن تلك الرؤيا لا تدل على مشروعية ما لم يأت الشرع بإثبات مشروعيته، وقد تكون الرؤيا نتيجة أسباب طبعية في الرائي فقال: ((ثم اعلم

---

(١) يعني أحمد دحلان.

(٢) "فصل المقال" (ص٤١،٤٢).

(٣) "فصل المقال" (ص ٤٢)، والنقل عن ابن تيمية من رسالة "زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور" (ص ٢٥).

أن كل من تعلق قلبه بشيء وشغف به، أكثر من ذكره وشخصه في جميع أحواله، ورآه في منامه على حسب استعداد خياله، فينسج الحلم له أشياء عجيبة، كما نرى ممن يغالي في شيخه أو وليه ومعتقده من أهل كل ملة، ينسب إليه كل ما حصل له من خير أصابه، أو فرج من كرب نابه، ويجعل كل ما صادفه من النجاح في أموره كرامة لمن يعتقده، ويذكر له المرائي الطويلة العريضة دون غيره، كما أن الطالب المشغوف بكتابه والبحث فيه لا يرى في نومه إلا تصفح أوراقه والجدال مع رفقائه، وربما انحل له الإشكال في منامه، قال ابن سينا في ترجمته عن نفسه: "ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها، حتى إن كثيراً من المسائل اتضح لي وجهها في المنام".

وذلك أن النائم إنما يحلم بالأمور التي مرت عليه يقظة، أو قامت خيالاتها في ذهنه، أو خطرت بفكره، أو الأمور التي اعتاد الخوف منها أو الفرح بها، فالأحلام مرآة أفكار الإنسان وصور تأثرات عقله، وربما دلت على اعتدال مزاجه أو اعتلاله.

ولسنا ننكر الرؤيا الصالحة، ولكنا نقول: لا ينبني عليها حكم شرعي، لأنها قد تشتبه على الرائي، أو تكون من تحزين الشيطان، أو مما يحدث به الرجل نفسه، كما في الحديث[١])) [٢].

وقد نقل الإمام النووي عن القاضي عياض حكاية الإجماع على أن أمر المنام لا يقطع به، ولا تبطل بسببه سنة ثبتت، ولا تثبت به سنة لم تثبت.

ثم قال الإمام النووي: ((وكذا قال غيره من أصحابنا وغيرهم، فنقلوا

---

(١) أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة ﷺ (٢/٥٠٧/ح١٠٥٩٨) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه الترمذي: كتاب الرؤيا، باب أن رؤيا المؤمن جزء ... (٤/٥٣٢/ح٢٢٧٠)، والدارمي (٢/١٦٨/ح٢١٤٣).

(٢) "فصل المقال" (ص ٤٩، ٥٠).

الاتفاق على أنه لا يغير بسبب ما يراه النائم ما يقرر في الشرع، وليس هذا الذي ذكرناه مخالفاً لقوله ﷺ (من رآني في المنام فقد رآني)[1] فإن معنى الحديث: أن رؤيته صحيحة وليست من أضغاث الأحلام وتلبيس الشيطان، ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي بها؛ لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي، وقد اتفقوا على أن من شرط من تقبل روايته وشهادته أن يكون متيقظاً لا مغفلاً ولا سيئ الحفظ ولا كثير الخطأ ولا مختل الضبط، والنائم ليس بهذه الصفة، فلم تقبل روايته لاختلال ضبطه ...)) [2].

كما بين الشيخ أبو بكر خوقير أن حصول المطلوب من دعاء ما، لا يستلزم كون ذلك الدعاء مشروعاً[3]، فقد تكون الإجابة بسبب شدة حال الداعي واضطراره، أو لأنه دعا بانكسار وذلة، أو أن الله أجابه لمحض فضله ورحمته، أو أنه وافق ما قدره الله، أو أن الله يستدرجه ويمده في غيه[4].

وسيأتي بحث هذه المسألة في المطلب التالي.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ ، أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ (٥٢/١/ح١١٠)، ومسلم: كتاب الرؤيا، باب قول النبي ﷺ من رآني في المنام فقد رآني (١٧٧٥/٤/ح٢٢٦٦).

(٢) "شرح مسلم" (١٥٥/١)، وانظر: "فتح الباري" (٣٧٤/١٢، ٣٧٥، ٣٨٩)، و"الدعاء" للعروسي (ص٨١٣).

(٣) انظر: "فصل المقال" (ص ٤٢، ٤٣).

(٤) انظر: "الجواب الكافي" (ص ٧، ٨)، و"إغاثة اللهفان" (٢٤٣/١، ٢٤٤)، و"الدعاء" للعروسي (ص٨١٤).

المطلب الرابع: ما حصل من الإجابة لبعض من استغاث بالنبي ﷺ.

يكثر المخالفون من إيراد الحكايات التي فيها قضاء حوائج من استغاث بالنبي ﷺ وبغيره من الصالحين، حتى ألفوا في ذلك كتباً، وجمعوا قصصاً كثيرة، ولا شك أن لها أثراً كبيراً على العامة؛ لأن النفوس مولعة بقضاء حوائجها وإزالة ضروراتها[١]، خاصة إذا بلغتهم تلك الحكايات عمن يعتقدون صدقهم وصلاحهم.

وقد أشار الشيخ أبو بكر إلى ذلك بقوله: ((وإنما استرسل القلم في ذلك[٢] لاسترسال الناس في هذا الباب، حتى إنه كل يوم يبدو لنا فيه كتاب.

وأظن أن أول من ألف في ذلك صاحب "مصباح الظلام"[٣] ذكر في خطبته أنه لما رأى كثيراً من العلماء ألفوا كتباً كثيرة فيمن استغاث بالله، وحصل له الفرج بعد الشدة، قصد أن يذكر ما وقع ممن استغاث بالنبي ﷺ ولاذ به! لما قفل مع الحاج سنة (٦٣٩هـ)، والله أعلم))[٤].

ومن أمثلة هذه القصص قصة القسطلاني[٥] التي تعرض الشيخ أبو بكر للرد

---

(١) انظر: "إغاثة اللهفان" (٢٤٣/١).

(٢) يعني الرد على المجوزين لدعاء غير الله والاستغاثة به.

(٣) نسبه في "كشف الظنون" لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن موسى بن النعمان المراكشي المزالي (ت٦٨٣هـ) ونقل عن السيوطي نقله لأول الكتاب، مثل النقل الذي عند الشيخ أبي بكر.

كما جاءت نسبة هذا الكتاب لمؤلفه في "الأعلام" (١١٨/٧).

وانظر في المؤلفات فيمن استغاث بالله فحصل له الفرج بعد الشدة، والمؤلفات في تحسين الاستغاثة بالنبي ﷺ : مقدمة "الاستغاثة" لابن تيمية، تحقيق السهلي (ص ٦٢-٧٠).

(٤) "فصل المقال" (ص ٥١).

(٥) أبو العباس أحمد بن محمد الخطيب القسطلاني الشافعي المصري، توفي سنة (٩٢٣هـ). انظر: "كشف الظنون" (١٨٩٦/٢).

عليها، وفيما يلي نقلها.

((قال القسطلاني: وأما التوسل به ﷺ بعد موته في البرزخ فهو أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصا، ولقد كان حصل لي داء أعيا دواؤه الأطباء، وأقمت به سنين، فاستغثت به ﷺ ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكة، زادها الله شرفاً ... فبينا أنا نائم، إذ جاء رجل معه قرطاس مكتوب فيه: هذا دواء داء أحمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف!

ثم استيقظت فلم أجد بي والله شيئاً مما كنت أجده، وحصل الشفاء ببركة النبي ﷺ))(١).

وهذه القصص ونحوها لا تصلح دليلاً على مشروعية الاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته، وما قد يحصل من الإجابة لا يعني مشروعية السبب، كما قال الشيخ أبو بكر خوقير: ((... أما قول القسطلاني فهو محل النزاع، وأما ما وقع له من الشفاء في المنام وكذا لغيره فلا يصلح للاستدلال، فضلاً عن أن يكون دليلاً قطعياً، فليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي أن يكون مشروعاً مأموراً به ...))(٢).

كما يحتمل أن ما يحصل من الإجابة يكون من عمل الشيطان وإضلاله لهؤلاء لما عدلوا عما أمر الله به من إفراده بالدعاء والاستغاثة، كما قال تعالى: ﴿**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين . وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون**﴾(٣).

---

(١) انظر: "المواهب اللدنية" للقسطلاني. دار الكتب العلمية. عن طبعة المطبعة الشرفية (١٣٢٦هـ). (٣٩٣،٣٩٣/٢)، وانظر: "فصل المقال" (ص ٤٨،٤٩)، وأوردها صاحب "شواهد الحق" (ص ٣٠١).

(٢) "فصل المقال" (ص ٤٩).

(٣) سورة "الزخرف"، الآيتين: (٣٦،٣٧).

قال الشيخ أبو بكر خوقير في ذلك: ((وقد ذكر شيخ الإسلام في كتاب "الفرقان" شيئاً كثيراً من الأحوال الشيطانية مما يعترف به أرباب الدين، قال رحمه الله تعالى: ((ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق، إما حي أو ميت، سواء كان ذلك الحي مسلماً أو نصرانياً أو مشركاً، فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به، ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث، فيظن أنه ذلك الشخص أو هو ملك على صورته، وإنما هو شيطان أضله لما أشرك بالله، كما كانت الشياطين تدخل الأصنام وتكلم المشركين، ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له: أنا الخضر! وربما أخبره ببعض الأمور وأعانه على بعض مطالبه، كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب ...))[١] ثم ذكر أموراً غريبة ...)) [٢].

وبين الشيخ أبو بكر أن الإجابة قد تحصل للسائل مع كون مسألته محرمة، فقال: ((قال في "اقتضاء الصراط المستقيم" في بحث شبه المجوزين قصد القبور للدعاء عندها من بعض المتأخرين بعد المائة الثانية ما نصه: ((فهذه الآثار إذا ضمت إلى ما قدمناه من الآثار، علم كيف كان حال السلف في هذا الباب، وأن ما عليه كثير من الخلف في ذلك من المنكرات عندهم.

ولا يدخل في هذا الباب ما يروى أن قوماً سمعوا رد السلام من قبر النبي ﷺ أو قبور غيره من الصالحين، وأن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرة، ونحو ذلك، فهذا كله حق ليس مما نحن فيه، والأمر أجل من ذلك وأعظم، وكذلك أيضاً ما يروى أن رجلاً جاء إلى قبر النبي ﷺ فشكا إليه الجدب عام الرمادة، فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج يستسقي بالناس، فإن هذا ليس من هذا الباب، ومثل

---

(١) "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" ضمن "مجموع الفتاوى" (٢٨٨،٢٨٧/١١).

(٢) "فصل المقال" (ص ٤٩، ٥٠).

هذا يقع كثيراً لمن هو دون النبي ﷺ، وأعرف من [هذه الوقائع كثيراً](١).

وكذلك سؤال بعضهم للنبي ﷺ أو لغيره من أمته حاجته فتقضى له، فإن هذا قد وقع كثيراً، وليس مما نحن فيه.

وعليك أن تعلم أن إجابة النبي ﷺ أو غيره لهؤلاء السائلين ليس مما يدل على استحباب السؤال، فإنه هو القائل ﷺ: (إن أحدكم ليسألني المسألة وأعطيه إياها، فيخرج بها يتأبطها ناراً! فقالوا: يا رسول الله، فلم تعطيهم قال: يأبون إلا أن يسألوني، ويأبى الله لي البخل)(٢).

وأكثر هؤلاء السائلين الملحين لما هم فيه من الحال لو لم يجابوا لاضطرب إيمانهم، كما أن السائلين له في الحياة كانوا كذلك، وفيهم من أجيب وأمر بالخروج من المدينة، فهذا القدر إذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر، أما أنه يدل على حسن حال السائل فلا، فرق بين هذا وهذا)) (٣).

وأشار الشيخ أبو بكر إلى وجه آخر لظن حصول المطلوب عند دعاء غير الله، فقال رحمه الله: ((وهنا نكتة طبية، وهي أن الوهم أكبر عامل في الإنسان، وهو عند ظنه بنفسه، فمتى تخيل المريض أن شفاءه يكون في الشيء الفلاني، انصرفت نفسه إليه وانفتحت مسامه لتلقيه بأدنى مناسبة، وانبعث دمه في جسمه لذلك، وربما كان الوهم قاضياً على الصحيح،كما هو مشاهد في أيام الوباء ...)) (٤).

فيتبين مما سبق أن حصول المطلوب عند دعاء غير الله لا يعني مشروعية ذلك

---

(١) عند الشيخ أبي بكر خوقير: "من هذا وقائع"، والتصحيح من "اقتضاء الصراط المستقيم" (ص ٣٧٣).

(٢) تقدم تخريجه (ص٣٩٧)، وهو حديث صحيح.

(٣) "فصل المقال" (ص ٤٣)، والنقل عن "اقتضاء الصراط المستقيم" (ص ٣٧٣،٣٧٤).

(٤) "فصل المقال" (ص ٤٩).

الدعاء، فإن دعاء غير الله أعظم ما نهى الله عنه، وحصول مراد الداعي لغير الله لا يغير من حكم الله ولا يبدل دينه، وإنك ترى النصارى يدعون المسيح وأمه ويحصل لهم بعض ما أرادوا، بل قد يحصل لهم شيء من النصر على المسلمين الموحدين، وليس في ذلك دليل على صحة فعلهم ولا قبوله عند الله، والله يقول: ﴿**كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً**﴾[1]، فالعبرة بالرجوع إلى نصوص الشرع وتحقيق مقاصده، وأعظمها وأهمها إخلاص الدين لله.

---

(١) سورة "الإسراء"، آية رقم: (٢٠).

المطلب الخامس: أن إجابة المدعوين، من قبل ما خصهم الله بـه مـن الكرامات.

من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بكرامات الأولياء، ومن ذلك ما أخبر الله عنه في كتابه، وما جاءت به الأحاديث الصحيحة مما وقع لبعض الصحابة في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته.

ومما أخبر الله عنه قوله تعالى عن مريم ابنة عمران: ﴿**كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾[1].

وقد صنف بعض المتقدمين في ذكر كرامات الأولياء، كاللالكائي[2] وغيره، وعقد بعضهم لذلك أبواباً في كتبهم، كالبيهقي في كتابه "الاعتقاد"[3]، ويذكر بعضهم في كتب التراجم ما وقع لأصحابها من بعض الكرامات[4].

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عقيدة أهل السنة في ذلك، فقال: ((ومن أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات، في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات، والمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين

---

(١) سورة "آل عمران"، آية رقم: (٣٧).

(٢) انظر كتابه: "كرامات الأولياء" دار طيبة. الرياض. ط١. (١٤٢٢هـ). (ص ٧٠) وما بعدها.

(٣) عقد باباً بعنوان: "القول في كرامات الأولياء" (ص ٣٠٧) وما بعدها.

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((والكتب المصنفة في كرامات الأولياء وأخبارهم مثل ما في كتاب "الزهد" للإمام أحمد و"حلية الأولياء" و"صفوة الصفوة" و"كرامات الأولياء" لأبي محمد الخلال وابن أبي الدنيا واللالكائي ...)) "منهاج السنة" (١٣٥/٨).

وسائر فرق الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة)) [١].

وهذا ما قرره الإمام محمد بن عبد الوهاب مع تنبيهه إلى أمر مهم، فقال رحمه الله: ((وأقر بكرامات الأولياء وما لهم من المكاشفات، إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئاً، ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله)) [٢].

وهذا هو هدي السلف، الإيمان بما جاءت به النصوص والوقوف عندها، لكن بعض أهل البدع يخرجون النصوص عن وجهها الشرعي لتوافق أهواءهم المخالفة لما هو معلوم من الدين بالضرورة.

فيقولون: ما دام الله قد أعطى الأولياء كرامات، فلم لا نستغيث بهم في كشف الكربات، وإنما نسألهم شيئاً أعطاهم الله إياه[٣] ؟!

ومن أحسن ما يقال في جوابهم: إن الله أعطى الأولياء كرامات، ونهاكم عن دعائهم، فقال: ﴿**فلا تدعوا مع الله أحداً**﴾[٤]، فأمر سبحانه عباده بإفراده بالدعاء، وبين أن دعاء غيره كفر، كما في قوله تعالى: ﴿**حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين**﴾[٥].

---

(١) "الواسطية" (ص ٤٥،٤٦). وقد جاء عن الإمام أحمد أنه قال بجواز كرامات الأولياء، لكن جاء ذلك في رسالته إلى مسدد بن مسرهد، وفي ثبوتها إليه شك كبير. انظر: "العقيدة" مجموعة رسائل للإمام أحمد. دار قتيبة. دمشق. ط١. (١٤٠٨). (ص ١٢٥). وانظر بخصوص رسالة مسدد: "براءة الأئمة الأربعة" (ص ١٠٠-١١٣).

(٢) "مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب" (ص ١١،١٢).

(٣) انظر: "دعاوى المناوئين" (ص ١٤٦).

(٤) سورة "الجن"، آية رقم: (١٨)، وانظر هذا الوجه في "كشف الشبهات" في الجواب على قولهم: إن الله أعطى نبيه ﷺ الشفاعة، فأنا أطلبه مما أعطاه الله. (ص ٦٩) دار الصميعي. ط١. (١٤١٨هـ)، وانظر في الجواب على استدلال المبتدعة بأمر الكرامات على مشروعية الشرك: "دعاوى المناوئين" (ص١٥٢-١٥٦).

(٥) سورة "الأعراف"، آية رقم: (٣٧).

وقد تعرض الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله للجواب عما يزعمه بعض المبتدعة من أن إجابة المدعوين من دون الله لمن استغاث بهم إنما هي من كراماتهم، وأن هذا دليل على مشروعية فعلهم، فقال ناقلاً عن صنع الله الحنفي[١]:

((وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات من الكرامات، فهو من أعظم المغالطة؛ لأن الكرامة شيء من الله تعالى يكرم به أولياءه وأهل طاعته، لا قصد لهم فيه ولا تحدي ولا قدرة ولا علم[٢]، كما في قصة مريم ابنة عمران، وأسيد بن حضير[٣]، وأبي مسلم الخولاني[٤] ...

وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات: فحاشا لله أن تكون أولياء الله تعالى بهذه لمثابة، فهذا ظن أهل الأوثان، كما أخبر الرحمن: ﴿**هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾[٥]، ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾[٦]، فإن ذكر ما ليس شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي أو ولي وغيرهم على وجه الإمداد منهم: إشراك مع الله تعالى؛ إذ لا قادر على الدفع غيره، ولا خير إلا خيره))[٧].

---

(١) (ت ١١٢٠هـ) وتقدمت ترجمته (ص٣٢٥).

(٢) انظر في تعريف الكرامة: "شرح الطحاوية" (ص ٥٨٨)، و"تيسير العزيز الحميد" (ص ٣٦١)، و"دعاوى المناوئين" (ص ١٥٠-١٥٢). وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن من الكرامات ما يكون على سبيل التحدي، كفعل خالد بن الوليد في شربه للسم ليبين أن دين الإسلام حق. انظر: "النبوات" (ص ٥).

(٣) ومن ذلك ما أخرجه البخاري من حديث أنس ﷺ: ((أن أسيد بن حضير ورجلاً من الأنصار خرجا في ليلة مظلمة، وإذا نور بين أيديهما حتى تفرقا، فتفرق النور معهما)) كتاب فضائل الصحابة، باب منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما (٣/١٣٨٤/ح٣٥٩٤).

(٤) انظر شيئاً من كراماته في "كرامات الأولياء" للالكائي (ص١٨٢-١٩٠/رقم ٣٩-٤٩)، وما أورده الذهبي في ترجمته في "سير أعلام النبلاء" (٤/٧-١٤).

(٥) سورة "يونس"، آية رقم: (١٨).

(٦) سورة "الزمر"، آية رقم: (٣).

(٧) "فصل المقال" (ص ١١،١٢)، والنقل عن كتاب "سيف الله على من كذب على أولياء الله" (ص٣٧،٤٨)، وقد نقله عنه في "تيسير العزيز الحميد" (ص ١٩٩،١٩٨).

ومن تلبيس المخالفين على العوام دعواهم أن من أنكر سؤال الحاجات ممن مات من الأنبياء والصالحين فهو مبغض لهم ومنكر لكراماتهم، وهذا ما نبه إليه الآلوسي رحمه الله بقوله: ((من الأمور التي يجب التنبيه عليها: أن من مكايد الغلاة التي كادوا بها العوام أنهم يقولون: إن الاستغاثة بالأموات وندائهم في المهمات وشد الرحال لزيارة قبورهم وتقديم قرابينهم إليها ونذورهم هو من علامات محبتهم، والتقرب بقربتهم، ومن أنكر ذلك وأبى ما هنالك وفهى عن زخرفتها وإيقاد السرج عليها: فهو من المبغضين للصالحين، والمنكرين لكرامات الأولياء والصديقين، إلى غير ذلك من أقوالهم المناسبة لضلالهم، كبرت كلمة تخرج من أفواههم، فإن من أنكر مثل تلك البدع والضلالات هم المحبون لهم، والمحافظون على هديهم وطريقتهم، وأما هؤلاء الغلاة وأعداء الهداة فقد أفسدوا الدين، وسدوا طريق الموحدين ...)) (1).

وإن أهل السنة والجماعة يثبتون كرامات الأولياء والصالحين ويحبوهم ويتقربون إلى الله بحبهم، وهم مع ذلك سائرون على طريقتهم، متبعون لهدي السلف في إخلاص العبودية والدين لله، ولقد وقع لبعض أصحاب النبي ﷺ كرامات مشهورة، لكنهم لم يدعو أصحابها من دون الله، ولم يسألوهم الحاجات والمهمات.

ومن ذلك ما وقع لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وهو يخطب على منبر النبي ﷺ بالمدينة لما جعل يصيح: يا سارية الجبل! يا سارية الجبل! إذ كشف الله له أمر جيش أرسله إلى العراق، فأرشدهم إلى ما فيه نجاتهم ونصرهم(2)، فهل دعا الصحابة بعدها عمر رضي الله عنه من دون الله ؟! وهل عرف عن أحد منهم أنه إذا حمي الوطيس استغاث

---

(1) "غاية الأماني في الرد على النبهاني" لمحمود شكري الآلوسي. ن مكتبة العلم جدة. (٣٧/١).

(2) روى الأثر الإمام أحمد في "فضائل الصحابة" (٢٦٩/١/رقم٣٥٥)، واللالكائي في "اعتقاد أهل السنة" (١٣٣٠/٧/رقم٢٥٣٧) وفي "كرامات الأولياء" (ص١٢٠/رقم٦٧)، والبيهقي في "الاعتقاد" (ص٣١٤)، وحسن ابن القيم إسناده في "الصواعق المحرقة" (٢٩٣/١)، وكذا ابن حجر في "الإصابة" (٦/٣).

بعمر ؟! حاشا وكلا أن يصدر شيء من ذلك عن أحد منهم رضوان الله عليهم، إنما ذلك هو دأب المبتدعة الضلال ومن حذا حذوهم، ممن إذا ذكر الله وحده اشمـــأزت قلوبهم، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون!

المطلب السادس: كثرة النقول التي تحوي الاستغاثة بالنبي ﷺ.

يستدل المجوزون للاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته بكثرة ما جاء في ذلك من النقول، من الشعر والنثر، حتى جمع بعضهم تلك القصائد في مصنفات خاصة، وعقد لها آخرون أبواباً طويلة(١).

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى تلك القصائد، في قوله: ((... فإن دعاء الملائكة والأنبياء بعد موتهم وفي مغيبهم وسؤالهم والاستغاثة بهم والاستشفاع بهم في هذه الحال هو من الدين الذي لم يشرعه الله، ولا ابتعث به رسولاً ولا أنزل به كتاباً، وليس هو واجباً ولا مستحباً، باتفاق المسلمين، ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين، وإن كان ذلك مما يفعله كثير من الناس ممن له عبادة وزهد، ويذكرون حكايات ومنامات، فهذا كله من الشيطان. وفيهم من ينظم القصائد في دعاء الميت والاستشفاع به والاستغاثة، أو يذكر ذلك في ضمن مديح الأنبياء والصالحين، فهذا كله ليس بمشروع ...))(٢).

قال الشيخ أبو بكر خوقير فيما يتعلق بالأشعار المتضمنة للاستغاثة بالنبي ﷺ: ((فإن قيل: ما تقول فيما جاء من ذلك في أشعار الخاصة من أهل العلم والأدب والفطنة ممن تصدى لمدح النبي ﷺ والصالحين، مما لا يتأتى عليه الحصر، ولا يترتب بالاستكثار منه فائدة ؟

---

(١) ومن ذلك ما ذكره النبهاني في كتابه "شواهد الحق" حيث قال: ((الباب الثامن: فيما ورد من النظم في استغاثات العلماء والفضلاء به ﷺ ، ومن قرأها أو بعضها بنية قضاء حاجته يرجى له حصول المقصود، ببركة الاستغاثة به ﷺ ، ومعظم هذه الاستغاثات أخذتها من بعض قصائد المجموعة النبهانية، وما لم يكن منها نبهت عليه أنه ليس في المجموعة))، وقد رتب القصائد على القوافي، وبلغ عددها نحواً من مائة وستين قصيدة، انظر: "شواهد الحق" (ص ٣٤٩-٤٠٦).

(٢) "مجموع الفتاوى" (١/١٥٩، ١٦٠).

فالجواب: أن ذلك لم يقع من قائله إلا لغفلة وعدم تيقظ، ولا مقصد لـه إلا تعظيم جانب النبوة والولاية، ولو نبه لتنبه ورجع وأقر بالخطأ، والشعر مبناه على المبالغة التي تخرج صاحبها عن الحد.

وإذا كان القائل قد صار تحت أطباق الثرى فينبغي إرشاد الأحياء إلى ما في ذلك الكلام من الخلل؛ ليحصل به التنبيه والتحذير لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ... كما قال ذلك الإمام الشوكاني في "الدر النضيد في إخلاص التوحيد" ...)) [١].

وبين الشيخ أبو بكر أن العبرة لا تكون بالكثرة، وإنما تكون باتباع الحق وما دل عليه الدليل، ولو قل أهله، ونقل عن "إعلام الموقعين" قوله:

((واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض[٢].

قال عمرو بن ميمون الأودي[٣]: (صحبت معاذاً باليمن فما فارقته حتى واريته في التراب بالشام، ثم صحبت بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود، فسمعته يقول: "عليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة"، ثم سمعته يوماً من الأيام يقول: "سيلي عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فصلوا الصلاة لميقاتها فهي الفريضة، وصلوا معهم فإنها لكم نافلة". قال: قلت: يا أصحاب محمد، ما أدري ما تحدثونه؟! قال: وما

---

(١) "فصل المقال" (ص ٦٦)، والنقل عن "الدر النضيد" (ص ٥٨) بتصرف يسير.

(٢) ما ذكره ابن القيم من الإجماع هنا يراد به التأكيد على اتباع الحق وإن قل أتباعه، فليس المراد معنى الإجماع عند الأصوليين، وهو اتفاق مجتهدي الأمة في عصر من العصور على حكم شرعي ...

(٣) عمرو بن ميمون الأودي المذحجي الكوفي الإمام الحجة أبو عبد الله، تابعي جليل أدرك الجاهلية وأسلم في الأيام النبوية وقدم الشام مع معاذ بن جبل ثم سكن الكوفة، حدث عن بعض الصحابة، كانت وفاته سنة (٧٤ أو ٧٥هـ). انظر: "سير أعلام النبلاء" (٤/١٥٨-١٦١)، و"الإصابة" (٥/١٥٤).

ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول لي: صل الصلاة وحدك وهي الفريضة، وصل مع الجماعة وهي نافلة ؟! قال: يا عمرو بن ميمون! قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية، تدري ما الجماعة؟ قلت: لا. قال: إن جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك! وفي لفظ آخر: فضرب على فخذي، وقال: ويحك! إن جمهور الناس فارقوا الجماعة، وإن الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى)[1].

وقال نعيم بن حماد: (إذا فسدت الجماعة، فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن يفسدوا، وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذٍ)[2]. ذكرهما البيهقي وغيره.

وقال بعض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الأعظم، فقال: (أتدري من السواد الأعظم؟ هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه)[3].

فمسخ المتخلفون الدين وجعلوا السواد الأعظم والحجة والجماعة هم الجمهور، وجعلوهم عياراً على السنة، وجعلوا السنة بدعة والمعروف منكراً لقلة أهله وتفردهم في الأعصار والأمصار، وقالوا: "من شذ شذ الله به في النار"، وما عرف المتخلفون أن الشاذ ما خالف الحق وإن كان عليه الناس كلهم إلا واحداً منهم، فهم الشاذون، وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل إلا نفراً يسيراً، فكانوا هم الجماعة، وكانت القضاة حينئذٍ والمفتون والخليفة وأتباعه كلهم على الباطل، وأحمد

---

(١) أخرجه عنه صاحب "تاريخ مدينة دمشق" (٤٦/٤٠٨، ٤٠٩) بإسنادين أحدهما من طريق البيهقي، وأورده المزي في ترجمة عمرو بن ميمون، في "تهذيب الكمال" (٢٢/٢٦٤، ٢٦٥).

(٢) أخرجه عنه صاحب "تاريخ مدينة دمشق" (٤٦/٤٠٩) من طريق البيهقي، وأورده المزي في "تهذيب الكمال" (٢٢/٢٦٥).

(٣) جاء ذلك عن إسحاق بن راهويه، انظر: "حلية الأولياء" (٩/٢٣٨)، و"سير أعلام النبلاء" (١٢/١٩٦، ١٩٧).

وحده على الحق، فلما لم يتسع علمه لذلك، أخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل[١]، فلا إله إلا الله، ما أشبه الليلة بالبارحة، وهي السبيل المهيع لأهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم، مضى عليها سلفهم، وينتظرها خلفهم، ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً**﴾[٢])) [٣].

وقال الشيخ أبو بكر عقب النقل السابق، مؤكداً على هذا المعنى: ((ومثل ذلك في كتب الشافعية، منهم أبو شامة، قال في كتاب "البدع والحوادث" [٤]: "وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلاً والمخالف كثيراً؛ لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ ...".

ومنهم الشعراني، قال في كتاب "الميزان": قال سفيان الثوري: (المراد بالسواد الأعظم هو من كان من أهل السنة والجماعة، ولو واحداً)[٥] وفي رواية عنه: لو أن فقيهاً واحداً على رأس جبل، لكان هو الجماعة[٦] ...)) [٧].

---

(١) انظر في فتنة الإمام أحمد: "سير أعلام النبلاء" (١١/٢٣٧) وما بعدها.

(٢) سورة "الأحزاب"، آية رقم: (٢٣).

(٣) "فصل المقال" (ص ٧٠-٧٢)، والنقل عن "إعلام الموقعين" (٣/٣٩٧،٣٩٨).

(٤) "الباعث على إنكار البدع والحوادث". لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة. مكتبة المؤيد. الطائف. (١٤١٢هـ). ط١. (ص ٢٢).

(٥) كتاب الميزان للشعراني طبع بعنوان "الميزان الكبرى" لعبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت٩٧٣هـ). مطبعة مصطفى البابي بمصر. (١٣٥٩هـ). (١/٥٨). وهذا النقل أورده السهسواني في "صيانة الإنسان" (ص ٣٠٨). وذكر في "كشف الظنون" (٢/١٩١٨) كتاب الشعراني هذا بعنوان: "الميزان الشعرانية المدخلة لجميع أقوال الأئمة المجتهدين ومقلديهم في الشريعة المحمدية".

(٦) أوردها ملا علي قاري في "شرح الفقه الأكبر" (ص٨).

(٧) "فصل المقال" (ص ٧٢).

وبهذا يتبين تقرير الشيخ أبي بكر خوقير لوجوب إفراد الله بالدعاء، وتحذيره من صرفه لغيره تعالى، وجهوده في الدفاع عن هذه العقيدة، ورده لأبرز شبهات المخالفين لأهل السنة والجماعة في المسألة، كما قال رحمه الله: ((... وقد بينا بحمده تعالى الجواب عن تلك الشبه بياناً شافياً، وبسطنا القول عما يتعلق بها، فكان وافياً ...))[(١)].

وسيأتي في الفصل التالي بيان ما يتعلق بمسألة إخلاص الدعاء لله من جهة مسائل الشفاعة.

(١) "فصل المقال" (ص٥٧).

الفصل الرابع

الشفاعـــــــــــــة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تقرير الشيخ للشفاعة عند أهل السنة والجماعة.

المبحث الثاني: شبهة القبوريين في الشفاعة، وجـواب الـشيخ عنـها.

المبحث الثالث: الشفاعة عند الفلاسفة ومن تأثر بهم.

المبحث الأول: تقرير الشيخ للشفاعة عند أهل السنة والجماعة.

يقول أهل السنة والجماعة بإثبات الشفاعة على ما جاءت به نصوص الشرع، فقد جاء في نصوص الشرع إثبات نوع من الشفاعة، وجاء نفي نوع آخر، هو الذي يثبته المخالفون تبعاً للمشركين.

فالشفاعة المثبتة هي التي أخبر الله عنها بقوله: ﴿**قل لله الشفاعة جميعاً**﴾(١)، فبين سبحانه أنه مالكها، فلا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، ولا تكون الشفاعة إلا فيمن رضي الله له.

قال الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله: ((قوله تعالى: ﴿**قل لله الشفاعة جميعاً**﴾ قال في "الكشاف" في تفسيره: أي: هو مالكها، فلا يستطيع أحد شفاعة إلا بشرطين: أن يكون المشفوع له مرتضى، وأن يكون الشفيع مأذوناً له)) (٢).

وقد دلت النصوص على هذين الشرطين لحصول الشفاعة عند الله، فدل على شرط الإذن للشفيع قوله تعالى: ﴿**ما من شفيع إلا من بعد إذنه**﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**﴾(٤).

ودل على شرط الرضا عن المشفوع له قوله تعالى: ﴿**وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى**﴾(٥)،

---

(١) سورة "الزمر"، آية رقم: (٤٤).

(٢) "فصل المقال" (ص ٥٣)، والنقل عن "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل" للزمخشري (ت ٥٢٨هـ). دار الكتاب العربي. بيروت. (١٣٦٦هـ). (١٣١/٤).

(٣) سورة "يونس"، آية رقم: (٣).

(٤) سورة "البقرة"، آية رقم: (٢٥٥).

(٥) سورة "النجم"، آية رقم: (٢٦).

قال ابن الجوزي: ((المعنى أنهم لا يشفعون إلا لمن رضي الله عنهم))[١]، وقال الشوكاني: ((﴿إلا من بعد أن يأذن الله﴾ لهم بالشفاعة، ﴿لمن يشاء﴾ أن يشفعوا له، ﴿ويرضى﴾ بالشفاعة له لكونه من أهل التوحيد، وليس للمشركين حظ في ذلك، ولا يأذن بالشفاعة لهم ولا يرضاها لكونهم ليسوا من المستحقين لها))[٢].

وقال تعالى: **﴿يومئذٍ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً﴾**[٣].

وقد جاءت آيات في نفي الشفاعة مطلقاً، كما في قوله تعالى: **﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون﴾**[٤]، وقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين أمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون﴾**[٥].

فهذه الشفاعة المنفية هي التي اعتقدها المشركون وتعلقوا بها، وهي الشفاعة التي تكون من دون الله، أي: من دون إذنه ورضاه، كما في قوله تعالى: **﴿ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع﴾**[٦]، وكقوله سبحانه بشأن المؤمنين: **﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون﴾**[٧].

---

(١) "زاد المسير في علم التفسير" لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ). المكتب الإسلامي. ط٤. (١٤٠٧هـ). (٧٤/٨)، وانظر: "كشف شبهات المخالفين" (ص ٣٠٦).

(٢) "فتح القدير" المكتبة التجارية. مكة المكرمة. (١٥٦/٥).

(٣) سورة "طه"، آية رقم: (١٠٩).

(٤) سورة "البقرة"، آية رقم: (٤٨).

(٥) سورة "البقرة"، آية رقم: (٢٥٤).

(٦) سورة "السجدة"، آية رقم: (٤).

(٧) سورة "الأنعام"، آية رقم: (٥١).

فتبين من هذا أن الناس في الشفاعة على أقسام، فصلها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، في قوله: ((والله سبحانه لم يجعل أحداً من الأنبياء والمؤمنين واسطة في شيء من الربوبية والألوهية، مثل ما ينفرد به من الخلق والرزق وإجابة الدعاء والنصر على الأعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات، بل غاية ما يكون العبد سبباً، مثل أن يدعو أو يشفع، والله تعالى يقول: ﴿**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**﴾[١]، ويقول: ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**﴾[٢]، ويقول: ﴿**وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى**﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً**﴾[٤]، قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء فنهاهم الله عن ذلك[٥]. وقال تعالى: ﴿**ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون**﴾[٦]، فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً كفر.

ولهذا كان الناس في الشفاعة على ثلاثة أقسام:

---

(١) سورة "البقرة "، آية رقم: (٢٥٥).

(٢) سورة "الأنبياء "، آية رقم: (٢٨).

(٣) سورة "النجم "، آية رقم: (٢٦).

(٤) سورة "الإسراء "، الآيتين رقم: (٥٦،٥٧).

(٥) انظر: "تفسير الطبري" (١٥/١٠٣-١٠٦).

(٦) سورة "آل عمران "، الآيتين رقم: (٧٩،٨٠).

فالمشركون أثبتوا الشفاعة التي هي شرك، كشفاعة المخلوق عند المخلوق، كما يشفع عند الملوك خواصهم لحاجة الملوك إلى ذلك، فيسألونهم بغير إذنهم، وتجيب الملوك سؤالهم لحاجتهم إليهم.

فالذين أثبتوا مثل هذه الشفاعة عند الله تعالى: مشركون كفار؛ لأن الله تعالى لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يحتاج إلى أحد من خلقه، بل من رحمته وإحسانه إجابة دعاء الشافعين، وهو سبحانه أرحم بعباده من الوالدة بولدها، ولهذا قال تعالى: ﴿**مالكم من دونه من ولي ولا شفيع**﴾[١]، وقال: ﴿**وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع** ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعاً**﴾[٣]، وقال تعالى عن صاحب "يس": ﴿**أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون . إني إذاً لفي ضلال مبين إني آمنت بربكم فاسمعون**﴾[٤].

وأما الخوارج والمعتزلة فإنهم أنكروا شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر من أمته، وهؤلاء مبتدعة ضلال مخالفون للسنة المستفيضة عن النبي ولإجماع خير القرون.

والقسم الثالث: هم أهل السنة والجماعة، وهم سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان، أثبتوا ما أثبته الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ، ونفوا ما نفاه الله في كتابه وسنة رسوله.

---

(١) سورة "السجدة "، آية رقم: (٤).

(٢) سورة "الأنعام "، آية رقم: (٥١).

(٣) سورة "الزمر "، الآيتين رقم: (٤٣،٤٤).

(٤) سورة "يس "، الآيتين رقم: (٢٣،٢٤).

فالشفاعة التي أثبتوها: هي التي جاءت بها الأحاديث، كشفاعة نبينا محمد ﷺ يوم القيامة إذا جاء الناس إلى آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم يأتونه عليه الصلاة والسلام، قال: (فأذهب إلى ربي، فإذا رأيت ربي خررت له ساجداً فأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الآن، فيقول: أي محمد! ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع)[1] فهو يأتي ربه سبحانه فيبدأ بالسجود والثناء عليه، فإذا أذن له في الشفاعة، شفع، بأبي هو وأمي.

وأما الشفاعة التي نفاها القرآن، كما عليه المشركون والنصارى ومن ضاهاهم من هذه الأمة، فينفيها أهل العلم والإيمان، مثل أنهم يطلبون من الأنبياء والصالحين الغائبين والميتين قضاء حوائجهم، ويقولون: إنهم إذا أرادوا ذلك قضوها، ويقولون: إنهم عند الله تعالى كخواص الملوك عند الملوك يشفعون بغير إذن الملوك ولهم على الملوك إدلال يقضون به حوائجهم، فيجعلونهم لله تعالى بمنزلة شركاء الملك وبمنزلة أولاده، والله تعالى قد نزه نفسه المقدسة عن ذلك، كما قال تعالى: ﴿**وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً**﴾[2]، ولهذا قال النبي ﷺ: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله)[3] ...))[4].

ومن ذلك تتبين حقيقة الشفاعة التي يثبتها أهل السنة والجماعة، وهذا ما قرره

---

(١) متفق عليه من حديث أنس ﷺ أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قول الله: ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها**﴾ (٤/١٦٢٤/ح٤٢٠٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة بها (١/١٨٢/ح١٩٣).

(٢) سورة "الإسراء"، آية رقم: (١١١).

(٣) أخرجه البخاري من حديث عمر ﷺ : كتاب الأنبياء، باب: ﴿**واذكر في الكتاب مريم ...**﴾ (٣/١٢٧١/ح٣٢٦١).

(٤) انظر: "مجموع الفتاوى" (٢٤/٣٤٠-٣٤٣).

الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله بقوله: ((وحقيقة الشفاعة المأذون فيها: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص والتوحيد، فيغفر لهم عقب دعاء الشافعين الذين أذن لهم في المشفوع لهم ليكرمهم على حسب مراتبهم، وينال نبينا ﷺ منه المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون[1] ...

وبالجملة، فقد كان ﷺ يشفع لأمته بدعاء واستسقاء واستغفار في حياته، ويطلب منه أصحابه ذلك، فلما لحق بالرفيق الأعلى لم يطلب منه أحد شيئاً من ذلك، فقد امتاز الله تعالى عن ملوك الدنيا في الشفاعة بأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فهو مالك لها، لا تطلب إلا منه سبحانه وتعالى ...)) [2].

فبين الشيخ أبو بكر عدم مشروعية سؤال النبي ﷺ الشفاعة ولا الدعاء بعد موته، وأن هذا هو هدي الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

وهذا مخالف لما ابتدعه بعض المتأخرين من سؤال النبي ﷺ الشفاعة، كما جاء

---

(١) قال ابن جرير الطبري: ((اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود، فقال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم)) "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" دار الفكر (١٤٣/١٥، ١٤٤).

وقال الحافظ ابن حجر في قوله تعالى: ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً**﴾: ((والجمهور على أن المراد به الشفاعة، وبالغ الواحدي فنقل فيه الإجماع، ولكنه أشار إلى ما جاء عن مجاهد وزيفه. وقال الطبري: قال أكثر أهل التأويل: المقام المحمود هو الذي يقومه النبي ليريحهم من كرب الموقف. ثم أخرج عدة أحاديث في بعضها التصريح بذلك وفي بعضها مطلق الشفاعة ...)) ثم ساق الأحاديث. انظر: "فتح الباري" (٤٢٦/١١، ٤٢٧).

ومن الأحاديث ما جاء عن أبي هريرة ؓ قال: (قال رسول الله ﷺ : في قوله ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً**﴾ سئل عنها فقال هي الشفاعة) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة بني إسرائيل (٣١٣٧/٢٠٣/٥) وحسنه الترمذي، وأخرجه أحمد (٤٤١/٢/ح٩٦٨٢) وقال شعيب الأرنؤوط: "حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف داود".

(٢) "فصل المقال" (ص ٥٣).

عن بعضهم في أدب الزائر لقبره ﷺ: ((... ثم يسأل النبي ﷺ الشفاعة، فيقول: يا رسول الله أسألك الشفاعة! يا رسول الله أسألك الشفاعة!))(١).

وقد بين الشيخ أبو بكر خوقير ما ينبغي أن يقوله من أراد سؤال شفاعة النبي ﷺ، وهو أن يدعو الله ويسأله ذلك، فقال: ((قال السويدي(٢) كما نقله عنه في "جلاء العينين"(٣): ((فينبغي لمن أراد أن يدعو بطلب الشفاعة أن يقول: اللهم لا تحرمني شفاعته، عليه الصلاة والسلام، اللهم شفعه في، ونحو ذلك)) (٤).

وبين الشيخ أبو بكر خوقير أن ثبوت الشفاعة للنبي ﷺ لا يعني مشروعية سؤاله إياها، فإنه قد ثبت أن غيره يشفع، ولا يجوز سؤالهم أو دعاؤهم.

قال الشيخ أبو بكر خوقير: ((ولو كانت تطلب منه ﷺ الآن، لجاز لنا أن نطلبها أيضاً ممن وردت الشفاعة لهم، كالقرآن(٥) والملائكة(٦) والأفراط(٧) - وهم

---

(١) "شرح فتح القدير" لابن الهمام الحنفي (ت ٨٦١هـ) ط٢ .دار الفكر. (١٨١/٣)، وقد نقله عنه في "شواهد الحق" (ص ١٠٠).

(٢) الشيخ علي بن محمد سعيد بن أبي البركات، الشهير بالسويدي البغدادى، له تآليف مفيدة ورسائل عديدة، وهو من المثنين على ابن تيمية وكتبه. كانت وفاته سنة (١٢٣٧هـ). انظر ترجمته بمقدمة كتابه "العقد الثمين". المطبعة الميمنية بمصر. (١٣٢٥هـ)، وترجمته في "جلاء العينين" (ص٥٦).

(٣) (ص ٥١٠) وهذه الجملة ساقطة من "العقد الثمين" المطبوع، وسياقها في (ص١٠٨) منه.

(٤) "فصل المقال" (ص ٥٣).

(٥) كما جاء في حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ: (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل قراءة القرآن ... (٥٥٣/١/ح٨٠٤).

(٦) كما جاء في حديث أبي بكرة ﷺ: (ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء أن يشفعوا ...) أخرجه أحمد (٤٢/٥/ح٢٠٤٥٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥٩/٧/ح٣٤١٩٣)، والبزار في مسنده (١٢٢/٩/٣٦٧١)، والطبراني في المعجم الصغير (١٥٢/٢/ح٩٢٩) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٧) كما في حديث أبي هريرة ﷺ : (ما من مسلمين يموت بينهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهما الله بفضل رحمته إياهم الجنة، قال يقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون: حتى يدخل آباؤنا، فيقال: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم) أخرجه أحمد (٥١٠/٢/ح١٠٦٣٠) والنسائي (٢٥/٤/١٨٧٦) وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (ص١٠٠٧/ح٥٧٨٠).

أطفال المؤمنين- والحجر الأسود[١]، والصالحين، ولجاز لنا أن ندعوهم ونلتجئ إليهم، ونرجوهم بهذه الشفاعة، [إذ لا فرق بين الجميع بثبوت أصل الشفاعة][٢] لهم والإذن فيها، فنصير إذاً والمشركين الأولين في طريق واحد! لم نفترق إلا بالأعمال الظاهرة، كالصوم والصلاة، وقول كلمة التوحيد من غير عمل بما فيها، ومن غير اعتقاد لحقيقتها، ولا يقدم على ذلك من له أدنى مسكة من عقل أو فكرة فيما صح من النقل))[٣]، وقد بيّن[٤] أن جل أحوال المشركين من آلهتهم: التوكل عليهم والالتجاء إليهم بشفاعتهم، ظناً منهم أنها نافعة عنده تعالى ...)) [٥].

فتبين من ذلك حقيقة الشفاعة التي يثبتها أهل السنة والجماعة، وأنها كلها لله، لا تكون إلا بعد إذنه للشفيع ورضاه عن المشفوع له، وإنما يرضى الله من عباده التوحيد وإخلاص الدين له، كما قال تعالى: ﴿**ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[٦]، وكما قال ﷺ: (إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ...)[٧].

وقد تضافرت الأحاديث في كون الشفاعة خاصة للموحدين المخلصين في دعائهم وعبادتهم، فمنها قوله ﷺ: (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله

---

(١) كما جاء عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ : (أشهدوا هذا الحجر خيراً، فإنه يوم القيامة شافع مشفع، له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه) رواه الطبراني في الأوسط (٣/٢٢٠/ح٢٩٧١)، وعنه في "الترغيب والترهيب"، وقد ضعفه الألباني في "ضعيف الترغيب والترهيب" (١/٣٦١/ح٧٢٧).

(٢) سقطت من "فصل المقال" واستدركتها من "جلاء العينين" (ص٥١٠).

(٣) نهاية كلام السويدي، وهو بكتابه "العقد الثمين" (ص ١٠٨).

(٤) يعني: الآلوسي في "جلاء العينين".

(٥) "فصل المقال" (ص ٥٣،٥٤) ناقلاً تتمة كلام السويدي.

(٦) سورة "المائدة "، آية رقم: (٣).

(٧) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ : كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل ... (٣/١٣٤٠/ح١٧١٥).

إلا الله، خالصاً من قلبه، أو من نفسه)(١).

قال ابن القيم رحمه الله: ((قوله: "أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله" سر من أسرار التوحيد، وهو أن الشفاعة إنما تنال بتجريد التوحيد، فمن كان أكمل توحيداً كان أحرى بالشفاعة، لا أنها تنال بالشرك بالشفيع، كما عليه أكثر المشركين))(٢).

ومنها قوله ﷺ: (لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً)(٣).

ومنها قوله ﷺ: (أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة، فهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئاً)(٤).

ومنها حديث الشفاعة الطويل، وفيه قال النبي ﷺ: (ائذن لي فيمن قال: "لا إله إلا الله"، قال: ليس ذاك لك، ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي! لأخرجن من قال: "لا

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ : كتاب العلم، باب الحرص على الحديث (٤٩/١/ح٩٩). وانظر في جمع هذه الأحاديث: "كشف شبهات المخالفين" (ص ٣٣٥).

(٢) "حاشية ابن القيم على سنن أبي داود" دار الكتب العلمية. بيروت. ط٢. (١٤١٥هـ). (٥٦/١٣)، وانظر: "مفتاح دار السعادة" ط.دار الكتب العلمية. (٢٧٠/٢).

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ ، أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة (٢٣٢٣/٥/ح٥٩٤٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته (١٨٩/١/ح١٩٩).

(٤) أخرجه الترمذي من حديث عوف بن مالك الأشجعي ﷺ : كتاب صفة القيامة ... باب (١٣) (٦٣٢/٤/ح٢٤٤١)، وأحمد (٢٩/٦/ح٢٤٠٤٨)، وابن حبان (٣٨٨/١٤/ح٦٤٧٠)، والحاكم (٢٣٧/١/ح٢٢٥) وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (ص٧٢/ح٥٦).

إله إلا الله" ...)[١].

فهذه النصوص وغيرها تبين من تناله شفاعة النبي ﷺ، وأن السبيل الموصل إلى ذلك هو تحقيق التوحيد وإخلاص الدين لله، وإفراده بأنواع العبادة، ومن أجلها الدعاء.

(١) متفق عليه من حديث أنس، أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٢٧٢٧/٦/ح٧٠٧٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٨٣/١/ح١٩٣) واللفظ له.

المبحث الثاني: شبهة القبوريين في الشفاعة وجواب الشيخ عنها.

يتمسك بعض المجوزين لدعاء النبيّ ﷺ بعد موته بما جاء في حديث الشفاعة أن الناس يسألون الأنبياء يوم القيامة الشفاعة فيعتذرون إليهم، حتى ينتهوا إلى النبي ﷺ، فيسألونه الشفاعة.

فيستدل بعضهم بهذا السؤال في عرصات يوم القيامة على مشروعية سؤال النبي ﷺ بعد موته، كما قال بعضهم: ((أما قولهم[1]: "الشفاعة حق، ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله"، فإذا كانت حقاً فما المانع من طلبها ؟ والتقييد بقولهم: "في دار الدنيا" دال على جواز طلبها في الآخرة، كما يدل عليه حديث تشفع الناس بالأنبياء، واعتذار كل منهم، ثم تشفعهم بمحمد ﷺ ... فهل منع الناس من الشرك في الدنيا، وأبيح لهم الشرك في الآخرة ؟!))[2].

وقال آخر: ((لما كانت استغاثة الناس يوم القيامة بالنبي ﷺ هي أعظم الاستغاثات، لشدة كربهم وقتئذٍ، ولظهور فضل النبي ﷺ على سادات المرسلين والخلائق أجمعين، ودلالة ذلك على جواز الاستغاثة به وحسنها ونفعها بعد مماته أيضاً، لوقوعها في حياته الدنيوية والأخروية ...))[3].

وقد بين الشيخ أبو بكر خوقير تلبيس المخالفين وتضليلهم الناس بالاستدلال بحديث الشفاعة العظمى على مشروعية الاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته، فإن الفرق ظاهر بين حاله ﷺ قبل البعث والنشور وحاله بعده، وما يكون من سؤال الناس له في عرصات

---

(١) يعني: الموحدين الذين لا يدعون إلا الله.

(٢) "كشف الارتياب" (ص٢٦٠) باختصار، نقلاً عن "دعاوى المناوئين" (ص٢٨٥)، وانظر استدلال أحمد دحلان بأحاديث الشفاعة يوم القيامة على مشروعية التوسل بالنبي ﷺ في حياته وبعد موته: "خلاصة الكلام" (ص ٢٥٠)، ونقله في "شواهد الحق" (ص ١٦٤).

(٣) "شواهد الحق" (ص ١٢٦).

القيامة إنما هو سؤال للحي الحاضر شيئاً يقدر عليه، هو الدعاء والتشفع عند الله.

قال الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله بعدما ذكر توسل الصحابة بدعاء النبي ﷺ في حياته للاستسقاء، وتوسلهم بعده بدعاء العباس، وتوسل معاوية بيزيد بن الأسود الجرشي، قال: ((كما أنه لا يزال طلب الناس الدعاء من الخيار ومن بعضهم بعضاً، كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يطلبون منه الدعاء في حياته ﷺ ...

ومن هذا الباب استغاثة الناس يوم القيامة بالأنبياء، ثم ينتهون إليه صلوات الله وسلامه عليه وعليهم، فإنما هي طلبهم من الأنبياء أن يدعوا الله تعالى أن يفصل بين العباد بالحساب ...)) [1].

وهذا ما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: ((ومن هذا الباب[2] استشفاع الناس بالنبي ﷺ يوم القيامة، فإنهم يطلبون منه أن يشفع لهم إلى الله، كما كانوا في الدنيا يطلبون منه أن يدعو لهم في الاستسقاء وغيره))[3].

كما يدل على فساد قياس المخالفين للاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته على ما يكون يوم القيامة، أن الصحابة أجمعوا على خلافه، وكذا التابعون وأئمة الدين، فلم ينقل عن أحد منهم أنه سأل النبي ﷺ الشفاعة بعد موته، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، ولو فعلوه لنقله عنهم الثقات العدول.

وهذا ما نبه إليه الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله بقوله: ((وبالجملة، فقد كان ﷺ يشفع لأمته بدعاء واستسقاء واستغفار في حياته، ويطلب منه أصحابه ذلك، فلما لحق بالرفيق الأعلى لم يطلب منه أحد شيئاً من ذلك ...)) [4].

---

(١) "فصل المقال" (ص ٥١،٥٢).

(٢) أي: التوسل إلى الله بدعاء الأحياء من الأنبياء والصالحين.

(٣) "اقتضاء الصراط المستقيم" (ص ٤١٥).

(٤) "فصل المقال" (ص ٥٣).

كما رد الشيخ أبو بكر خوقير على الذين يدعون الأنبياء والصالحين رجاء شفاعتهم، فقال[1] في قوله تعالى: ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير. ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**﴾[2].

قال: ((﴿**ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**﴾: رد على الذين يقولون: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، وعلى القائلين: إن الصالحين الذين نذهب إلى قبورهم نستجير بهم ونستغيث – وإن لم يكونوا ملاكاً ولا ظهراء ولا شركاء- فهم أصحاب رتب ومقامات عند الله، فهم شفعاء، فقال: ﴿**ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**﴾ ...)) [3].

فتبين من هذا فساد قول من استغاث بالنبي ﷺ أو بغيره ودعاه من دون الله، رجاء شفاعته، أو قياساً على ما يكون يوم القيامة، وأنهم بفعلهم هذا قد حرموا أنفسهم الدخول في شفاعة النبي ﷺ، فإنها لا تكون إلا للموحدين، ولا حظ فيها للمشركين، ولا تنفعهم شفاعة الشافعين.

---

(١) ناقلاً عن رسالة محمد طيب المكي في التوحيد، وقد تقدمت ترجمته (ص٩٤).

(٢) سورة "سبأ "، الآيتين رقم: (٢٢،٢٣).

(٣) "فصل المقال" (ص ٦٧،٦٨).

المبحث الثالث: الشفاعة عند الفلاسفة ومن تأثر بهم.

يذهب بعض المخالفين لأهل السنة والجماعة إلى الاعتقاد بأن الزائر لقبر رجل صالح أو نبي من الأنبياء يحصل بين روحه وروح المزور تعلق ومناسبة، بحيث تستمد روحه فيوضات وأنوار من جراء ذلك، وقد يحصل ذلك دون زيارة قبره.

قال أحمد دحلان: ((قد صرح كثير من العارفين أن الولي بعد وفاته تتعلق روحه بمريديه، فيحصل لهم ببركته أنوار وفيوضات ... قال الإمام فخر الدين الرازي في "المطالب"[(١)] في الفصل الثالث عشر في كيفية الانتفاع بزيارة القبور والموتى: إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس كامل الجواهر، ووقف هناك ساعة وحصل تأثير في نفسه حين حصل من الزائر تعلق بزيارة تلك التربة، فلا يخفى أن لنفس ذلك الميت تعلقاً بتلك التربة أيضاً، فحينئذٍ يحصل لنفس الزائر الحي ولنفس ذلك الإنسان الميت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك التربة، فصار هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين متقابلتين، بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى الأخرى، فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف والبراهين والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخشوع لله تعالى والرضا بقضائه تعالى، ينعكس منه نور إلى روح ذلك الإنسان الميت، وكل ما حصل في ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرقة والآثار القوية الكاملة، ينعكس من نوره إلى روح هذا الحي الزائر، وبهذه الطريقة تصير تلك الزيارة سبباً لحصول تلك المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح هذا الزائر، فهذا هو السبب والأصل في مشروعية الزيارة! ...))[(٢)].

---

(١) لعله كتاب "المطالب العالية من العلم الإلهي" كما أفادني بذلك مناقش الرسالة الدكتور محمد عمر. وانظر: "كشف الظنون" (١٧١٤/٢).

(٢) "تقريب الأصول لتسهيل الوصول لمعرفة الرب سبحانه والرسول" لأحمد دحلان. مطبعة مصطفى البابي بمصر. (١٣٨٥هـ). (ص ١١٠). ونقله عنه في "شواهد الحق" (ص ١٤٩-١٥١).

ووفقاً لهذه الفلسفة كان تفسير بعضهم لحقيقة الشفاعة، فقال: ((وأما شفاعة الأنبياء والأولياء، فالشفاعة عبارة عن نور يشرق من الحضرة الإلهية على جوهر النبوة، وينتشر منها إلى كل جوهر استحكمت مناسبته مع جوهر النبوة، لشدة المحبة وكثرة المواظبة على السنن وكثرة الذكر بالصلاة عليه ﷺ.

ومثاله نور الشمس إذا وقع على الماء، فإنه ينعكس منه إلى موضع مخصوص من الحائط لا إلى جميع المواضع، وإنما اختص ذلك الموضع لمناسبة بينه وبين الماء في الموضع ...

ومن استولى عليه التوحيد، فقد تأكدت مناسبته مع الحضرة الإلهية، فأشرق عليه النور من غير واسطة، ومن استولت عليه السنن والاقتداء بالرسول ومحبة اتباعه، لم تستحكم له مناسبته إلا مع الواسطة ... إلى مثل هذا ترجع حقيقة الشفاعة في الدنيا))[1].

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية شناعة هذه العقيدة ومجانبتها الصواب، فقال رحمه الله: ((وقد أحدث قوم من ملاحدة الفلاسفة الدهرية للشرك شيئاً آخر ذكروه في زيارة القبور، كما ذكر ذلك ابن سينا[2] ومن أخذ عنه كصاحب "الكتب المضنون بها" وغيره. ذكروا معنى الشفاعة على أصلهم، فإنهم لا يقرون بأن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ولا أنه يعلم الجزئيات ويسمع أصوات عباده ويجيب دعاءهم، فشفاعة الأنبياء والصالحين على أصلهم ليست كما يعرفه أهل الإيمان من أنها دعاء

---

(١) "المضنون به على غير أهله" لأبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ). المطبعة الميمنية بمصر. (١٣٠٩هـ). ضمن مجموعة رسائل للغزالي. (ص١٩، ٢٠).

(٢) أبو علي الحسين بن عبد الله البلخي، كان من الإسماعيلية، واجتمع فيه مع ذلك الفلسفة، وقد كفره الغزالي، كانت وفاته سنة (٤٢٨هـ). انظر: "سير أعلام النبلاء" (١٧/٥٣٥)، "البداية والنهاية" (١٢/٤٣).

يدعو به الرجل الصالح فيستجيب الله دعاءه، كما أن ما يكون من إنزال المطر باستسقائهم ليس سببه عندهم إجابة دعائهم، بل هم يزعمون أن المؤثر في حوادث العالم هو قوى النفس أو الحركات الفلكية أو القوى الطبيعية.

فيقولون: إن الإنسان إذا أحب رجلاً صالحا قد مات، لا سيما إن زار قبره، فإنه يحصل لروحه اتصال بروح ذلك الميت، فما يفيض على تلك الروح المفارقة من العقل الفعال عندهم أو النفس الفلكية، يفيض على هذه الروح الزائرة المستشفعة، من غير أن يعلم الله بشيء من ذلك، بل وقد لا تعلم الروح المستشفع بها بذلك.

ومثلوا ذلك بالشمس إذا قابلها مرآة، فإنه يفيض على المرآة من شعاع الشمس، ثم إذا قابل المرآة مرآة أخرى، فاض عليها من تلك المرآة، وإن قابل تلك المرآة حائط أو ماء، فاض عليه من شعاع تلك المرآة، فهكذا الشفاعة عندهم، وعلى هذا الوجه ينتفع الزائر عندهم، وفي هذا القول من أنواع الكفر ما لا يخفي على من تدبره ...))[1].

وقد تعرض الشيخ أبو بكر خوقير إلى ذكر مذهب الفلاسفة في الشفاعة، وذلك عند تعليقه على قول المعترض: ((وأيضاً إن الشيخ ما طالع التفاسير كلها وكتب الأحاديث جلها، وإلا لم ينكر التوسل المسنون للسر المخزون!)).

قال الشيخ أبو بكر خوقير: ((أقول: إنا لم ننكر التوسل الوارد في السنة، بل نقتصر على ما ورد في الأحاديث الصحيحة، ولا نخرج عن طريق السلف الصالح في ذلك، وفي جميع ما صح عنهم، فنتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وبالأعمال الصالحة التي لنا، وبخيارنا الصالحين من الأحياء بطلب الدعاء منهم والتأمين على دعائهم، كما نفعل في الاستسقاء، وكما جرت على ذلك عادة السلف والخلف،

---

(١) "مجموع الفتاوى" (١/١٦٧،١٦٨).

كما سيأتي تفصيل ذلك من أنه لا دليل على جواز التوسل بالأنبياء والصالحين بعد مماتهم، وما ذكره المجوزون من الأحاديث: إما أن يكون ضعيفاً لا يصلح للاستدلال، أو أنه دليل عليهم لا لهم، كحديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما.

وأما قول الهندي: "السر المخزون" ومثله في آخر الرسالة، فلم تصل إليه أفهامنا القاصرة، ولا رأيناه في الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، وكأنه مما يدرك بالذوق، ولا تفي بحقه العبارات، كما قال الشاعر:

يلوذون عند العجز بالذوق ليتهم ... يذوقون طعم الحق فالحق كالشهد

نقول لهم ما الذوق قالوا مثاله ... عزيز فلا بالشم يدرك والحد

ففشرهم بالكشف والذوق مشعر ... بأنهم عن مطلب الحق في بعد

ومن يطلب الإنصاف يدلي بحجة ... ويرجع أحياناً ويهدي ويستهدي

نعم، ذكر بعضهم أن عباد القبور والأنفس المفارقة يرون أن تعلق قلب الزائر وروحه بروح المزور سبب لنيل مقصوده وتحصيل نصيب مما يفيض على روح ذلك المزور، كما ذكره الفارابي(١) وغيره من عباد الكواكب والأنفس المفارقة.

قال في "إغاثة اللهفان": ((ومنهم من يعبد أصناماً اتخذوها على صورة الكواكب وروحانياتها بزعمهم وبنوا لها هياكل ومتعبدات لكل كوكب منها هيكل يخصه وصنم يخصه وعبادة تخصه، ومتى أردت الوقوف على هذا، فانظر في كتاب

---

(١) أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان، له تصانيف في الفلسفة عليها تخرج ابن سينا، وكان يقول بالمعاد الروحاني لا الجسماني، وقد كفره الغزالي، كانت وفاته سنة (٣٣٩هـ). انظر: "سير أعلام النبلاء" (٤١٦/١٥)، و"البداية والنهاية" (٢٢٤/١١)، و"شذرات الذهب في أخبار من ذهب" لابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ). مكتبة القدسي. مصر. (١٣٥٠هـ). (٣٥٠/٢)، و"الأعلام" (٢٠/٧).

"السر المكتوم في مخاطبة النجوم" المنسوب إلى ابن خطيب [الرَّي][(١)]، تعرف سر عبادة الأصنام وكيفية تلك العبادة وشرائطها، وكل هؤلاء مرجعهم إلى عبادة الأصنام، فإنهم لا تستمر لهم طريقة إلا بشخص خاص، على شكل خاص، ينظرون إليه ويعكفون عليه، ومن هنا اتخذ أصحاب الروحانيات والكواكب أصناماً زعموا أنها على صورتها. فوضع الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب، فجعل الصنم على شكله وهيئته وصورته ليكون نائباً منابه وقائماً مقامه، وإلا فمن المعلوم أن عاقلاً لا ينحت خشبة أو حجراً بيده ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده))[(٢)]، فمن أمعن النظر في ذلك، فهم في الجملة ذلك السر المخزون المضنون به على غير أهله!))[(٣)].

وبهذا يتبين تقرير الشيخ أبي بكر لمسائل الشفاعة على مذهب أهل السنة والجماعة، ورده على شبهة المخالفين وتلبيسهم وتعلقهم بأحاديث الشفاعة لتجويز الشرك ودعاء غير الله، ثم تعرضه لمذهب الفلاسفة ومن تأثر بهم وبيان ضلالهم في هذا الباب.

---

(١) في فصل المقال المطبوع: [المري]، والتصحيح من "إغاثة اللهفان" (٢/٢٤٠)، وبالحاشية رقم (١): قال محمد حامد الفقي معرفاً بابن خطيب الري وكتابه: ((هو الفخر الرازي، ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة محفوظة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية)).

(٢) نهاية نقل الشيخ أبي بكر خوقير عن "إغاثة اللفهان" (٢/٢٣٩،٢٤٠).

(٣) " فصل المقال" (ص ١٦،١٧).

الباب الرابع

جهود الشيخ أبي بكر خوقير في نقد التصوف

وفيه تمهيد وثلاثة فصول:

تمهيد: نشأة التصوف.

الفصل الأول: تعريف الشيخ بعض المصطلحات وتقعيده بعض القواعد الكلية.

الفصل الثاني: جهود الشيخ في نقد إسناد الخرقة والتلقين.

الفصل الثالث: جهود الشيخ في نقد أنواع من الذكر عند المتصوفة.

تمهيد

نشأة التصوف

إن النفوس البشرية تميل إلى الزيادة والتكثر من الخير، وهي في ذلك قد تصل إلى درجة الغلو والإفراط والخروج عن الجادة، فتحتاج عندئذٍ إلى من يقوم اعوجاجها ويعيدها إلى الوسطية في أمورها، وقد كان رسول الله ﷺ بين أصحابه يعلمهم ويزكيهم ويعظهم، فعصم الله به من الضلالة وهدى به من الغواية، وكان مما عالجه رسول الله ﷺ أمر الغلو في التعبد والخروج عن طريق الشرع وسنة خير المرسلين.

فقد جاء نفرٌ من الصحابة إلى بيوت أزواج النبي ﷺ فسألوا عن عبادته، فكأنهم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟! فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)(١).

فهذا مثال يوضح جنوح النفس ومجاوزتها للوسطية التي اختارها الله لهذه الأمة، قال تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾(٢).

وقد كان رسول الله ﷺ يحذر من الغلو وينهى عنه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ غداة جمع: (هلم القط لي الحصى) فلقطت له

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أنس واللفظ له: كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح ... (١٩٤٩/٥/ح٤٧٧٦)، ومسلم: كتاب النكاح، باب استحباب النكاح ... (١٠٢٠/٣/ح١٤٠١).

(٢) سورة "البقرة" ، آية رقم: (١٤٣).

حصيات مثل حصى الخذف، فلما وضعهن في يده قال: (نعم، بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وقوله: "إياكم والغلو في الدين" عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، والغلو هو مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك، وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار، وهو داخل فيه ...))(٢).

وبعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ظهر ما حذر منه من الفتن، وانفتاح الدنيا والتنافس فيها، واندرست السنن وظهرت البدع الاعتقادية والعملية، ومن ذلك الانقطاع عن الدنيا والمبالغة في الزهد وأخذ النفوس بالشدة خلافاً للتعبد الذي كان على عهد النبي ﷺ وأصحابه، وبعُد أولئك القوم عن العلم والاتباع، وغلب عليهم التكلف والمشقة، ثم أخذ ذلك المنحى في التميز على شكل خاص، وصفة معينة من اللباس والذكر، ثم ظهرت الاصطلاحات الخاصة بالتصوف، والتأثر بالفكر الفلسفي وبغيره من الأمور المخالفة لهدي سيد المرسلين.

قال ابن الجوزي ملخصاً نشأة التصوف ومبيناً أطواره: ((كانت النسبة في زمن رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإسلام، فيقال مسلم ومؤمن، ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد، فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقاً تخلقوا بها ...

---

(١) أخرجه أحمد (١/٢١٥/ح١٨٥١) وقال أحمد شاكر: "صحيح على شرط مسلم"، وأخرجه النسائي: كتاب الحج، باب التقاط الحصى (٥/٢٦٨/ح٣٠٥٧) وابن ماجه: كتاب الحج، باب قدر حصى الرمي (٢/١٠٠٨/ح٣٠٢٩)، وابن خزيمة (٤/٢٧٤/ح٢٨٦٧)، وابن حبان (٦/١٨٣/ح٣٨٧١)، والحاكم (١/١٣٧/ح١٧١١)، وصححه الألباني في "صحيح الجامع الصغير" (ح٢٦٨٠).

(٢) "اقتضاء الصراط المستقيم" (ص ١٠٦).

وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين، ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة، وحاصلها أن التصوف عندهم: رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة، من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق، إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الأخرى.

وعلى هذا كان أوائل القوم، فلبس إبليس عليهم في أشياء، ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم، فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني، فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن.

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات، فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة، فرفضوا ما يصلح أبدانهم، وشبهوا المال بالعقارب، ونسوا أنه خلق للمصالح، وبالغوا في الحمل على النفوس حتى إنه كان فيهم من لا يضطجع، وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة، وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري .

ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا في ذلك، وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقّعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق، وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة، ثم ما زال الأمر ينمي، والأشياخ يضعون لهم أوضاعاً ويتكلمون بواقعاتهم، ويتفق بعدهم عن العلماء، لا بل رؤيتهم ما هم فيه أولى العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر، ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمان فيه فكأنهم تخايلوا شخصاً مستحسن الصورة فهاموا به، وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم، فمن

هؤلاء من قال بالحلول، ومنهم من قال بالاتحاد، وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سنناً))[١].

ومن هذا السرد التاريخي لنشأة التصوف يتضح أنه مر بالمراحل التالية[٢]:

١- الزهد الكلي، وذلك عندما كثر التنافس على الدنيا والاشتغال عن الآخرة، وهنا انقطعوا عن العلم، ورأوا أن العمل هو المقصود والمطلوب وحده.

٢- ظهور التعبدات البدعية، والتي مصدرها الرؤى والمكاشفات، وليس الوحي.

٣- ثم ظهر القول بالباطن والظاهر، والخيالات الفاسدة.

٤- ثم بدأ التأليف والتنظير لهذه البدع.

٥- ثم ظهر من قال بعشق الحق والهيمان فيه، والحلول والاتحاد، وسقوط التكاليف، وغير ذلك من البدع الكفرية.

وهنا صار التصوف نحلة ومذهباً مخالفاً لما كان عليه أهل القرون المفضلة في العبادة والأخلاق والاعتقاد.

---

(١) "تلبيس إبليس" (ص ١٩٩-٢٠٣) باختصار.

(٢) انظر: رسالة "السماع عند الصوفية عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة" رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، لعبد الرحمن بن عبد الرحيم القرشي. (١٤٢١هـ). (ص٦٠).

الفصل الأول

تعريف الشيخ بعض المصطلحات وتقعيده بعض القواعد الكلية.

لقد تناول الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله التعريف ببعض الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بالتصوف؛ نظراً لأهميتها والحاجة إلى معرفتها قبل الشروع في نقد المسائل التي عالجها.

وهذه الألفاظ هي:

- التصوف والصوفية والمتصوفة.
- علم الظاهر وعلم الباطن.
- الشريعة والحقيقة.
- الطريق والطريقة، وذكر بعض طرق الصوفية، وأن الواجب هو الرجوع إلى ميزان الشرع.

وفيما يلي التعريف بهذه الألفاظ.

المبحث الأول: الصوفية والمتصوفة والتصوف.

الصوفية:

تعددت الأقوال في أصل كلمة "الصوفي" وهل هي مشتقة أو غير مشتقة، فعلى القول بأنها مشتقة، قيل بأنها نسبة إلى: الصُّفة، أو الصوف، أو الصف الأول في الصلاة، أو الصفاء، أو رجل اسمه صوفة، إلى غير ذلك، واختار بعض المحققين أن هذا الاسم غير مشتق وأنه بمثابة لقب أطلق على تلك الطائفة من الناس.

ولعل أقرب الأقوال إلى مقتضى اللغة في اشتقاق كلمة الصوفي هو الاشتقاق من الصوف، كما قال الكلاباذي: ((وإن جعل مأخذه من الصوف استقام اللفظ وصحت العبارة من حيث اللغة وجميع المعاني كلها ...))(١).

وقال ابن خلدون: ((والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف، وهم في الغالب مختصون بلبسه، لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف))(٢).

وهذا ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية، ونقله عنه الشيخ أبو بكر خوقير فقال: ((والصوفية: الطائفة من أهل السلوك، واحدها: صوفي ... قال شيخ الإسلام: ((إن هذا التعبير عن الزاهد بالصوفي حدث في أثناء المائة الثانية، لأن لباس الصوف كان يكثر في الزهاد ، ومن قال إنه نسبة إلى الصُّفة التي ينسب إليها كثير من الصحابة ويقال فيهم أهل الصفة، أو نسبة إلى الصفاء، أو الصف الأول، أو صوفة بن مروان بن أد بن طابخة، أو صوفة القفا، فهي أقوال ضعيفة. انتهى(٣).

---

(١) "التعرف لمذهب أهل التصوف" لأبي بكر محمد الكلاباذي (ت٣٨٠هـ). دار الكتب العلمية بيروت. (١٤٠٠هـ).(ص ٢٥).

(٢) "المقدمة" لابن خلدون (٥٨٤/٢)، وانظر: "السماع عند الصوفية" (ص ٤٦).

(٣) النقل عن ابن تيمية، وهو يشبه ما بمجموع الفتاوى (٢٩/١١) وانظر: (٣٦٩/١٠)، (١٩٥،٦/١١).

أي لعدم قياس الاشتقاق في النسبة على الصفاء أو الصف أو الصفة، ولكن إلى الصوف كما قرره ...)).

وقد ذهب بعض من بحث في أصل كلمة "صوفي" إلى أنه غير مشتق، ومنهم القشيري[١]، فنقل عنه الشيخ أبو بكر خوقير قوله: ((وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس الاشتقاق، والأظهر فيه أنه كاللقب، فأما قول من قال: إنه من الصوف، وتصوف إذا لبس الصوف، كما يقال: تقمص إذا لبس القميص، فذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف، ومن قال إنهم منسوبون إلى صفّة مسجد رسول الله ﷺ، فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي، ومن قال إنه من الصفاء، فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة، وقول من قال إنه مشتق من الصف، فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى، فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف)) [٢].

المتصوفة:

يفهم من هذه الكلمة أنها تطلق على من انتسب إلى التصوف و لم يتحقق فيه معناه، وفي ذلك قال الشيخ أبو بكر خوقير: ((وأما المتصوفة فواحدها متصوف، وهو من يتوصل إلى ذلك بالانتماء والانتساب، لا بمعنى المتحقق بذلك الصفاء المفهوم من لفظ الصوفي بغلبة الاستعمال فيه، حتى قيل:

---

(١) عبد الكريم بن هوازن النيسابوري القشيري، الإمام الزاهد الصوفي المفسر، توفي سنة (٤٦٥هـ). انظر: "سير أعلام النبلاء" (١٨/٢٢٧-٢٣٣).

(٢) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ١٥)، والنقل عن الرسالة للقشيري (٢/٢١٧)، وممن قال بعدم اشتقاق الكلمة: علي بن عثمان الهجويري (ت ٤٥٦هـ) في كتابه "كشف المحجوب" (ص ٤٥-٩٨)، وابن خلدون أيضاً. انظر: رسالة: "السماع عند الصوفية" (ص٤٨).

وليس بشهر بالصوفي في غير فتى صافي فصوفي حتى سمي الصوفي[١]

التصوف:

يصعب بيان معنى التصوف في الاصطلاح نظراً لتعدد التعاريف الواردة عن أصحابه في بيان معناه، ولتغير التصوف من عصر لآخر واختلافه، فتجد كلامهم في مبدأ الأمر عن تزكية النفس والسمو بها عن النقائص، ثم تظهر تعاريف فيها غموض ورموز إلى معاني باطنية، وحاصل ما وجد من كلام أهل العلم في تعريف التصوف بما يتضمن الثناء عليه يعود إلى التصوف في مبدئه، حينما كان ملتزماً بالكتاب والسنة في الجملة.

وقد جاء في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية تقسيم أهل التصوف إلى أنواع، مع ثنائه على بعض من ينسب إلى التصوف لالتزامه نهج الكتاب والسنة في تصوفه، فقال في كلامه عن ابن عربي[٢] وأمثاله: ((وإن ادعوا أنهم من الصوفية، فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة، ليسوا من صوفية أهل العلم، فضلاً عن أن يكونوا من مشايخ أهل الكتاب والسنة، كالفضيل بن عياض[٣] وإبراهيم بن أدهم[٤] وأبي سليمان

---

(١) ينسب البيت إلى أبي الفتح علي بن محمد بن حسين البستي (ت ٤٠٠هـ). انظر ترجمته في "الأعلام" (٤٢٦/٤). انظر: "المصادر العامة للتلقي عند الصوفية" (ص٢٩) نقلاً عن رسالة "السماع عند الصوفية" (ص ٤٤). والنقل عن "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ١٢-١٤).

(٢) محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، صاحب فصوص الحكم وغيره من التصانيف في الفلسفة والقول بوحدة الوجود، توفي سنة (٦٣٨هـ). انظر: "لسان الميزان" (٣١١/٥-٣١٥).

(٣) الفضيل بن عياض بن مسعود التيمي، عابد زاهد مشهور، توفي سنة (١٨٧هـ). انظر: "طبقات الحفاظ" (ص١١٠)، "تاريخ مدينة دمشق" (٣٧٨/٤٨).

(٤) إبراهيم بن أدهم بن منصور، زاهد من رواة الأحاديث المقبولين، توفي سنة (١٦٢هـ). انظر: "الثقات" لأبي حاتم (٢٤/٦)، "تاريخ مدينة دمشق" (٢٧٧/٦)، "تقريب التهذيب" (ص٨٧، رقم١٤٤).

الداراني[١] ومعروف الكرخي[٢] والجنيد بن محمد[٣] وسهل بن عبد الله التستري[٤] وأمثالهم رضوان الله عليهم أجمعين))[٥].

وقد تحدث الشيخ أبو بكر خوقير عن معنى التصوف ونقل بعض العبارات في ذلك، فقال: ((اختلفت عبارات الناس في معنى التصوف والصوفي، وكل واحد عبر بما وقع له، وقد أنهاها بعضهم [ ][٦].

ويؤخذ من كتاب "حلية الأولياء" لأبي نعيم من كل ترجمة معنى.

قال الغزالي: هو تجريد القلب لله واحتقار ما سواه، قال: وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح. وقد أوضحه بعضهم بقوله: هو علم يعرف منه أحوال النفس في الخير والشر وكيفية تنقيتها من عيوبها وآفاتها وتطهيرها من الصفات المذمومة والرذائل والنجاسات المعنوية التي ورد الشرع باجتنابها والإتيان بالصفات المحمودة التي طلب الشرع تحصيلها وكيفية السلوك والسير إلى الله تعالى والفرار إليه. اهـ.

---

(١) أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد، وقيل غير ذلك، الإمام زاهد العصر، توفي سنة (٢١٥هـ). انظر: "سير أعلام النبلاء" (١٠/١٨٢-١٨٦).

(٢) معروف بن فيروز الكرخي، كان عابداً صالحاً كثير المناقب، توفي سنة (٢٠٠هـ). انظر: "سير أعلام النبلاء" (٩/٣٣٩-٣٤٥).

(٣) الجنيد بن محمد البغدادي، هو شيخ الصوفية، ولد نيف وعشرين ومائتين، وكان مثالاً للعفة والعزوف عن الدنيا، وتوفي سنة (٢٩٧هـ)، انظر: "حلية الأولياء" (١٠/٢٥٥-٢٨٦)، و"صفة الصفوة" (٢/٢١٦-٢٢٤)، و"سير أعلام النبلاء" (١٤/٦٦-٧٠).

(٤) سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم، توفي سنة (٢٨٣هـ)، انظر: "سير أعلام النبلاء" (١٣/٣٣٠-٣٣٣).

(٥) "مجموع الفتاوى" (١١/٢٣٣).

(٦) موضع بياض بالمخطوط. وقد قال القشيري في تعداد تعاريف التصوف "إنها تربو على الألفين !"، "الرسالة" للقشيري (ص ٢٧٩) وانظر: رسالة "السماع عند الصوفية" (ص ٤٩-٥٥).

وأقول: هو تخلية النفس مما يبعدها عن ربها، وتحليتها بما يقربها إليه. وربما كان تفخيم الألفاظ والتعبير عنه لتفخيم مقام القائل في عين السامع.

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني في "الفتح الرباني": الصوفي من صفا باطنه وظاهره بمتابعة كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فكلما ازداد صفاؤه خرج من بحر وجوده ويترك إرادته واختياره ومشيئته من صفاء قلبه. انتهى)) [(١)].

وذكر الشيخ أبو بكر خوقير المصادر الرئيسة في دراسة التصوف، فقال: ((أما هذا العلم فتدور رحاه على تآليف مشهورة هي ألصق به وأمس بقواعده، خلافاً لبعضها مما يرجع إلى علم الأخلاق، وهي أعني المشهورة: كتاب "التعرف" للكلاباذي، و"الرسالة" للقشيري، و"العوارف" للسهروردي[(٢)]، و"منازل السائرين" للإمام الأنصاري، وهو شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي الفقيه الحنبلي المفسر الصوفي المتوفى سنة (٤٨١هـ) وهو أحسن ما صنف في هذا الفن باعتراف القوم واعتنائهم بوضع شروح عليه، وضعه في خمسين صحيفة بكلمات لطيفة في اللفظ خفيفة في الحفظ ...

وقد شرحه جماعة منهم: أحمد بن إبراهيم الواسطي المتوفى سنة (٧١١) وشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم المتوفى سنة (٧٥١) وسمى شرحه "مدارج السالكين" وهو شرح مبسوط في جلدين، وعلق عليه أبو طاهر محمد بن أحمد الغيثي المتوفى سنة (٧٤٧) ...)) [(٣)].

---

(١) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ١٢،١٣)، وانظر في معنى التصوف: "التعرف لمذهب أهل التصوف" للكلاباذي (ص ٢١-٢٧، ٩١-٩٢)، و"الرسالة" للقشيري (٢٧٩-٢٨٣)، و"أبجد العلوم" لصديق حسن خان القنوجي. دار الكتب العلمية. بيروت. (١٩٧٨). (٢/١٥٢-١٦٤).

(٢) "عوارف المعارف" لأبي حفص عمر بن محمد السهروردي (ت ٦٣٢هـ)، طبع بدار المعارف. مصر. تحقيق عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف. وانظر: "كشف الظنون" (٢/١١٧٧).

(٣) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ١٢،١٤)، وانظر في شروح "منازل السائرين": "كشف الظنون"(٢/١٨٢٨).

وقال أيضاً: ((وقد توسط العلامة ابن القيم فشرح كتاب "منازل السائرين" للأنصاري الشهير بين أهل الفقه والحديث والتصوف، فسلك في شرحه "مدارج السالكين" ما يأخذ بقلوب السامعين، وكل من نظر فيه يحكم بأنه تصوف الكتاب والسنة، وهو تحت الطبع ولله الحمد، وألف الحافظ ابن الجوزي كتاباً على طرز الإحياء للغزالي[1]، واختصره الموفق ابن قدامة وسماه "منهاج القاصدين"، وهو نفيس إلى الغاية))[2].

---

(١) لابن الجوزي كتاب: "منهاج القاصدين" قال عنه في "كشف الظنون" (١٨٧٨/٢) : ("منهاج القاصدين" لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي، المعروف بابن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧) وهو على أسلوب "الإحياء" لكنه حذف منه الأحاديث الواهية ومذاهب الصوفية التي لا أصل لها). وهو مطبوع.

(٢) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٢٣).

المبحث الثاني: علم الظاهر وعلم الباطن.

تقسيم العلم إلى ظاهر وباطن يكون على عدة اعتبارات، منها ما يرجع إلى معنى صحيح لا محذور فيه، ومنها ما يرجع إلى معنى باطل يرده الشرع.

ويمكن إجمال اعتبارات تقسيم العلم إلى ظاهر وباطن في ثلاثة أنواع:

الأول: أن علم الظاهر هو ما ظهر على اللسان من الفتاوى والأحكام، وأن علم الباطن ما كان في القلب من الخشية والخشوع وسائر الأمور القلبية.

الثاني: أن علم الظاهر هو ما ظهر على اللسان دون موافقة ما في القلب، فهو علم لا ينفع، ويقابله العلم النافع الذي يقع في القلب ثم يظهر على اللسان. ويكون العلم النافع ما عمل به صاحبه فانتفع به، بخلاف العلم الذي لا ينفع إذ لم يعمل به صاحبه، أو عمل به مجرداً عن الإخلاص وابتغاء وجه الله.

الثالث: أن علم الظاهر هو الذي يحصله صاحبه من طريق ظاهر، كسماع حديث، أو دراسة أو سؤال عالم أو نظر في كتاب، وأما علم الباطن فهو ما يحصل لصاحبه من طريق خفي، كالكشف[١] أو الإلهام[٢] أو الهواتف[٣] أو التلقي مباشرة عن الله أو رسوله أو

---

(١) الكشف: الاطلاع على الأمور الغيبية بدون حجاب. انظر: "الرسالة" للقشيري (٢٢٦/١)، "الإحياء" (١٩/١)، "مصرع التصوف" برهان الدين البقاعي (٨٨٥هـ). نشر مكتبة عباس أحمد باز. (١٤٠٠هـ). (ص١٩٠-١٩٥). "التعريفات" للجرجاني (ص٢٣٧)، ورسالة: "السماع عند الصوفية عرض ونقد ..." (ص ١١٥) وما بعدها، ورسالة: "ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع" رسالة ماجستير لعبد الرحمن محمود خليفة. بجامعة أم القرى، مطبوعة بدار طيبة الخضراء (١٤٢٤هـ) ط١. (ص٣٨٨) وما بعدها.

(٢) الإلهام: ما يُلقى في الروع مما يطمئن إليه القلب. انظر: "لسان العرب" (٥٥٥/١٢)، "مختار الصحاح" (ص ٢٥٣)، "التعريفات" (ص ٨٩)، "ذكر الله بين الاتباع والابتداع" (ص ٣٩٢).

(٣) الهواتف: الصوت المسموع من غير أن يبصر أحداً. انظر: "لسان الميزان" (٣٤٤/٩)، "مدارج السالكين" (٤٦/١، ٤٦١/٢).

غيرهما[١]، ويكون ثمرة لحالة خاصة من تعبد أو سماع أو زهد وجوع وخلوة[٢].

وهذا الاعتبار الثالث في التقسيم هو المتعلق بالصوفية، فإنهم سموا علم الشريعة علم الظاهر وذموا طلبه والاشتغال به، كما قال ابن الجوزي رحمه الله: ((ومن الصوفية من ذم العلم، ورأى أن الاشتغال بالعلم بطالة، وقالوا: إن علومنا بلا واسطة، وقد سموا علم الشريعة: علم الظاهر، وسموا هواجس النفوس: العلم الباطن))[٣].

وقال الغزالي رحمه الله: ((فإذا عرفت هذا، فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية، فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الأقاويل المذكورة))[٤].

ومن الأحاديث الباطلة في هذا الباب، ما يروى: (من أراد أن يؤتيه الله علماً بغير تعلم، وهدىً بغير هداية، فليزهد في الدنيا !)[٥].

وقد يقال بأن من ثمرات الإخلاص والاجتهاد في طاعة الله توفيق العبد للعلم، كما قيل: (من عمل بما عمل ورّثه الله علم ما لم يعلم)[٦]، وأيضاً قول بعض السلف:

---

(١) انظر: "ذكر الله بين الاتباع والابتداع" (ص ٣٩٥-٤٣٤).

(٢) انظر: "تلبيس إبليس" (ص٣٩٩)، والخلوة: محادثة السر مع الحق حيث لا أحد ولا ملك! والخروج منها يعرف بالجلوة. "التعريفات" للجرجاني (ص ٢٥٠).

(٣) "تلبيس إبليس" (ص ٣٩٠،٣٩١) تحت: ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك التشاغل بالعلم، ثم ذكر بعده تلبيس إبليس عليهم في إنكارهم على من تشاغل بالعلم (ص ٣٩٩)، وانظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الباب في "مجموع الفتاوى" (١٠/٤١١-٤١٥).

(٤) "إحياء علوم الدين" (٣/٣٠).

(٥) "كشف الخفاء" (٢/٢٨٧) وقال: قال القاري: لم يوجد له أصل، "الفوائد المجموعة" (١/٣٨٦/ح٤٥)، "الأحاديث التي في الإحياء ولم يجد لها السبكي إسناداً" (٦/٣٧١).

(٦) يروى عن أنس مرفوعاً ولا يصح، ذكره أبو نعيم في الحلية وقال عقبه: (ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى ابن مريم عليه السلام فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي ﷺ فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل) "حلية الأولياء" (١٠/١٥)، وهذا ما ذكره السخاوي في "فتح المغيث" (١/٢٦٥،٢٦٧) وعده مثالاً للموضوع، وقد

(من عمل بما علم وفق لما لم يعلم)[1]، وهذا معنى صحيح، فمن عمل بعلمه بارك الله له فيه، وحفظه وعلّمه غيره وانتفع الناس به، ووفقه الله لطلب علوم أخرى.

ولكن ليس هذا مراد الصوفية، بل مرادهم سد باب التعلم الذي أمر الله به ورسوله[2]، وفتح باب آخر للتعلم بلا نصب ولا تعب يأتي عن طريق الفيوضات والكشوفات، كما قال بعض شيوخ الصوفية:

((اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك أن الرجل لا يكمل في مقام العلم حتى يكون علمه عن الله عز وجل بلا واسطة من نقل أو شيخ، فإن من كان علمه مستفاداً من نقل أو شيخ فما برح عن الأخذ عن المحدثات، وذلك معلوم عند أهل الله، ولو أنك يا أخي سلكت على يد شيخ من أهل الله عز وجل لأوصلك إلى حضرة شهود الحق تعالى! فتأخذ منه العلوم من طريق الإلهام الصحيح، من غير تعب ولا نصب ولا سهر... وكان الشيخ الكامل أبو يزيد البسطامي[3] يقول لعلماء عصره: أخذتم علمكم عن علماء

أورده الشوكاني في "الفوائد المجموعة" (١/١٢٣/ح٤٥) وقال: ضعيف. وانظر: "الأحاديث التي في الإحياء ولم يجد لها السبكي إسناداً" (٦/٢٩٠).

(١) يذكر عن سفيان بن عيينة، كما في "الدر المنثور" (٢/١٢٣)، ويذكر عن الفضيل بن عياض، كما في "تهذيب الكمال" (٢٣/٢٩١)، و"تاريخ مدينة دمشق" (٤٨/٤١٤) و"سير أعلام النبلاء" (٨/٤٢٧).

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿**ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون**﴾[آل عمران، آية ٧٩] وفي قوله تعالى: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ [النحل، آية ٣٦] وكما في قوله ﷺ : (أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل) أخرجه مسلم من حديث عقبة بن عامر، كتاب صلاة المسافرين، باب: فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، (١/٥٥٢/ح٨٠٣).

(٣) أبو يزيد بن طيفور بن عيسى البسطامي، أحد شيوخ الصوفية المشهورين، تحكى عنه كلمات شطح، كانت وفاته سنة (٢٦١هـ). انظر: "سير أعلام النبلاء" (١٣/٨٦-٨٩)، "البداية والنهاية" (١٤/٥٥٦،٥٥٧).

الرسوم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت![1]))[2].

وقد بين الشيخ أبو بكر خوقير انقسام العلم إلى ظاهر وباطن باعتبار أن الظاهر ما ظهر على اللسان، وأن الباطن ما كان في القلب، فقال رحمه الله: ((علم الباطن وعلم الظاهر: فالأول هو ما باشر القلب ورسخ فيه، فأقر فيه معرفة الله وعظمته وخشيته وإجلاله وتعظيمه ومحبته، ومتى سكنت هذه الأشياء في القلب خشع فخشعت الجوارح كلها تبعاً لخشوعه وتنوعت لصاحبه معارف من أعمال قلبية وهي كثيرة، فيقال له: علم القلب.

والثاني: علم الظاهر مما يظهر على اللسان من الفتاوى والأحكام والحلال والحرام والقصص والوعظ وغيره.

قال الحسن: (العلم علمان: علم على اللسان، فذاك حجة الله على ابن آدم، وعلم في القلب فذاك العلم النافع)[3] ...)) [4].

---

(١) نسب هذا القول إلى البسطامي في "تلبيس إبليس" (ص ٣٩٢)، ونسبه إلى أهل التصوف في "التعرف لمذهب أهل التصوف" (ص ٦).

(٢) "جواهر المعاني وغاية الأماني في فيض التجاني" علي حرازم. دار الكتاب العربي بيروت. ط٢. (١٣٩٣هـ). (١/١١). وانظر: "ذكر الله بين الاتباع والابتداع" (ص ٢٤٧).

(٣) أخرجه الدارمي موقوفاً على الحسن (١/١١٤/ح٣٦٤)، وقال المعلق على أحاديثه الشيخ حسين أسد: (إسناده صحيح إلى الحسن وهو موقوف عليه). وقال المنذري: رواه ابن عبد البر النمري في كتاب العلم عن الحسن مرسلاً وإسناده صحيح، (الترغيب والترهيب) (١/٥٨/ح١٣٩)، وكذا جاء عن الحسن مرسلاً في "مصنف ابن أبي شيبة" (٧/٨٢/ح٣٤٣٦١)، وفي كتاب "الزهد" لابن المبارك (٤٠٧/ح١١٦١).

وجاء الحديث عن الحسن عن جابر مرفوعاً، أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (٤/٣٤٦/ح٢١٧٩)، وحكم عليه الألباني بالضعف، كما في "ضعيف الترغيب والترهيب" (١/٥١/ح٦١). وجاء عن الحسن عن أنس مرفوعاً كما في "طبقات المحدثين بأصبهان" (٤/١٠١/ح٥٦٦) وحكم عليه الألباني بالضعف الشديد، انظر: "ضعيف الترغيب والترهيب" (١/٥٢/ح٦٩)، وانظر: "ضعيف الجامع الصغير" (ح٣٨٧٨).

(٤) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ١).

وأشار الشيخ أبو بكر خوقير إلى تقسيم العلم إلى ظاهر وباطن بالاعتبار الثاني، وهو تقسيم العلم إلى نافع وغير نافع، فقال رحمه الله: ((وقد تعوذ ﷺ من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع[١]، وفي حديث أنس قال ﷺ: (سلوا الله علماً نافعاً وتعوذوا بالله من علم لا ينفع)[٢]، وغير ذلك مما يدل على أن العلم الذي لا يوجب الخشوع للقلب فهو علم غير نافع، ولم يقسم بعض العلماء العلم إلى باطن وظاهر إلا باعتبار التقرير السابق والمفهوم من الأحاديث من تقسيم العلم إلى نافع وغير نافع.

كتب وهب ابن منبه إلى مكحول: (إنك امرؤ قد أصبت بما ظهر من علم اللسان شرفاً فاطلب مما بطن من علم الإسلام محبة وزلفى)[٣]، وفي رواية أخرى أنه كتب إليه: (إنك قد بلغت بظاهر علمك عند الناس مترلة وشرفاً فاطلب بباطن علمك عند الله مترلة وزلفى واعلم أن أحد المترلتين تمنع الأخرى)[٤] ...))[٥].

وقد بين الشيخ أبو بكر خوقير التوجيه الصحيح لما يطلق من لفظ علم الباطن وغيره، فقال رحمه الله: ((... فعلم مما سبق أن علم القلب وعلم الباطن وعلم السر المكنون راجعة إلى الخشية التي هي العلم النافع، وبعضهم يعبر عنها بالإخلاص ...))[٦].

ونبه الشيخ أبو بكر خوقير إلى خطأ الصوفية الذين يذمون طلب العلم الظاهر،

---

(١) أخرجه مسلم من حديث زيد بن أرقم ﷺ: كتاب الذكر والدعاء ... باب: التعوذ من شر ما عمل وشر ما لم يعمل. (٢٠٨٨/٤/ح٢٧٢٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه من حديث جابر ﷺ: كتاب العلم، باب ما تعوذ منه رسول الله ﷺ (١٢٦٣/٢/ح٣٨٤٣)، وابن أبي شيبة (٣٤٢/٥/ح٢٦٧١٢) وأبو يعلى (٤٣٧/٣/ح١٩٢٧)، وحسنه الألباني في "صحيح الجامع الصغير" (ح٣٦٣٥/ص٦٧٩).

(٣) انظر: "حلية الأولياء" (١٧٨/٥).

(٤) بنحوه في "تاريخ مدينة دمشق" (٥٨/٥٣)، و"حلية الأولياء" (٥٤/٤).

(٥) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ١،٢).

(٦) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٩).

ويدعون اكتفاءهم بالعلم الباطن، وأنهم يتلقونه من غير طريق الشرع، فقال رحمه الله[١]: ((وكثير ممن يدعي العلم الباطن ويتكلم فيه ويقتصر عليه يذم العلم الظاهر الذي هو الشرائع والأحكام والحلال والحرام ويطعن في أهله، ويقولون: هم المحجوبون أصحاب قشور، وهذا يوجب القدح في الشريعة والأعمال الصالحة التي جاءت بالبحث عنها والاعتناء بها، وربما انحل من التكاليف وادعى أنها للعامة، وأما من وصل فلا حاجة له إليها وأنها حجاب له، وهؤلاء كما قال الجنيد وغيرهم من العارفين: ((وصلوا ولكن إلى سقر))[٢]، وهذا من أعظم خداع الشيطان وغروره لهؤلاء، لم يزل يتلاعب بهم حتى أخرجهم عن الإسلام ...)) [٣].

ونبه الشيخ أبو بكر خوقير على خطأ الصوفية في ظنهم أن علوم القلب لا تتلقى من مصادر الشريعة، فقال رحمه الله: ((ومنهم من يظن أن هذا العلم الباطن لا يتلقى من مشكاة النبوة ولا من الكتاب والسنة، وإنما يتلقى من الخواطر والإلهامات والكشوفات، فأساءوا الظن بالشريعة الكاملة حيث ظنوا أنها لم تأت بهذا العلم النافع الذي يوجب صلاح القلوب وقربها من علام الغيوب، وأوجب لهم ذلك الإعراض عما جاء به الرسول ﷺ بالكلية والتكلم فيه بمجرد الآراء والخواطر، فضلوا وأضلوا ...))[٤].

ولا شك أن مصدر العلوم الشرعية إنما هو الوحي بشقيه الكتاب والسنة، وأنه لا يجوز العمل إلا بما ورد فيهما، أما الرؤى والكشوفات وغيرها فلا يجوز العمل بها مطلقاً.

---

(١) ناقلاً عن ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، والنقل من كتابه "شرح حديث أبي الدرداء". مكتبة التراث الإسلامي. (١٩٨٧). (ص٥٥،٥٦). وانظر: "ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف" د.عبد الله بن سليمان الغفيلي. دار المسير. الرياض. ط١. (١٤١٨هـ). (ص ٤٥٠،٤٥١).

(٢) ذكره في "تلبيس إبليس" (ص ٣٠٠) عن أبي علي الروذباري.

(٣) " التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٣).

(٤) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٣،٤)، تتمة نقله عن ابن رجب الحنبلي.

المبحث الثالث: الشريعة والحقيقة.

وفقاً لما سبق من تقسيم الصوفية العلم إلى ظاهر وباطن، فإنهم جعلوا علم الشريعة علم الظاهر، ويقابله علم الباطن، وسموا ما يتحصل منه بالحقيقة، وجعلوها مغايرة للشريعة، وجوزوا الخروج على الشريعة وأحكامها ادعاءً للحقيقة.

قال ابن الجوزي رحمه الله: ((وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة، وهذا جهل من قائله؛ لأن الشريعة كلها حقائق، فإن كانوا يريدون بذلك الرخصة والعزيمة فكلاهما شريعة، وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم في إعراضهم عن ظواهر الشرع ...

وقد نبه الإمام أبو حامد الغزالي في كتاب "الإحياء" فقال: من قال إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يخالف الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان !

وقال ابن عقيل: جعلت الصوفية الشريعة اسماً، وقالوا المراد منها الحقيقة، قال: وهذا قبيح؛ لأن الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق وتعبداتهم، فما الحقيقة بعد هذا سوى شيء واقع في النفس من إلقاء الشياطين، وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع))(١).

وقال الحافظ السيوطي رحمه الله: ((ومن الأمور المحدثة: الاشتغال بنوافل العبادات مع الجهل وترك العلم، وهذا خطأ يدخل على العبد منه آفات كثيرة مخالفة للشريعة، وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿**وقل رب زدني علماً**﴾(٢) ... واعلم أن العالم لا يدخل عليه إبليس إلا مسارقة، وأما المتعبدون بلا علم فإنه يلبس عليهم في فنون التعبد أشياء يعتقدونها فضيلة أو أفضل من غيرها وهي خلاف ما يظنون...

---

(١) "تلبيس إبليس" (ص ٣٩٤،٣٩٥) وانظر أيضاً (ص ٤٥٠) منه.

(٢) سورة "طه"، آية رقم: (١١٤).

ومنهم من فرق بين الحقيقة والشريعة وأعرضوا عن ظواهر الشرع، وهذا غلط؛ لأن الشريعة كلها حقائق))[١].

وقد بين الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله معنى الشريعة والحقيقة، وبين أنه لا تعارض بينهما، فقال رحمه الله: ((الشريعة والحقيقة: فالأولى هي الائتمار بالتزام العبودية، وقيل هي الطريقة في الدين[٢]، والثانية هي ما أريد به ما وضع له، أو موافقة ما هو في الواقع ونفس الأمر[٣].

قال بعضهم: هما متلازمتان، لا يتم أحدهما إلا بالآخر، فالشريعة ظاهر الحقيقة، والحقيقة باطن الشريعة.

قال في "روح المعاني" في تفسير سورة الكهف: ((والذي ينبغي أن يعلم أن كلام العارفين المحققين وإن دل على أن لا مخالفة بين الشريعة والطريقة والحقيقة في الحقيقة، لكنه يدل أيضاً على أن في الحقيقة كشوفاً وعلوماً غيبية، ولذا تراهم يقولون: علم الحقيقة هو العلم اللدني وعلم المكاشفة وعلم الموهبة وعلم الأسرار والعلم المكنون وعلم الوراثة، إلا أن هذا لا يدل على المخالفة فإن الكشوف والعلوم الغيبية ثمرة الإخلاص الذي هو الجزء الثالث من أجزاء الشريعة، فهي بالحقيقة مترتبة على الشريعة ونتيجة لها، ومع هذا لا تغير تلك الكشوف والعلوم الغيبية حكماً شرعياً ولا تقيد مطلقاً ولا تطلق مقيداً، خلافاً لما توهمه بعضهم))[٤] اهـ وفيه كلام نفيس))[٥].

---

(١) "حقيقة السنة والبدعة" جلال الدين السيوطي. دار الفكر اللبناني. ط١. (١٩٩٢م). (ص٧٤-٧٦).

(٢) انظر: "مختار الصحاح" (ص ١٤١)، و"التعريفات" (ص ٤٢٨).

(٣) انظر: "المعتمد في أصول الفقه" لمحمد بن علي بن الطيب البصري (ت٤٣٦هـ). دار الكتب العلمية. بيروت. ط١. (١٤٠٣هـ). (٢/٤٠٥)، "التعريفات" (ص ١٢١)، "قواعد الفقه" (ص٢٦٧).

(٤) نهاية نقل الشيخ أبي بكر عن "روح المعاني" دار إحياء التراث العربي. بيروت. (١٦/١٩).

(٥) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٩).

ثم بين الشيخ أبو بكر خوقير خطأ الصوفية في تفريقهم بين الشريعة والحقيقة، فقال رحمه الله : ((قال في "العلم الشامخ"[1]: واعلم أن الصوفية يصرحون أن علمهم الذي يسمونه الطريقة والحقيقة والتصوف ونحو ذلك غير الشريعة، وصنفوا في الجمع بين الشريعة والحقيقة فيها غاية التكلف والتهافت يظهر لكل فقيه في الدين، والله سبحانه يقول: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[2] فالتصوف ليس من مسمى الدين؛ لأن الدين كمل قبله، أعني دين الإسلام، ولا هو من النعمة؛ لأنها تمت قبله، وليس التصوف داخلاً في مسمى الإسلام؛ لأن الإسلام تم قبله، وهم معترفون بالغيرية، فحينئذ هو بدعة وكل بدعة ضلالة، ولم يجئ به النبي ﷺ لأن كل ما جاء به النبي ﷺ داخل في مسمى الشريعة ، فالصوفي ليس بمتبع للنبي ﷺ بل لشيخه المخترع لتلك الوساوس!))[3].

ومثل الشيخ أبو بكر لمعارضة الشريعة بالحقيقة بالمحتجين على المعاصي بالقدر، فقال ناقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وأما بدعة هؤلاء المحتجين بالقدر فلم يعرف لها إمام ولم تعرف به طائفة من طوائف المسلمين معروفة، قال: وإنما كثر ذلك في المتأخرين، وسموا هذا حقيقة، وجعلوا الحقيقة تعارض الشريعة، ولم يميزوا بين الحقيقة الشرعية التي تتضمن تحقيق أحوال القلوب، كالإخلاص والصبر، وبين الحقيقة الكونية القدرية التي نؤمن بها ولا نحتج بها على المعاصي ...))[4].

---

(١) "العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ". صالح بن المهدي المقبلي. مكتبة دار البيان. دمشق (ص٤٧٠،٤٧١).

(٢) سورة: المائدة، آية رقم: (٣).

(٣) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٩).

(٤) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ١٢)، والنقل عن ابن تيمية بنحوه في "منهاج السنة" (٧٨/٣)، وهو بلفظه في "رفع الشبه والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر" لمرعي بن يوسف الكرمي. دار حراء. مكة. (١٤١٠هـ). ط١. (ص٣٥) ناقلاً عن ابن تيمية.

المبحث الرابع: الطريق والطريقة، وذكر بعض طرق المتصوفة، وأن الواجب هو الرجوع إلى ميزان الشرع.

لقد مر التصوف بمراحل مختلفة في تاريخه، ابتداءً من نشأته وظهوره على أنه مبالغة في الزهد والتعبد، واستمرت هذه المرحلة نحواً من قرنين من الزمن، من بداية المائة الثانية إلى نهاية المائة الثالثة. ثم تلاها مرحلة ثانية انحرف فيها التصوف إلى علم الكلام والفلسفة، وظهرت فيه الأقوال الفاسدة من القول بالحلول والاتحاد والنظرة الباطنية إلى شرائع الدين، وقل الاهتمام بالاجتهاد في التعبد والزهد مقارنة بما سبق، واستمرت هذه المرحلة نحواً من قرنين من الزمن، هما القرن الرابع والخامس الهجري.

وكان لظهور شخصية أبي حامد الغزالي في القرن الخامس أثره الواضح في اتجاه التصوف، فكبح شيئاً من جماح الإفراط الفكري المارق، وأيقظ شيئاً من ركود التفريط العملي في جانب العبادات، ولكن الغزالي تأثر بأمور من التصوف، فسلم لأصحابه القول بالكشف، والذي يعد عندهم باباً للتلقي عن الله، والزيادة والنقص في الدين، واستحسن بعض شطحات الصوفية ودعاويهم، مما استنكر عليه.

على أن أبرز أثر للغزالي على التصوف هو تحويله من منحى المروق الكلي إلى التستر بثوب جديد، مما أتاح له القبول في الساحة الإسلامية، ومن ثم التأثير والنفوذ في القرون التالية، فمن منتصف القرن السادس بدأت الطرق الصوفية المنظمة في الظهور، وأصبح الذكر وآدابه وطرق تلقينه هو شعار كل طريقة والمميز لها[1].

وقد تحدث الشيخ أبو بكر عن طرق التصوف ونشأتها وتعددها وكثرتها، وبين أن العبرة بالاهتمام بالعلم وما يتبعه من العمل، فقال رحمه الله:

---

(١) انظر: "تلبيس إبليس" (٢٠١-٢٠٣، ٤٢٧-٤٢٩)، "الموسوعة الميسرة في الأديان..." (١/٢٥٢-٢٦٧)، "الذكر بين الاتباع والابتداع" (ص ٢٩٦-٣١٣).

((الطريق أو الطريقة: كلاهما عبارة عن السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى، من قطع المنازل والترقي في المقامات.

وللسيد محمد مرتضى الزبيدي الشهير رسالة سماها "أبواب السعادة وسلاسل السيادة"(١) ذكر فيها ما ينيف على مائة طريقة وفصلها على حروف الهجاء، وبين أصولها وفروعها وما تشعب منها.

وذكر الحبيب عبد الرحمن بن بلفقيه علوي في "رفع الأستار عن مفتاح الأسرار" (١) الطرائق المشهورة وعدها إحدى وعشرين طريقة، إلى أن قال : ((وليست الطريق إلى الله منحصرة في تلك الطرائق، بل طرق الله على عدد أنفاس الخلائق! فكم فتح الله على عبده في ذكر وكم قربه في تذكر وفكر وكم جذبه إليه في جذبة وهيبة فأغنته عن السالك في كل أمر، فحق العبد أن لا يزال معرضاً عن غير الله متعرضاً في كل حين لنفحات الله، ومن صح اجتهاده وتحقق على الحق اعتماده فقد نجح مراده ووضح رشاده، ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين**﴾(٢)، فاليوزع أوقاته ويضبط أنفاسه ويعمر العمر بالطاعة والعلوم، فيكون التفقه في دين الله همه، وعلوم القرآن والسنة ديدنه ورسمه، والتصوف سره في سريرته وكتمه، ومن حضره الموت عرف قيمة عمره، لو طلب أن يؤخر يوماً لتدارك أمره لبذل الوفاء من يسره وعسره)) اهـ(٣). واعلم أن أكثر الطرق المتداولة في البلاد الإسلامية تنتمي إلى إمامها الجنيد، وقد صار مقبولاً لأنه تجنب طريق أهل الحلول والاتحاد والبدع وتقيد بظاهر الشرع، فقد قال: ((الطريق إلى الله مسدود على خلقه إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ))(٤). وقال: ((من لم يحفظ القرآن و لم يكتب الحديث لا يقتدى به

---

(١) لم أقف عليها.

(٢) سورة "العنكبوت"، آية رقم: (٧٠).

(٣) انتهى نقل الشيخ أبي بكر عن رسالة "أبواب السعادة".

(٤) ذكره عنه في "صفة الصفوة" (٤١٨/٢)، والسيوطي في "مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة" نشر الجامعة الإسلامية. المدينة المنورة. (١٣٩٩هـ). ط٣. (ص ٧١).

في هذا الأمر))[١]. وطريقه دائر على التعليم والتفويض والتبري من النفس، ولذلك قال صاحب "جمع الجوامع"[٢]: ((ونعتقد أن طريق الشيخ الجنيد طريق مقوم، ومما لا يضر جهله وتنفع معرفته)) اهـ. فهو قد لازم خاله السري[٣] وصحب الحارث المحاسبي[٤] وقد كانوا في عصر مأهول بالعلماء وأئمة الحديث فيهم، مثل أحمد بن حنبل وابن راهويه وأبو زرعة ، وقد نقموا على الحارث المحاسبي بعض تصوفه وكتبه؛ لشدة شغفهم بالحديث وتصلبهم على عدم الخوض إلا بما ورد، والوقوف عند الهدي النبوي وحال الصحابة رضي الله عنهم، ثم حدثت في العصر الذي بعده طبقة توسعت في الكلام وهكذا في العصر الذي بعده وهلم جراً حتى تشعبت الطرق))[٥].

وقسم الشيخ أبو بكر خوقير طرق الصوفية إلى قسمين باعتبار نوع الذكر، وأورد مثالاً على كل قسم، فقال: ((وهي منقسمة قسمين في العمل الذي هو شعارها في مجتمعاتها، ومنه ما هو ذكر جهري ومنه ما هو ذكر سري في الحلقة بحضرة الأستاذ.

فأهل القسم الأول كالطريقة الشاذلية، قال في "القاموس"[٦] ما نصه:

(١) ذكره عنه في "حلية الأولياء"(١٠/٢٥٥)، و"سير أعلام النبلاء" (١٤/٦٧) و"مفتاح الجنة" (ص٧١).

(٢) لعله "جمع الجوامع" في أصول الفقه، لتاج الدين عبد الوهاب بن علي بن السبكي الشافعي المتوفى سنة (٧٧١هـ). انظر: "كشف الظنون" (١/٥٩٥).

(٣) أبو الحسن سري بن المغلس السقطي، خال الجنيد وأستاذه، كان زاهداً عابداً صحب معروفاً الكرخي، توفي سنة (٢٥١هـ)."صفة الصفوة" (٢/٣٧١-٣٨٦)، و"سير أعلام النبلاء" (١٢/١٨٥-١٨٧).

(٤) أبو عبد الله الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي، كان زاهداً عابداً له تصانيف، قال عنه الذهبي: "المحاسبي كبير القدر، وقد دخل في شيء يسير من الكلام فنقم عليه، وورد أن الإمام أحمد أثنى على حال الحارث من وجه وحذر منه" ونقل تحذير أبي زرعة من كتب المحاسبي، وقد توفي سنة (٢٤٣هـ). انظر: "صفة الصفوة" (٢/٣٦٧-٣٦٩)، و"سير أعلام النبلاء" (١٢/١١٠-١١٢).

(٥) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ١٥،١٦).

(٦) "القاموس المحيط" باب اللام، فصل الشين، مادة: شادل (ص ١٣١٦).

"شادل بلدة بالمغرب أو هي بالذال، منها السيد أبو الحسن الشاذلي[١] من صوفية الإسكندرية ... وأما أهل القسم الثاني أهل الذكر السري فهم أهل الطريقة النقشبندية[٢] ...))[٣].

وقد نبه الشيخ أبو بكر خوقير عند ذكره لطرق الصوفية إلى أن الميزان هو الشرع، وأن الواجب هو التحاكم إلى الكتاب والسنة، وقبول ما وافقهما ورد ما خالف، فقال ناقلاً عن الملا علي القاري[٤]:

((وأما قول بعض الجهلة: إن الفقراء يسلم إليهم حالهم، فكلام باطل، بل الواجب عرض أحوالهم وأفعالهم على الشريعة المحمدية وعلى الكتاب والسنة النبوية، فما وافقها قبل، وما خالفها رد، كما ورد: (من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد)[٥]، فلا طريقة إلا طريقة الرسول ﷺ، ولا شريعة إلا شريعته، ولا حقيقة إلا

---

(١) أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي، شيخ الطريقة الشاذلية الزاهد الكبير، كانت له أوراد وأدعية بدعية كثيرة تعرف باسم الأحزاب، توفي سنة (٦٥٦هـ) انظر: "سير أعلام النبلاء" (٣٢٣/٢٣)، "الأعلام" (٣٠٥/٤)، "شذرات الذهب" (٢٧٨/٥)، و"الموسوعة الميسرة" (٢٧٥/١، ٢٦٦-٢٨٠)، و"الذكر بين الاتباع والابتداع" (ص ٣٢٣).

(٢) النقشبندية: فرقة صوفية، تنسب إلى الشيخ خواجه بهاء الدين النقشبندي، ذكرت له حكايات وأحوال عجيبة، توفي سنة (٧٩١هـ). انظر: "الموسوعة الميسرة" (٢٦٧/١)، و"المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية" محمد أمين كردي، مطبعة السعادة بمصر، ط١ (١٣٢٥هـ) نقلاً عن "الذكر بين الاتباع والابتداع" (ص٣٢٦).

(٣) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ١٦) باختصار.

(٤) من كتابه "الرد على القائلين بوحدة الوجود". دار المأمون للتراث. دمشق. (١٤١٥هـ). ط١. (ص٦١، ٦٢).

(٥) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري: كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على جور فالصلح مردود (٩٥٩/٢/ح٢٥٥٠)، ومسلم: كتاب الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٣٤٣/٣/ح١٧١٨).

حقيقته، ولا عقيدة إلا عقيدته، ولا يصل أحد من الخلق بعده إلى الحق ولا إلى رضوانه وجنته وكرامته إلا بمتابعة رسوله باطناً وظاهراً، ومن لم يكن له مصدقاً فيما أخبر ملتزماً لطاعته فيما أمر من الأمور الباطنة التي في القلوب والأعمال الظاهرة التي على الأبدان، لم يكن مؤمناً فضلاً عن أن يكون ولياً، ولو طار في الهواء وسار في الماء وأنفق من الغيب وأخرج المذهب من الجيب، ولو حصل له من الخوارق ماذا عسى أن يحصل، فإنه لا يكون مع تركه الفعل المأمور وترك المحظور إلا من أهل الأحوال الشيطانية المبعدة لصاحبها عن الله وبابه، المقربة إلى سخطه وعقابه.

وأما من اعتقد من بعض البله والمولهين مع تركه لمتابعة الرسول ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله أنه من أولياء الله، فهو ضال مبتدع مخطئ في اعتقاده، فإن ذلك الأبله إما أن يكون شيطاناً زنديقاً، أو مزوراً كاذباً متخبلاً أو مجنوناً، ولا يقال: يمكن أن يكون هذا متبعاً في الباطن وإن كان تاركاً للاتباع في الظاهر، فإن هذا خطأ أيضاً، بل الواجب متابعة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً)) [١].

وأكد الشيخ أبو بكر خوقير على هذا الأصل العظيم من أصول الدين؛ من تحقيق الاتباع للكتاب والسنة والاستغناء بهما عما سواهما، فنقل كلاماً نفيساً عن الإمام الشوكاني رحمه الله، ولما تميز به كلامه من إخلاص النصيحة وصدق العبارة فإني أسوقه ههنا.

قال الشيخ أبو بكر ناقلاً عن الإمام الشوكاني[٢]: ((في الكلام على الطائفة المدعوة بالمتصوفة، فقد كان أول هذا الأمر يطلق هذا الاسم على من بلغ في الزهد والعبادة إلى أعلى مبلغ، ومشى على هدي الشريعة المطهرة، وأعرض عن الدنيا وصد عن زينتها ولم يغتر ببهجتها، ثم حدث أقوام جعلوا هذا الأمر طريقاً إلى الدنيا ومدرجاً

---

(١) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٥، ٦) باختصار يسير.

(٢) النقل عن كتاب "أدب الطالب" للشوكاني. نشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية. صنعاء. (١٩٧٩م). (ص ١٧٢-١٧٥) باختصار.

إلى التلاعب بأحكام الشرع ومسلكاً إلى أبواب اللهو والخلاعة، ثم جعلوا لهم شيخاً يعلمهم كيفية السلوك، فمنهم من يكون مقصده صالحاً وطريقته حسنة، فيلقن أتباعه كلمات تباعدهم من الدنيا وتقربهم من الآخرة، وينقلهم من رتبة على رتبة على أعراف يتعارفونها، ولكنه لا يخلو غالب ذلك من مخالفة للشرع وخروج عن كثير من آدابه، والخير كل الخير في الكتاب والسنة، فما أخرج عن ذلك فلا خير فيه، وإن جاءنا أزهد الناس في الدنيا أرغبهم في الآخرة وأتقاهم لله وأخشاهم له في الظاهر، فإنه لا زهد لمن لم يمش على الهدي النبوي، ولا تقوى ولا خشية لمن لم يسلك الصراط السوي، فإن الأمور لا تكون طاعات بكثرة التعب فيها وإيقاعها على أبلغ الوجوه، بل الطاعة ما وافق السنة.

واعتبر بالخوارج، فإنه قد وصفهم النبي ﷺ بما وصف من تلك العبادات والمجاهدات التي لا تبلغ عبادتنا ولا مجاهدتنا إلى شيء منها، فقال ﷺ : (إنها لا تجاوز تراقيهم)[١]، وقال ﷺ : (إنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)، وقال ﷺ: (إنهم كلاب النار)[٢].

فكانت تلك الطاعات الصورية من الصلاة والصوم والتهجد والقيام هي نفس المعاصي الموجبات للنار، وهكذا كل من رام الطاعة على غير الوجه المسنون فإنه ربما يلحق بالخوارج بجامع وقوع ما أطاعوا الله تعالى به على غير ما شرعه لهم.

---

(١) جاء في حديث سهل بن حنيف ﷺ في وصف الخوارج أنهم: (يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية) متفق عليه، أخرجه البخاري: كتاب استتابة المرتدين، باب: من ترك قتال الخوارج للتألف ... (٢٥٤١/٦/ح٦٥٣٥)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب: الخوارج شر الخلق والخليقة (٧٥٠/٢/ح١٠٦٨).

(٢) أخرجه أحمد من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ (٣٨٢/٤/ح١٩٤٣٤) وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد حسن، وأخرجه الحاكم (١٦٣/٢/ح٢٦٥٤) وقال الذهبي في التلخيص: صحيح على شرط مسلم. وقد صححه الألباني في "صحيح الجامع الصغير" (ح٣٣٤٧).

وإني لأخشى أن يكون من هذا القبيل ما يقع من كثير من المتصوفة من فرارهم عن زينة الدنيا مع ما يلازمونه من وظائف التخشع والانكسار والتلهف والتأسف والصراخ تارة والهدوء أخرى والرياضات والمجاهدات وملازمة أذكار لم ترد في الشرع على صفات لم يأذن بها الله عز وجل، مع ملازمة تلك الثياب الخشنة الدرنة وغير ذلك من الخرافات التي لو كان فيها أدنى خير لكان رسول الله ﷺ وأصحابه الذين هم خير القرون أولى بها.

ولا أنكر أن في هذه الطائفة من قد بلغ في تهذيب نفسه وغسلها من الطواغيت الباطنة والأصنام المستورة عن الناس كالحسد والكبر والعجب والرياء ومحبة الثناء والشرف والمال والجاه مبلغاً عظيماً وارتقى مرتقى جسيماً، ولكني أكره أن يتداوى بغير الكتاب والسنة! وأن يتطبب بغير الطب الذي اختاره الله تعالى لعباده؛ فإن في القوارع القرآنية والزواجر المصطفوية ما يغسل كل قذر ويرحض كل درن ويدفع كل شبهة، فأنا أحب لكل عليل في الدين أن يتداوى بهذا الدواء، فيعكف على تلاوة كتاب الله متدبراً له متفهماً لمعانيه باحثاً عن مشكلاته سائلاً عن معضلاته، ويستكثر من مطالعة السيرة النبوية، ويتدبر ما كان ﷺ يفعله في ليله ونهاره، ويتفكر في أخلاقه وشمائله وهديه وسمته، وما كان عليه أصحابه وكيف كان هديهم في عباداتهم ومعاملاتهم، فإنه إذا تداوى بهذا الدواء ولاحظته العناية الربانية وجذبته الهداية الإلهية، فاز بكل خير مع ما له من الأجر الكثير والثواب الكبير في مباشرة هذه الأسباب، وإذا حال بينه وبين الانتفاع بهذه الأمور حائل ومنعه من الظفر بما يترتب عليها مانع، فقد نال بتلك الأسباب التي باشرها أجراً عظيماً، لأنه طلب الخير من معدنه، ورام نيل الرشد من موطنه، فكان له في ذلك الاشتغال من الأجر لطلبه علم الشرع، فانظر كم بين هذين الأمرين من طول المسافة، فإن طالب الرشد بغير أسبابه الشرعية لا يأمن على نفسه بعد الوصول إلى مطلوبه من أن يكون صنعه كصنع الخوارج في خسرانهم بما ظنوه ربحاً، ووقوعهم في الظلمة وقد كانوا يظنون أنهم

يلاقون صبحاً، لأنهم خالفوا الطريقة التي أرشد الله عباده إليها وأمرهم بسلوكها ...

وبعد هذا كله فلست أجهل أن في رجال هذه الطائفة المسماة بالصوفية من جمع الله له بين الملازمة لهذه الشريعة المطهرة والمشي على الطريقة المحمدية والصراط الإسلامي، مع كونه قد صار من تصفية باطنه من كدورات الكبر والعجب والحسد والرياء ونحوها بمحل يتقاصر عنه غيره ويعجز عنه سواه، ولكني في هذا المصنف بسبب الإرشاد إلى العمل بالكتاب والسنة والتنفير عما عداهما كائناً ما كان، فلست أحب لمن أراد القرب إلى الله والفوز بما لديه والظفر بما عنده أن ينتسب إلى ذلك بسبب خارج عنهما، من رياضة أو مجاهدة أو خلوة أو مراقبة، أو يأخذ عن شيخ من شيوخ الطريقة الصوفية شيئاً من الاصطلاحات الموصلة عندهم، بل يطلب علم الكتاب والسنة ويأخذهما عن العلماء المتقنين لهما المؤثرين لهما على غيرهما، المتجنبين لعلم الرأي وما يوصل إليه، النافرين عن التقليد وما يحمل عليه، فإنه إذا فعل ذلك سلك مسلك النبوة وظفر بهدي الصحابة وسلم من البدع كائنة ما كانت، فعند ذلك يحمد مسراه ويشكر مسعاه ويفوز بخير أولاه وأخراه)) [١].

وبهذا يتبين أن الواجب على كل مسلم يرجو رحمة ربه والفوز برضاه أن يؤثر اتباع هدي الكتاب والسنة، وأن لا يلتفت إلى أي طريقة أو مسلك محدث لم يكن عليه رسول الله وأصحابه وتابعوهم، فهذا هو الميزان الحق، وكفى بذلك نوراً وبصيرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وسيأتي في الفصل القادم مناقشة الشيخ أبي بكر لبعض المسائل المتعلقة بالصوفية، ومحاكمتها لهذا الأصل العظيم، مع نقله كلام المتقدمين في ذلك، رحمهم الله أجمعين.

---

(١) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٢٣-٢٦) باختصار يسير.

الفصل الثاني

جهود الشيخ في نقد إسناد الخرقة والتلقين

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: لبس الخرقة.

المبحث الثاني: التلقين.

المبحث الأول: لبس الخرقة.

مما اعتنى به الصوفية قديماً وحديثاً أمر الخرق ولبسها وإلباسها، وقد كانت بداية اعتنائهم بذلك من جهة إظهار الزهد في اللباس والتقشف بلبس الملابس المخرقة والمرقعة، ثم تكلفوا في الأمر، فنقل عن بعضهم تخريق الثياب الجديدة وترقيعها، إلى غير ذلك[(١)].

وللخرق عند الصوفية شأن مهم، حتى إنه يطلق على التصوف: علم الخرق، كما جاء عن بعضهم قوله:

إذا خاطبوني بعلم الورق   برزت عليهم بعلم الخرق![(٢)]

وقد جعلوا إلباس الخرق شعاراً للدخول في الطريقة، إذ يقوم الشيخ بإلباس المريد خرقة - على اختلاف في الكيفية- علامة على سلوكه في طريقته.

قال السهروردي: ((لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ وبين المريد، وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه ... فيسلم نفسه إليه، ويستسلم لرأيه واستصوابه في جميع تصاريفه، فيلبسه الخرقة إظهاراً للتصرف فيه، فيكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم ... فلبس الخرقة يزيل اتهام الشيخ عن باطنه في جميع تصاريفه، ويد الشيخ في لبس الخرقة تنوب عن يد رسول الله ﷺ، وتسليم المريد له تسليم لله ورسوله !))[(٣)].

والصوفية يزعمون للبس الخرقة إسناداً إلى النبي ﷺ وإلى بعض الصحابة، لكنه لا يثبت.

---

(١) انظر "تلبيس إبليس" في ذكر تلبيسه على الصوفية في لباسهم (ص٢٣٠) وما بعدها.

(٢) "تلبيس إبليس" (ص ٣٩٠، ٤٠٠) ونسبه إلى الشبلي، وهو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي الخرساني، من شيوخ الصوفية، توفي سنة (٣٣٤هـ) انظر: "تاريخ بغداد" (٣٨٩/١٤)، "صفة الصفوة" (٢٥٦/٢)، "سير أعلام النبلاء" (٣٦٧/١٥). وانظر في تسمية التصوف بعلم الخرق: "تاريخ بغداد" (٢٢٧/٧) و"سير أعلام النبلاء" (٥٥٩/١٥).

(٣) "عوارف المعارف" (١٧٢/١-١٧٤) باختصار، باب في ذكر خرقة المشايخ الصوفية.

قال ابن الجوزي رحمه الله: ((وقد قرروا أن هذه المرقّعة لا تلبس إلا من يد شيخ، وجعلوا لها إسناداً متصلاً كله كذب))[١].

وما يورده الصوفية من الأسانيد في إلباس الخرق لا يصح، إذ لا يخلو إسناد منها من انقطاع بيّن، وقد نقل الشيخ أبو بكر خوقير كلام عدد من العلماء في ذلك، فقال ناقلاً عن الشوكاني: ((حديث أن النبي ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية: باطل لا أصل له، قال ابن حجر: "لم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية أحداً من الصحابة، ولا أمر أحداً من أصحابه أن يفعل ذلك، وكلما يروى في ذلك صريحاً فهو باطل". وقال: "مَن المفتري أن علياً ألبس الخرقة الحسن البصري؟! فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعاً فضلاً عن أن يلبسه الخرقة" ...)) [٢].

وقال الشيخ أبو بكر: ((وقال الحافظ السخاوي في "المقاصد الحسنة"[٣] ما نصه: حديث خرقة الصوفية وكون الحسن البصري لبسها من يد علي بن أبي طالب، قال ابن دحية وابن الصلاح: إنه باطل، وكذا قال شيخنا - وذكر ما نقله الشوكاني عنه- ثم قال : ولم ينفرد شيخنا بهذا، بل سبقه إليه جماعة ممن لبسها وألبسها، كالدمياطي والذهبي والهكاري وابن حبان والعلائي ومغلطاي والعراقي وابن الملقن والأبناسي والبرهان الحلبي وابن ناصر الدين ...)) [٤].

---

(١) "تلبيس إبليس" (ص٢٣٦)، وكثيراً ما يذكر في تراجم الصوفية عبارة: "وألبسه الخرقة الشيخ فلان..." انظر مثلاً: "التدوين في أخبار قزوين" (١/٤٠٨، ٤١٠، ٢/١٤٦) وغيرها.

(٢) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ١٨، ١٩) والنقل عن الشوكاني من "الفوائد المجموعة" (ص٢٥٣/ح١٠٦)، ولم أجد مصدر النقل عن ابن حجر، وقد أورده تلميذه السخاوي (ت٩٠٢هـ) كما سيأتي نقل الشيخ أبي بكر لكلامه، والعجلوني (ت١١٦٢هـ) في "كشف الخفاء" (٢/١٨٠).

(٣) "المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة" لأبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ). نشر مكتبة الخانجي. القاهرة. ط٢. (١٤١٢هـ) (ص٣٣١/ح٨٥٢).

(٤) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ١٩، ٢٠).

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عدم مشروعية لباس الخرق على طريقة الصوفية، فقال رحمه الله: ((وأما لباس الخرقة التي يُلبسها بعض المشائخ المريدين، فهذه ليس لها أصل يدل عليها الدلالة المعتبرة من جهة الكتاب والسنة، ولا كان المشائخ المتقدمون وأكثر المتأخرين يلبسونها المريدين، ولكن طائفة من المتأخرين رأوا ذلك واستحبوه.

وقد استدل بعضهم بأن النبي ﷺ ألبس أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص ثوباً، وقال لها: (سنا)[1]، والسنا بلسان الحبشة: الحسن، وكانت قد ولدت بأرض الحبشة فلهذا خاطبها بذلك اللسان. واستدلوا أيضاً بحديث البردة التي نسجتها امرأة للنبي ﷺ فسأله إياها بعض الصحابة، فأعطاه إياها، وقال: (أردت أن تكون كفناً لي)[2]، وليس في هذين الحديثين دليل على الوجه الذي يفعلونه؛ فإن إعطاء الرجل لغيره ما يلبسه كإعطائه إياه ما ينفعه، وأخذ ثوب من النبي ﷺ على وجه البركة كأخذ شعره على وجه البركة، وليس هذا كلباس ثوب أو قلنسوة على وجه المتابعة والاقتداء، ولكن يشبه من بعض الوجوه خِلع الملوك التي يخلعونها على من يولونه، كأنها شعار وعلامة على الولاية والكرامة، ولهذا يسمونها تشريفاً، وهذا ونحوه غايته أن يجعل من جنس المباحات، فإن اقترن به نية صالحة كان حسناً من هذه الجهة، وأما جعل ذلك سنة وطريقاً إلى الله سبحانه وتعالى فليس الأمر كذلك))[3].

ولعل أشهر طرق الخرقة ما جاء من طريق الحسن البصري عن علي ﷺ، وأكثر المحدثين ينكرون سماع الحسن من علي، فقد جاء عن بعضهم التصريح بنفي

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أم خالد رضي الله عنها: كتاب اللباس، باب: ما يدعى لمن لبس ثوباً جديداً (٥/٢١٩٨/ح٥٥٠٧).

(٢) أخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد ﷺ : كتاب البيوع، باب ذكر النساج (٢/٧٣٧/ح١٩٨٧).

(٣) "مجموع الفتاوى" (١١/٥١٠،٥١١)، كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية انقطاع طرق خرق الصوفية، في كتابه "منهاج السنة النبوية" (٨/٤٤-٤٧) وهو مهم.

سماع الحسن من علي، قال ابن حجر: ((قلت: سئل أبو زرعة: هل سمع الحسن أحداً من البدريين؟ قال رآهم رؤية، رأى عثمان وعلياً. قيل: هل سمع منهما حديثاً؟ قال: لا، رأى علياً بالمدينة وخرج علي إلى الكوفة والبصرة و لم يلقه الحسن بعد ذلك))(١).

وقال الترمذي: ((لا نعرف للحسن سماعاً من علي، وقد روى عنه حديث "رفع القلم..." وقد أدركه ولكنا لا نعلم له سماعاً منه))(٢).

وقال أبو حاتم: ((و لم يلق علياً))(٣).

وجاء عن قتادة: ((والله ما حدثنا الحسن عن بدري مشافهة)) ونحوه عن أيوب السختياني(٤).

وذكر أبو محمد ابن أبي حاتم بإسناده عن الإمام أحمد أنه قال: ((سمع من ابن عمر وأنس بن مالك وابن مغفل وعمرو بن تغلب. قال أبو محمد فذكرت قول أحمد لأبي رحمه الله فقال: قد سمع من هؤلاء الأربعة ويصح له السماع من أبي برزة ومن أحمر صاحب النبي ﷺ ومن غيرهم))(٥) و لم يذكر علياً.

وقال المزي: ((رأى علياً و لم يصح له سماع منه))(٦).

وقال العلائي: ((روايته عن علي مرسلة))(٧).

---

(١) "تهذيب التهذيب" (٢/٢٣٣).

(٢) "جامع التحصيل" (١/١٦٣) وبنحوه في "تهذيب التهذيب" (٢/٢٣٤).

(٣) "الثقات" لأبي حاتم (٤/١٢٣).

(٤) "جامع التحصيل" (١/١٦٢) و"تهذيب التهذيب" (٢/٢٣١).

(٥) "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٣/٤٢).

(٦) "تهذيب الكمال" (٦/٩٥).

(٧) "جامع التحصيل" للعلائي (ت٧٦١هـ) (١/١٦٢).

وقال ابن حجر: ((رأى علياً و لم يثبت سماعه منه))[١].

و لم يذكر الذهبي فيمن روى عنهم الحسن علياً[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كلامه على إسناد الخرقة ((وفيها أن الحسن صحب علياً، وهذا باطل باتفاق أهل المعرفة، فإنهم متفقون على أن الحسن لم يجتمع بعلي، وإنما أخذ عن أصحاب علي، أخذ عن الأحنف بن قيس وقيس بن عباد وغيرهما عن علي، وهكذا رواه أهل الصحيح.

والحسن ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر[٣] وقتل عثمان وهو بالمدينة كانت أمه أمة لأم سلمة، فلما قتل عثمان حمل إلى البصرة وكان علي بالكوفة والحسن في وقته صبي من الصبيان لا يعرف ولا له ذكر ...))[٤].

وفي ذلك نقل الشيخ أبو بكر خوقير عن ((الإمام شمس الدين ابن الجزري[٥] بعد سوق سند لبس الخرقة من طريق الحسن البصري عن علي: كذا وصلت إلينا خرقة الصوف من طريق القوم، وأهل الحديث لا يعرفون للحسن البصري سماعاً من علي رضي الله عنه ، كما نقله عنه السيوطي ...)) [٦].

ثم بين الشيخ أبو بكر خوقير ميل السيوطي إلى وصل إسناد الخرقة، فقال عقب النقل السابق: ((ولكنه ألف رسالة سماها: "إتحاف الفرقة بوصل الخرقة" أثبت فيها

---

(١) "طبقات المدلسين" (٢٩/١/رقم ٤٠).

(٢) "الكاشف" (٣٢٢/١) وكذا محمد بن طاهر القيسراني (ت٥٠٧هـ) في "تذكرة الحفاظ" (٧١/١).

(٣) كذا ذكره في "التاريخ الكبير" (٢٨٩/٢).

(٤) "منهاج السنة" (٤٤/٨).

(٥) شمس الدين أبو القاسم الحسين بن أبي الغنائم هبة الله بن محفوظ التغلبي الجزري، مسند الشام، ولي القضاء بها، توفي سنة (٦٢٦هـ). انظر: "سير أعلام النبلاء" (٢٨٣/٢٢،٢٨٤).

(٦) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٢٠).

معاصرة الحسن للإمام علي ورؤيته له وعمره نحو أربعة عشر سنة، وروايته عنه من طريق الترمذي والنسائي والإمام أحمد والحاكم والضياء المقدسي وأبي نعيم والدارقطني وأبي يعلى والطحاوي(١) ...)).

ثم بين الشيخ أبو بكر خلاصة القول في المسألة، فقال: ((وتلخص من ذلك أن أكثر المحدثين جار على إنكار سماع الحسن من الإمام علي، ومن قال بسماع الحسن منه لا يقول بإلباس الخرقة والتلقين، إلا إذا صح السند إليه، ولا يلزم من ثبوت السماع الذي هو أمر عام ثبوت الخاص بهيئة اللبس وكيفية التلقين، وإذا حكم على السند بالاتصال والرفع فالظاهر أنه لا يخرج عن الحكم عليه بالضعف لأن الحافظ ابن حجر ذكر في تقريب التهذيب في ترجمة الحسن ما نصه: " ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيراً ويدلس"(٢) ... فلا مفر من الحكم عليه بالضعف على سبيل التنازل في سماع الحسن من الإمام علي، وقد ذكر أنه لا يجوز العمل بالضعيف إلا بثلاثة شروط، الأول: أن لا يشتد ضعفه، الثاني: أن يندرج تحت أصل عام، الثالث: أن لا تعتقد سنيته.

ولك أن تقول: إن أصل اللبس وارد، فقد ألبس النبي ﷺ علياً وابن عوف العمامة، وأرخى للأول طرفها وللثاني طرفيها، وألبس عباساً وولده كساء ودعا لهم، كما هو معروف عند المحدثين من طرق تؤيد الرواية عن الحسن البصري من غير التزام الهيئة المعروفة والاجتماع لها، فذلك راجع إلى استحسان الشيوخ قاصدين بالخرقة ربط الصحبة بأولياء الله وإظهار شعار الفقر ...)) (٣).

---

(١) الذين ترجموا للحسن يثبتون معاصرته لعلي ولكن ينكرون سماعه منه، ويعدون روايته عنه مرسلة، كما تقدم في المصادر السابق ذكرها.

وانظر كلام السيوطي في أصل لبس الخرقة، كما نقله عنه في "عون المعبود" (١١/٤٦،٤٧).

(٢) "تقريب التهذيب" (ص١٦٠/رقم ١٢٢٧).

(٣) التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٢٠،٢١).

وأشار الشيخ أبو بكر خوقير إلى بعض الأسانيد الأخرى للخرقة والمنتهية إلى عمر ﷺ وغيره، فقال: ((قال الملا علي القاري في "الموضوعات"(١) في حرف اللام: لبس الخرقة الصوفية وكون الحسن البصري لبسها من علي: أطبق المحدثون على أنه لا أصل له. اهـ.

وقال في آخرها: وما يذكره بعضهم من أن الحسن البصري لبس الخرقة من علي باطل، مع أن الحسن لم يسمع من علي ولم يرد في خبر ضعيف أنه ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية ولا أمر لأحد من أصحابه ولا أمر أحداً منهم بفعلها، وكلما يروى في ذلك صريحاً باطل، ذكر ذلك الأئمة المتأخرون من المحدثين، نعم لبسها وألبسها جمع منهم تشبهاً بالقوم وتبركاً بطريقتهم، إذ ورود لبسهم لها مع الصحبة المتصلة إلى كميل بن زياد(٢) وهو صحب علياً ﷺ اتفاقاً، وفي بعض الطرق اتصالها بأويس القرني، وهو قد اجتمع بعمر وعلي رضي الله عنهما، وكذا ما اشتهر بينهم من أن النبي ﷺ أوصى عمر وعلياً بخرقته لأويس وأنهما سلماها إليه وأنها وصلت إليهم مع أويس وهلم جراً: فلا أصل له أيضاً)) (٣).

فالشيخ أبو بكر بين عدم ثبوت إسناد إلباس الخرقة، وبين أن بعض أهل العلم فعلوا ذلك لا من جهة اتباع الأثر، ولكنهم أجروه مجرى العادة، ولا شك أن الأولى سد هذا الباب مطلقاً، كما قال الشيخ أبو بكر رحمه الله: ((وقد صار شعار أهل

---

(١) مطبوع باسم "المصنوع في معرفة الحديث الموضوع" للملا علي القاري. مؤسسة الرسالة. ط٢. (١٣٩٨هـ)، والنقل من الصفحات (١٤٤، ٢٦٨، ٢٦٩).

(٢) كميل بن زياد بن نهيك، ويقال ابن عبد الله النخعي، تابعي، من أصحاب علي، رمي بالتشيع، مات سنة (٨٢هـ). انظر: "الجرح والتعديل" (١٧٤/٧)، "المجروحين" (٢٢١/٢)، "الإصابة" (٦٥٣/٥)، "تقريب التهذيب" (ص٤٦٢/رقم ٥٦٦٥).

(٣) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ١٩)، وقد ذكر ابن تيمية أن خرقة عمر لها إسنادان، إسناد إلى أويس القرني، وإسناد إلى أبي مسلم الخولاني. "منهاج السنة" (٤٤/٨).

الطريق إلباس الخرقة والتلقين مع اختلافٍ في الكيفية، وبعضهم يضيف المبايعة تشبهاً بالمبايعات النبوية، ويغرضون أنها خلافة باطنية، وليتهم وقفوا عند الحد الشرعي الذي وقف عنده سلفهم الجنيد ونافح عنه، فارتفع صيته بإعلانه متابعة الكتاب والسنة.

والمحدثون يسلكون الطريقة العُمرية في حسم الأمور البدعية بالتمسك بالسنة، فقد يتولد من البدعة الواحدة ألوف ...)) [1].

---

(١) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٢٢).

المبحث الثاني: التلقين.

المراد بالتلقين أن يلقن الشيخ تلميذه قول: لا إله إلا الله، وغالباً ما يكون التلقين مصاحباً لإلباس الخرقة أو نحوها، فيأتيان في مجلس واحد، وقد أوردوا لهما إسناداً واحداً.

قال الشيخ أبو بكر خوقير: ((التلقين مرجعه إلى الذكر بلا إله إلا الله، كما ذكر حديثه في "ريحان القلوب" الشيخ يوسف الكوراني بسند ساقه إلى الحسن البصري عن علي ﷺ أنه سأل النبي ﷺ فقال : يا رسول الله، دلني على أقرب الطرق إلى الله وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله تعالى. فقال: (يا علي عليك بمداومة ذكر الله تعالى في الخلوات)، فقال علي: هكذا فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون، فقال ﷺ: (يا علي لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: الله الله)، فقال علي كيف أذكر يا رسول الله ؟ فقال: (غمض عينيك واسمع مني ثلاث مرات ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع)، فقال النبي ﷺ: (لا إله إلا الله) ثلاث مرات، مغمضاً عينيه رافعاً صوته، وعلي يسمع، ثم قال علي ﷺ: لا إله إلا لله، ثلاث مرات، مغمضاً عينه رافعاً صوته، والنبي ﷺ يسمع، ثم لقن علي الحسن، وهو لقن حبيباً العجمي[١]، وهلم جراً إلى آخر السند الذي أورده الشيخ فالح الظاهري عن شيخه الأستاذ السيد محمد السنوسي[٢] في لبس الخرقة بطريق الشاذلية، وقال: "ألبسني طاقيته تناولها من رأسه ووضعها على رأسي"))[٣].

(١) حبيب بن عيسى العجمي أبو محمد البصري، واختلف في اسم أبيه على قولين: عيسى ومحمد، من العباد الزاهدين، وقد صحب الحسن، ذكره أبو حاتم في "الثقات" (١٨٠/٦) وقال الذهبي: لم يجرح. "لسان الميزان" (١٩٣/٧). وقال ابن حجر: "ثقة عابد من السادسة". "تقريب التهذيب"(ص١٥١/ رقم١١٠٤).

(٢) محمد بن علي بن السنوسي، قدم مكة وعقد حلقة في المسجد الحرام وانتفع به خلق كثير، كانت وفاته سنة (١٢٧٦هـ). انظر: "أعلام المكيين" (ص ٥٤١،٥٤٢).

(٣) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ١٧،١٨).

ثم ذكر الشيخ أبو بكر بقية إسناد حديث التلقين، فقال: ((وقد أخذ عن حبيب داود الطائي[1] وعنه السري السقطي وعنه الجنيد وجميع طرق الخرق تنتهي إليه كما ذكروه ...)).

ورواية داود الطائي عن حبيب موضع طعن في الإسناد، إذ لا يعرف أخذ داود عن حبيب العجمي، وإنما ذكروا روايته عن حبيب بن أبي عمرة[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وفي إسناد الخرقة أيضاً أن داود الطائي صحب حبيباً العجمي، وهذا أيضاً لم يعرف له حقيقة))[3].

ثم قال الشيخ أبو بكر خوقير: ((فالقوم قد حكوا عن أنفسهم بسند رجالهم لخاصتهم من غير التزام طريقة المحدثين وأسانيدهم المعروفة في كتب الرجال، كما لا يخفى على أحد [ولم يخرج حديث التلقين المذكور أحد من المحدثين، حتى السيد محمد مرتضى الزبيدي على سعة اطلاعه ذكره عن الكوراني ولم يعرف له مخرجاً][4].

فهذا الجواب يكفي السائل عن ذلك، وربما رغب في نقل كلام أهل الحديث في رواية الحسن البصري عن الإمام علي، وهذا مما شاع وذاع وملأ الأسماع والبقاع، حتى ألف فيه بعضهم ...))[5]، ثم نقل الشيخ كلام أهل العلم في رواية الحسن عن علي، كما تقدم.

---

(١) داود بن نصير الطائي أبو سليمان، من العباد الزاهدين، توفي سنة (١٦٠هـ). انظر: "التاريخ الكبير" (٣/٢٤٠)، "الجرح والتعديل" (٣/٤٢٦)، "تاريخ بغداد" (٨/٣٤٧)، "تقريب التهذيب" (ص٢٠٠/رقم ١٨١٦).

(٢) حبيب بن أبي عمرة القصاب، أبو عبد الله الحماني، الكوفي، قال ابن حجر: "ثقة من السادسة" توفي سنة (١٤٢هـ). انظر: "التاريخ الكبير" (٢/٣٢٢)، "الجرح والتعديل" (٣/١٠٦)، "تقريب التهذيب" (ص١٥١/رقم ١١٠٢).

(٣) "منهاج السنة" (٨/٤٤) وقد توسع في الكلام في نقد أسانيد الخرقة، وقال: "وقد كتبت أسانيد الخرقة لأنه كان لنا فيها أسانيد فبينتها ليعرف الحق من الباطل" (٨/٤٧).

(٤) ما بين المعكوفتين في هامش المخطوط.

(٥) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ١٨).

وقد نص الملا علي القاري على بطلان ما جاء في التلقين، فقال رحمه الله: ((قلت: وكذا نسبة التلقين المتعارف بين الصوفية: لا أصل له))(١).

وناقش الشيخ أبو بكر استدلال بعض أهل الطريق على مسألة التلقين ببعض الأحاديث، فقال: ((ولك أن تقول: إن حديث التلقين السابق يؤيده ما رواه البزار والطبراني والإمام أحمد والحاكم عن يعلى بن شداد بن أوس، وعبادة حاضر فصدقه، وقال: بايعنا رسول الله ﷺ فقال: (فيكم غريب) ؟ يعني أهل الكتاب، فقلنا: لا يا رسول الله، فأمر بغلق الباب، فقال: (ارفعوا أيديكم فقولوا: لا إله إلا الله)، فرفعنا أيدينا ساعة ثم قال: (اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة وإنك لا تخلف الميعاد)، ثم قال: (أبشروا فإن الله قد غفر لكم)(٢).

قال البزار: وهذا لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد، ولم يوجد في رواية بعضهم بايعنا رسول الله ﷺ.

هكذا نقله بعض أهل الطريق، وقال: ((وهذا الحديث أصل لتلقين مشايخ الطريقة الذكر لجماعة من المريدين، وفي التحفظ عن الأجنبي عن طريقتهم فيما يخصهم، وكان السبب في عدم شهرة اللبس والتلقين عند أوائل أهل الحديث أن هذا أمر خاص لخواص من أهل سلوك طريق العزيمة الذين يميلون إلى ستر أحوالهم وأعمالهم، وليس كرواية الأحاديث ونقل الأحكام الشرعية المطهرة المراد بها العموم حتى يشتهر)).

---

(١) "الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة" دار الأمانة/مؤسسة الرسالة. (١٣٩١هـ). (ص ٢٧٦)، ونقل عنه في "كشف الخفاء" (٢/١٨١).

(٢) أخرجه أحمد(٤/١٢٤/ح١٧١٦٢)، والحاكم (١/٦٧٩/ح١٨٤٤)، والبزار في مسنده (٧/١٥٦/ح٢٧١٧)، (٨/٤٠٨/ح٣٤٨٣) والطبراني في "مسند الشاميين" (٢/١٥٨/ح١١٠٤) وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد: "ضعيف، لضعف راشد بن داود". وراشد بن داود: وثقه دحيم وابن معين، وقال البخاري: فيه نظر، وقال الدارقطني: ضعيف لا يعتبر به. انظر: "ميزان الاعتدال" (٣/٥٥).

ثم قال الشيخ أبو بكر خوقير معقباً على ذلك: ((وقد تقدم أن أمر الدين لا خصوصية فيه لأحد، واستحضار عظمة الله بالمراقبة وتدبر معنى كلمة الإخلاص هو المقصود من التلفظ بها، ولا خصوصية فيه لخاصة على عامة، ولا تكتم فيه، ولو كان خاصاً بخواص الصدر الأول لتوفر النقل بينهم بذلك، ولم يكن شعار الفرقة من الخواص دون أخرى، مع أن سائر مشايخ الطريق يقبلون من أراد الدخول فيها ولو من العامة فضلاً عن الخاصة، نعم إن بعضهم يستصعب تسليك أهل العلم الظاهر ويقول: إن العلم حجاب!

وقد صار شعار أهل الطريق إلباس الخرقة والتلقين مع اختلاف في الكيفية، وبعضهم يضيف المبايعة تشبهاً بالمبايعات النبوية، ويغرضون أنها خلافة باطنية[1]، وليتهم وقفوا عند الحد الشرعي الذي وقف عنده سلفهم الجنيد ونافح عنه، فارتفع صيته بإعلانه متابعة الكتاب والسنة، والمحدثون يسلكون الطريقة العمرية في حسم الأمور البدعية بالتمسك بالسنة، فقد يتولد من البدعة الواحدة ألوف ...)) [2].

ويتبين بهذا خطأ الصوفية في مسألة إلباس الخرقة والتلقين، وأنها من المسائل المحدثة المبتدعة في دين الله، وأن الواجب على المسلم الاقتصار على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، ((وقد عقل بالنقل المتواتر أن الصحابة لم يكونوا يُلبسون مريديهم خرقة ولا التابعون))[3]، فالخير كل الخير في اتباع هدي من سلف، إذ به النجاة، وليس وراء ذلك إلا الابتداع في الدين بما لم يأذن به الله.

(١) أنواع المبايعة في الإسلام معروفة، ومنها: المبايعة على الإسلام، المبايعة على الجهاد، المبايعة على السمع والطاعة للولاة، أما مبايعة التلميذ لشيخه فهذا أمر مبتدع لم يكن عليه الصحابة ولا من تبعهم.

(٢) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٢١، ٢٢) باختصار يسير.

(٣) "منهاج السنة النبوية" (٨/٤٧).

الفصل الثالث

جهود الشيخ في نقد أنواع من الذكر عند الصوفية

ويشتمل على تمهيد ومبحثين:

المبحث الأول: الذكر الجماعي.

المطلب الأول: ظهور الذكر الجماعي وحكمه.

المطلب الثاني: النقول عن المذاهب الأربعة وغيرها في حكم هذا الذكر.

المطلب الثالث: نقد الأحاديث التي احتج بها أهل الطرق على اجتماعهم.

المطلب الرابع: حكم ما ينفق لجمع الناس على هذا الذكر.

المطلب الخامس: تعداد البدع الحاصلة من هذا الاجتماع.

المبحث الثاني: الذكر بالاسم المفرد، والذكر الصدري، والذكر القلبي.

تمهيد

لا ريب أن ذكر الله تعالى من أفضل الأعمال وأزكاها وأعلاها منزلة في الشريعة المحمدية، وفي شرائع الأنبياء قبله، وهو من خير الأعمال التي يتقرب بها إلى الله، ومن خير ما عُمرت به الأوقات وشغلت به الأعمار.

قال رسول الله ﷺ : (ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى. قال: ذكر الله تعالى!)[1].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في تعليقه على هذا الحديث: ((المراد بذكر الله في حديث أبي الدرداء الذكر الكامل، وهو ما يجتمع فيه ذكر اللسان والقلب بالتفكر في المعنى واستحضار عظمة الله تعالى، وأن الذي يحصل له ذلك يكون أفضل ممن يقاتل الكفار مثلاً من غير استحضار لذلك، وأن أفضلية الجهاد إنما هي بالنسبة إلى ذكر اللسان المجرد، فمن اتفق له أنه جمع ذلك كمن يذكر الله بلسانه وقلبه واستحضاره وكل ذلك حال صلاته أو في صيامه أو تصدقه أو قتاله الكفار مثلاً فهو الذي بلغ الغاية القصوى، والعلم عند الله تعالى.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي[2]: ما من عمل صالح إلا والذكر مشترط في تصحيحه، فمن لم يذكر الله بقلبه عند صدقته أو صيامه مثلاً فليس عمله كاملاً، فصار

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي الدرداء ﷺ : كتاب الدعوات، باب (٦) (٥/٤٥٩/ح٣٣٧٧)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل الذكر (٢/١٢٤٥/ح٣٧٩٠)، وأحمد (٥/١٩٥/ح٢١٧٥٠)، والحاكم في المستدرك (١/٣٧٦/ح١٨٢٥) وصححه، وقال الألباني: صحيح. "صحيح الجامع الصغير" (ح٢٦٢٩).

(٢) أبو بكر بن محمد بن عبد الله المعافري الأشبيلي، فقيه مالكي ومحدث وقاض، كانت وفاته سنة (٥٤٣هـ). انظر: "سير أعلام النبلاء" (٢٠/١٩٧-٢٠٤).

الذكر أفضل الأعمال من هذه الحيثية))[١].

وقد شرعت سائر العبادات من أجل إقامة ذكر الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿**وأقم الصلاة لذكري**﴾[٢]، قيل معناه: صل لتذكرني[٣]. وجاء عنه ﷺ أنه قال: (إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله)[٤].

ولما للذكر من أهمية بالغة في الدين ومترلة رفيعة بين سائر العبادات فقد أولت نصوص الشرع هذا الأمر عناية ظاهرة، فدل الكتاب والسنة وآثار السلف على ما يشرع من ذكر الله، وبين النبي ﷺ لأمته ما ينبغي أن يقولوه من الأذكار في عباداتهم، وفي كل شؤونهم وما يعرض لهم من أحوال.

ولما كان الذكر عبادة، فإن الواجب فيه - كسائر العبادات- الاتباع لهدي سيد الذاكرين ﷺ وهدي أصحابه ومن اتبعهم، والواجب تعظيم هذا الأمر وتوقيره، فنأخذ ما أخذوا ونترك ما تركوا، وننكر ما أنكروا.

وهذا ما جاءت نصوص الشرع بتقريره والتحذير من خلافه، فقد قال تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿**فليحذر**

(١) انظر: "فتح الباري" (١١/٢١٠)، و"ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع" (ص١١،٥٦).

(٢) سورة: "طه"، آية رقم: (١٤).

(٣) "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير (٣/١٤٥).

(٤) أخرجه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها: كتاب المناسك، باب في الرمل (٢/١٧٩/ح١٨٨٨)، والترمذي: كتاب الحج، باب ما جاء كيف ترمى الجمار (٣/٢٤٦/ح٩٠٢)، وأحمد في مواضع من مسنده، منها (٦/٧٥/٢٤٥١٢) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، وأخرجه ابن خزيمة (٤/٢٢٢/ح٢٧٣٨) والحاكم (١/٦٣٠/ح١٦٨٥) وصححه. وعزاه الشيخ الألباني إلى سنن أبي داود ومستدرك الحاكم وضعفه. "ضعيف الجامع الصغير" (ح٢٠٥٦).

(٥) سورة "الحشر"، آية رقم: (٧).

الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾[١]، وقال تعالى: **﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾**[٢]، وقال تعالى: **﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾**[٣]، وقال تعالى: **﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾**[٤].

وقد حذر النبي ﷺ تحذيراً بليغاً من الإحداث في الدين ومن التقرب إلى الله بما لم يكن موافقاً لهديه ﷺ فقال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[٥]، وفي لفظ آخر: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[٦].

فعلى هذا فإن العبرة في الذكر وفي سائر العبادات أن تكون على سبيل النبي ﷺ وهديه، ولا يلتفت إلى ما خالف ذلك، ولو كان في ظاهره خيراً، فإن الخير ما فعله النبي ﷺ ودل عليه، وما خالفه فليس كذلك.

قال الشيخ أبو بكر خوقير: ((فعلى المؤمن أن يعلم أن النبي ﷺ لم يترك شيئاً يقرب إلى الجنة إلا وقد حدث به، ولا شيئاً يبعد عن النار إلا وقد حدث به[٧].

---

(١) سورة "النور"، آية رقم: (٦٣).

(٢) سورة "الأنعام"، آية رقم: (١٥٣).

(٣) سورة "النساء"، آية رقم: (١١٥).

(٤) سورة "الشورى"، من الآية رقم: (٢١).

(٥) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، وقد تقدم تخريجه (ص٥١٣).

(٦) رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: كتاب الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٣٤٣/٣/ح١٧١٨).

(٧) جاء عن ابن مسعود ﷺ مرفوعاً: (ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا وقد أمرتكم به، ولا عمل يقرب إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه) أخرجه الحاكم (٥/٢/ح٢١٣٦) وسكت عنه، وأخرجه ابن أبي شيبة (٧٩/٧/ح٣٤٣٣٢) وحسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٨٦٥/٦/ح٢٨٦٦)، وجاء بمعناه عن أبي ذر ﷺ . انظر: "السلسة الصحيحة" (٤١٦/٤/ح١٨٠٣).

قال عبد الله بن مسعود ﷺ : (خط لنا رسول الله ﷺ خطاً، وخط خطوطاً عن يمينه وشماله، ثم قال: هذا سبيل الله، وهذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً**﴾[١] ...))[٢].

(١) سورة "الأنعام"، آية رقم: (١٥٣). والحديث أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق، باب (٢٢)، (٦٣٥/٤/ح٢٤٥٤)، وأحمد (٤٣٥/١/ح٤١٤٢) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١٨٠/١/ح٦)، والحاكم وصححه (٣٤٨/٢/ح٣٢٤١).

(٢) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٧).

المبحث الأول: الذكر الجماعي.

المطلب الأول: ظهور الذكر الجماعي وحكمه.

لقد كان أول ظهور للذكر الجماعي بعد عهد النبوة، فقد أدرك بعض كبار الصحابة حدوث الذكر الجماعي، وقابلوا ذلك بالإنكار؛ لعلمهم بمخالفته لما كان عليه الرسول ﷺ.

فقد جاء عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه كتب إليه أحد عماله: (إن ههنا قوماً يجتمعون فيدعون للمسلمين وللأمير، فكتب إليه عمر: أقبل وأقبل بهم معك. فأقبل، وقال عمر للبواب: أعد لي سوطاً، فلما دخلوا على عمر، أقبل على أميرهم ضرباً بالسوط! ...)[1].

وجاء عن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه قال لعبد الله بن مسعود ﷺ: (إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيراً. قال: فما هو؟ فقال: رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصاً، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة. قال ابن مسعود: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك أو انتظار أمرك. قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم! ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟! قالوا: حصاً نعد به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء. ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/٢٩٠/ح٢٦١٩١) ، وهو أثر صحيح رجاله رجال الشيخين. وانظر: "كتاب ما جاء في البدع" محمد بن وضاح القرطبي. دار العصيمي. ط١. (١٤١٦هـ). (ص٥٤)، نقلاً عن "ذكر الله بين الاتباع والابتداع" (ص٢٩١).

تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ﷺ أو مفتتحوا باب ضلالة! قالوا والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه ...)[١].

فهذا الإنكار من الصحابة رضوان الله عليهم لما حدث من الذكر الجماعي فيه بيان حكم هذا الذكر، فإنه لو كان خيراً لما أنكروه، بل إنهم عدوه بدعة محدثة في الإسلام لا يشرع فعلها ولا التقرب إلى الله بها، وإن كان ظاهره الخير، وقصد فاعليه الخير، لكن كما قال ابن مسعود ﷺ : وكم من مريد للخير لن يصيبه!

وقد فصل الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله في مسألة الذكر الجماعي، فقد ورد إليه سؤال جاء فيه: ((هل الاجتماع في المساجد والبيوت للذكر المعروف في زماننا برفع الأصوات والتمايل والرقص والتصفيق جائز بلا كراهة في الشرع ؟))[٢].

فبدأ الشيخ في إجابة السؤال بذكر صفة مجلس النبي ﷺ وأصحابه، والمقارنة بحال المجالس الوارد السؤال عنها، فقال رحمه الله: ((قبل ذكر نصوص المذاهب الأربعة، أذكر لكم صفة مجلس رسول الله ﷺ ، فقد كان مجلسه ﷺ مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار [وكان يتخولهم بالمواعظ والتعليم على مقتضى عادتهم][٣] وكان يأمر بعضهم بقراءة شيء من القرآن أحياناً، يأمر تارة أبا موسى الأشعري وتارة عبد الله بن مسعود، وروي عنه أنه خرج على أهل الصفة وفيهم

(١) أخرجه الدارمي في سننه (١/٧٩/ح٢٠٤) وقد سقته باختصار يسير، وقال المعلق على أحاديثه الشيخ حسين أسد: "إسناده حسن". وقد صححه الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٥/١١/ح٢٠٠٥)، وأخرجه أسلم بن سهل الواسطي (ت٢٩٢هـ) في "تاريخ واسط" (١/ص١٩٨، ١٩٩)، وأخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٩/١٢٧/ح٨٦٣٦)، وانظر: "تلبيس إبليس" (ص٢٥).

(٢) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٢٧)، حيث نقل الشيخ السؤال الوارد إليه.

(٣) في هامش المخطوط، وكذا ما يأتي بعدها بين حاصرتين من النقل عن "التحقيق فيما ينسب ...".

واحد يقرأ والباقي يستمعون، فجلس معهم[١].

وكذا كان أصحابه إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم يقرأ والباقي يستمعون، وكان عمر يقول لأبي موسى: ذكرنا ربنا[٢]، فيقرأ وهم يستمعون ...

فهذا السماع الذي كان يشهده ﷺ مع أصحابه ويستدعيه منهم، وله آثار إيمانية من المعارف القدسية والأحوال الزكية ما يطول شرحها ووصفها، وله في الجسد آثار محمودة من خشوع القلب ودموع العين واقشعرار الجلد، كما هو مذكور في القرآن[٣] ...

ولم ينقل عنه ﷺ ولا عن أصحابه ولا عن التابعين مثل اجتماع أهل زماننا على ما يسمونه من الذكر بالرقص والتصفيق وإنشاد الشعر بالغناء مع تغيير الصوت ورفعه، ولم يحدث إلا بعد القرون الفاضلة، وقد أنكره العلماء قاطبة من أرباب المذاهب الأربعة وغيرهم، ومجه العقلاء كافة، لأن نسبته إلى الدين مما يحط [مقامه] في قلوب أعدائه، فيكون أضحوكة بينهم، وسبباً لازدرائه!))[٤].

---

(١) كما روي عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: (جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستتر ببعض من العري وقارئ يقرأ علينا، إذ جاء رسول الله ﷺ فقام علينا، فلما قام رسول الله ﷺ سكت القارئ، فسلم ثم قال: ما كنتم تصنعون؟ قلنا: يا رسول الله إنه كان قارئ لنا يقرأ علينا فكنا نستمع إلى كتاب الله ...) أخرجه أحمد (٣/٩٦/ح١١٩٣٤) وقال شعيب الأرنؤوط: "ضعيف"، وأخرجه أبو داود: كتاب الشهادات، باب في القصص (٣/٣٢٣/ح٣٦٦٦)، وأبو يعلى (٢/٣٨٢/ح١١٥١). وقال الألباني: "ضعيف". "ضعيف الجامع الصغير" (ص٨/ح٤٠).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢/٤٨٦/ح٤١٧٩)، والدارمي (٢/٥٦٤/ح٣٤٩٣، ح٣٤٩٦)، وابن حبان (١٦/١٦٨/ح٧١٩٦)، وقال المعلق على أحاديث سنن الدارمي الشيخ حسين أسد: "لا يصح للانقطاع بين أبي سلمة وعمر"، وهذه علة مشتركة في جميع الروايات المشار إليها آنفاً.

(٣) بنحوه في "مختصر الفتاوى المصرية". بدر الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحنبلي البعلي (ت٧٧٧هـ). دار ابن القيم. الدمام. (ط٢). (١٤٠٦هـ). تحقيق محمد حامد الفقي. (ص٥٩٢).

(٤) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٢٧، ٢٨).

وبين الشيخ أبو بكر أن الصوفية يتمسكون في إباحة الرقص بما يدعونه من الوجد، والوجد عند الصوفية كما عرفه الغزالي:((حالة في القلب، يثمر تحريك الأطراف، إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب، وإما موزونة وتسمى التصفيق والرقص))[١].

وعرف الإمام ابن القيم الوجد الشرعي بأنه ((ثمرة أعمال القلوب من الحب في الله والبغض فيه، كما جعله النبي ثمرة كون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما، وثمرة الحب فيه وكراهة عوده في الكفر كما يكره أن يقذف في النار، فهذا الوجد ثمرة هذه الأعمال القلبية التي هي الحب في الله والبغض في الله))[٢].

وبغض النظر عن تعريف الوجد، فإن المقصد ما يصدر عنه من الأمور والأعمال، فتلك الحالة التي يصفها القوم هي ما يسترعي البحث، وهي تشبه حالة الهيمان والخروج عن الشعور.

وقد أشار الشيخ أبو بكر خوقير إلى أن بعض المتقدمين قالوا بإباحة ما يصل إليه بعض حاضري مجالس السماع والذكر من الاضطراب والحركة، بشرط أن يكونوا مغلوبين في ذلك، فلا يكونوا عندها مخاطبين بأحكام الشرع، وقد جاء في الحديث: (رفع القلم عن ثلاثة، عن المجنون المغلوب على عقله حتى يفيق ...)[٣]، ولكن الإنكار على هؤلاء يكون من جهة استدعائهم ما يكون سبباً في زوال عقولهم.

قال الشيخ أبو بكر خوقير في ذلك: ((ولم يبحه أحد إلا من اشترط فيه أمرين:

---

(١) "إحياء علوم الدين" باختصار (٢/٤١٧)، وانظر في الوجد: رسالة "السماع عند الصوفية" (ص ١٠٣-١١٤).

(٢) "مدارج السالكين" (٣/٦٩).

(٣) أخرجه أبو داود من حديث علي ﷺ: كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً (٤/١٤٠/ح٤٤٠١)، وابن خزيمة في صحيحه (٤/٣٤٨/ح٣٠٤٨) والحاكم وصححه (٢/٦٨/ح٢٣٥١)، وقال الألباني: صحيح. "صحيح الجامع الصغير" (ح٣٥١٢).

الأول أن يكون بالتواجد، والثاني أن يكون الرقص بلا تكسر ولا تثني، فمن غلب عليه التواجد ولم يملك نفسه فلا كلام لنا فيه، لأن حاله لا يعد من الرقص الذي هو بحركات موزونة بالتكسر والتثني.

قال بعضهم: أصحاب الأحوال والمواجيد مغلوبون في كل حال، قد خرجوا عن اختيارهم، وهم في ذلك الحال غير مخاطبين بالأحكام الشرعية، فلا اعتراض عليهم، وعلامة غلبة الحال وطفح البال عدم التزام إيقاعات الموسيقى.

وقال السهروردي: ولا يتحرك إلا إذا كانت حركته كحركة المرتعش الذي لا يجد سبيلاً إلى الإمساك، وكالعاطس الذي لا يقدر أن يرد العطسة، ويكون حركته بمثابة النفس الذي يتنفس، يدعوه إلى النفس داعية الطمع قهراً.

وقال السري: شرط الواجد في زعقته أن يبلغ إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لا يشعر فيه بوجع! وقد يقع هذا في بعض الواجدين نادراً، وقد لا يبلغ الواجد هذه الرتبة من الغيبة، ولكن زعقاته تخرج كالتنفس بنوع إرادة ممزوجة بالاضطرار ... اهـ[1].

وذكر العز ابن عبد السلام أن الفرق بين التواجد في ذكر الله وبين الرقص في الغناء ظاهر لكل مسلم، فإن الباعث على التواجد هو الشوق إلى الله، والمحبة في جماله وجلاله، والباعث على الرقص في الغناء إنما هو الشهوات النفسانية والأغراض الشيطانية في الفسق والفجور. اهـ[2].

قال في العوارف[3]: إنه لا يليق الرقص بالشيوخ ومن يقتدى به، لما فيه من مشابهة اللهو ...))[4].

---

(١) انتهى نقل الشيخ أبي بكر عن "عوارف المعارف"، والنقل من (٢/٣١).

(٢) انتهى نقل الشيخ عن العز، وانظر كلامه في السماع وأنواعه في "فتاوى العز" (ص ٣١٨-٣٢٥).

(٣) (٢/١٤).

(٤) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٢٨، ٢٩).

وقد تعقب الشيخ أبو بكر تلك النقول بالإنكار على من يرى أن الاجتماع على تلك الهيئة يكون عبادة وقربة، فقال: ((وجميع ما ذكره القوم في ذلك يدور على أمر التواجد، الذي هو الضالة المنشودة عندهم، وبعضهم يأمر بالتواجد تكلفاً بضرب من الاختيار قياساً على التباكي(١)، لكن قال [أبو] عمرو بن نجيد(٢): كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل(٣)، [ويروى مثله عن سهل بن عبد الله التستري](٤).

وانظر في كتاب "مدارج السالكين" في باب التواجد وباب السماع(٥) فلا يطابقه ما نراه من الرقص والغناء وما يضاف إليه في زماننا؛ لأنه مما تمجه الطباع، وقد تفعله السوقة في الأسواق ونحوها بعيداً عن الخشوع والخشية، وقد تكلف من انتصر لهم بأدلة الإباحة التي يستدل بها القوم بشروطها، فبينهما بون واسع وفرق شاسع على ما قرروه، حتى إننا نرضى فيه بتحكيم البسطاء وأجلاف البوادي، ولا نحتاج إلى رد أدلتهم بما لا يرد من شكيمتهم ولا يكسر من حدتهم ولا ينقص من وقاحتهم في دعوى أنها طاعة وقربة، وكيف يتقرب إلى الله بما لم يشرعه من تلك الهيئة المركبة مما اشتملت عليه من الرقص والتمايل والغناء والتصفيق وتغيير الصوت ورفعه وتغيير الحروف عن وضعها بزيادة وتحريف في ألفاظ الذكر من لفظ الجلالة وكلمة الإخلاص وغيرها ؟!)) (٦).

---

(١) انظر: "مدارج السالكين" (٦٩/٣).

(٢) أبو عمرو إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف بن خالد السلمي، الصوفي، كبير الطائفة مسند نيسابور، توفي سنة (٣٦٥هـ). انظر: "سير أعلام النبلاء" (١٦/١٤٦-١٤٨).

(٣) ذكره عنه ابن تيمية في: "منهاج السنة" (٣٣١/٥)، "مجموع الفتاوى" (٢١٠/١١).

(٤) في هامش المخطوط، وقد ذكر ابن تيمية هذا عن سهل التستري في: "الاستقامة" (١٤١/٢) وغيرها.

(٥) انظر "مدارج السالكين" في السماع: (٤٨١/١) وما بعدها، وفي الوجد: (٦٧/٣) وما بعدها.

(٦) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٢٩، ٣٠).

وقد نقل الشيخ أبو بكر خوقير أبياتاً أوردها ابن القيم في تصوير حال مجلس المتصوفة، جاء فيها:

تُلي الكتاب فأطرقوا لا خيفة ... لكنه إطراق ساهٍ لاهي
وأتى الغناء فكالذباب تراقصوا ... والله ما رقصوا من اجل الله
دف ومزمار ونغمة "شاهد"(١) ... فمتى شَهدت عبادة بملاهي
ثقل الكتاب عليهم لما رأوا ... تقييده بأوامر ونواهي
سمعوا له رعداً وبرقاً إذ حوى ... زجراً وتخويفاً بفعل مناهي
ورأوه أعظم قاطع للنفس عن ... شهواتها يا ويحها المتناهي
وأتى السماع موافقاً أغراضها ... فلأجل ذاك عد العظيم الجاه
أين المساعد للهوى من قاطع ... أسبابه عند الجهول الساهي
إن لم يكن خمر الجسوم فإنه ... خمر العقول مماثل ومضاهي
فانظر إلى النشوان عند شرابه ... وانظر إلى النشوان عند ملاهي
وانظر إلى تمزيق ذا أثوابه ... من بعد تمزيق الفؤاد اللاهي
فاحكم فأي الخمرتين أحق بالتـ ... ـحريم والتأثيم عند الله (٢)

---

(١) كذا في "مدارج السالكين" (ص٤٨٧)، وفي "إغاثة اللهفان" (٢٢٥/١): شادن، والشادن: الظبي الصغير عندما يقوى ويتحرك، والمعنى التشبيه بما في صوته من غنة. انظر: "لسان العرب" (١٥٦/١٠، ٤٩٢/١١).

(٢) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٥٩) وعزاه إلى "إغاثة اللهفان" (٢٢٥/١) ، وقد أوردها ابن القيم أيضاً في "مدارج السالكين" (ص٤٨٧)، ونقلها ابن عيسى في شرحه لنونية ابن القيم (٥٢٢/٢).

ونقل الشيخ أبو بكر خوقير أبياتاً في الإنكار على المتصوفة في هيئة ذكـــرهم، جاء فيها:

والرقص والصراخ والتصفيق أبـــداً بـــذكر الله لا يليـــق
وإنما المطلـــوب في الأذكـــار الذكر بالخـــشوع والوقـــار
فواجـــب تتريـــه ذكـــر الله على اللبيـــب الـــذاكر الأواه
عن كل ما تفعله أهل البـــدع ويقتدي بفعل أرباب الورع(١)

وقد قام الشيخ أبو بكر بنقل أقوال العلماء من أصحاب المـــذاهب الأربعـــة وغيرهم في بيان حكم ذلك الذكر الموصوف، كما سيأتي في المطلب التالي.

(١) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٥٩، ٦٠) وعزاه إلى "عدة أرباب الفتاوى"، وهي الفتـــاوى المسماة: "عدة أرباب الفتاوى" في مذهب أبي حنيفة، تأليف عبد الله أسعد. جمع وترتيب محمد بن علي الشرواني. المطبعة الأميرية. القاهرة. (١٣٠٤هـــ). في (٥٣٩) صفحة. و لم أقف على النقل منها.

المطلب الثاني: النقول عن المذاهب الأربعة في حكم الاجتماع للذكر.

اعتنى الشيخ أبو بكر خوقير بنقل كلام أهل العلم في هذه المسألة، ورتب أقوالهم باعتبار نسبتهم إلى المذاهب الأربعة، فذكر تحت كل مذهب جملة من أقوال أصحابه، وفيما يلي بيان ذلك، مع إضافة بعض الأقوال إلى ما ذكره الشيخ.

أولاً: مذهب الإمام أبي حنيفة.

نقل الشيخ أبو بكر عن عدة مصادر من كتب الحنفية، منها ما نقله عن الشيخ محمود العيني(١) من "شرح تحفة الملوك" (٢)، حيث قال: ((ويجب منع الصوفية الذين يدّعون الوجد والمحبة عن رفع الصوت وتمزيق الثياب عند سماع الغناء؛ لأن ذلك -أي رفع الصوت وتمزيق الثياب- حرام عند سماع القرآن، فكيف عند الغناء الذي هو حرام، خصوصاً في هذا الزمان الذي اشتهر فيه الفسق وظهرت فيه أنواع البدع، واشتهرت به طائفة تحلوا بحلية العلماء وتزايوا بزي الصلحاء، والحال أن قلوبهم ملآ من الشهوات والأهواء الفاسدة، وهم في الحقيقة ذئاب، نعوذ بالله من شرهم، فالعجب منهم أنهم يدعون محبة الله ويخالفون سنة رسوله، لأنهم يصفقون بأيديهم ويطربون وينعرون(٣)ويصعقون، وكل ذلك جهل منهم، فمن ادعى محبة الله وخالف سنة رسوله فهو كذاب، وكتاب الله يكذبه ولا شك في أنهم لا يعرفون ما الله، ولا

---

(١) أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد العيني ، من فقهاء الحنفية، توفي سنة (٨٥٥هـ).

(٢) أصل الكتاب "تحفة الملوك" لمحمد بن أبي بكر بن عبد المحسن الرازي (ت٢٧٧هـ). طبعة: دار البشائر الإسلامية. بيروت. ط١. (١٤١٧هـ). وبداية النقل منه إلى قوله: "خصوصاً في هذا الزمان" (ص٢٨٤)، وانظر: "طبقات الحنفية" (ص٣٥)، "كشف الظنون" (١/٣٧٤).

وتتمة النقل في "شرح تحفة الملوك" المسمى "منحة السلوك والديباج" توجد منه نسختان مخطوطتان بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود، برقم (٧٦٨٢) لوحاتها (١١٤)، ونسخة برقم (٣٤٦٤) ولوحاتها (١٩٥).

(٣) في هامش المخطوط: "لعلها يرقصون".

يدرون ما محبة الله ...)) [١].

ونقل الشيخ أبو بكر عن "جواهر الفقه"[٢] ما نصه: ((السماع والقول والرقص الذي يفعله المتصوفة في زماننا حرام، لا يجوز القصد والجلوس إليه)) [٣].

وقال الشيخ أبو بكر خوقير: ((ونقل الإمام البركلي[٤] في "الطريقة المحمدية" كلاماً غليظاً طويلاً في ذلك، إلى أن قال:

قلت: من له إنصاف وديانة واستقامة طبع إذا رأى رقص صوفية زماننا في المساجد والدعوات بالألحان والنغمات مختلطاً بهم المرد وأهل الأهواء من جهال العوام والمبتدعة الطغام، لا يعرفون الطهارة والقرآن والحلال والحرام، بل لا يعرفون الإيمان والإسلام، لهم زعيق وزئير ونهاق يشبه نهاق الحمير، يبدلون كلام الله تعالى، ويغيرون ذكر الله تعالى، ثم يتلفظون بألفاظ مهملة وهذيانات كريهة، مثل: هاي وهوي وهي وها، يقول: لا محالة أن هؤلاء اتخذوا دينهم لهواً ولعباً، وإن لم يكن له ممارسة بالفقه وعلم تفصيلي بحالهم.

فالويل للقضاة والحكام وسائر من يقدر على الدفع والإهدام، حيث يعرفون هذا ويشاهدونه ولا ينكرون ولا يغيرون مع قدرتهم عليهم، بل يخافون منهم

---

(١) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٣٠).

(٢) "جواهر الفقه" توجد منه نسختان مخطوطتان بمكتبة جامعة الإمام، برقم (٨٠) و(٨١) ومؤلفه: طاهر بن سلام بن قائم الأنصاري. فرغ منه سنة (٧٧١هـ). وهذا النقل أورده ابن عابدين في "حاشيته" (٣٤٩/٦).

(٣) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٣١).

(٤) محمد بن بير علي الشهير ببركلي، أحد أئمة الأحناف. توفي سنة (٩٨١هـ). انظر: "كشف الظنون" (١١١١/٢)، "الأعلام" (٦١/٦).

ويلتمسون الدعاء)) [١].

وقال الشيخ أبو بكر خوقير: ((وقال في "عدة أرباب الفتاوى"[٢]: ورقص الصوفية حرام، وكافر مستحله ولا تقبل شهادة من حضر مجالس هذا النوع ...))[٣].

ونقل الشيخ أبو بكر عن الملا علي القاري قوله: ((وكذلك الذين يصعقون عند سماع الأنغام الحسنة: مبتدعون ضالون، وليس للإنسان أن يستدعي ما يكون سبب زوال عقله، ولم يكن في الصحابة والتابعين من يفعل ذلك ولو عند سماع القرآن، بل كانوا كما وصفهم الله تعالى: ﴿**إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**﴾[٤] وما يحصل لبعضهم عند سماع الأنغام المطربة من الهذيان والتكلم ببعض اللغات المخالفة للسانه المعروف منه: فذلك شيطان يتكلم على لسانه، كما يتكلم على لسان المصروع، وذلك كله من الأحوال الشيطانية ...)) [٥].

كما نقل الشيخ أبو بكر عن "حاشية ابن عابدين" كلاماً في ذم هذا الذكر عند الصوفية[٦].

ويضاف إلى ما ذكره الشيخ من كلام الحنفية، ما جاء في "البحر الرائق شرح

(١) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٣١، ٣٢) والنقل من "الطريقة المحمدية" (ص١٨٤). ط مصطفى البابي الحلبي. ط٢. القاهرة. (١٣٧٩هـ).

(٢) لم أقف على النقل المذكور بعدة أرباب الفتوى.

(٣) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٣١).

(٤) سورة "الأنفال"، آية رقم: (٢).

(٥) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٦)، والنقل من كتاب: "الرد على القائلين بوحدة الوجود" (ص٦٢).

(٦) انظر: "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق٣١)، والنقل عن "حاشية ابن عابدين" (ت٩٧٠هـ) (٣٤٩/٦)، وهو نقل عن "شرح فتح القدير" لكمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي (ت٦٨١هـ)، (٤١٠/٧).

كتر الدقائق"(١)، وما ذكره صاحب "حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح"(٢).

ثانياً: مذهب الإمام مالك.

أورد الشيخ أبو بكر خوقير فتيا الإمام أبي بكر الطُرطُوشي(٣) في حكم الاجتماع للذكر على صفة مخصوصة، حيث قال السائل: ((ما يقول سيدنا الفقيه في جماعة يجتمعون ويكثرون من ذكر الله تعالى وذكر محمد عليه الصلاة والسلام، ثم إنهم يضربون بالقضيب على شيء من الطبل ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشياً عليه، فهل الحضور معهم جائز أم لا ؟ أفتونا يرحمكم الله تعالى.

أجاب رحمه الله كما نقله القرطبي(٤): يرحمك الله، مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة! وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار، فقاموا يرقصون حوله ويتواجدون، فهو دين الكفار وعباد العجل، وأما الطبل فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى، وإنما كان مجلس النبي ﷺ مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار، فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم عن الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم أو يعينهم على باطلهم، وهذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وابن حنبل وغيرهم من أئمة

---

(١) (٨٢/٥).

(٢) "حاشية الطحطاوي" لأحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي، (ت١٢٣١هـ). المطبعة الكبرى. مصر. (١٣١٨هـ). (ص ٢١٥).

(٣) محمد بن الوليد بن محمد بن خلف المعروف بالطرطوشي، الإمام الزاهد شيخ المالكية، كان من أئمة المسلمين الذين نشروا العلم وانتفع بهم خلق كثير، له عدة مؤلفات مفيدة، منها كتاب "تحريم السماع" مطبوع بتحقيق عبد المجيد تركي. دار الغرب الإسلامي.(١٤١٦هـ)، كانت وفاته سنة (٥٢٠هـ). انظر: "الديباج المذهب" لابن فرحون المالكي (ص ٢٧٦)، "سير أعلام النبلاء" (٤٩٠/١٩).

(٤) في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن" (٢٣٧/١١، ٢٣٨).

المسلمين. انتهى))[١].

ويلاحظ في الفتوى السابقة أن الظرطوشي نسب ذلك الحكم إلى المذاهب الأربعة، وسيأتي – فيما ذكره الشيخ أبو بكر خوقير– نقل بعض أصحاب المذهب الشافعي لهذه الفتوى وموافقتهم لها.

ونبه الشيخ أبو بكر خوقير على خطأ بعض الصوفية في نطق كلمة التوحيد بالألحان أو أنهم يَلْحنون في بعض حروفها، وأن الواجب نطقها كما جاءت في القرآن وكما نطق بها النبي ﷺ ، فنقل الشيخ عن ((مفتي المالكية بمكة في عصره في رسالته المسماة "رفع البدع والفساد عن حديقة الذكر والأوراد"[٢] ونقل فيها عن الشيخ محمود الحجازي في رسالته "التفصيل الواضح في الرد على تغيير أهل الطريق الفاضح"[٢] ما نصه: كلمة التوحيد يجب في ذكرها أن تكون مجودة صحيحة بإجماع من الفقهاء والسادة الصوفية، والمخالف مبتدع ارتكب بدعة وزوراً، لأن القرآن جاء بها على نظام خاص تعليماً للأمة كيف ينطقون بها، والنبي ﷺ ذكرها كثيراً ولقنها لأصحابه، ولم يثبت أنه ذكرها ملحونة أصلاً، فالاتباع لما كان عليه النبي وأصحابه والسلف الصالح خير من الابتداع، لاسيما في هذه الكلمة المشرفة، وإليك نصوص السادة المقتدى بهم ...)) فذكرها.

وقال الشيخ أبو بكر خوقير عقب نقله ذلك: ((وقد رد ذلك المفتي على جل خرافات المحرفين لكلمة التوحيد بالمد والتمطيط، وحقهم عندي الصفع بدل الرد! فوالله إن الخوض في ذلك مما تمجه النفس وينفر عنه قلب المؤمن))[٣].

(١) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٣٢) بتصحيح يسير من الجامع لأحكام القرآن (٢٣٨،٢٣٧/١١).

(٢) لم أقف عليها.

(٣) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٣٤).

وبين الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله حكم سماع الغناء لما رق من غزل الشعر، وأنه محرم في مذهب الإمام مالك رحمه الله، فنقل عن رسالة "كشف القناع في أحكام السماع" للقرطبي(١) : ((قال أبو إسحاق الطباع: سألت مالكاً عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء، فقال: إنما يفعله عندنا الفساق. وقال: إن اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب، وهو مذهب سائر أهل المدينة في الغناء ...)) (٢).

ويضاف إلى ما ذكره الشيخ من كلام المالكية فتوى الإمام الشاطبي في حكم اجتماع الصوفية للذكر، وهي فتوى نفيسة(٣).

ثالثاً: مذهب الإمام الشافعي.

أورد الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله عدة أقوال لأصحاب المذهب الشافعي في حكم السماع عند المتصوفة، منها ما جاء في قوله: ((وقد نقل القاضي أبو الطيب الطبري الشافعي(٤) في كتابه "ذم السماع"(٥) فتيا قاضي القضاة أبي بكر محمد بن

(١) مطبوعة بعنوان: "كشف القناع عن حكم الوجد والسماع" لأحمد بن عمر بن إبراهيم الأندلسي القرطبي (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: عبد الله بن محمد الطريقي. الرياض. ط١. (١٤١١هـ). والنقل من (ص٤٩).

(٢) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق٣٥،٣٦) وانظر في كلام الإمام مالك "الجامع لأحكام القرآن" (١٤/٥٥).

(٣) انظر: "الاعتصام" لإبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي المالكي، (ت٧٩٠هـ). (٢/٢٦٤) وما بعدها، وانظر في ترجمة الشاطبي: "الأعلام" (١/٧٥).

(٤) أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري الشافعي القاضي، كان فقيهاً ديناً ورعاً، توفي سنة (٤٥٠هـ). انظر: "سير أعلام النبلاء" (١٧/٦٦٨)، "طبقات الشافعية" (٢/٢٢٦).

(٥) مخطوط بعنوان "جواب في السماع" بالخزانة العامة بالرباط برقم (١٥٨٨). وتوجد منه مصورة بجامعة الملك سعود، رقم: (ف٦/٣٩٦). انظر: "نزهة الأسماع في مسألة السماع" لابن رجب الحنبلي. تحقيق د.عبد الله الطريقي. نشر مطابع شركة الصفحات الذهبية المحدودة. (١٤١٣هـ). (ص٧٩) حاشية (٤)، وانظر: رسالة "السماع عند الصوفية" (ص ٥٤٣).

المظفر الشامي الشافعي[(١)] الذي كان يقال عنه: لو رفع مذهب الشافعي من الأرض لأملاه من صدره. وهذه صورة فتياه بحروفها: قال: لا يجوز الضرب بالقضيب ولا الغناء بسماعه، ومن أضاف هذا إلى الشافعي فقد كذب عليه...كما نقله ابن رجب[(٢)].

وقال القاضي أبو الطيب الطبري: واعتقاد هذه الطائفة مخالف لإجماع المسلمين، فإنه ليس فيهم من جعل السماع ديناً وطاعة، ولا أرى إعلانه في المساجد والجوامع وحيث كان من البقاع الشريفة والمشاهد الكريمة، وكان مذهب هذه الطائفة مخالف لما اجتمعت عليه العلماء، ونعوذ بالله من سوء الفتن.

وقال: وبلغني أن هذه الطائفة تضيف إلى السماع النظر في وجه الأمرد، وربما زينته بالحلي والمصبغات من الثياب وتزعم أنها تقصد به الازدياد في الإيمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع، وهذه النهاية في متابعة الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم ...)) [(٣)].

وقد تقدم في فتيا الإمام أبي بكر الطرطوشي قوله في آخرها: ((... ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم أو يعينهم على باطلهم، وهذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وابن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين)).

---

(١) أبو بكر محمد بن المظفر بن بكران الشامي الحموي الشافعي، كان قاضياً زاهداً ورعاً من أوعية المذهب، توفي سنة (٤٨٨هـ). انظر: "سير أعلام النبلاء" (٨٦/١٩)، "طبقات الشافعية" (٢٧١/٢)، "طبقات الشافعية الكبرى" (٢٠٢/٤).

(٢) ابن رجب: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، فقيه ومحدث له تصانيف نافعة، توفي سنة (٧٩٥هـ) انظر: "الدرر الكامنة" (٤٢٧/٢)، "الأعلام" (٦٧/٤). والنقل عنه من كتابه"نزهة الأسماع في مسألة السماع"(ص٧٨،٧٩)، وانظر: "ابن رجب وأثره في توضيح عقيدة السلف"(ص٤٥٣).

(٣) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٣٣،٣٧)، وكلام أبي الطيب نقله ابن رجب في "نزهة الأسماع" (ص٨٤،٩١).

قال الشيخ أبو بكر خوقير عقب ذكر الفتيا : ((قال مفتي الشافعية بمكة الشيخ محمد صالح ريس[١] بعد نقله ذلك: قال الشيخ ابن حجر[٢] بعد نقله ذلك: فتأمله واحفظه، فإنه الحق وغيره الباطل الذي غايته القطيعة والآثام.

ونقل المفتي المذكور عن ابن عبد السلام[٣] قوله في "قواعده"[٤]: الرقص والتصفيق خفة ورعونة مشابهة لرعونة الإناث، لا يفعله إلا أرعن أو متصنع جاهل، ويدل على جهالة فاعله أن الشريعة لم ترد بهما في كتاب ولا سنة ، ولا فعل ذلك أحد من الأنبياء ولا معتبر من أتباعهم، وإنما يفعله الجهلة السفهاء الذين التبست عليهم الحقائق بالأهواء ...))[٥].

ونقل الشيخ أبو بكر خوقير عن ابن حجر الهيتمي من كتابه "الزواجر"[٦] قوله: ((سئل العز ابن عبد السلام عن استماع الإنشاد في المحبة والرقص، فقال: بدعة لا يتعاطاها إلا ناقص العقل فلا يصح إلا للنساء))[٥].

ونقل الشيخ أبو بكر خوقير عن الحليمي من "المنهاج" قوله: ((الرقص الذي

---

(١) محمد صالح (أو صالح) بن إبراهيم بن محمد الريس، محدث مفسر، كان بارعاً في علم الأصول والفروع، وله مؤلفات منها رسالة في السماع والرد على أهل الزيغ والميل إلى المحرمات والابتداع. توفي بمكة سنة (١٢٤٠هـ). انظر: "هدية العارفين" (٢٦١/٢)، "أعلام المكيين" (ص٤٦١).

(٢) هو أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي الشافعي، كان فقيهاً محدثاً سكن مكة، توفي سنة (٩٧٣هـ). انظر: "أبجد العلوم" (١٦٤/٣)، "كشف الظنون" (٥٧/١). وقد نقل فتوى الطرطوشي في كتابه "كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع" مطبعة مصطفى البابي الحلبي. (ص ٧٦).

(٣) أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، من كبار فقهاء الشافعية. كانت وفاته سنة (٦٦٠هـ). انظر: "طبقات الشافعية" (١٠٩/٢)، "طبقات الشافعية الكبرى" (٢٠٩/٨)، "طبقات الفقهاء" (ص٢٦٧).

(٤) "قواعد الأحكام في مصالح الأنام" دار الكتب العلمية. بيروت. (١٨٦/٢) باختلاف يسير في النقل.

(٥) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٣٢).

(٦) "الزواجر عن اقتراف الكبائر". دار المعرفة. بيروت. (١٤٠٨هـ). والنقل عنه من (٢٠٩/٢).

فيه تكسر وتثني يشبه أفعال المخنثين: حرام على الرجال والنساء)) [١].

ويضاف إلى ما أورده الشيخ أبو بكر من كلام الشافعية فتوى الإمام ابن الصلاح[٢] رحمه الله حيث سئل عن ((أقوام يقولون: إن سماع الغناء بالدف والشبابة حلال ... ثم يتفرقون عن السماع بالرقص والتصفيق ويعتقدون أن ذلك حلال وقربة يتوصلون بها إلى الله تعالى ويقولون إنه أفضل العبادات. فهل ذلك حرام أم حلال؟ ومن ادعى تحليل ذلك هل يزجر أم لا؟ وهل يجب على ولي الأمر أن يمنعهم من ذلك؟

فأجاب رحمه الله: لِيُعلم أن هؤلاء من إخوان أهل الإباحة الذين هم أفسد فرق الضلالة، ومن أجمع الحمقى لأنواع الجهالة والحماقة، هم الرافضون شرائع الأنبياء القادحون في العلم والعلماء، لبسوا ملابس الزهاد وأظهروا ترك الدنيا واسترسلوا في اتباع الشهوات، وأجابوا دواعي الهوى وتظاهروا باللهو والملاهي فتشاغلوا بما لم يكن إلا في أهل البطالة والمعاصي، وزعموا أن ذلك يقربهم إلى الله تعالى زلفى مقتدون فيه بمن تقدمهم من أهل الرشاد، ولقد كذبوا على الله سبحانه وتعالى وعلى عباده الذين اصطفى ...)) [٣]

ويضاف أيضاً إلى أقوال الشافعية فتوى الإمام عماد الدين ابن كثير صاحب التفسير المشهور، حيث قال: ((وأما اتخاذ هذا الطرب قربة وطريقة ومسلكاً يتوصل به إلى نيل الثواب، فهو بدعة شنعاء لم يقله أحد من الأنبياء ولا نزل به كتاب من السماء ...))[٤].

---

(١) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق٣٢)، والنقل عن الحليمي أورده الإمام النووي مقراً له في "روضة الطالبين" (١١/٢٢٩).

(٢) أبو عمرو، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، المعروف بابن الصلاح، كان على جانب كبير من العلم والدين، تولى التدريس والإفتاء، كانت وفاته سنة (٦٤٣هـ). انظر: "سير أعلام النبلاء" (٢٣/١٤٠).

(٣) "فتاوى ابن الصلاح" (٢/٤٩٩) وما بعدها.

(٤) انظر: "الكلام على مسألة السماع" لابن القيم (ص ٤٦٥)، و"السماع عند الصوفية" (ص٣٩٧).

ويضاف أيضاً كلام الحافظ ابن حجر العسقلاني، رحمه الله، حيث قال: ((قال القرطبي: "وأما ما ابتدعه الصوفية في ذلك، فمن قبيل ما لا يختلف في تحريمه، لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب إلى الخير، حتى لقد ظهرت من كثير منهم فعلات المجانين والصبيان، حتى رقصوا بحركات متطابقة وتقطيعات متلاحقة، وانتهى التواقح بقوم منهم إلى أن جعلوها من باب القرب وصالح الأعمال، وأن ذلك يثمر سني الأحوال! وهذا على التحقيق من آثار الزندقة وقول أهل المخرفة، والله المستعان" اهـ. وينبغى أن يعكس مرادهم ويقرأ: سيء الأحوال!))[1].

ويضاف كلام الحافظ السيوطي، حيث قال رحمه الله: ((ومن ذلك ما أُحدث من السماع والرقص والوجد، وفاعل ذلك ساقط المروءة مردود الشهادة، عاصٍ لله ورسوله، وهو محظور اهـ. وقال: ومن ذلك الرقص والغناء في المساجد، وضرب الدف أو الرباب أو غير ذلك من آلات الطرب، فمن فعل ذلك في المسجد فهو مبتدع ضال، مستحق للطرد والضرب!))[2].

رابعاً: مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

أورد الشيخ أبو بكر خوقير كلام الإمام أبي الوفاء ابن عقيل[3] في النهي عن الرقص، حيث قال: ((قد نص القرآن على النهي عن الرقص، فقال: ولا تمش في الأرض مرحاً، وذم المختال حيث قال: ﴿**إن الله لا يحب كل مختال فخور**﴾[4]،

---

(١) انظر: "فتح الباري" (٢/٤٤٢، ٤٤٣).

(٢) "حقيقة السنة والبدعة" ؟؟

(٣) أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي، شيخ الحنابلة في عصره، صاحب تصانيف منها "الفنون" في أكثر من أربعمائة مجلد. توفي سنة (٥١٣هـ). انظر: "سير أعلام النبلاء" (١٩/٤٤٣)، "طبقات الحنابلة" (٢/٢٥٩).

(٤) سورة "لقمان"، آية رقم: (١٨).

والرقص أشد المرح والبطر[١].

وقد شنع في مقال آخر على من يرقص من أهل زمانه، فقال [ما معناه][٢]: هل رأيتم عاقلاً يرقص؟! وإن التواجد الذي يجدون من تأثير الغناء، ولهم ليال يسمونها المحيا إن هي إلا أحياء لأهوائهم)) [٣].

ونقل الشيخ أبو بكر عن ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) من "تلبيس إبليس"[٤]، ومما قاله ابن الجوزي: ((أي معنى في الرقص إلا اللعب الذي يليق بالأطفال؟! وما الذي فيه من تحريك القلوب إلى الآخرة ؟! هذه والله مكابرة باردة!))[٥].

ونقل الشيخ أبو بكر خوقير عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: ((وأما الرقص فلم يأمر الله عز وجل به ولا رسوله ولا أحد من الأئمة، بل قال الله تعالى : **﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾**[٦] والرقص شيء من هذا، وقال تعالى: **﴿واقصد في مشيك﴾**[٧] وقال تعالى: **﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً﴾**[٨] أي بسكينة ووقار، وإنما عبادة المسلمين الركوع والسجود، بل الزفن[٩] والرقص في الطريق لم يأمر الله به ولا رسوله ولا أحد من سلف الأمة، بل أمروا في الصلاة

(١) أورد القرطبي كلام ابن عقيل، انظر: "الجامع لأحكام القرآن" (٢٦٣/١٠).

(٢) في هامش المخطوط.

(٣) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٣٥).

(٤) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٣٩)، والنقل عن "تلبيس إبليس" (ص ٢٧٤).

(٥) "تلبيس إبليس" (ص ٣١٨).

(٦) سورة: "لقمان"، آية رقم: (١٨).

(٧) سورة: "لقمان"، آية رقم: (١٩).

(٨) سورة "الفرقان"، آية رقم: (٦٣).

(٩) الزفن: الرقص. انظر: "لسان العرب" (١٩٧/١٣)، "النهاية" (٣٠٥/٢).

بالسكينة والوقار، ولو ورد على الإنسان حال يغلب فيها حتى يخرج إلى حالة خارجة عن الشرع، وكان ذلك الحال بسبب مشروع، كسماع القرآن الكريم ونحوه، لسلم إليه ذلك، فأما الذي إذا تكلف من الأسباب ما لم يؤمر به، مع علمه بأنه يوقعه فيما لا يصلح له، فهو بمنزلة من شرب الخمر مع علمه أنها تسكره. وإذا قال: ورد علي حال وأنا سكران، قيل له: إذا كان السبب محظوراً لم يكن صاحبه معذوراً.

فهذه الأحوال الفاسدة من كان فيها صادقاً فهو مبتدع ضال من جنس خفر التتر وأعوان الظلمة من ذوي الأحوال الفاسدة الذين ضاهوا عبادة النصارى والمشركين ببعض ما لهم من الأحوال، ومن كان كاذباً فهو منافق ضال)) [1].

وقال الشيخ أبو بكر خوقير: ((وقد ألف العلامة ابن رجب رسالة تسمى: "نزهة الأسماع في مسألة السماع" لأنه سئل عنها، فقسم الكلام فيه على قسمين، فقال:

القسم الأول: أن يقع على وجه اللعب واللهو، فأكثر العلماء على تحريم ذلك، أعني سماع الغناء وسماع آلات الملاهي كلها، وكل منهما محرم بانفراده ...

القسم الثاني: أن يقع استماع الغناء بآلات اللهو أو بدونها على وجه التقرب إلى الله تعالى وتحريك القلوب إلى محبته والأنس به والشوق إلى لقائه، وهذا هو الذي يدعيه كثير من أهل السلوك ومن يتشبه بهم ممن ليس منهم وإنما يستتر بهم ويتوصل بذلك إلى بلوغ غرض نفسه من نيل لذته، فهذا المتشبه بهم مخادع ملبس، وفساد حاله أظهر من أن يخفى على أحد، وأما الصادقون في دعواهم ذلك وقليل ما هم فإنهم ملبوس عليهم، حيث تقربوا إلى الله بما لم يشرعه الله، واتخذوا ديناً لم يأذن فيه، فلهم

(١) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق٣٥) والنقل عن ابن تيمية بمجموع الفتاوى (٥٩٩/١١، ٦٠٠).

نصيب ممن قال الله فيه: ﴿**وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية**﴾[(١)] والمكاء الصفير والتصدية التصفيق باليد، كذا قاله غير واحد من السلف، وقال تعالى :﴿**أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله**﴾[(٢)] فإنه إنما يتقرب إلى الله بما يشرع التقرب به إليه على لسان رسوله، فأما ما نهى عنه فالتقرب به إليه مضادة لله في أمره ...

ولا ريب أن التقرب إلى الله بسماع الغناء الملحن لا سيما مع آلات اللهو مما يعلم بالضرورة من دين الإسلام بل ومن سائر شرائع المسلمين أنه ليس مما يتقرب به إلى الله، ولا مما تزكى به النفوس وتطهر به، فإن الله تعالى شرع على ألسنة الرسل كلما تزكو به النفوس وتطهر من أدناسها وأوضارها، ولم يشرع على لسان أحد من الرسل في ملة من الملل شيئاً من ذلك، وإنما يأمر بتزكية النفوس بذلك من لا يتقيد بمتابعة الرسل من أتباع الفلاسفة، كما يأمرون بعشق الصور وذلك كله مما تحيى به النفوس الأمارة بالسوء لما لها فيه من الحظ، ويقوى به الهوى وتموت به القلوب المتصلة بعلام الغيوب وتبعد به عنه، فغلط هؤلاء واشتبه عليهم حظوظ النفس وشهواتها بأقوات القلوب الطاهرة والأرواح الزكية المعلقة بالمحل الأعلى، واشتبه الأمر في ذلك أيضاً على طوائف من المسلمين ممن ينتسب إلى السلوك، ولكن هذا مما حدث في الإسلام بعد انقراض القرون الفاضلة.

وكان قد حدث قبل ذلك حدثان، أحدهما قراءة القرآن بالألحان بأصوات الغناء وأوزانه وإيقاعاته على طريقة أصحاب الموسيقى، فرخص فيه بعض المتقدمين إذا قصد الاستعانة على إيصال معاني القرآن إلى القلوب للتحزين والتشويق والتخويف والترقيق، وأنكر ذلك أكثر العلماء، ومنهم من حكاه إجماعاً ولم يثبت فيه نزاعاً ...

---

(١) سورة "الأنفال"، آية رقم: (٣٥).

(٢) سورة "الشورى"، من الآية رقم: (٢١).

الحدث الثاني: سماع القصائد الرقيقة المتضمنة للزهد والتخويف والتشويق، فكان كثير من أهل السلوك والعبادة يستمعون ذلك وربما أنشدوها بنوع من الألحان استجلاباً لترقيق القلوب بها، ثم صار منهم من يضرب مع إنشادها مع جلد ونحوه بقضيب ونحوه، وكانوا يسمون ذلك التغبير[1]، وصح عن الشافعي أنه قال: "تركت بالعراق شيئاً يسمونه التغبير، وضعته الزنادقة يصدون به الناس عن القرآن"، وكرهه الإمام أحمد، وقال: هو بدعة ومحدث، قيل له: إنه يرقق القلب؟ قال: بدعة[2].

ومن أصحابنا من حكى عنه رواية أخرى في الرخصة في سماع القصائد المجردة، وهي اختيار أبي بكر الخلال وصاحبه أبي بكر عبد العزيز وجماعة من التميميين، وهؤلاء يحكى عنهم الرخصة أيضاً، وإنما أرادوا سماع هذه القصائد الزهدية المرققة، لم يرخصوا في أكثر من ذلك ...))[3].

ويضاف إلى ما ذكره الشيخ أبو بكر من أقوال الحنابلة كلام الإمام ابن بطة العكبري (ت٣٨٧هـ) من كتابه "الإبانة"[4].

---

(١) قال في "لسان العرب" (٥/٥): ((والمغبرة: قوم يغبرون بذكر الله تعالى بدعاء وتضرع، قال الأزهري: وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله تغبيراً، كأنهم إذا تناشدوه بالألحان طربوا فرقصوا وأرهجوا فسموا مغبرة لهذا المعنى. قال الأزهري: وروي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال أرى الزنادقة وضعوا هذا التغبير ليصدوا عن ذكر الله وقراءة القرآن. وقال الزجاج: سموا مغبرين لتزهيدهم الناس في الفانية وهي الدنيا وترغيبهم في الآخرة الباقية)) باختصار.

(٢) انظر في النقل عن الإمام الشافعي: "سير أعلام النبلاء" (٩١/١٠) و"مجموع الفتاوى" (٢١٢/٣٠)، وقال ابن القيم: (وقد تواتر عن الشافعي أنه قال ...) "إغاثة اللهفان" (٢٢٩/١).

وانظر في النقل عن الإمام أحمد: "الفروع" (٢٣٧/٥)، "الإنصاف" (٣٤٣/٨)، "كشف القناع" (١٨٣/٥).

(٣) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٣٦-٣٩) باختصار، والنقل عن "نزهة الأسماع" (ص٣٤-٨٧) من مواضع متفرقة.

(٤) "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية" (١٩٧/٣-٢٠٠).

وقد تطرق الشيخ أبو بكر خوقير إلى مسألة تحريم الرقص على وجه العبادة عند النصارى، فقال رحمه الله: ((وقد كان الرقص من العادات المقدسة المحترمة حتى عند رؤساء الدين المسيحي، حتى قام بعض الفلاسفة والملوك في المنع منه وذمه والنهي عنه، فإن شيشرون الخطيب الروماني قال: لا يرقص أحدكم إلا إذا كان فاقد العقل ضائع الشعور.

وأفادت تواريخ الكنائس أنه ما استقر الرقص متبعاً في الكنائس مدة حتى اشتبهت في أمره الحكومات، خصوصاً حينما كان يقام أثناء الليل لأنه سول للقسوس شرب الخمر وارتكاب المحارم وسط المعابد، فصدرت أوامر أئمة الكنيسة بإبطاله، وأقر على هذا المشروع مجمع سنة (٦٩٢) فلم تأت تلك الأوامر ولا قرارات هذا المجمع بفائدة من الفوائد، بل استمر الرقص قائماً على قدم وساق في قلب الكنائس وأفنية مدافن الأموات إلى زمن البابا غريفورس الثالث الذي تمكن من إلغائه ظاهراً، وإن كانت أوامره في غاية التشديد والتهديد والوعيد))[1].

ويتبين من النقول السابقة عن أهل العلم من أصحاب المذاهب الأربعة وغيرهم أن الذكر الجماعي ليس من شرائع الإسلام، ومثله ما يلحقه من الرقص والتصفيق، فهذه أمور مبتدعة حادثة في الإسلام، قابلها العلماء بالإنكار والتحذير منها ومن طريقة أصحابها.

---

(١) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق"(ق ٤١) ولم يصرح بالمصدر الذي نقل عنه، بل قال: قال بعضهم.

المطلب الثالث: نقد استدلال المتصوفة على اجتماعهم ببعض الأحاديث النبوية.

تعرض الشيخ أبو بكر خوقير إلى نقد بعض الأحاديث[١] التي استدل بها المتصوفة على مشروعية اجتماعهم على ذكرهم وعلى ما يفعلونه في ذلك الاجتماع، وهذا النقد إما أن يكون من جهة الاستدلال أو من جهة ثبوت الحديث، فإنهم قد أوردوا بعض الأحاديث الصحيحة ولكنها لا تدل على ما ذهبوا إليه وراموه، وأما الأحاديث الضعيفة والتي لا تثبت فإنها لا تصلح لأن تكون حجة يستند إليها.

وفيما يلي بيان تلك الأحاديث وجواب الشيخ عنها.

الحديث الأول: ما روي عنه ﷺ : (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا. قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر)[٢].

وهو حديث ضعيف لا يثبت عن النبي ﷺ ، ومع ذلك فإنه لا يدل على الذكر الجماعي، فإن المقصود بمجالس الذكر أي مجالس العلم والوعظ، لا أن يجتمع أناس ويرفعون أصواتهم بالذكر على صفة لم تعرف عن النبي ﷺ ولا أصحابه.

وقد بين الشيخ أبو بكر خوقير ما المراد بمجالس الذكر فقال: ((كان ابن مسعود رضي الله عنه إذا ذكر هذا الكلام يقول: أما إني لا أعني القصّاص ولكن حلق الفقه.

وقال عطاء الخرساني[٣]: مجالس الذكر مجالس الحلال والحرام، كيف تشتري

(١) وهي الأحاديث التي ورد للشيخ السؤال عنها، وعددها سبعة أحاديث.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه : كتاب الدعوات (٥/٥٣٢/ح٣٥١٠)، وأحمد (٣/١٥٠/ح١٢٥٤٥)، وأبو يعلى (٦/١٥٥/ح٣٤٣٢). وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد: ضعيف. وقال الألباني: ضعيف. "ضعيف الجامع الصغير" (ص١٠٠/ح٦٩٩).
وأخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : كتاب الدعوات (٥/٥٣٢/ح٣٥٠٩) وقال الألباني: ضعيف. "ضعيف الجامع الصغير" (ص١٠٠/ح٧٠١).

(٣) عطاء بن أبي مسلم الخراساني: محدث من أتباع التابعين، توفي سنة (١٣٥هـ). انظر: "التاريخ الكبير" (٦/٤٧٤)، "تقريب التهذيب" (رقم ٤٦٠٠).

وتبيع وتصلي وتصوم وتنكح وتطلق وتحج، وأشباه هذا.

وكان أبو السوار العدوي(١) في حلقة يتذاكرون العلم ومعهم فتى شاب، فقال لهم: قولوا سبحان الله والحمد لله، فغضب أبو سوار وقال: ويحك! في أي شيء كنا إذاً ؟!

والمراد من هذا أن مجالس الذكر لا تختص بالمجالس التي يذكر فيها اسم الله بالتسبيح والتكبير والتحميد ونحوه، بل تشمل ما فيه أمر الله ونهيه وحلاله وحرامه وما يحبه ويرضاه؛ لأن معرفة الحلال والحرام واجبة في الجملة على كل مسلم بحسب ما يتعلق به من ذلك، وأما ذكر الله باللسان فإن أكثره يكون تطوعاً وقد يكون واجباً كالذكر في الصلاة المكتوبة ...

ويشهد له قوله تعالى: ﴿**فاسألوا أهل الذكر**﴾(٢) وقد ورد ذلك الحديث عن ابن عباس في رواية الطبراني بلفظ: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: مجالس العلم)(٣) فهي تفسر رواية حلق الذكر.

فلم تكن حلقة للذكر باللسان على عهد النبي ﷺ ولا صحابته من بعده، ولو كان لاستفاض به النقل، ولو قيل إن الاجتماع ما زال موجوداً في لفظ الذكر فنقول: لا بأس بالذكر إذا لم يخرج عن الحد الشرعي))(٤).

الحديث الثاني: وهو ما جاء في قصة ابنة حمزة لما تنازع في تربيتها علي وجعفر

---

(١) حسان بن حريث العدوي: ثقة من التابعين. انظر: "التاريخ الكبير" (٣/٣٠)، "الجرح والتعديل" (٣/٢٢٣)، "تهذيب التهذيب" (١٢/١٣٥).

(٢) سورة "النحل"، آية رقم: (٤٣).

(٣) أخرجها الطبراني في الكبير (١١/٥٥/ح١١١٥٨) وقال الألباني: ضعيف. "ضعيف الجامع الصغير" (ص١٠٠/ح٧٠٠).

(٤) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٤٢) باختصار يسير.

وزيد ﷺ ، فقال النبي ﷺ لعلي: (أنت مني وأنا منك، فحَجَلَ[(١)] علي، وقال لجعفر: أشبهت خلقي وخلقي، فحجل وراء حجل علي، وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا، فحجل وراء حجل جعفر، ثم قال ﷺ: هي لجعفر لأن خالتها تحته، والخالة كالأم)[(٢)].

وقد بين الشيخ أبو بكر خوقير ضعف الرواية التي فيها لفظ الحجل لعدم وروده في الروايات الصحيحة، فقال: ((ولم يوجد لفظ الحجل إلا في رواية هانئ بن هانئ[(٣)] ...

قال ابن حجر في التقريب[(٤)]: هانئ بن هانئ الكوفي من المستورين.

ولما أورده البيهقي قال: "هانئ بن هانئ ليس بالمعروف جداً، وفي هذا إن صح دلالة على جواز الحجل، وهو أن يرفع رجلاً ويقفز على الأخرى من الفرح، فالرقص

---

(١) الحجل أن يرفع رجلاً ويقفز على الأخرى من الفرح. انظر: "النهاية في غريب الحديث" (٣٤٦/١)، "لسان العرب" (١٤٤/١١)، وذكر معناه الشيخ أبو بكر خوقير (ق ٤٣).

(٢) أخرجه البخاري من غير ذكر الحجل: كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح ... (٩٦٠/٢/ح٢٥٥٢)، كما أخرجه غيره مثله: أبو داود (٢٨٤/٢/ح٢٢٧٨) وابن حبان (٢٢٩/١١/ح٤٨٧٣) والحاكم (١٣٠/٣/ح٤٦١٤) وغيرهم.

وجاء ذكر الحجل في رواية أحمد (١٠٨/١/ح٨٥٧) وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف. وفي رواية البيهقي (٢٠٨١٦/٢٢٦/١٠).

(٣) يلاحظ أن البيهقي أورد رواية أخرى فيها متابعة هبيرة بن يريم لهانئ بن هانئ، في "السنن الكبرى" (٦/٨/ح١٥٥٤٨)، وهبيرة قد وثقه ابن حبان وغيره، وقال ابن حجر: لا بأس به. انظر: "تقريب التهذيب" (رقم ٧٢٦٨)، "لسان الميزان" (٤١٧/٧)، "الثقات" لابن أبي حاتم (٥١١/٥). لكن تعل هذه الرواية بكون الراوي عن أبي إسحاق هو زكريا بن أبي زائدة، وهو ممن سمع من أبي إسحاق بعدما كبر، وقد ضعف أحمد حديث زكريا عن أبي إسحاق. انظر: "تهذيب الكمال" (٣٦١/٩).

(٤) (ص٥٠٧/رقم ٧٢٦٤)، وقال ابن سعد في هانئ بن هانئ: منكر الحديث. "طبقات ابن سعد" (٢٢٣/٦).

الذي يكون على مثله في الجواز" (١))) (٢).

وأورد الشيخ أبو بكر خوقير كلامَ الملا علي القاري في هذا الحديث، حيث قال: ((قال بعض المحققين: ما أبعد من استدل على إباحة الرقص المعروف بالنقص بهذا الحديث، وذلك لأن المراد بالحجل ههنا غاية الفرح ونهاية المرح بحيث لم يقدر صاحبه أن يضبط نفسه عن السكون في مقامه والثبات في حال قعوده بالميل إلى قيامه ولعلهم كانوا قائمين أو في ما حوله هائمين ، فليس فعلهم كمدعي زماننا، ولله در القائل:

لم يشرع المصطفى الهادي لأمته فعل المكاء ولا رقصاً ولا تصفيقاً))(٣).

فما جاء من ذكر الحجل لا يثبت، وعلى فرض ثبوته فإنه لا يدل على رقص الصوفية وتمايلهم في ذكرهم.

الحديث الثالث: ما روي عن أنس ﷺ أنه قال: (كنا عند رسول الله ﷺ إذ نزل عليه جبريل فقال: يا رسول الله إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام ففرح رسول الله ﷺ فقال أفيكم من ينشدنا ؟ فقال بدوي نعم أنا يا رسول الله. فقال: هات. فأنشد البدوي شعراً

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقي

إلا الحبيب الذي قد شغفت به فعنده رقيتي وترياقي

فتواجد رسول الله ﷺ وتواجد الأصحاب معه حتى سقط رداءه عن منكبيه!

---

(١) "السنن الكبرى" (١٠/٢٢٦).

(٢) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٤٣).

(٣) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق٤٣) وعزا النقل عن الملا علي القاري إلى كتابه "شرح آداب المريدين" ولم أقف عليه.

فلما فرغوا آوى كل واحد إلى مكانه، قال معاوية بن أبي سفيان: ما أحسن لعبكم يا رسول الله! فقال: مه يا معاوية! ليس بكريم من لم يهتز عند سماع ذكر الحبيب! ثم قسم رداءه ﷺ من حاضرهم بأربعمائة قطعة)(١).

وقد أورده الشيخ أبو بكر خوقير عن السهروردي فقال: ((ذكره صاحب العوارف عن الحافظ [ابن] طاهر المقدسي(٢) ...

قال صاحب العوارف: وهذا الحديث أوردناه مسنداً كما سمعناه ووجدناه، وقد تكلم في صحته أصحاب الحديث وما وجدنا شيئاً نقل عن رسول الله ﷺ يشاكل وجد أهل الزمان وسماعهم واجتماعهم وهيأهم غير هذا، وما أحسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وقسمتها، أن لو صح)) (٣).

ثم بين الشيخ أبو بكر أن الحديث موضوع، ونقل أقوال بعض أهل العلم فيه.

وقد أعل الشيخ أبو بكر هذا الحديث بوجود أحد الوضاعين في إسناده، وبكونه يخبر عن حادثة شهدها جمع كبير من الصحابة ثم ينفرد بإسناده ذلك الوضاع (٤).

---

(١) أورده الحافظ الذهبي في "ميزان الاعتدال" (١٩٨/٥) في ترجمة عمار بن إسحاق، وقال: (كأنه واضع هذه الخرافة التي فيها قد لسعت حية الهوى كبدي، فإن الباقين ثقات)، وقال الحافظ ابن حجر في "لسان الميزان" (٢٧٠/٤) (رواه ابن طاهر في السماع ...) وذكر إسناده. وكتاب "السماع" لابن طاهر مطبوع في مطبعة "القاهرة" (١٣٩٠هـ) وعدد صفحاته (١٠٣)، و لم أقف على الحديث به.

(٢) أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي، فقيه شافعي عنده تأثر بالتصوف، له كثير من المصنفات، ومن مصنفاته: "صفوة التصوف" قال عنه ابن الجوزي: (يضحك منه من رآه ويعجب من استشهاداته بالأحاديث التي لاتناسب!) كانت وفاته سنة (٥٠٧هـ). انظر: "سير أعلام النبلاء" (٣٦١/١٩)، "كشف الظنون" (١٠٧٩/٢).

(٣) التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٤٣،٤٤) والنقل عن "عوارف المعارف" (٣٥/٢،٣٦).

(٤) انظر: "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٤٤).

وقد نقل الشيخ أبو بكر عن صاحب "تتريه الشريعة"[١] نقده لهذا الحديث، حيث قال: ((رواه الحافظ ابن طاهر، وهو باطل.

قال الحافظ أبو موسى المديني[٢]: قد عاب غير واحد من أهل العلم ابن طاهر بإيراد هذا الحديث في كتابه.

وكتب شيخ الإسلام أبو الفرج عبد الرحمن بن [أبي] عمر المقدسي[٣] وقد سئل عن هذا الحديث بما ملخصه: إن الواقف عليه يظهر له أنه موضوع لركاكة ألفاظه ومباينته ومخالفته لما صح من النهي عن إضاعة المال ونفرة القلوب منه.

وكتب الإمام النووي وقد سئل عنه: باطل لا تحل روايته ولا نسبته إلى النبي ﷺ ويعزر من رواه عالماً تعزيراً بليغاً، ولا يغتر بكونه في عوارف المعارف وغيره، مع أن صاحب العوارف قال[٤]: يخالج سري أنه غير صحيح، وتأبى القلوب قبوله.

وقال الذهبي وهو من أئمة الحديث وكبار الحفاظ في "الميزان"[٥] وابن حجر في "اللسان"[٦]: عمار بن إسحاق عن سعيد بن عامر الضبعي: كأنه واضع حديث هذه

(١) هو علي بن محمد بن علي الكناني (ت٩٦٣هـ) صاحب كتاب "تتريه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الموضوعة" دار الكتب العلمية. بيروت. ط١. (١٣٩٩هـ)، والنقل عنه من (٢/٢٣٣)، والشيخ أبو بكر نقل عنه بواسطة كتاب "معرفة الأحاديث الموضوعة" للعراقي، ولم أقف عليه.

(٢) أبو موسى أحمد بن أبي بكر بن عمر المديني، ترجم له الذهبي بقوله: الحافظ الكبير شيخ الإسلام صاحب التصانيف ... كانت وفاته سنة (٥٨١هـ). انظر: "تذكرة الحفاظ" (٤/١٣٣٤-١٣٣٧).

(٣) أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المقدسي، من شيوخ الذهبي، نعته بشيخ الإسلام. انظر: "سير أعلام النبلاء" (٩/٣٥٢، ٢٢/٥). وتصحيح الاسم من "تتريه الشريعة" (٢/٢٣٣).

(٤) "عوارف المعارف" (٢/٣٦) ونص كلامه: يخالج سري أنه غير صحيح ... ويأبى القلب قبوله.

(٥) "ميزان الاعتدال" (٥/١٩٨)

(٦) "لسان الميزان" (٤/٢٧٠).

الخرافة التي فيها قال: لسعت حية الهوى كبدي، فإن الباقين ثقات)) [١].

كما نقل الشيخ أبو بكر خوقير عن الملا علي قاري نقده لهذا الحديث، حيث قال[٢]: ((قال ابن تيمية: "ما اشتهر أن أبا محذورة أنشد بيتين بين يديه ﷺ وأنه تواجد حتى وقعت البردة الشريفة عن كتفيه فقاسمها فقراء الصفة وجعلوها رقعاً في ثيابهم: كذب باتفاق أهل العلم بالحديث، وما روي في ذلك موضوع"[٣].

قال السيوطي أخرجه الديلمي من حديث أنس، وقال تفرد أبو بكر عمار بن إسحاق، وقال الذهبي في الميزان: كأنه واضعه)) [٤].

وأشار الشيخ إلى تضعيف السخاوي لهذا الخبر[٥].

ونبه الشيخ أبو بكر خوقير إلى أنه ورد دخول الفقراء الجنة قبل الأغنياء، وقد صح ذلك من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ : (يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمسمائة عام)[٦]، فهذا أمر ثابت بالنقل، لكن زيادة القصة في تواجد النبي ﷺ وأصحابه لا تثبت.

---

(١) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٤٤،٤٥).

(٢) النقل من كتابه "الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة" (ص ٢٨٠).

(٣) النقل عن ابن تيمية من كتاب بعنوان "أحاديث القصاص" لابن تيمية. المكتب الإسلامي. ط١. (١٣٩٢هـ). (ص٧٦،٧٧)، وقد حكم ابن تيمية على هذا الحديث بالوضع في عدة مواضع من كتبه، انظر: "الاستقامة" (٢٩٦/١)، "مجموع الفتاوى" (١١/٥٨،١٦٨،٥٦٣) وغيرها.

(٤) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٤٤).

(٥) السابق، وقد ذكر السخاوي الحديث في "المقاصد الحسنة" (ص٣٣٣/ح٨٥٦) وأورد كلام ابن تيمية.

(٦) أخرجه أحمد (٢/٣٤٣/ح٨٥٠٢) والترمذي: كتاب الشهادات، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم ... (٤/٥٧٨/ح٢٣٥٤)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب منزلة الفقراء (٢/١٣٨٠/ح٤١٢٢)، وابن حبان (٢/٤٥١/ح٦٧٦). وقال الألباني: "صحيح". "صحيح الجامع الصغير" (ص١٣٤٢/ح٨٠٧٦). كما جاء من حديث ابن عمر: أخرجه ابن ماجه: كتاب الزهد، باب منزلة الفقراء (٢/١٣٨١/ح٤١٢٤)، وانظر: "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٤٥).

الحديث الرابع: حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما دخل عليها النبي ﷺ وعندها جاريتان تغنيان، ثم دخل أبو بكر الصديق ﷺ فانتهرهما وقال: مزمار الشيطان عند رسول الله ﷺ ؟! فقال رسول الله ﷺ : (دعهما فإنها أيام عيد)[١].

ويستدل بعض الصوفية بما جاء في هذا الحديث من غناء الجاريتين على ما يفعلونه في مجالسهم، ولا يخفى ظهور الفارق بين الأمرين، ففي الحديث غناء جاريتين بأشعار العرب في أيامهم، وكان في يوم عيد، فأين ذلك من غناء الرجال المكلفين وصياحهم وهذيانهم وترجيعهم بأصوات الغناء، ثم التمايل والتراقص والتصفيق ومحاكاة الفسقة ؟! وأشنع من ذلك زعمهم أنهم في عبادة وقربة، سبحانك هذا بهتان عظيم!

قال الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله: ((لم ينكر ﷺ قول أبي بكر ﷺ ، وإنما علل بكونه في يوم عيد، فدل على أنه يباح في أيام السرور - كأيام العيد وأيام الأفراح كالأعراس وقدوم الغياب- مالا يباح في غيرها من اللهو، وإنما كانت دفوفهم نحو الغرابيل، وغناءهم بإنشاد أشعار الجاهلية في أيام حروبهم وما أشبه ذلك، فمن قاس على ذلك أشعار الغزل مع الدفوف المصلصلة فقد أخطأ غاية الخطأ، وقاس مع ظهور الفرق بين الفرع والأصل، فإن علة المنع تهييج الطباع إلى الهوى، وليس في أشعار الجاهلية وغناء الركبان ...)) [٢].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في تعليقه على هذا الحديث: ((... وأقرهما ﷺ لأنهما جاريتان غير مكلفتين تغنيان بغناء الأعراب الذي قيل في يوم حرب بعاث من الشجاعة والحرب، وكان اليوم يوم عيد، فتوسع حزب الشيطان في ذلك إلى صوت امرأة جميلة أجنبية أو صبي أمرد صوته فتنة وصورته فتنة يغني بما يدعو إلى الزنا والفجور وشرب الخمور مع آلات اللهو التي حرمها رسول الله في عدة أحاديث مع

(١) متفق عليه، أخرج البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الدرق (٣/١٠٦٥/ح٢٧٥٠)، وأخرجه مسلم: كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه... (٢/٦٠٩/ح٨٩٢).

(٢) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٤٥).

التصفيق والرقص وتلك الهيئة المنكرة التي لا يستحلها أحد من أهل الأديان فضلاً عن أهل العلم والإيمان، ويحتجون بغناء جويريتين غير مكلفتين بنشيد الأعراب ونحوه في الشجاعة ونحوها في يوم عيد بغير شبابة ولا دف ولا رقص ولا تصفيق، ويدَعون المحكم الصريح لهذا المتشابه، وهذا شأن كل مبطل، نعم نحن لا نحرم ولا نكره مثل ما كان في بيت رسول الله على ذلك الوجه، وإنما نحرم نحن وسائر أهل العلم والإيمان السماع المخالف لذلك، وبالله التوفيق))[١].

وقال الحافظ ابن حجر: ((استدل جماعة من الصوفية بحديث الباب على إباحة الغناء وسماعه بآلة وبغير آلة، ويكفي في رد ذلك تصريح عائشة في الحديث الذي في الباب بعده بقولها: "وليستا بمغنيتين" ...))[٢].

الحديث الخامس: ما جاء في من لعب الحبشة في مسجد رسول الله ﷺ بالحِرَب، وهو ينظر إليهم[٣].

وهذا الحديث مما استدل به الصوفية على جواز ما يفعلونه ويغْشَونه، وهو قياس بعيد واستدلال باطل، إنما يدل على تمسكهم بالبدع وما تهوى الأنفس.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ((واستدل قوم من الصوفية بحديث الباب على جواز الرقص وسماع آلات الملاهي، وطعن فيه الجمهور باختلاف المقصدين؛ فإن لعب الحبشة بحرابهم كان للتمرين على الحرب، فلا يحتج به للرقص في اللهو، والله أعلم))[٤].

---

(١) "إغاثة اللهفان" (٢٥٧/١)، وانظر: "مدارج السالكين" (ص٤٩٣).

(٢) "فتح الباري" (٤٤٢/٢).

(٣) جاء ذلك في حديث عائشة السابق المتفق عليه في غناء الجاريتين.

(٤) "فتح الباري" (٥٥٣/٦)، وانظر كلام الشاطبي في بيان ضلال من استدل بحديث لعب الحبشة على جواز الرقص في المساجد وغيرها ... في "الموافقات" (٧٢/٣، ٧٣)، وانظر استدلال الغزالي بهذا الحديث في "الإحياء" (٣٠٤/٢).

وما فعله الحبشة من اللعب بالسلاح أمر مندوب من جهة التدرب للحـــرب، ونقل الشيخ أبو بكر خوقير في ذلك عن الزين بن المنير قوله: وإنما سمي لعباً وإن كان أصله التدرب على الحرب وهو من الجد لما فيه من شبه اللعب[(١)] ...

ثم قال الشيخ: ((وعلى كل حال فلا يصلح دليلاً لتلك الهيئة المركبـــة مـــن الرقص والغناء والتصفيق وغيره على زعم تسميته عبادة وذكراً ...

وقد نظم ذلك العلامة ابن المقري بقوله:

قالوا رقصنا كما الأحبوش قد رقصوا ... بمسجد المصطفى قلنا بـــلا كـــذب
الحبش ما رقـــصوا لكنـــهم لعبـــوا ... من آلة الحرب والرايات واليلـــب[(٢)]
وذلـــك اللعـــب منـــدوب تعلمـــه ... في الشرع للحرب تدريباً لكل غـــبي
أتستدل [بما][(٣)] قـــام الحبـــوش بـــه ... عند الـــنبي فلـــم ينكـــر ولم يعـــب
علـــى الـــذي قـــد ســـد مـــسمعه ... عنـــه وولى ســـريعاً غـــير منقلـــب
ما قال ربكم ضجوا وارقصوا أبـــداً ... بل قال صلوا وصوموا واحذروا غضبي[(٤)]

الحديث السادس: أورده الشيخ أبو بكر بلفظ: (اذكروا الله حتى يقولوا إنكم مجانين)[(٥)]، وقد ورد نحو هذا مرفوعاً عن أبي سعيد الخدري ﷺ بلفظ: (أكثروا ذكر

---

(١) "فتح الباري" (٢/٤٤٣)، انظر: التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٤٦).

(٢) اليلب: الدروع والتروس. انظر: "لسان العرب" (١/٨٠٦)، "القاموس المحيط" باب الباء فصل اليـــاء (ص١٨٦).

(٣) في الأصل: "بمن".

(٤) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق٤٦،٤٧).

(٥) جاء هذا اللفظ من كلام أبي مسلم الخولاني، كما أخرجه عنه أبو نعيم في "الحلية" (٢/١٢٤).

وأبو مسلم الخولاني: عبد الله بن ثوب، على خلاف في اسمه، إمام زاهد من كبار التابعين، رحل في طلب النبي ﷺ فمات النبي ﷺ وهو في الطريق، ولقي كبار الصحابة، توفي في زمن يزيد بن معاويـــة. انظـــر: "التاريخ الكبير" (٥/٥٨)، "تهذيب الكمال" (٣٤/٢٩٠)، "تذكرة الحفاظ" (٣/٩٦٩).

الله حتى يقولوا مجنون)[١].

قال الشيخ أبو بكر خوقير: ((الحديث الجاري على الألسنة: (اذكروا الله حتى يقولوا إنكم مجانين) ... هذا مما يجري على ألسنة العامة ويظهر عليه الوضع لظهور اللحن فيه ...)) [٢].

ومع الحكم على الحديث بالضعف فإنه لا يكون حجة، لكن الوصف الوارد فيه ليس ببعيد عن حال بعض المتصوفة في مجالس ذكرهم، ولعل هذا سبب احتجاجهم به!

الحديث السابع: ما يروى عن أمير المؤمنين علي ﷺ في وصفه أصحاب النبي ﷺ بقوله: (كانوا إذا ذكروا الله تعالى مادوا [٣] كما تميد الشجر في اليوم الشديد الريح، وجرت دموعهم على ثيابهم)[٤].

وقد بين الشيخ أبو بكر خوقير أن هذا الأثر لا يثبت، وأنه على فرض ثبوته فإنه لا يدل على ما يفعله المتصوفة من التصفيق والرقص، فقال رحمه الله: ((رواه الحافظ أبو نعيم بإسناده عن علي ﷺ ، وهذا أثر لا يعلم حال سنده، ومثله مما تتوفر الدواعي على نقله لو صح، ولا يحتاج في إثباته إلى مجهول، [وأبو نعيم قد ينقل الموضوع فضلاً

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٧١/ح١١٦٩٢)، (٣/٦٨/ح١١٦٧١)، والحاكم (١/٦٧٧/ح١٨٣٩) وأبو يعلى (٢/٥٢١/ح١٣٧٦). وقد ضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٧٥،٧٦) وشعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد، والألباني في "ضعيف الجامع الصغير" (ص١٥٦/ح١١٠٨).

(٢) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٤٧) بتصرف يسير.

(٣) ماد يميد ميداً وميداناً: تحرك واضطرب ومال. انظر: "النهاية في غريب الحديث" (٤/٣٧٩)، "لسان العرب" (٣/٤١٢)، "القاموس المحيط" (ص ٤٠٩).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في "التهجد وقيام الليل" نشر مكتبة الرشد. الرياض. ط١. (١٤١٨هـ). (ص٢٧١/ح٢٠٥)، وقال محققه مصلح بن جزاء الحارثي: (إسناده ضعيف جداً)، ومن طريق ابن أبي الدنيا أخرجه صاحب تاريخ دمشق (٤٢/٤٩٢). وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/٧٦) بإسناد آخر فيه رجل مبهم. فالأثر لا يثبت.

عن الضعيف][1]....

على أنه لا يثبت المدعى من الرقص والغناء والتصفيق الذي هو موضوع الكلام، وغاية ما يؤخذ من هذا الأثر جواز الميلان بنحو الرعدة والنهرة والقشعريرة من غلبة الخشوع والخشية، بحيث لا يملك نفسه، فلا يجوز التصنع والتكلف...))[2].

ويتبين من دراسة الأحاديث السابقة أنه لا حجة فيها لما يتكلف المتصوفة إثباته من مشروعية ذكرهم، بل هو مخالف لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم حال ذكرهم.

فقد كانوا يذكرون الله في سكينة وخشوع، خلافاً لما يشاهد من المتصوفة من رفع الصوت والصياح والغناء، وقد جاء في الحديث إنكار النبي ﷺ على من رفع صوته بالذكر، قال أبو موسى الأشعري ﷺ : (كنا مع رسول الله ﷺ فكنا إذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا، فقال النبي ﷺ يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنه معكم، إنه سميع قريب تبارك اسمه وتعالى جده)[3].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ((قوله: أربعوا، أي ارفقوا، قال الطبري: فيه كراهية رفع الصوت بالدعاء والذكر، وبه قال عامة السلف من الصحابة والتابعين))[4].

---

(١) في هامش المخطوط.

(٢) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٤٧) بتصرف يسير.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير (١٠٩١/٣/ح٢٨٣٠) ومسلم: كتاب الذكر، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٢٠٧٦/٤/ح٢٧٠٤).

(٤) "فتح الباري" (١٣٥/٦).

وقد جاء عن التابعي قيس بن عباد[1] قوله: (كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند الذكر)[2].

ونقل في ذلك الشيخ أبو بكر خوقير عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: ((قال قيس بن عباد: (كانوا يستحبون خفض الصوت عند الذكر وعند القتال وعند الجنائز) وكذا سائر الآثار تقتضي أنهم كانت عليهم السكينة في هذه المواطن، مع امتلاء القلوب بذكر الله وإجلاله وإكرامه، كما أن حالهم في الصلاة كذلك، وكان رفع الصوت في هذه المواطن الثلاث عادة أهل الكتاب والأعاجم، ثم قد ابتلى بها كثير من هذه الأمة ...)) [3].

---

(١) قيس بن عباد القيسي الضبعي، من كبار التابعين، ثقة. انظر: "تهذيب التهذيب" (٣٥٧/٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤٣/٦/ح٣٠١٧٤) وبلفظ: (كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند ثلاث، عند القتال وعند الجنائز وعند الذكر) (٥١٣/٦/٣٣٤٢٠)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧٤/٤/ح٦٩٧٤)، (١٥٣/٩/١٨٢٤٧). والحديث صحيح الإسناد.

(٣) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٤٠) بتصرف يسير، والنقل عن ابن تيمية من "اقتضاء الصراط المستقيم" (ص١١٩)، وانظر أيضاً: "الاستقامة" (٣٢٣/١)، "مجموع الفتاوى" (٢٩٤/٢٤).

المطلب الرابع: حكم ما ينفق لجمع الناس على هذا الذكر.

تعرض الشيخ أبو بكر خوقير لبيان حكم ما ينفق من الأموال لجمع الناس على مجالس ذكر المتصوفة، فقال رحمه الله: ((جميع ما ينفق لجمع الناس ذلك الاجتماع على الذكر الموصوف بتركيبه من البدع السابقة والصرف لما يلزم لذلك الاحتفال من السرج والطعام والشراب: من قبيل ما ينفق في سبيل اللهو وحظ النفس، ويدخل في قوله ﷺ : (من سن سنة سيئة فعليه إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة)[1] وفي قوله تعالى: ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾[2] ولا يكون جهل المنفق عذراً وقد أمكنه التعلم أو السؤال، فلا يجوز لأحد أن يقدم على شيء حتى يعلم ما حكم الله فيه ...

على أنه لا يخفى على أغبياء الجهال ما يفعل من المنكرات والتداعي إلى النظر في وجوه الغلمان واشتهار المتصوفة بذلك من قديم الزمان، قال القاضي أبو الطيب الطبري: ((وإنما تفعل هذه الطائفة ما ذكرناه من سماع الغناء والنظر إلى وجوه الملاح بعد تناول الألوان الطيبة والمآكل الشهية، فإذا شبعت منها نفوسهم طالبتهم بما يتبعها من السماع والرقص والاستمتاع بالنظر إلى وجوه المرد ...))[3].

ولا يخفى أن النظر إلى الأمرد بشهوة حرام عند جميع العلماء كافة[4]، وعند الإمام النووي حرام مطلقاً بشهوة أو بغير شهوة[5].

---

(١) أخرجه مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي ﷺ : كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ... (٧٠٤/٢/ح١٠١٧).

(٢) سورة "الكهف"، آية رقم: (١٠٣).

(٣) نقله عنه القرطبي في تفسيره (٣٣٣/٧)، وانظر في افتتان الصوفية بالنظر إلى المرد: "تلبيس إبليس" (ص٣٢٩) وما بعدها.

(٤) انظر: "البحر الرائق" (٢٨٤/١)، "الدر المختار مع حاشية ابن عابدين" (٤٠٧/١)، "مجموع الفتاوى" (٢٤٣/٢١)، "فتح الباري" (٣٣٧/٩)، "الإنصاف" (٢٨/٨) وما بعدها.

(٥) انظر: "المجموع" (٥١٥/٤)، "روضة الطالبين" (٢٤/٧، ٢٥).

ومثل ذلك ما يعطيه المستمعون للمنشد المغني ليجيد في اختيار الأشـــعار المطربة المرقصة، فليس للمعطي إلا ما نواه، فهو في سبيل اللهو والشهوة، والصدقة ما كان في غير مقابل، والأولى بها المتقي، (فلا يأكـــل طعامـــك إلا تقـــي)[1] ...))[2].

(١) جزء من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعاً: (لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقـــي)، أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس (٤/٢٥٩/ح٤٨٣٢)، والترمـــذي: كتـــاب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن (٤/٦٠٠/ح٢٣٩٥)، وابن حبان (٢/٣١٤/ح٥٥٤). وحـــسنه الألباني في "صحيح الجامع" (ص١٢٢٦/ح٧٣٤١).

(٢) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٥٤،٥٥) باختصار يسير.

المطلب الخامس: تعداد البدع الحاصلة من هذا الاجتماع.

قام الشيخ أبو بكر خوقير بتعداد البدع الحاصلة من اجتماع أهل الطرق على ذكرهم، فقال رحمه الله: ((اعلم أنه قد ظهر من جملة ما سبق أن ذكر أهل الطرق المعروف مشتمل على أنواع من البدع، وإذا تأملتها وجدتها تصل إلى عشرة، وكل واحدة منها تكفي في المنع، وربما زادت.

الأول: الاجتماع على تلك الصورة باسم عبادة ذات بدع أو بدع تسمى عبادة وذكراً.

الثاني: كونه بالمسجد أو المقبرة أو السوق، أما كونه بالمسجد فلأن فيه تشويشاً على المصلين، ولا يخلو المسجد من متعبد، وقد ذكر الفقهاء كراهة رفع الصوت بالقراءة فيه لذلك، وهذا بقطع النظر عما اشتمل عليه هذا الاجتماع من البدع.

وأما المقبرة فالمناسب لها خفض الصوت عندها والاعتبار بأصحابها وعدم إيذائهم بالبدع المحدثة، وقد جرت عادتهم عمله بقرب مشهد من المشاهد الشهيرة للالتماس المدد من صاحبه، فإن نفوس العامة تترع إلى الظواهر فتفتتن بما فيها من الزخرفة وتخرج في اعتقادها إلى الغلو، فتسمع بأذنك منهم الطلب الصريح من الموتى.

وأما كونه بالسوق فلأن فيه امتهاناً لذكر اسم الله تعالى كما لا يخفى، ولو كان محفوفاً بالبدع.

الثالث: الرقص بالتكسر والتثني والتمايل أي بالحركات الموزونة، وأما التواجد فلا يكون كذلك، وهذا مجمع على تحريمه كما حكاه بعضهم، وبنى عليه الحكم بالردة لمستحله، كما قيل:

ومن يستحل الرقص قالوا بكفره ... ولا سيما بالدف يلهو ويزمر[1]

---

(١) ذكره في "الدر المختار مع حاشية ابن عابدين" (٤/٢٥٩).

الرابع: التصفيق باليد، فهو من سماع المشركين الذي ذكره الله تعالى: ﴿**وما كان صلاقم عند البيت إلا مكاء وتصدية**﴾(١) ...

الخامس: الغناء وهو محرم أو مكروه، إذا كان بالشعر الغزل المتضمن لذكر أوصاف النساء أو المردان أو ما يتعلق بأحوال العشق ونحوه مما يهيج الهوى الكامن في النفوس، وأعظمه كراهة ما اشتمل على كلام أهل الحلول والاتحاد، وخصوصاً إذا كان المغني أمرد.

قال ابن القيم: وأما سماعه من المرأة الأجنبية أو الأمرد فمن أعظم المحرمات وأشدها فساداً للدين، وأعظم من ذلك إذا كان بآلة لهو، كما يفعله بعضهم، فهي وإن كان سماعها حراماً ولكن كونه باسم عبادة فهو أشد حرمة(٢).

السادس: رفع الصوت وتغييره بالنبيح والزعيق والنهيق وما يبدو من التدليس والتلبيس.

السابع: تحريف الكلم بتغيير ألفاظ الذكر: لفظ الجلالة أو كلمة الإخلاص بزيادة المد والتمطيط بحيث يتولد منه حروف أو ألفاظ لا معنى لها [أو نقص حرف كالهاء من لفظ الجلالة](٣) وذلك حرام باتفاق القراء وأهل التجويد وكذا الفقهاء، ولا تصح الصلاة بمثله مع الحرمة والإثم في فعله، وعلى الحاكم تأديب فاعله، فإن كلمة الإخلاص بعض آية.

الثامن: إحضار المردان للنظر إليهم واستلفات أنظار العامة إلى الحضور معهم.

التاسع: الإسراف فيما ينفق فيه من السرج والأطعمة وغيرها [كأجرة

---

(١) سورة "الأنفال"، آية رقم: (٣٥).

(٢) بنحوه في "إغاثة اللهفان" (١/٢٣٠).

(٣) في هامش المخطوط.

المغني][١] وكونها وسيلة إلى إيجاد هذه البدع وما يترتب عليها وما يتولد عنها، فالوسائل لها حكم المقاصد.

العاشر: نداء الأموات وطلب المدد منهم وقضاء الحاجات والتوجه إليهم في الطلب من أعماق قلوبهم بأعلى صوتهم على جهة الاستنجاد، فلا خلاف في تحريمه وفظاعته وأنه من أكبر الكبائر، عياذاً بالله من ذلك الجهل والغرور وما أوقع فيه الجمهور من الشرور ...)) [٢].

وهذا تعداد ما ذكره الشيخ من البدع الحاصلة من اجتماع أهل التصوف على أذكارهم، والله المستعان.

---

(١) في هامش المخطوط.

(٢) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٥٨،٥٧) باختصار يسير.

المبحث الثاني: الذكر بالاسم المفرد، والذكر الصدري والقلبي .

المطلب الأول: الذكر بالاسم المفرد.

لاشك في أن الذكر من أجل العبادات، والواجب في سائر العبادات اتباع هدي الشرع والسير على نهجه.

وأفضل الذكر قول كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله، فقد جاء في الحديث قوله ﷺ: (أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله)(١).

لكن جاء الصوفية بإحداث طريقة جديدة في الذكر، إذ لم يرق لهم متابعة النبي ﷺ والتمسك بما حث عليه، فقالوا بترديد اسم الله مفرداً دون تسبيح ولا تهليل ولا تكبير ولا شيء إلا التكرار المجرد.

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله: ((اعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهية دون التعليمية؛ ولذلك لم يتعلموا ولم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون، بل قالوا: الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال على الله تعالى، وذلك بأن يقطع الإنسان همه عن الأهل والمال والولد والعلم ويخلو نفسه في زاوية ويقتصر على الفرائض والرواتب، ولا يقرن همه بقراءة قرآن ولا بالتأمل في نفسه ولا يكتب حديثاً ولا غيره، ولا يزال يقول: الله الله، إلى أن ينتهي إلى حال يترك تحريك اللسان ثم يمحي عن القلب صورة اللفظ ...))(٢).

وبين شيخ الإسلام ابن تيمية ضلال الصوفية في هذا الباب وتعرض إلى رد

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة (٤٦٢/٥/ح٣٣٨٣) وابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل الحامدين (١٢٤٩/٢/ح٣٨٠٠)، وابن حبان (١٢٦/٣/ح٨٤٦) والحاكم (٦٧٦/١/ح١٨٣٤) والبيهقي في "السنن الكبرى" (٢٠٨/٦/ح١٠٦٦٧) وقال الألباني: "حسن"، "صحيح الجامع الصغير" (ص٢٤٨/ح١١٠٤).

(٢) "إحياء علوم الدين" (٣٠/٣) ونقله عنه ابن الجوزي في "تلبيس إبليس" (ص٣٩٣) ثم تعقبه بالرد.

بعض شبهاتهم، فقال رحمه الله بعد بيانه أن أفضل الذكر قول لا إله إلا الله ((ومن زعم أن هذا ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد، وذكر خاصة الخاصة هو الاسم المضمر: فهم ضالون غالطون.

واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله: ﴿**قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون**﴾[١] من أبين غلط هؤلاء؛ فإن الاسم مذكور في الأمر بجواب الاستفهام، وهو قوله ﴿**قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس**﴾ إلى قوله: ﴿**قل الله**﴾ أي الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ...

وأما الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهي، ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة، ولا شرع ذلك رسول الله ﷺ ، ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة ولا حالاً نافعاً، وإنما يعطيه تصوراً مطلقاً لا يحكم عليه بنفي ولا إثبات، والشريعة إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره ...

وما يذكر عن بعض الشيوخ من أنه قال: "أخاف أن أموت بين النفي والإثبات" حال لا يقتدى فيها بصاحبها؛ فإن في ذلك من الغلط ما لا خفاء به، إذ لو مات العبد في هذه الحال لم يمت إلا على ما قصده ونواه، إذ الأعمال بالنيات، وقد ثبت أن النبي ﷺ أمر بتلقين الميت لا إله إلا اله الله[٢]، وقال: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)[٣] ولو كان ما ذكروه محذوراً لم يلقن الميت كلمة يخاف أن

---

(١) سورة "الأنعام"، آية رقم: (٩١).

(٢) كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند مسلم: كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى لا إله إلا الله (٢/٦٣١/ح٩١٦).

(٣) أخرجه أحمد من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه (٥/٢٣٣/٢٢٠٨٧)، وأبو داود: كتاب الجنائز باب في التلقين (٣/١٩٠/ح٣١١٦) والحاكم (١/٥٠٣/ح١٢٩٩) وقال الألباني: "صحيح"، "صحيح الجامع الصغير" (ص١١٠٥/ح٦٤٧٩).

يموت في أثنائها موتاً غير محمود، بل كان يلقن ما اختاروه من ذكر الاسم المفرد ...

والله تعالى لا يأمر أحداً بذكر اسم مفرد ولا شرع للمسلمين اسماً مفرداً مجرداً، والاسم المجرد لا يفيد الإيمان باتفاق أهل الإسلام، ولا يؤمر به في شيء من العبادات، ولا في شيء من المخاطبات ...))(١).

وقد بين الشيخ أبو بكر خوقير مسألة الذكر بالاسم المفرد، وبين خطأ الصوفية في ذلك، فنقل عن الإمام الشوكاني نقده لهم، إذ قال: ((أما المتسمون بالمجاذيب الذين يلوكون لفظ الجلالة بأفواههم ويقولونها بألسنتهم ويخرجونها عن لفظها العربي، فهم من أجناد إبليس ومن أعظم حمر الكون الذين ألبستهم حلل التلبيس.

فإن إطلاق لفظ الجلالة مفرداً عن إخبار عنها بقولهم: "الله، الله" ليس بكلام ولا توحيد، وإنما يلعب بهذا اللفظ الشريف بإخراجه عن لفظه العربي، ثم إخلائها عن معنى من المعاني، ولو رجلاً عظيماً يسمى زيداً وصار جماعة يقولون: زيد زيد، لعد ذلك استهزاء وإهانة وسخرية، سيما إذا زادوا إلى ذلك تحريف اللفظ.

ثم انظر هل أتى في لفظ في الكتاب والسنة ذكر الجلالة بانفرادها وتكريرها ؟! أو الذي في الكتاب والسنة هو طلب الذكر والتوحيد والتسبيح والتهليل؟! وهذه أذكار رسول الله ﷺ وأدعية آله وأصحابه خالية من هذا النهيق الذي اعتاده من هو من هدي رسول الله ﷺ في مكان سحيق ...)) (٢).

وناقش الشيخ أبو بكر خوقير استدلالهم بما جاء في الحديث: (لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله)(٣) فقال: ((... لا حجة فيه على مشروعية الذكر

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (١٠/٢٢٦-٢٢٩) باختصار. وانظر: "معجم المناهي اللفظية" بكر بن عبد الله أبو زيد. دار العاصمة.ط٣. (١٤١٧هـ). (ص١٢٠، ١٢١).

(٢) "التحقيق فيما ينسب إلى ..." (ق٥٠) ناقلاً عن"تطهير الاعتقاد"(ص٥٨٦،٥٨٧) ضمن "الجامع الفريد".

(٣) أخرجه مسلم من حديث أنس ﷺ : كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان (١/١٣١/ح١٤٨).

بالاسم المفرد، ولو ورد الذكر به لاستفاض النقل وتواتر بالفعل توارثاً كالصلاة وغيرها من الأذكار، و لم نحتج إلى الاستدلال عليه بمثل هذا، وقد نقل إلينا هديه ﷺ وحال صحابته بطريق التواتر، وحسبنا طريقهم، فما أحسن السنة وما أقبح البدعة، فانظر كيف تتولد عنها البدع، فكل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف)) [١].

ورد بعض أهل العلم على استدلال المتصوفة بهذا الحديث بأن المراد به ما جاء في اللفظ الآخر: (لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: لا إله إلا الله)[٢].

ويرد عليهم بأن الاقتداء إنما يكون بالنبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، لا بالقوم الذين يكونون آخر الزمان ولا يعرفون من الإسلام إلا هذه الكلمة.

ولا ريب أن الحديث لو كان دالاً على الذكر بالاسم المفرد لكان هذا مما اشتهر عن النبي ﷺ وعن صحابته، و لم يكن شيء من ذلك.

وقال الشيخ أبو بكر في نقده مشروعية الذكر بالاسم المفرد: ((لو سلمنا أن ذاك ذكر بتلك الملاحظة والتصور فهو غير مأثور! والمأثور أفضل بالإجماع ...

قال المقبلي اليماني في "العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشائخ"[٣]: ونحن في وقتنا هذا لما اضمحلت العلوم في كل فن وصار الناس عكوفاً على رسوم مخصوصة من لم يقف عندها كان مدعياً، صار الواجب في الصوفية العكوف في الرباطات والبناءات التي وضعوها على المقابر المسماة بالمشاهد على السماع المقرون بكلمات يقرن بها اللهو الذي أقر أهله أنه أخذ من الجواري والسوقة، إنما تفرق بينهما

---

(١) انظر: "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٥٠،٥١).

(٢) أخرجه أحمد من حديث أنس ﷺ (٣/٢٦٨/١٣٨٦٠) والحاكم (٤/٥٤٠/ح٨٥١٢) وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد: "حديث صحيح، وهذا إسناد حسن".

والرد من هذا الوجه ذكره الشيخ الألباني رحمه الله "سماعاً في شريط مسجل".

(٣) (ص٤٦٦،٤٦٧).

بتسميتهم هذا ذكراً وذاك لهواً، وبأن ذلك يرجع بالدان وهذا بلفظة يا هو، و"الله الله" يقلبونها كتقليب الدان على الألحان، فانظر أين بلغت الخسة وربما يكون ذلك في بيوت فضلائهم أو بيوت الغرباء وسائر الاجتماعات بل وأفضل أماكن الذكر المساجد حتى المسجد الحرام، كما قيل:

برغم سنة خير العجم والعرب أصبحت مساجدنا للهو واللعب

وكذلك من الفرق قولهم: لهم المعنى ولنا المغنى، فيالها كلمات طارت في آذان المخذولين ووافقت دسيسة بطالة في أفئدة المفتونين.

ومما شاع اليوم هؤلاء الذين يقولون: "الله الله"، يكررونها محرفة إلى أن يصير تكلمه بها نوعاً من النهيق، وذلك عندهم علامة الإخلاص، وقد يصير إلى حالة من أحوال سكرهم الذي يعتذرون به إذا نسبت إليهم الأمور الشنيعة ...)) [١].

المطلب الثاني: الذكر الصدري.

تعرض الشيخ أبو بكر خوقير إلى مسألة محدثة في الذكر وهي الذكر الصدري، وصفته أن يطبق الذاكر فمه، ويحاكي تلفظه بكلمة "الله" بصوت يخرج من الأنف!

قال الشيخ أبو بكر خوقير: ((وأما الذكر الصدري الذي قال عنه السائل: هل يجوز إخراج الاسم من الصدر كما هو مشاهد، أي من سماع صوت خارج من الصدر بأحرف غير مفهومة، كأصوات بعض الحيوانات، مثل هوهة ونبيح؟

فهذا لا يسمى ذكراً في الشرع، ولا شك أنه من البدع ومما يمجه الطبع، وهو الذي عده كثير من العلماء من قبيل النهيق والبعبعة.

وأما الذكر فحكمه حكم القراءة، لا يعد ذكراً إلا ما سمعته أذن الذاكر مع الإمكان بلفظ عربي صحيح، والثواب عليه بقدر خلوصه وحضور القلب فيه، وما سواه بدعة، يعاقب فاعله، وللحاكم تأديبه)) [٢].

---

(١) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٥١، ٥٢) باختصار يسير.

(٢) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٥٢).

المطلب الثالث: الذكر القلبـــي.

الذكر القلبي مما أحدثه أصحاب الطريقة النقشبندية، ومرادهم به الاستغناء عن التلفظ بالذكر والاقتصار على الذكر بالقلب.

ويصف طريقته بعضهم بقوله: ((أن تلقي جميع الشعور والإدراكـــات إلى قعـــر القلب، ثم تخرج النفس من الأنف بعنف إلى انتهاء الـــنفس بقـــصد إخـــراج الخـــواطر والهواجس، ثم يحبس النفس ثم يلاحظ "لا" - من لا إله إلا الله - ويتخيله خطاً مستطيلاً من السرة إلى أم الدماغ، مع ملاحظة معناه الذي هو النفي والإثبات. ثم يلاحظ لفظـــة "إله"، فيجر الخط من أم الدماغ إلى رأس الكتف الأيمن، ويلاحظ معناها ...)) إلى آخر ما ذكروه مع ملاحظة تنبيههم على أن يتم الذكر بتلك الكيفية مع إغمـــاض العيـــنين، وإلصاق اللسان بسقف الحلق، وتخيل صورة الشيخ واقفاً أمام الذاكر(١) ...

قال الشيخ أبو بكر خوقير: ((وأما الذكر القلبي فذاك في الطريقة النقشبندية، إما بتصور منهم الاسم المفرد أو كلمة الإخلاص، ذاكراً بلسان الخيال منـــتقلاً مـــن اللسان إلى القلب ثم إلى الروح إلى آخر ما قرروه مما يطول شرحه من حصر الـــنفس وغيره، فلا يدخل في باب ذكر اللسان وما يتعلق به من الأحكام، ولكن يـــدخل في التفكر في عظمة الله وعجائب قدرته، لو لم يدخلوا شرط إحضار صورة الشيخ الذي تلقى منه الذكر قبالة قلبه، ويسمونه الرابطة وغير ذلك مما لسنا بصدده ...)) (٢).

فبين الشيخ أبو بكر أن هذه الهيئة الموصوفة لا تعد من ذكر الله؛ لما أضـــافوه إليها من البدع المحدثة.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

---

(١) انظر: "جامع الأصول" أحمد الكمشخانوي. طبعة عام (١٢٧٦هـــ) "موجود بمكتبة مكـــة المكرمـــة" (ص١٦،١٧،٩٩)، وانظر: "ذكر الله بين الاتباع والابتداع" (ص٣٢٨).

(٢) "التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق" (ق ٥٣).

الخاتمة ونتيجة البحث

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وبإتمام هذا البحث خرجت بالنتائج التالية:

- أن الشيخ أبا بكر خوقير من علماء البلد الحرام الذين جاهدوا لنصرة هذا الدين وإعلاء كلمة التوحيد، وقد لحقه الأذى والابتلاء في سبيل ذلك.
- أن الشيخ أبا بكر خوقير قرر قول السلف في مجمل قضايا العقيدة، وكان متابعاً لما أثر عنهم، مع تعرضه لبيان بعض الأقوال المخالفة لقول السلف وبيان خطئها.
- أن الشيخ أبا بكر موافق لقول السلف في مسألة صفة كلام الله، وقد رجع عن قوله بقدم كلام الله الذي تابع فيه بعض متأخري الحنابلة، وهم مع ذلك لا يوافقون المتكلمين في اللوازم الباطلة المترتبة على القول بقدم كلام الله.
- أن حياة الأنبياء بعد موتهم حياة برزخية لا تقطع عنهم اسم الموت وهي تختلف عن حياتهم الدنيا.
- أن التوسل بالأنبياء والصالحين إنما هو بدعائهم وشفاعتهم في حياتهم، أو التوسل بالإيمان بهم ومحبتهم واتباعهم، الذي هو عمل صالح للمتوسل، وأما التوسل بذواتهم فإنه أمر لم يكن عليه سلف الأمة ولم يعرف عن النبي ﷺ ولا الصحابة ولا تابعيهم، بل قد تركوه وعدلوا إلى التوسل المشروع بطلب الدعاء من الصالحين الأحياء.
- بطلان شبهات مجيزي التوسل بذوات المخلوقين.
- أن التساهل في أمر التوسل بالأنبياء والصالحين بعد موتهم يؤدي إلى الوقوع في الشرك بصرف الدعاء لهم من دون الله.

- عدم مشروعية دعاء غير الله أو الاستغاثة به، وتضافر الأدلة في المنع من ذلك، وكثرة أقوال العلماء في تقرير ذلك.
- بطلان شبهات المجوزين للاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته.
- إثبات أهل السنة والجماعة الشفاعة بشرطين: الإذن من الله للشفيع، والرضا عن المشفع فيه، ومخالفتهم القبوريين الذين يتوجهون بالدعاء والاستغاثة إلى من مات من الأنبياء والأولياء طالبين شفاعتهم.
- بطلان مذهب الفلاسفة في الشفاعة، وأن الصوفية تأثروا بقولهم.
- أن التصوف مر بعدة مراحل، فكان في بدايته منضبطاً بالكتاب والسنة، ثم بدأ في الانحراف عن الجادة والتميز بأمور خاصة لا أصل لها من الدين.
- العبادات مبناها على متابعة النبي ﷺ ، وما خرج عن ذلك فهو باطل مردود.
- عدم مشروعية ما يفعله المتصوفة من لبس الخرق والتلقين، وبطلان أسانيدهم في ذلك.
- كثرة أقوال السلف والفقهاء في المنع من الاجتماع على الذكر، وأن البدع المترتبة على ذلك تصل إلى عشر بدع أو أكثر.
- بطلان الشبهات التي تمسك بها الصوفية للاحتجاج على مشروعية الاجتماع على مجالس الذكر عندهم.
- عدم مشروعية الذكر بالاسم المفرد، وكذا الذكر الصدري والقلبي.

هذا، وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الفهارس

١- فهرس الآيات.

٢- فهرس الأحاديث والآثار.

٣- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤- فهرس المصادر.

٥- فهرس الموضوعات.

١- فهرس الآيات

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هود

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة إبراهيم

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة يس

سورة الصافات

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الجاثية

سورة الأحقاف

سورة الذاريات

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمن

سورة الحشر

سورة المنافقون

سورة التغابن

سورة الملك

سورة الحاقة

سورة نوح

سورة الجن

سورة القيامة

سورة الانشقاق

سورة العلق

٢ – فهرس الأحاديث والآثار(*)

طرف الحديث أو الأثر | الصفحة

– حرف الألف –

(*) ذكرت في هذا الفهرس كل ما نسب إلى النبي ﷺ سواء كان صحيحاً أو ضعيفاً أو حتى موضوعاً.

– حرف الباء –

– حرف التاء –

– حرف الجيم –

– حرف الحاء –

– حرف الخاء –

– حرف الدال –

- حرف الذال -

- حرف الراء -

- حرف الزاي -

- حرف السين -

- حرف الشين -

- حرف الصاد -

- حرف العين -

- حرف الفاء -

- حرف القاف -

- حرف الكاف -

– حرف اللام –

- حرف الميم -

- حرف النون -

- حرف الهاء -

- حرف الواو -

- حرف الياء -

٣- فهرس الأعلام المترجم لهم

٤ - فهرس المصادر

(أ)

- أبجد العلوم. محمد صديق حسن خان القنوجي. دار الكتب العلمية. بيروت.
- ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف. د.عبد الله بن سليمان الغفيلي. دار المسير. الرياض. ط١. (١٤١٨هـ).
- إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين. محمد بن محمد الحسيني الزبيدي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. عن طبعة المطبعة الميمنية بمصر (١٣١١هـ).
- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية. ابن القيم. دار الكتب العلمية. بيروت. ط١. (١٤٠٤هـ).
- الآحاد والمثاني. أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني. دار الراية. الرياض. ط١. (١٤١١هـ).
- إحياء علوم الدين. للغزالي. دار الحديث. القاهرة. ط١. (١٤١٢هـ).تحقيق سيد إبراهيم.
- أدب الطالب. محمد بن علي الشوكاني. نشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية. صنعاء. (١٩٧٩م).
- الأدب المفرد. محمد بن إسماعيل البخاري. دار البشائر الإسلامية. بيروت. ط٣. (١٤٠٩هـ).
- أزهار البستان في طبقات الأعيان. عبد الستار الدهلوي. مخطوط بمكتبة الحرم المكي. (رقم٢٧٥٧، ف ١٨٠٧).
- الاستذكار. لابن عبد البر. دار الكتب العلمية. بيروت. (١٤٢١هـ). ط١.
- الاستغاثة في الرد على البكري. لابن تيمية. تحقيق. عبد الله بن دجين السهلي. دار الوطن. ط١. (١٤١٧هـ).
- الاستقامة. ابن تيمية. طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود. الرياض. ط١. (١٤٠٣هـ).
- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة. الملا علي القاري. دار الأمانة/مؤسسة الرسالة. (١٣٩١هـ).
- الأسماء والصفات. أحمد بن الحسين البيهقي. دار الكتاب العربي. بيروت. ط٣. (١٤٢٣هـ).
- الإصابة في تمييز الصحابة. أحمد بن علي بن حجر. دار الجيل. بيروت. ط١. (١٤١٢هـ).
- الأصول الثلاثة. لمحمد بن عبد الوهاب. ضمن مجموعة التوحيد. دار الفكر. ط١. (١٤١١هـ).

- الاضافات على النعت الأكمل. محمد مطيع الحافظ، نزار أباظة. دار الفكر. دمشق. (١٤٠٢هـ).
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد. أحمد بن الحسين البيهقي. دار الآفاق الجديدة. بيروت. ط١. (١٤٠١هـ).
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين. محمد بن عمر بن الحسين الرازي. (ت٦٠٦هـ). دار الكتب العلمية. بيروت. (١٤٠٢هـ).
- الأعلام الشرقية في المائة الرابعة الهجرية. زكي محمد مجاهد. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط٢. (١٩٩٤).
- أعلام المكيين. عبد الرحمن بن يحيى المعلمي. ط١. (١٤٢١هـ).
- الإعلام بقواطع الإسلام. أحمد بن حجر الهيتمي. ضمن "الجامع في ألفاظ الكفر" د.محمد بن عبد الرحمن الخميس. دار إيلاف. ط١. (١٤٢٠هـ).
- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام. المسمى نزهة الخواطر وبهجة السامع والناظر. عبد الحي فخر الدين الحسيني. دار ابن حزم. ط١. (١٤٢٠هـ).
- الأعلام. خير الدين الزركلي. ط٣.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان. ابن القيم. دار المعرفة. بيروت. ط٢. (١٣٩٥هـ).
- إقامة النكير على رسالة أبي بكر خوقير. محمد صالح بن صديق كمال. طبعة إكليل المطابع، عام (١٣٢٩هـ).
- أقاويل الثقات. مرعي بن يوسف الكرمي. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط١. (١٤٠٦هـ).
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم. ابن تيمية. مطبعة السنة المحمدية. القاهرة. ط٢. (١٣٦٩هـ).
- الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع. أحمد بن علي بن حجر. دار الكتب العلمية. بيروت. ط١. (١٤١٨هـ).
- الإنصاف. للمرداوي (ت٨٨٥هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور. الحافظ ابن رجب الحنبلي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط١. (١٤٠٥هـ).
- أوجز السير لخير البشر المنقول من الخط القديم المنور برواية أهل الأثر والنقل المعتبر عن الإمام أبي الحسين أحمد بن فارس. طبعة بمبيء (١٣١١هـ).

- إيثار الحق على الخلق. لابن الوزير: محمد بن إبراهيم بن علي القاسمي (ت ٨٤٠). دار الكتب العلمية. بيروت. ط٢.
- الإيمان. محمد بن إسحاق بن منده، مؤسسة الرسالة. بيروت. (١٤٠٦هـ). ط٢.

(ب)

- البحر الرائق شرح كنز الدقائق. زين الدين بن إبراهيم بن محمد (ت٩٧٠هـ). دار المعرفة. بيروت. ط١.
- بدائع الصنائع. للكاساني (ت٥٨٧هـ). دار الكتاب العربي. بيروت. ط٢. (١٩٨٢م)
- بدائع الفوائد. ابن القيم. مكتبة نزار مصطفى الباز. مكة. ط١. (١٤١٦هـ).
- بداية المبتدئ. علي بن أبي بكر الميرغناني (ت٥٩٣هـ). مطبعة محمد علي صبيح. القاهرة. ط١. (١٣٥٥هـ).
- البداية والنهاية. إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. دار المعارف. بيروت.
- براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة. عبد العزيز بن أحمد الحميدي. رسالة دكتوراة مطبوعة بدار ابن عفان. القاهرة. ط١. (١٤٢٠هـ).
- البوصيري، مادح الرسول الأعظم ﷺ. عبد العال الحمامصي. مكتبة الهداية. بيروت. ط١. (١٤١٣هـ).

(ت)

- تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام. عبد الفتاح بن حسين راوة. مكتبة المعارف. الطائف. (١٤٠٧هـ).
- تاريخ أصبهان. أبو نعيم الأصبهاني. مكتبة المعارف. الرياض. (١٤٠٤هـ).
- تاريخ الدولة السعودية. أمين سعيد. دار الكتاب العربي.
- التاريخ الكبير. محمد بن إسماعيل البخاري. دار الفكر.
- تاريخ بغداد. أحمد بن علي الخطيب. دار الكتب العلمية. بيروت.
- تأريخ مكة. أحمد السباعي. مطابع الصفا. ط٨. (١٤٢٠هـ).
- تاريخ مدينة دمشق. علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي. دار الفكر. بيروت. (١٩٩٥م).
- تاريخ ملوك آل سعود. سعود بن هذلول آل سعود. مطابع الرياض. ط١. (١٣٨٠هـ).

- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد. محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي. ط٤. (١٤٠٣هـ).
- تحرير الكلام في الجواب عن سؤال الهندي في صفة الكلام. أبو بكر خوقير. مخطوط بمكتبة الحرم المكي. رقم (١٢٩٨).
- تحفة الأحوذي. محمد بن عبد الرحمن المباركفوري. دار الكتب العلمية. بيروت.
- تحفة الملوك. محمد بن أبي بكر بن عبد المحسن الرازي. طبعة: دار البشائر الإسلامية. بيروت. ط١. (١٤١٧هـ).
- التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق. أبو بكر خوقير.مخطوط بجامعة الملك سعود. رقم (١٥٩٠).
- تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة. صالح بن عبد العزيز بن علي آل عثيمين. تحقيق بكر أبو زيد. مؤسسة الرسالة. ط١. (١٤٢١هـ).
- تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع. لأبي سليمان محمود سعيد بن محمد ممدوح. دار الشباب للطباعة. القاهرة. (١٤٠٣هـ).
- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد. محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني. ضمن "الجامع الفريد". ط٣. (١٤٠٨هـ).
- التعرف لمذهب أهل التصوف. لأبي بكر محمد الكلاباذي (ت٣٨٠هـ). دار الكتب العلمية بيروت. (١٤٠٠هـ).
- التعريفات. للجرجاني. مكتبة لبنان.
- التعليم في مكة والمدينة، آخر العهد العثماني. د.محمد عبد الرحمن الشامخ. ط١. (١٣٩٣هـ). دار العلوم. الرياض.
- تقريب التهذيب. أحمد بن علي بن حجر. دار الرشيد. سوريا. ط١. (١٤٠٦هـ).
- تقريب وترتيب شرح الطحاوية. خالد فوزي عبد الحميد. دار التربية والتراث. ط١. (١٤١٧هـ).
- تلبيس إبليس. لأبي الفرج ابن الجوزي. دار الكتاب العربي. بيروت. ط١. (١٤٠٥هـ).
- تلخيص كتاب الاستغاثة لابن تيمية. تحقيق محمد عجال. مكتبة الغرباء الأثرية. ط١. (١٤١٧هـ).
- التمهيد. لابن عبد البر. نشر وزارة عموم الأوقاف. المغرب. (١٣٨٧هـ).

- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع. محمد بن أحمد الملطي. دار رمادي للنشر. الدمام. (١٤١٤هـ).
- تهذيب التهذيب. أحمد بن علي بن حجر. دار الفكر. بيروت. ط١. (١٤٠٤هـ).
- تهذيب الكمال. يوسف بن زكي المزي. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط١. (١٤٠٠هـ).
- التوحيد. لابن منده. تحقيق د. علي بن محمد فقيهي. مكتبة الغرباء بالمدينة. ط٢. (١٤١٤هـ).
- التوسل: أنواعه وأحكامه. محمد ناصر الدين الألباني. نسقه محمد عيد العباسي. مكتبة المعارف. الرياض. ط١. (١٤٢١هـ).

(ث)

- ثبت الأثبات الشهيرة. أبو بكر خوقير. مخطوط بمكتبة الحرم المكي. (رقم ٤٢٧٣).
- الثقات. محمد بن حبان البستي. دار الفكر. ط١. (١٣٩٥هـ).
- الثورة العربية الكبرى. أمين سعيد. مطبعة عيسى البابي بمصر.

(ج)

- جامع الأصول. أحمد الكمشخانوي. طبعة عام (١٢٧٦هـ) "موجود بمكتبة مكة المكرمة".
- جامع البيان في تأويل القرآن. محمد بن جرير الطبري. دار المعارف بمصر.
- جامع التحصيل. أبو سعيد بن خليل العلائي. عالم الكتب. بيروت. ط٢. (١٤٠٧هـ).
- الجامع لأحكام القرآن. محمد بن أحمد القرطبي. دار الشعب. القاهرة.
- الجرح والتعديل. عبد الرحمن بن أبي حاتم. دار إحياء التراث. بيروت. ط١. (١٣٧١هـ).
- جزيرة العرب في القرن العشرين. حافظ وهبة. ط٥. (١٣٨٧هـ).
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام. ابن القيم. دار العروبة. الكويت. ط٢. (١٤٠٧هـ).
- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين. نعمان خير الدين الآلوسي. (١٤٠١هـ).
- جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف. د.عبد العزيز بن صالح الطويان. مكتبة العبيكان. ط١. (١٤١٩هـ).
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. لابن تيمية. دار العاصمة. ط١. (١٤١٤هـ).
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. ابن القيم. دار الكتب العلمية. بيروت.

- الجواهر الحسان في تراجم الأعيان. زكريا بن عبد الله بيلا. مخطوط. (نسخة لدى د.عبد الوهاب أبو سليمان).
- الجوهر المنظم في زيارة القبر النبوي المكرم. ابن حجر الهيتمي. دار الكتب العلمية. المطبعة الشرقية. (١٣٢٦هـ).

(ح)

- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح. ابن القيم. دار الكتب العلمية. ط٢. (١٤٠٧هـ).
- حاشية رد المحتار على الدر المختار. زين الدين ابن عابدين الحنفي (ت٩٧٠هـ). دار الفكر. ط٢. (١٣٨٦هـ).
- حقيقة السنة والبدعة. جلا الدين السيوطي. دار الفكر اللبناني. بيروت. ط١. (١٩٩٢م).
- حلية البشر في القرن الثالث عشر. عبد الرزاق البيطار. تحقيق محمد بهجة العطار. (١٣٨٠هـ).
- حياة الأنبياء بعد وفاقم.أحمد بن الحسين البيهقي.مكتبة العلوم والحكم.المدينة المنورة. ط١. (١٤١٤هـ).

(خ)

- خلاصة الكلام في بيان أمراء بيت الله الحرام. أحمد بن زيني دحلان. ط١. (١٣٠٥هـ). المطبعة الخيرية بمصر. "موجود بمكتبة مكة المكرمة".

(د)

- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد. محمد بن علي الشوكاني. دار الندوة الجديدة. بيروت. ط١. (١٤١٣هـ).
- الدر المنثور. جلال الدين السيوطي. دار الفكر. بيروت. (١٩٩٣م).
- درء تعارض العقل والنقل. ابن تيمية. دار الكنوز الأدبية. الرياض. ط٢. (١٣٩١هـ).
- الدعاء. سليمان بن أحمد الطبراني. دار الكتب العلمية. بيروت. ط١. (١٤١٣هـ).
- الدعاء ومترلته من العقيدة الإسلامية. جيلان بن خضر العروسي. مكتبة الرشد. الرياض. ط١. (١٤١٧هـ).
- دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف. دار الوطن. ط١. (١٤١٢هـ).
- دقائق التفسير. ابن تيمية. مؤسسة علوم القرآن. دمشق. ط٢. (١٤٠٤هـ).

- دلائل التوحيد. محمد بن عبد الوهاب. مستخرجة من الدرر السنية في الأجوبة النجدية. دار القاسم.
- دليل الطالب. مرعي بن يوسف الكرمي (ت١٠٣٢هـ). المكتب الإسلامي. بيروت. (١٣٨٩هـ). ط٢.
- الدين الخالص. محمد صديق حسن القنوجي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط١. (١٤١٥هـ).

(ذ)

- الذخائر المحمدية. محمد بن علوي المالكي. مطبعة حسان. القاهرة. (١٩٧٨م).
- ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع. رسالة ماجستير لعبد الرحمن محمود خليفة. بجامعة أم القرى، مطبوعة بدار طيبة الخضراء (١٤٢٤هـ) ط١.

(ر)

- الرد على شبهات المستغيثين بغير الله. أحمد بن إبراهيم بن عيسى. ضمن "الجامع الفريد". ط٣. (١٤٠٨هـ).
- الرد على القائلين بوحدة الوجود. الملا علي القاري. دار المأمون للتراث. دمشق. (١٤١٥هـ). ط١.
- رسالة إلى أهل الثغر. أبو الحسن الأشعري. مكتبة العلوم والحكم. دمشق. (١٩٨٨م). ط١.
- الرسالة. عبد الكريم بن هوازن القشيري. دار الكتب المصرية. تحقيق عبد الحليم محمود.
- الروح. ابن القيم. دار الكتب العلمية. بيروت. (١٣٩٥هـ).
- الروض المربع. منصور البهوتي. مكتبة الرياض الحديثة. (١٣٩٠هـ).

(ز)

- زاد المعاد في هدى خير العباد. ابن القيم. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط١٤. (١٤٠٧هـ).
- الزواجر عن اقتراف الكبائر. أحمد بن حجر الهيتمي. دار المعرفة. بيروت. (١٤٠٨هـ).
- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور. ابن تيمية. نشر الإدارة العامة للطبع والترجمة. الرياض. (١٤١٠هـ). ط١.

(س)

- السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية. محمد قربان نيازملا. مكتبة المنارة. مكة. ط١. (١٤٠٨هـ).

- السماع عند الصوفية عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة. رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، لعبد الرحمن بن عبد الرحيم القرشي. (١٤٢١هـ).
- السنة. لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال. تحقيق. د. عطية الزهراني. دار الراية. الرياض. ط١. (١٤١٠هـ).
- السنة. عبد الله بن أحمد بن حنبل. دار ابن القيم. الدمام. (١٤٠٦هـ). ط١.
- السنة. عمرو بن أبي عاصم الضحاك. المكتب الإسلامي. بيروت. (١٤٠٠هـ). ط١.
- سنن ابن ماجه. محمد بن يزيد القزويني. دار الفكر. بيروت.
- سنن أبي داود. سليمان بن الأشعث السجستاني. دار الفكر.
- سنن البيهقي الكبرى. أحمد بن الحسين بن علي البيهقي. مكتبة دار الباز. مكة. (١٤١٤هـ).
- سنن الترمذي. محمد بن عيسى بن سورة. دار إحياء التراث. بيروت.
- سنن الدارقطني. علي بن عمر الدارقطني. دار المعرفة. بيروت. (١٣٨٦هـ).
- سنن الدارمي. عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي. دار الكتاب العربي. بيروت. ط١. (١٤٠٧هـ).
- السنن الكبرى للنسائي. أحمد بن شعيب النسائي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط١. (١٤١١هـ).
- سنن النسائي. أحمد بن شعيب النسائي. مكتب المطبوعات. حلب. ط٢. (١٤٠٦هـ).
- سؤالات أبي داود. أبو داود السجستاني. مكتبة العلوم والحكم. المدينة المنورة. ط١. (١٤١٤هـ).
- سير أعلام النبلاء. محمد بن أحمد الذهبي. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط٩. (١٤١٣هـ).
- سير وتراجم. عمر عبد الجبار. ط٣. دار تهامة. جدة. (١٤٠٣هـ).
- سيف الله على من كذب على أولياء الله. صنع الله الحنفي. دار الوطن. الرياض. (١٤٢٠هـ). ط١.

(ش)

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة. هبة الله بن الحسن اللالكائي. دار طيبة. الرياض. (١٤٠٢هـ).
- شرح السنة. الحسين بن علي بن خلف البربهاري. دار ابن القيم. (١٤٠٨هـ). ط١.
- شرح العقيدة الأصفهانية. ابن تيمية. مكتبة الرشد. الرياض. ط١. (١٤١٥هـ).
- شرح العقيدة الطحاوية. لابن أبي العز الحنفي. المكتب الإسلامي. بيروت. ط٤. (١٣٩١هـ).
- شرح العمدة في الفقه. ابن تيمية. مكتبة العبيكان. الرياض. ط١. (١٤١٣هـ).

- شرح مجمع البحرين. عبد اللطيف بن عبد العزيز المعروف بابن ملك. (ت٨٠١هـ). مخطوط بمكتبة مكة المكرمة.
- شرح النووي على صحيح مسلم. يحيى بن شرف النووي. دار إحياء التراث. بيروت. ط٢. (١٣٩٢هـ).
- شرح حديث أبي الدرداء. ابن رجب الحنبلي. مكتبة التراث الإسلامي. (١٩٨٧).
- شرح علل الترمذي. ابن رجب الحنبلي. دار المنار. الزرقاء- الأردن. ط١. (١٤٠٧هـ).
- شرح معاني الآثار. أحمد بن محمد الطحاوي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط١. (١٣٩٩هـ).
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى. القاضي عياض. دار الفكر. لبنان. ط١. (١٤٢١هـ).
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. ابن القيم. دار الفكر. بيروت. (١٣٩٨هـ).
- شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد. محمد بن علوي المالكي. طبع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات. ط١. (١٤١١هـ).
- شواهد الحق في الاستغاثة بخير الخلق. يوسف بن إسماعيل النبهاني (ت١٣٥٠هـ) مطبعة مصطفى البابي بمصر (١٤٠٨هـ).

(ص)

- الصارم المنكي في الرد على ابن السبكي. محمد بن أحمد بن عبد الهادي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط١. (١٤٠٥هـ).
- صحيح ابن حبان. محمد البستي. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط٢. (١٤١٤هـ).
- صحيح ابن خزيمة. محمد بن إسحاق بن خزيمة. المكتب الإسلامي. بيروت. (١٣٩٠هـ).
- صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل البخاري. دار ابن كثير. اليمامة. بيروت. ط٣. (١٤٠٧).
- صحيح الترغيب والترهيب. محمد ناصر الدين الألباني. نشر مكتبة المعارف. الرياض. ط١. (١٤٢١هـ). وأيضاً: ضعيف الترغيب والترهيب.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته. محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي. ط٣. (١٤٠٨هـ).
- صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج النيسابوري. دار إحياء التراث. بيروت.
- الصفدية. ابن تيمية. دار ابن حزم. بيروت. ط٢. (١٤٠٦هـ).
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة. ابن القيم. دار العاصمة. الرياض. ط٣. (١٤١٨هـ).

- صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان. محمد بشير السهسواني الهندي. مكتبة ابن تيمية القاهرة. ط٤. (١٤١٠هـ).

(ض)

- الضعفاء الصغير (ضعفاء البخاري). محمد بن إسماعيل البخاري. دار الوعي. حلب. ط١. (١٣٩٦هـ).
- ضعفاء العقيلي (الضعفاء الكبير). محمد بن عمر العقيلي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط١. (١٤٠٤هـ).
- ضعيف الجامع الصغير وزياداته. محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي. ط٣. (١٤١٠هـ).
- ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة. د.عبد الله بن محمد القرني. دار عالم الفوائد. ط٢. (١٤٢٠هـ).

(ط)

- طبقات الحنابلة. محمد بن أبي يعلى. دار المعرفة. بيروت.
- طبقات الشافعية الكبرى. تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي. هجر للطباعة والنشر. ط٢. (١٤١٣هـ).
- طبقات الشافعية. أبو بكر بن أحمد بن محمد بن قاضي شهبة. عالم الكتب. بيروت. ط١. (١٤٠٧هـ).
- الطبقات الكبرى. محمد بن سعد. دار صادر. بيروت.
- طبقات المدلسين. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. مطبعة المنار. عمان. ط١. (١٤٠٣هـ).
- الطرق الحكمية. ابن القيم. مطبعة المدني. القاهرة.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين. ابن القيم. دار ابن القيم. الدمام. ط٢. (١٤١٤هـ).

(ع)

- عارض الجهل وأثره على أحكام الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة. لأبي العلا بن راشد الراشد. ط١. (١٤٢٣هـ). مكتبة الرشد.
- العظمة. عبد الله بن محمد بن جعفر. دار العاصمة. الرياض. ط١. (١٤٠٨هـ).
- العقيدة الواسطية. لابن تيمية. الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء. الرياض. ط٢.

- العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز. الدكتور فائق بكر الصواف. ط(بدون). (١٣٩٨هـ).
- العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ: صالح بن المهدي المقبلي. مكتبة دار البيان. دمشق.
- علماء الحنابلة . بكر أبو زيد. دار ابن الجوزي. ط١. (١٤٢٢هـ).
- العلو. محمد بن أحمد الذهبي. مكتبة أضواء السلف. الرياض. ط١. (١٩٩٥م).
- علوم الحديث لابن الصلاح. تحقيق نور الدين عتر. دار الفكر المعاصر. بيروت. ط٣ معادة. (١٤١٨هـ).
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري. بدر الدين محمود بن أحمد العيني. دار إحياء التراث. بيروت.
- عمل اليوم والليلة. أحمد بن محمد بن إسحاق المعروف بابن السني. دار القبلة للثقافة. جدة.
- عنوان المجد في تاريخ نجد. عثمان بن عبد الله بن بشر. المطبعة السلفية بمكة. (١٣٤٩هـ).
- عوارف المعارف. أبو حفص عمر بن محمد السهروردي (ت ٦٣٢هـ)، طبع بدار المعارف. مصر. تحقيق عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف.
- العين والأثر في عقائد أهل الأثر. عبد الباقي المواهبي الحنبلي. دار المأمون للتراث. لبنان. ط١. (١٤٠٧هـ).

(غ)

- غاية الأماني في الرد على النبهاني. محمود شكري الآلوسي. نشر مكتبة العلم جدة.

(ف)

- فتاوى العز ابن عبد السلام. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط١. (١٤١٦هـ).
- فتح الباري. أحمد بن علي بن حجر. دار المعرفة. بيروت. (١٣٧٩هـ).
- الفتوى الحموية الكبرى. ابن تيمية. دار الكتب العلمية. بيروت. توزيع دار الباز بمكة.
- الفروع. لمحمد بن مفلح (ت ٧٦٣هـ). دار الكتاب العلمي. بيروت.(١٤١٨هـ). ط١.
- فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال. أبو بكر خوقير. مطبعة مجلة المنار بمصر سنة (١٣٢٤هـ).
- الفصل في الملل. علي بن أحمد بن حزم. مكتبة الخانجي. القاهرة.

- الفصول في سيرة الرسول. للحافظ ابن كثير. مكتبة دار التراث. ط٦. (١٤١٣هـ).
- فضائل الصحابة. أحمد بن حنبل الشيباني. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط١. (١٤٠٣هـ).
- فضل الصلاة على النبي. لإسماعيل بن إسحاق الجهضمي (ت٢٨٢هـ). المكتب الإسلامي. بـيروت. ط٣. (١٣٩٧هـ).
- الفوائد. تمام بن محمد الرازي. مكتبة الرشد. الرياض. ط١. (١٤١٢هـ).
- فيض الملك المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي. عبد الستار الدهلوي. مخطوط بمكتبة الحرم المكي. برقم (٢٨٦٠)، (ف١١٨٨).

(ق)

- قاموس الفارسية. عبد المنعم محمد حسين. دار العلم للملايين. بيروت.
- القاموس المحيط. الفيروز آبادي. مؤسسة الرسالة. بيروت.
- قرة العين في أسانيد شيوخي من أعلام الحرمين. محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني المكي. مخطوط (خاص).
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام. العز ابن عبد السلام دار الكتب العلمية. بيروت.
- قواعد التصوف. لأحمد زروق. المطبعة العلمية بمصر. (١٣١٨هـ).
- القول المنير في الرد على رسالة أبي بكر خوقير. محمد سعيد با بصيل. مطبعة إكليل المطابع، عام (١٣٢٩هـ).

(ك)

- الكاشف. محمد بن أحمد الذهبي. دار القبلة للثقافة. جدة. ط١. (١٤١٣هـ).
- الكافي شرح الوافي. لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي. مخطوط بمكتبة مكة المكرمة.
- الكامل في ضعفاء الرجال. عبد الله بن عدي الجرجاني. دار الفكر. بيروت. ط٣. (١٤٠٩هـ).
- كرامات الأولياء. هبة الله بن الحسن الالكائي. دار طيبة. الرياض. ط١. (١٤٢٢هـ).
- كشاف القناع. منصور البهوتي (ت ١٠٥١هـ). دار الفكر. بيروت. (١٤٠٢هـ).
- كشف الشبهات. محمد بن عبد الوهاب. دار الصميعي.ط١. (١٤١٨هـ).
- كشف الظنون. مصطفى بن عبد الله القسطنطيني. دار الكتب العلمية. بيروت. (١٤١٣هـ).
- كشف شبهات المخالفين. سمير بن خليل المالكي. (١٤١٩هـ).
- الكواكب النيرات. محمد بن أحمد الذهبي. دار العلم. الكويت.

(ل)

- لسان العرب. محمد بن مكرم بن منظور. دار صادر. بيروت. ط١.
- لسان الميزان. أحمد بن علي بن حجر. مؤسسة الأعلمي. بيروت. ط٣. (١٤٠٦هـ).
- لمعة الاعتقاد. لابن قدامة المقدسي. الدار السلفية. الكويت. ط١. (١٤٠٦هـ).
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية. محمد السفاريني. المكتب الإسلامي. ط٣. (١٤١١هـ).

(م)

- ما لا بد منه في أمور الدين. أبو بكر خوقير. مطبعة التمدن بمصر. (١٣٣٢هـ).
- المبدع. لإبراهيم بن محمد بن مفلح (ت٨٤٤هـ). المكتب الإسلامي. بيروت. (١٤٠٠هـ).
- المجروحين. أبو حاتم محمد البستي. دار الوعي. حلب.
- مجموع فتاوى ابن تيمية. نشر مكتبة التقوى. (٣٧) مجلد.
- مجموعة التوحيد. دار الفكر. ط١. (١٤١١هـ).
- محاسن التأويل. محمد جمال الدين القاسمي. دار إحياء الكتب العربية. (١٣٧٦هـ).
- المحلى. علي بن أحمد أبو حزم. دار الآفاق الجديدة. بيروت.
- مختار الصحاح. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. مكتبة لبنان. بيروت. (١٤١٥هـ).
- مختصر طبقات الحنابلة. محمد جميل بن عمر البغدادي المعروف بابن الشطي. دار الكتاب العربي.
- مدارج السالكين. ابن قيم الجوزية. دار الكتاب العربي. بيروت. (١٣٩٣هـ). ط٢.
- مرآة الحرمين. إبراهيم رفعت باشا. ط١. (١٣٤٤هـ).
- مسامرة الضيف بمفاخرة الشتاء والصيف. أبو بكر خوقير. طبع في بيروت. (١٣٢٠هـ).
- مستدرك الحاكم. محمد بن عبد الله الحاكم. دار البشائر العلمية. بيروت. ط١. (١٤١١هـ).
- مسند أبي يعلى. أحمد بن علي بن المثنى. دار المأمون للتراث. دمشق. ط١. (١٤٠٤هـ).
- مسند الإمام أحمد بن حنبل. مؤسسة قرطبة. القاهرة.
- مسند الشاميين. سليمان بن أحمد الطبراني. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط١. (١٤٠٥هـ).
- مشاهير علماء نجد وغيرهم. عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ. دار اليمامة. الرياض. ط٣. (١٣٩٢هـ).

- مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام. عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ. دار الهداية. الرياض.

- مصنف ابن أبي شيبة. عبد الله بن محمد بن أبي شيبة. مكتبة الرشد. الرياض. ط١. (١٤٠٩هـ).

- مصنف عبد الرزاق. عبد الرزاق بن همام الصنعاني. المكتب الإسلامي. بيروت. ط٢. (١٤٠٣هـ).

- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع. للملا علي القاري. مؤسسة الرسالة. ط٢. (١٣٩٨هـ).

- المضنون به على غير أهله. لأبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ). المطبعة الميمنية بمصر. (١٣٠٩هـ). "موجود بمكتبة مكة المكرمة".

- المعجم الأوسط. سليمان بن أحمد الطبراني. دار الحرمين. القاهرة. (١٤١٥هـ).

- المعجم الصغير. سليمان بن أحمد الطبراني. المكتب الإسلامي. بيروت. عمان. ط١. (١٤٠٥هـ).

- المعجم الكبير. سليمان بن أحمد الطبراني. مكتبة العلوم والحكم. الموصل. ط٢. (١٤٠٢هـ).

- معجم المؤلفين. رضا كحالة. ن.مكتبة المثنى. بيروت.

- معرفة الثقات. أحمد بن عبد الله العجلي. مكتبة الدار. المدينة المنورة. ط١. (١٤٠٥هـ).

- مفاهيم يجب أن تصحح. محمد بن علوي المالكي. ط٤. (١٤١٠هـ) دولة الإمارات. وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف.

- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة. ابن القيم. دار ابن عفان. الخبر. ط١. (١٤١٦هـ).

- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة. محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ). نشر مكتبة الخانجي. القاهرة. ط٢. (١٤١٢هـ).

- مقالات الإسلاميين. علي بن إسماعيل الأشعري. دار إحياء التراث العربي. بيروت. ط٣.

- مكة في القرن الرابع عشر. محمد عمر رفيع. نشر نادي مكة الثقافي (١٤٠١هـ).

- الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت. د.موضي بنت منصور آل سعود. معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى. (١٤١٩هـ).

- الملل والنحل. محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. دار المعرفة. بيروت. (١٤٠٤هـ).

- ملوك العرب. أمين الريحاني. ط٣. بيروت. (١٩٥١م).

- من رأى رؤيا فكانت كما رأى. إبراهيم بن عبد الله الحازمي. دار الشريف. ط٤. (١٤١٨هـ).

- منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم. علي بن تاج الدين السنجاري. مركز إحياء التراث بجامعة أم القرى. ط١. (١٤١٩هـ).
- منار السبيل. إبراهيم بن محمد بن ضويان. مكتبة المعارف. الرياض. ط٢. (١٤٠٥هـ).
- المنتقى. لأبي الوليد الباجي (ت٤٩٤هـ). مطبعة السعادة. مصر. ط١. (١٣٣١هـ).
- منح الغفار شرح تنوير الأبصار. لأبي عبد الله محمد بن عبد الله التمرتاشي (ت١٠٠٤هـ). مخطوط بمكتبة مكة المكرمة.
- منهاج السنة النبوية. ابن تيمية. مؤسسة قرطبة. ط١. (١٤٠٦هـ).
- المواهب اللدنية. أحمد بن حجر الهيتمي. دار الكتب العلمية. عن طبعة المطبعة الشرفية (١٣٢٦هـ).
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة.ط٤. (١٤٢٠هـ).
- موطأ مالك. مالك بن أنس الأصبحي. دار إحياء التراث. مصر.
- موقف ابن تيمية من الأشاعرة. د. عبد الرحمن بن صالح المحمود. مكتبة الرشد. الرياض. ط١. (١٤١٥هـ).
- مولد العلماء ووفياتهم. محمد بن عبد الله بن أحمد الربعي. دار العاصمة. الرياض. ط١. (١٤١٠هـ).
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال. محمد بن أحمد الذهبي. دار الكتب العلمية . بيروت. ط١. (١٩٩٥م).

(ن)

- نثر الغرر في تذييل نظم الدرر في تراجم علماء مكة. عبد الله بن محمد بن غازي. مخطوط بمكتبة الحرم المكي. (مصورات ١٤٢٤).
- نزهة الأسماع في مسألة السماع. لابن رجب الحنبلي. تحقيق د.عبد الله الطريقي. نشر مطابع شركة الصفحات الذهبية المحدودة. (١٤١٣هـ).
- نزهة الخواطر. عبد الحي بن فخر الدين. ط١. (١٣٧٨هـ).
- نزهة الفكر فما مضى من الحوادث والعبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر. أحمد بن محمد الحضرواي المكي الهاشمي. تحقيق محمد المصري. منشورات دار الثقافة في الجمهورية السورية، دمشق. (١٩٩٦م).
- النكت على نزهة النظر. علي بن حسن الأثري. دار ابن الجوزي. ط١. (١٤١٣هـ).

- نموذج من الأعمال الخيرية. محمد منير الدمشقي. نشر مكتبة المعارف.
- النهاية في غريب الحديث والأثر. أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري. المكتبة العلمية. بيروت. (١٣٩٩هـ).
- النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد. جاسم بن سليمان الفهيد الدوسري. دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.
- نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف. د. محمد بن عبد الله الوهيبي. دار المسلم. ط١. (١٤١٦هـ).
- نواقض الإيمان القولية والعملية. د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف. دار الوطن. ط٢.
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار. محمد بن إسماعيل الشوكاني. دار الجيل. بيروت. (١٩٧٣م).
- نيل الوطر في تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر. محمد بن حمد بن يحيى زبارة الحسني. ط١. المطبعة السلفية. القاهرة. (١٣٤٨هـ).

(هـ)

- الهاشميون والثورة العربية الكبرى. أنيس صايغ. ط١. (١٩٦٦م).
- هِجر العلم ومعاقله في اليمن. القاضي إسماعيل بن علي الأكوع. دار الفكر. دمشق. ط١. (١٤١٦هـ).
- الهداية شرح البداية. علي بن أبي بكر الميرغناني (ت٥٩٣هـ). المكتبة الإسلامية. بيروت.
- هذه مفاهيمنا. صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. (١٤٠٧هـ).

(و)

- الوهابيون والحجاز. محمد رشيد رضا. مطبعة المنار بمصر. ط١. (١٣٤٤هـ).

٥- فهرس الموضوعات